مؤسسة الأبحاث العربية

غرامشي

حياته وأعماله



جون كاميت

ترجمة عفيف الرزاز

غرامشي
حياته وأعماله

غرامشي

حياته وأعماله

جون كاميت

ترجمة عفيف الرزاز

مؤسسة الأبحاث العربية

* جون كاميت: **أنطونيو غرامشي، حياته وأعماله.**
* **الطبعة العربية الأولى ، ١٩٨٤ .**

* الناشر : **مؤسسة الابحاث العربية ، ش . م . م .**

ص . ب . ٥٠٥٧ ـ ١٣ (شوران) بيروت ـ لبنان .
هاتف : ٨١٠٠٥٥ تلكس

* تصميم الغلاف: سمر دملوجي.
* هذا الكتاب هو الترجمة الكاملة لـ :

Cammett: *Antonio Gramsci and the Italian Communism.*

المحتويات

مقدمة

بدىء العمل في هذا الكتاب في جامعة كولومبيا كأطروحة للدكتوراه تحت اشراف وتوجيه البروفسور شيبارد ب. كلوف الذي أشعر له بالشكر العميق لنقده المساعد، ولتشجيعه، ولحرارته وإنسانيته، وهي صفات ربما لم تعد شائعة في أرجاء المجتمع الاكاديمي كما كان يجب أن تكون. وفي مرحلة صياغة الاطروحة تلقيت الكثير من النقد المفيد أيضاً من البروفسور رينيه ألبريخت ـ كاريبه والبروفسور مايكل فلورنسكي والبروفسور بيتر غاي والبروفسور الراحل غاريت مايتنغلي. إن كرم « معهد الثقافة الايطالية »، الذي قدم لي منحة من الحكومة الايطالية، سمح لي باكمال الجولة الأولى من بحثي في إيطاليا. وفي عام ١٩٦٠ حظيت اطروحتي بشرف اعتبارها لدى «جمعية الدراسات التاريخية الايطالية» أفضل مخطوطة غير منشورة في تلك السنة حول التاريخ الايطالي. وأود أن أشكر الجمعية لتشجيعها الذي قدمه لي هذا الاختيار كأصغر باحث سناً، ما زال حديث الولوج إلى سيرته الأكاديمية.

في الخمسينات، لم يكن هناك إلا القليل مما تم انجازه، والقليل من الوثائق المتوفرة، مما يلزم لوضع كتاب اعلامي عن غرامشي، ولم يتحقق هذا حتى الستينات. لهذا، فإني أشعر بامتنان عميق لمجلس الأبحاث في جامعة روتجرز، الذي قدم لي منحة صيفية في عام ١٩٦٤، مما مكنني من العودة إلى ايطاليا، ومن أن أحظى بإلفة بعض الباحثين الأكثر نشاطاً في أعمال غرامشي، ومن أن أشتري الكتب والمقالات والميكروفيلم اللازمة لتحديث بحثي حول غرامشي. وأثناء وجودي في روما تمكنت من استخدام مرافق « معهد غرامشي »، وأنا عظيم الامتنان للمساعدة

والتشجيع اللذين قدمهما لي طاقم الموظفين المخلص والمكرس نفسه للعمل ، وخصوصاً السنيور فرانكو فيرّي ، مدير المعهد ، والسنيورا الزا فوبيني ، رئيسة تحرير طبعة إيناودي من مؤلفات غرامشي .

وكنتيجة لأبحاثي التالية ، توسعت كثيراً في المخطوطة الأصلية ، وأعدت كتابتها بكاملها تقريباً . ولم يكن لأي نجاح قد أكون حققته أن يكون ممكناً من دون مساعدة وتشجيع أشخاص عديدين . وإني شاكر بشكل خاص لأربعة من أصدقائي وزملائي في قسم التاريخ في جامعة روتجرز ، وهم : البروفسور يوجين د. جينوفيزي وهربرت هـ . روين وترايان ستويانوفيتش ووارن د. سوسمان . لقد كان تشجيعهم من موقع الصداقة ، وأحياناً نقدهم القاسي ، حافزاً أساسياً بالنسبة لي .

وكذلك أذهب بشكري إلى الاقتراحات المساعدة والمناقشات الحافزة والنقد الايجابي الذي قدمه البروفسور جوليوس بريللّر من مدرسة غيليار للموسيقى ، والبروفسور نورمان رين من جامعة روتجرز في نيوآرك ، والبروفسور آ. ويليم سالومون من جامعة روشستر ، والبروفسور ريتشارد آ. وبستر من جامعة كاليفورنيا في بيركلي ، والبروفسور جون وايس من جامعة ولاية وين . وأنا مدين بشكل خاص للبروفسور ويليم ج. بوسنبروك من جامعة ولاية وين ، إذ كان تعليمه الجليل الفاعل أول ما جذبني إلى دراسة التاريخ . وقدمت لي الدكتورة دوريس ميلر مساعدة كريمة لا متناهية في مشاكل أخرى تتعلق بالمخطوطة . وكان الأعم والنقد الحيوي الذي قدمته لي زوجتي ، دوريس دي بوديستا كوميت ، أمراً لا بد منه لاتمام هذا العمل .

وأخيراً لا بد لي أن أضيف التنصل التقليدي الذي يحرر أي شخص آخر من مسؤولية النواقص في هذا العمل ، والذي يفرض علي قبول هذه النواقص باعتبارها من مسؤوليتي . وفي حالتي ، فإن هذه المسؤولية تشمل أيضاً الترجمة من الايطالية إلى النص الانكليزي .

ج. م. ك.

مدخل

في عام ١٩٤٧ ، وبعد مرور عشر سنوات على وفاته ، كوفىء انطونيو غرامشي بمنحه جائزة « فياريجو » للآداب على ما كتب من « رسائل من السجن » . وبين عامي ١٩٤٨ و١٩٥١ نشرت له أيضاً « دفاتر السجن » . هذه الكتابات تحمل قدراً من الإنسانية والذكاء يصبح معه الجهل بهذا الرجل حتى ذلك التاريخ ، وحتى في ايطاليا ، أمراً مثيراً للدهشة ، خصوصاً وأنه ساهم في تأسيس الحزب الشيوعي الايطالي عام ١٩٢١ ، وكان زعيمه المعترف به حتى اعتقاله في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٦ . على العموم ، منذ عام ١٩٤٧ بدأت تتدعم سمعة غرامشي كقائد سياسي وكانساني ومفكر . وفي ايطاليا ، أصبحت الأدبيات الغرامشية واسعة الانتشار ، وهناك اهتمام متزايد في البلدان الناطقة بالانكليزية أيضاً بأفكار غرامشي ، بالرغم من أن الباحثين لم يفعلوا إلا القليل لتلبية هذا الاهتمام(*)

في إيطاليا لم يظهر إلا مؤلفان عامان فيهما نية البحث ، أحدهما لجوزيبيّ تامبورانو (١٩٦٣) والآخر لفرانشيسكو رومانو (١٩٦٥)(**) . الأول جدلي بعض الشيء ولم

* في العالم العربي، بدأ الاهتمام بترجمة بعض كتابات غرامشي منذ مطلع السبعينات، نقلاً عن الاهتمام الغربي به، ولكن «أبحاثاً» عن فكر غرامشي لم تظهر حتى الآن بالعربية، ربما تبعاً لقلة الاطلاع على هذه الأفكار، بالرغم مما هنالك من تشابه بين الشروط التاريخية التي مرت بها ايطاليا في عهد النهضة (١٨٦٠) وما تلاه حتى النصف الأول من القرن الحالي، والشروط السائدة حالياً في الوطن العربي، من الناحيتين القومية والطبقية على السواء. وهذا التشابه قد يشكل دافعاً يحفز الباحثين العرب على اطلاع أوسع على فكر غرامشي في المستقبل، لا للنقل الآلي عنه، بل لتوسيع آفاق الفكر الباحث في المستقبل العربي (المعرب).

** هذا الكتاب صدر في طبعته الانكليزية الأولى عام ١٩٦٧، وبالتالي فإن أية إشارة الى «الآن» أو «حتى الآن» إنما تشير الى تلك السنة (المعرب).

ينجح في تقديم عرض متوازن لحياة غرامشي وأفكاره ، أما الثاني ، فهو ملائم وكثيراً ما يكون عميق الملاحظة فيما يتعلق بغرامشي الشاب حتى عام ١٩٢١ ، ولكنه لا يحاول معالجة « دفاتر السجن » ويكرس صفحات قليلة فقط لدور غرامشي في الحزب الشيوعي الايطالي . والمقدمة المنوِّرة التي كتبها جانسيرو فيرّاتا لآخر مقتطفات ظهرت لأعمال غرامشي (١٩٦٤) تشكل بالتأكيد اشارة إلى أن الباحثين الايطاليين ـ الذين كانت أعمالهم الأخيرة داعية للاعجاب في ميادين أخرى كثيرة من التاريخ الايطالي المعاصر ـ سرعان ما سوف يقدمون لنا دراسات أفضل عن هذا الرجل غير العادي وانجازاته . وحتى ذلك ، علينا أن نوافق الباحث الفرنسي الشاب روبرت باريس في أنه « من الصعب تقديم أو « ترجمة » مؤلِّف مثل غرامشي في غياب دراسات متينة وضعت عنه في وطنه » .

هذا الكتاب ، لا يقصد به أن يكون سيرة حياة كاملة بالرغم من أنه يتضمن معلومات من هذا النوع عن كل مرحلة من مراحل حياة غرامشي ، لأنه حتى الآن لم ينجز إلا الجزء الأساسي من العمل الذي يجب القيام به لجعل كتابة مثل سيرة الحياة هذه ممكنة ، وما زالت هناك ثغرات كثيرة . ولهذا الكتاب هدف أكثر محدودية ، وهو تقديم وتحليل أفكار غرامشي الرئيسية في ميادين السياسة والتاريخ خلال فترتي ابداعه الأكبر . الفترة الأولى : كزعيم لحركة « النظام الجديد » في تورينو سنتي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، والفترة الثانية : كشخصية رئيسية في الشيوعية الايطالية ، بدءاً بارتقائه إلى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي في سنة ١٩٢٣ وانتهاء بكتابته « دفاتر السجن » ، التي كتب الجزء الأكبر منها بين ١٩٢٩ و١٩٣٤ .

وحتى بهذه المحدودية ، وبثراء المادة التي أصبحت الآن متوفرة ، فإن دراسة من هذا النوع تواجه المشاكل . في القسم الأول من الكتاب كانت المشكلة هي اكتشاف ـ قدر الامكان ـ تأثير طفولة غرامشي الساردينية وشبابه في تورينو ، أولاً كطالب في الجامعة ثم كداعية اشتراكي ومنظم عمالي ، على أفكاره الناضجة . في القسم الثاني ، كانت المهمة الرئيسية هي اختيار وتنظيم الأفكار الأكثر أهمية الواردة فيما يزيد عن ٢٠٠ مقالة كتبها غرامشي لصحيفة « النظام الجديد » خلال سنتين من صدورها ، وهي مادة ، بالرغم من ثرائها ، كتبت بسرعة العمل اليومي ، ولم يكن

يقصد بها أن تشكل مساهمة دائمة في تـاريخ الأفكـار . وفي القسم الثالث . الـذي يرسم ارتقاء غرامشي إلى موقع السيطرة في الحزب الشيوعي الإيطالي، كانت المشكلة هي تبيان كيفية شق غرامشي لطريق خاص به بين التطرف اليساري لأميديو بورديغا وتحذيرات ونصائح الكومنترون المتمركز في موسكو .

وربما كانت المهمة الأصعب بين الجميع هي اختيار المعالجة الملائمة ، في القسم الرابع ، للكمية الهائلة من المادة الموجودة في « دفاتر السجن » ، وهو ما يتطلب مكتبة بحالها من التحليلات لسبر عمقها . وفي النهاية ، بدا لي أن الأفضل هو قصر البحث على آراء غرامشي النهائية حول مشكلتين رئيسيتين للنظرية السياسية والتاريخ الايطالي الحـديث كانتـا قد شغلتـا غرامشي منـذ البدايـة ، وهما : طبيعـة ومهمات الحـزب السياسي ، والدور التاريخي للمثقفين الايطاليين . الكثـير من الكتابـات الأخرى في الـدفاتـر له أهميـة ، وبعضه عميق ، ولكن غـرامشي كان أكـثر سخاء عـلى هـذين الموضوعين بالذات بما اكتسب من حكمة خلال مسيرته السياسية .

القسم الأول

السنوات المبكرة

١ ـ استهلال في ساردينيا

« كدت لا أعرف أبداً إلا المظهر الأكثر سوءاً من الحياة ، ولكني نجحت دوماً في العثور على طريقي . بالشكل الحسن أو السيء » .

غرامشي ـ ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٢

خلال سنوات سجنه الطويلة ، كثيراً ما فكر انطونيو غرامشي بكتابة قصة حياته ، وكان غرامشي قد تساءل ، بتواضعه المميز ، ما الذي يمكن أن يبرر كتابة سيرة حياته ! وشعر بأن الاعتزاز أو الفخر لا يشكل مبرراً، ففخر الانسان يفترض ضمناً ان حياته المختلفة عن حياة الآخرين قد تجعل سيرة حياته غير ذات قيمة للقارىء. من ناحية أخرى، كان يمكن لسيرة حياة «سياسية» ان تكون مبررة: «نحن نعرف ان حياة أي انسان تماثل حياة ألوف الآخرين، ولكنها اتخذت لنفسها ـ بالصدفة ـ مسلكاً لم تستطع ألف حياة أخرى ان تتخذها، وهي ـ في الواقع ـ لم تفعل». ويمكن لسيرة الحياة ان توحي بالأمور التي قادت الى «الحدث» والتي حددت اتجاه مسار حياة الكاتب، وبذلك فإنها قد تساعد «رجالاً آخرين على التطور بطرق معينة وباتجاهات معينة»[١] .

والمثير للأسف هو أن غرامشي لم يكتب أبداً سيرة حياته، ولكن لتشديده على «المصادفات الحديثة» أصولاً عميقة في تجربته. فقد تأثرت حياته، وبعمق، بالعديد من المصادفات او من الأحداث العرضية التي كان بعضها مؤسفاً وكان بعضها الآخر مؤاتياً. وكان سالفاتوري فرانشيسكو رومانو قد صنف غرامشي مؤخراً بين القادة السياسيين القلائل الذين كان لتجاربهم الشخصية والفكرية تأثير تقريري على الأهمية التاريخية لفكرهم ولأعمالهم[٢].

ولد غرامشي يوم ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٩١، في آليس، وهي بلدة زراعية صغيرة في جزيرة ساردينيا. وكان والده فرانشيسكو سليلاً، من جهة أبيه، لألبنانيين أتوا الى ايطاليا من ايبيروس في عام ١٨٢١، خلال الحرب اليونانية من أجل الاستقلال[٣]، اما من جهة أمه فكان سليلاً لواحدة من العائلات الايطالية ـ الاسبانية الموجودة في جنوب ايطاليا. وكانت أم انطونيو، جوزيبيا مارشاس، من أصل ساrديني صاف[٤].

وكان جد غرامشي، جينّارو غرامشي، عقيداً في الدرك البوربوني في مملكة الصقليتين القديمة[٥]. وولد فرانشيسكو، والد انطونيو، في بلدة غاييتا في أرض ايطاليا القارية، عام ١٨٦٠. وبعد ان أنهى فرانشيسكو دراسته أرسل الى ساردينيا موظفاً صغيراً في بيروقراطية الدولة. وكانت أم انطونيو ترتبط برابط القرابة مع عائلة كورياس، وهي أحدى اكثر العائلات اجتذاباً للاحترام في تلك المنطقة من ساردينيا. وبالرغم من خلفيته، يبدو ان فرانشيسكو غرامشي كان رجلاً فاشلاً غير ذي فاعلية. وقد كتب انطونيو بعد سنوات عديدة يقول:

«كان أبي وأمي منهمكين دوماً في وضع جبال من المشاريع والفرضيات. ولكنهما كانا ينسيان النقطة الأساسية، وكانت مشاريعهما كلها تفشل. . اعتقدا ان لهما قدرات عظيمة في الأعمال التجارية، وكانا يبنيان دوماً قصوراً كبيرة في الهواء وينتقدان بقية الساردينيين لأنهم بلا مبادرات. وطبعاً، لم يتحقق شيء من مشروعاتهما، وكان اللوم يقع دوماً على آخرين، كما لو أن أحداً لم يوجد قبلاً، وأن أحداً ما كان يجب ان يؤخذ في الاعتبار منذ البداية»[٦].

وعاشت العائلة من عام ١٨٩٤ وحتى عام ١٨٩٧ في سورغونو، وهي بلدة تقع في قلب ساردينيا قرب جبال جينّارجينتو، حيث أرسل انطونيـو وأخواتـه الى مدرسـة للحضانة تديرها جماعة دينية. وفي هذه الفترة حصلت «المصادفة» الكبـرى الأولى في حياة غرامشي : عندما كان في الرابعة من عمره، سقط غرامشي من بين ذراعي احدى الخـادمات وتـدحرج حتى أسفـل الدرج. واعتقـدت العائلة انـه قد مـات، بل انها حضّرت من أجله تابوتاً وكفناً. ولكن عمته قامت بتدليـك قدميـه بزيت مـأخوذ من قنديل مكرس لخدمة العذراء، ونسبت شفاءه فيما بعـد الى هذا العـلاج[٧]. وعاش انطونيو، ولكن الثمن كان علة صحية دائمة وظهراً مقوساً محدودباً. وكان لذلك آثاراً نفسية لابد منها، أحدها كان إدراكه الأول «لوجوده كانسان له جسد» (كما ذكر بحس مرهف فيما بعد)[٨].

في عام ١٨٩٧ ، وبينما كان الأب فرانشيسكو يعمل كموظف في مكتب عقاري في سـورغـونـو، اعتقـل بتهمــة «الغش الاداري» وحكم عليـه بـالسجن لمـدة خمس سنوات[٩]. وبقيت زوجتــه وحيدة تحمل عبء تنشئـة سبعة أطفـال (كان انـطونيو الطفل الرابع للعـائلة والابن الذكـر الثاني لهـا). بعد ذلـك مباشـرة، انتقلت عائلة غرامشي الى غيلارتسا، وهي بلدة أكبر قليلاً، قريبة من السكة الحديديـة التي تربط كالياري بساسّاري، مدينتنا جزيرة ساردينيا الرئيسيتان. ويبدو ان المكان كان غير صحي أبداً، وكان مملوءاً بـوباء الملاريــا، وليست فيـه شبكة مجاري أو شبكـة لميـاه الشرب[١٠]. ولم يكن في بيت غرامشي مياه جارية، ولا مراحيض، ولا انارة باستثناء شمعة واحدة كانت والدة غرامشي تحتاج اليها في عملها كخيـاطة[١١]. كـانت حياة صعبة، وكان غـرامشي يشعر دومـاً بفضل أمـه في اعالـة العائلة: «لـو كانت امـرأة أخرى، من يعرف اية نهاية كارثية كنا سنصل اليها نحن الأطفال ؟ ربما لم يكن أي منا على قيد الحياة اليوم ! »[١٢].

وكتب غـرامشي أن أمه، ككـل السـاردينيـين، كـانت تشعـر بعمق بـالـروابط والمسؤوليات العائلية[١٣]، وكانت ذات ارادة قوية «كورياس كورياتسـو»، (وهو مـا يعني باللهجة المحلية ان أفراد عائلة كورياس شجعان)، وهي التورية الكـلامية التي استخدمها غرامشي نفسه[١٤]. كانت الأم أيضاً ذكية، سريعة الخاطر، وكات راوية

جيدة للحكايات. وكان انطونيو معجباً بهذه الصفات التي لوالدته، ولم يمنعه اغترابه فيما بعد عن أصوله أبداً من التعبير عن العرفان بجميلها:

«لا تستطيعين ان تتصوري كم هي الأحداث التي أذكر والتي كنت تبدين فيها، دوماً، كقوة خيّرة مليئة بالاهتمام بنا.. ولأن كل ما نذكره منك هو الطيبة والقوة - تلك القوة التي أظهرتها في تنشئتنا - فقد كسبت لنفسك الجنة الحقيقية التي هي بالنسبة للأم - على ما أعتقد - في قلوب أطفالها»(١٥).

وكانت اهتمامات مثل هذه الأم بأطفالها من عائلة غرامشي لا تقدر بثمن، خصوصاً عندما بدأ الأطفال بالذهاب الى المدرسة. في الواقع، كتب انطونيو يقول: «كانت عائلتنا مشهورة في غيلارتسا»(١٦). وكان انطونيو وأخته الأصغر تيريزينا قارئان شرهان. وتراه يذكّر شقيقته في عام ١٩٣٠ «كم كان تعصبنا للقراءة والكتابة»(١٧)، وذكرت تيريزينا فيما بعد ان سيدة في البلدة أورثت انطونيو مجموعة كبيرة من الكتب التي كانت تضم، فيما تضم، «روبنسون كروزو»، و«كوخ العم توم»(١٨). وربما كان الصبي انطونيو كثير الثقة بقدراته، ففي السنة الثانية من دراسته الابتدائية، وكان في التاسعة من عمره، طلب تقديم «امتحانات المغادرة»، وهي الامتحانات التي يقدمها التلاميذ عادة في نهاية السنة الثالثة من الدراسة الابتدائية (وكانت في تلك الأيام تشكل عاملاً أساسياً في الحق بالتصويت). وكان غرامشي يريد الانتقال مباشرة الى السنة الرابعة من الدراسة الابتدائية(١٩): «كنت متأكداً من أني أستطيع ذلك، ولكني عندما تقدمت الى المدير لتقديم طلبي الرسمي، سئلت بقسوة: «هل تعرف المادة الرابعة والثمانين من النظام الداخلي؟»، ولم أكن قد فكرت أبداً في هذه المواد. كنت قد اقتصرت على دراسة «حقوق وواجبات المواطن» في الكتب المدرسية»(٢٠). ويمر غرامشي بهذه الحادثة على أساس انها حادثة طريفة، ولكننا نعرف من مقال كتبه في عام ١٩١٥ انه كان لهذه الحادثة أهمية كبيرة بالنسبة اليه: «الصبي المسكين الذي سحقه ذلك السؤال بدأ يرتجف، وعاد الى البيت غارقاً في الحزن ليتخلى عن أية فكرة لتقديم الامتحانات في ذلك الوقت»(٢١)، في السنوات التالية، كثيراً ما ثار غضب غرامشي ضد سوء استخدام المربين للسلطة الموكلة اليهم في تثبيط همة وطموحات التلاميذ.

لم يقتصر التعليم المبكر لغرامشي على الدراسة الرسمية، فقد كانت قصص «روبنسون كروزو» وقصص سالغاري الرومانسية حول المعارك البحرية للقراصنة من قراءاته المفضلة عندما كان طفلاً[٢٢]. الى هذا، كان غرامشي يكنّ حباً كبيراً للطبيعة، وخصوصاً للحيوانات، التي كان يراها، في آن معاً، كما هي في الواقع وكما هي في مخيلته. من هذا الخليط من التجربة المباشرة ومن الخيال ظهرت قصصه الرائعة التي كتبها عن الحيوانات لأطفاله عندما كان في السجن[٢٣]. كانت هنالك واجهة محل في تورينو تعرض طيوراً مصبّرة وحية، وكان هذا مكان التوقف المفضل عند غرامشي. ليونيدا ريباتشي، التي عرفت غرامشي في أيام «النظام الجديد»، تخبرنا قائلة: «كان له ميل خاص الى الطيور. ولست أستطيع ان أنسى عيني غرامشي العطوفتين والممتلئتين بحلم ناعم عندما كان ينظر الى تلك المخلوقات الحية والميتة»[٢٤]. ويستذكر غرامشي نفسه قائلا: «عندما كنت صبياً ربيت طيوراً عديدة وحيوانات أخرى: صقوراً، وبومات حظائر، ووقاويق، وعقاعيق، وغرباناً، وحساسين، وعصافير الكناري، وصفانج (عصافير مغردة)، وعصافير السنونو. وكذلك حية صغيرة، وابن عرس وبعض القنافذ والسلاحف»[٢٥].

وبالنظر لأذواق واهتمامات غرامشي الناضج الفكرية، والتي تركزت أساساً على الفلسفة والتاريخ والأدب واللغات، يبدو مثيراً للدهشة انه كان لديه، عندما كان صبياً يافعاً، انجذاب خاص الى الرياضيات والعلوم[٢٦]. وتشير نتائج «امتحانات المغادرة»، التي قدمها أخيراً في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٠١، الى تفوق أكيد في الرياضيات. فقد حصل غرامشي على الدرجة الأعلى الممكنة، أي درجة عشرة، في «الحساب النظري والعملي». وكانت علاماته الأخرى: ٩ في الانشاء والاملاء والقراءة والتاريخ والجغرافيا و«حقوق وواجبات المواطن»، و٨ في حسن الخط[٢٧].

هذه البداية الواعدة انقطعت نتيجة «لحدث» مرّ آخر، فقد قرر والد انطونيو ان ليس باستطاعة العائلة تحمل عبء ارسال الولد إلى مرحلة دراسة الـ «جينازيو» (وهي قريبة من مرحلة الاعدادية الآن في العالم العربي)* في سانتو لوسّورجو على بعد أحد

---

* المعرب.

عشر ميلاً. ونظراً لأن انطونيو كان الولد الذكر الثاني فقد كان مسؤولاً، بموجب التقاليد، عن خير وسعادة نساء العائلة. لذلك، فقد أرسل الصبي وهو في الحادية عشرة من عمره الى العمل في المكتب العقاري الذي يعمل فيه أبوه[٢٨]. كان الصبي يعمل عشر ساعات يومياً ولا يرتاح إلا نصف يوم في الأسبوع، مقابل أجر لا يتجاوز تسع ليرات شهريا (أقل من دولارين أميركيين يومها). وكان دخله هذا يعني تأمين رطلين اضافيين من الخبز يومياً لعائلته[٢٩].

كان انطونيو مستاء وممتعضاً لفقدانه ما بدا له يومها فرصته الوحيدة للتغلب على محدودية امكانات مستقبله وعلى اعاقته الجسدية. وقد لاحظ في وقت لاحق أن «الكبار لم يعودوا قادرين على تذكر طفولتهم، لأنهم يجدون من الصعب عليهم فهم طريقة التفكير وردود الفعل التي نمت في عقول الأطفال الذين عليهم التعامل معهم»[٣٠]. وفي مناسبة أخرى، وبالاشارة الى الحادثة نفسها، لاحظ غرامشي انه لم يكد يعرف «أبداً إلا المظهر الأكثر سوءاً من الحياة»[٣١].

ومن الملاحظ ان غرامشي في كل مراسلاته (التي تبلغ قرابة ألف صفحة من الرسائل التي نشرت حتى الآن) لم يورد كلمة واحدة من الاطراء أو التوبيخ بحق أبيه، ولا أورد أية اشارة مباشرة الى عواطفه تجاه الرجل. وقد تذكر غرامشي في ما بعد ان العلاقات بين الكبار والأطفال في ساردينيا كانت علاقات قاسية عموماً. في أحد الأيام، وكان غرامشي صبياً، رافق امرأة من غيلارتسا الى مستودع للمهملات خارج البلدة. وفي إحدى زوايا المكان كان هنالك ما يشبه زريبة الخنازير، بارتفاع أربعة أقدام وبلا نوافذ. فتحت المرأة الباب فواجهها صوت شبيه بعواء الحيوان:

«كان ابنها في الداخل، وكان شاباً قوياً في حوالي الثامنة عشر من عمره، ولم يكن يستطيع الوقوف، فانحدر من مقعده باتجاه الباب، بقدر ما سمحت له بالحركة سلسلة مربوطة الى خصره ومثبتة في حلقة بالجدار. كان الولد مغطى بالقاذورات، وكانت عيناه محمرتان كأعين الحيوانات الليلية. رمت أمه بمحتويات سلتها، التي كانت عبارة عن خليط من علف الماشية وبقايا طعام البيت، في جرن حجري، وملأت جرناً آخر

بالماء، ثم غادرنا المكان»[٣٢].

هذه الحادثة جعلت انطونيو يشعر بالاشمئزاز، ولكنه لم يذكرها لأحد. . . «حتى عندما كان الناس يتحدثون عن مآسي تلك المرأة المسكينة لم أكن أتكلم لأذكرهم بسوء حظ هذا الانسان المسكين المنبوذ الذي حلّت عليه لعنة أم كهذه». وكان الصغار أيضاً قساة مع الكبار. وقد حاولت امرأة صبية عرفها غرامشي في سانتو لوسّورجو أن تدخل أمها السليمة العقل، وإن كانت خرفة بعض الشيء، الى مستشفى للمجانين مدى الحياة. [٣٣]

وكانت القسوة المستخدمة ضد الأطفال وضد المسنين سواء بسواء، تأتي بشكل رئيسي من الجيل الذي يسميه غرامشي «الجيل المتوسط»، أي الجيل الذي يتراوح عمره بين العشرين والخمسين. الكثير من أبناء ذلك الجيل كان قد هاجر. أما من تبقى منهم يكدح بمشقة ليكسب رزقه فقد أصبح يتسم بالمرارة والأنانية، وكثيراً ما كان هؤلاء يصبون المرارة التي يشعرون بها على أطفالهم وعلى أقاربهم المسنين غير المنتجين[٣٤]. وشعر غرامشي أنه ضحية هذه المعاملة: «كنت مجبراً على تقديم تضحيات كثيرة. ولأن صحتي كانت بهذا السوء، أقنعت نفسي بأني كنت شيئاً هناك تسامح ما في وجوده، وبأني دخيل على عائلتي نفسها. مثل هذه الأمور لا تنسى بسهولة، وهي تترك الكثير من الآثار الأعمق مما نعتقد»[٣٥].

قطْع غرامشي لدراسته أدى به الى ان يشعر بالغيظ من الأغنياء والمميزين في مجتمعه، وتراه يتحدث عن «غريزة الثورة ضد الأغنياء. لم أكن أستطيع الذهاب الى المدرسة، أنا الذي كنت أحصل على درجة عشرة في كل المواد في المدرسة الابتدائية، ومع ذلك، كان أبناء اللحام والصيدلي وبائع الأقمشة يفعلون»[٣٦]. ورأى غرامشي علاقة مباشرة بين تجربة الطفولة هذه وربْط نفسه سياسياً فيما بعد بالطبقات الأدنى.

ولكن غرامشي لم يترك الدراسة إلا سنتين، لحسن الحظ، جمعت أمه وأخواته خلالهما ما يكفي من المال لارساله الى الـ « جينازيو» في سانتو لوسّورجو. وذلك من مكاسبهن القليلة كخياطات. (وسرعان ما بدأ غرامشي يساهم في تمويل دراسته إذ صار يعمل ككاتب حسابات خارج اوقات الدراسة)[٣٧]. ونظراً لأن المدرسة كانت

تبعد أحد عشر ميلاً عن بيته، وكانت وسيلة المواصلات الوحيدة عبارة عن عربة بطيئة، فقد اتخذ انطونيو لنفسه مسكناً في بيت فلاحي قريب من المدرسة. وكان يدفع خمس ليرات شهرياً مقابل غرفة وأغطية السرير ووجبات متواضعة[٣٨]. وكثيراً ما كان يقضي عطلة نهاية الأسبوع في غيلارتسا، إذ كان يعود الى البيت يوم السبت، سيراً على الأقدام أحياناً، ليغادره مجدداً صباح الاثنين[٣٩]. كانت مدرسة الـ « جينازيو» بائسة، إذ كانت تموها البلدية بدلاً من الدولة. وكانت هيئتها التعليمية تتألف من « ثلاثة يسمون أساتذة»، أيّ منهم «لا يساوي أكثر من تينة يابسة»، وكان هؤلاء مسؤولون عن تدريس سنوات الدراسة الخمس في تلك المرحلة الدراسية[٤٠]. وهنا انتهى اهتمام غرامشي بالعلوم والرياضيات[٤١].

بين عامي ١٩٠٨ و١٩١١، تابع غرامشي دراسته في ثانوية جوفاني ماريا ديتّوري في مدينة كالياري عاصمة ساردينيا، على بعد حوالي خمسة وسبعين ميلاً عن غيلارتسا. واختار غرامشي فرع اللغة الاغريقية بدلاً من الرياضيات، آملاً أن يصبح أستاذاً للآداب. ولم يرو لنا غرامشي إلا القليل عن حياته في كالياري، ربما نتيجة لتجاربه غير السارة هناك. وقال في رسالة كتبها في وقت لاحق الى أخيه كارلو:

«ربما كنت قد حسدتني أحياناً لأنه أمكنني ان أذهب الى المدرسة. ولكنك حتماً لا تعرف ما مررت به من أجل الدراسة. سأكتفي هنا بالاشارة الى ما حدث لي في السنوات بين ١٩١٠ و١٩١٢. في عام ١٩١٠، ولأن نانارو (هو جينارو شقيق أنطونيو الأكبر) كان موظفاً في كالياري، ذهبت لأسكن معه. وتسلمت مصاريف الشهر الأول ثم لا شيء بعد ذلك. كنت في عهدة نانارو كلية، ولم يكن يكسب أكثر من مئة ليرة في الشهر. غيّرنا مكان سكنانا، وسكنت أنا غرفة صغيرة تساقطت كسوة جدرانها بسبب الرطوبة. كان للغرفة نافذة واحدة صغيرة تفتح على منور كان أقرب الى المرحاض منه الى الفناء. وعرفت فوراً أنه لم يكن باستطاعتنا الاستمرار بتلك الطريقة نظراً لمزاج نانارو السيء. كان يلومني على أي شيء. وبدأت بعدم تناول قهوة الصباح، ثم صرت أؤجل وقت طعام الغداء شيئاً فشيئاً لكي أستغني عن العشاء. بهذه الطريقة كنت آكل مرة واحدة في اليوم على مدى ثمانية أشهر. وأنهيت سنتي

الثالثة في المدرسة الثانوية وأنا في حال جدية تماماً من سوء التغذية*.

مواقف غرامشي السياسية في المستقبل بدأت تأخذ شكلها الواعي في كالياري. في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٠، وفي موضوع بعنوان «المضطهَدين والمضطهِدين» (بفتح الهاء وكسرها على التوالي)، نجده يمتدح «النضال المتواصل» للجنس البشري ضد استبداد «الرجل الواحد، أو الطبقة الواحدة، أو حتى شعب بكامله»[٤٢]. هذا الموضوع، بكل ما فيه من سذاجة، يستبق مباشرة الكثير مما كتبه فيها بعد عن السياسة والنضال الطبقي: «عندما يشعر الرجال بقوتهم ويدركون مسؤ وليتهم وقيمتهم، فانهم لا يريدون من رجل آخر ان يفرض ارادته على اراداتهم وأن يسيطر على أفكارهم وأعمالهم». وبعد الاحتجاج على تأليه كل ايطاليا لغاريبالدي دون أن يقيّم أي من الايطاليين مثاليته العالية، ينتهي غرامشي بموضوعه الى فقرة راديكالية تستعيد ذكرى فيكو: «لقد ألغت الثورة الفرنسية الكثير من الامتيازات ورفعت مستوى العديد من المضطهَدين، ولكنها اقتصرت على إحلال طبقة في السلطة محل أخرى. ومع ذلك، **فإنها علّمت درساً عظيماً هو أنه يمكن التغلب على الامتيازات والتباينات الاجتماعية نظراً لأنها منتجات اجتماعية وليست من طبيعة المجتمع**»[٤٣].

ويبدو أن دراسة الاغريقية في كالياري قد أيقظت اهتمام غرامشي بفقه اللغة (الفيلولوجي) الذي أصبح موضع اهتمامه الدائم مدى الحياة. وكان غرامه باللغات كثيفاً، وربما كان هذا في بعضه نتيجة لأن غرامشي، مثل كل المثقفين الساردينيين،

---

* G. to Carlo, 12, 9. 1927, Lettere [2], pp. 124 - 135.
هناك رسالتان على الأقل من فترة كالياري هذه عثر عليهما في ما بعد. في احدى هاتين الرسالتين ـ وقد أرسلها انطونيو الى أبيه في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩ ـ يمكننا ان نلحظ الفقر الساحق لحالة انطونيو في طلبه شبه اليائس لأربع ليرات لشراء كتبه المدرسية. وقد ظهرت نسخة مصورة عن تلك الرسالة في كتاب «على طريق غرامشي» (بالايطالية)، ص ٦. ويبدو ان هذه الرسالة لم تنشر في مكان آخر بعد ذلك. وقد يهتم القراء بنظرة كانت كثيراً ما تجتاح غرامشي في هذه الفترة: [في عام ١٩١١، وبينما كنت أعاني المرض جدياً بسبب البرد وسوء التغذية، بدا لي اني كنت أرى عنكباً هائل الحجم كمن لي ليلاً لينزل ويمتص دماغي أثناء نومي]. انظر: G. to Giulia Ferrata and Gallot (12), P. 39.

(الأرقام بين الأقواس* تشير الى اللائحة المرقمة لكتابات غرامشي في الـ: Bibliography, pp. 274 - 297 والمعلومات الكاملة عن كل كتابات غرامشي المستشهد بها موجودة في هذه البيبلوغرافيا).

كان مضطرا لتعلم لغتين: الساردينية والايطالية. وكانت اللغة الساردينية لغة طفولته، وكان في ما بعد سعيداً بذلك. ثم صار غرامشي يعتقد ان إهمال اللهجة المحلية، وهو إهمال يتميز به العديد من العائلات البورجوازية في جنوب ايطاليا، يعيق الخيال الابداعي عند الأطفال ويمنعهم من التعبير عن أنفسهم بواقعية ودقة، حتى بالايطالية(٤٤). وفي عام ١٩٢٧، كتب غرامشي الى شقيقته تيريزا حول ابنها يقول:

«أي لغة يتكلم؟ آمل ان تدعيه يتكلم الساردينية، وألا تجعلي الأمور صعبة بالنسبة له في هذا المجال. في رأيي أنه كان من الخطأ عدم السماح لادميا (ابنة جينارو) بتكلم الساردينية بحرية كطفلة. كان هذا مسيئاً لتطورها الفكري ووضع قيداً على خيالها. عليك ألا ترتكبي هذا الخطأ مع أطفالك.. والى هذا، فإن الايطالية التي ستعلميه إياها ستكون لغة فقيرة ومسطحة، مكوّنة فقط من كلمات وجمل قليلة من محادثاتك معه.. ولن يكون له اتصال بالعالم المحيط به، وسينتهي الى تعلم رطانتين ولا لغة.. إني أحثك بقوة على عدم ارتكاب هذا الخطأ، بل دعي أطفالك يمتصون كل (اللغة) الساردينية التي يريدون ودعيهم ينشأون عفوياً في البيئة الطبيعية التي ولدوا فيها»(٤٥).

هذا الطلب لا يوحي بمعرفة بنفسية الأطفال فحسب، بل ببعض الشعور بالوطنية الساردينية أيضاً. في الرسالة نفسها يشير غرامشي الى حثه لزوجته الروسية على تعليم ابنهما بعض الأغاني الشعبية الساردينية، بالرغم من ان ساردينيا لم تكن إلا قليلاً «البيئة الطبيعية» للولد، نظراً لأنه لم يعش هناك أبداً. واعترف غرامشي أيضاً أنه أيّد ذات مرة استقلال ساردينيا: «كم من المرات رددت هذه الكلمات: ليذهب كل سكان القارة الى البحر!»(٤٦). طبعاً، هذا العداء تجاه «سكان القارة» الايطاليين لم يكن أكثر من تعميم لشعوره المبكر بـ« غريزة الثورة ضد الأغنياء». وكسارديني، كان غرامشي ينظر الى الدولة الايطالية باعتبارها المضطهِد الرئيسي والسبب الأساسي لحالة التخلف التي تعيشها الجزيرة(٤٧).

لا يعرف إلا القليل عن نشاطات انطونيو السياسية السابقة لذلك. وتذكر شقيقته تيريزينا انه تلقى وهو في الرابعة عشر من عمره اشتراكاً في صحيفة «آفانتي» (الى الأمام)، اليومية التي يصدرها الحزب الاشتراكي، وربما كان الاشتراك قد أتاه من

جينارو، وتذكر تيريزينا كذلك ان انطونيو سأل ساعي البريد «أن يسلمه الجريدة مباشرة، لأن ملاحظات أبي وتأنيباته كانت تزعجه»[48]. مهما كان مغزى هذه الحادثة، فالمؤكد ان انطونيو كان يتعاطف مع الأفكار الاشتراكية منذ وقت مبكر يعود الى عام ١٩١٠*. في تلك السنة، كان انطونيو بالفعل من القراء المدمنين على قراءة «إل فياندانتي». وهي مطبوعة اشتراكية تصدر في ميلانو، وتضم بين كتابها اشتراكيين وراديكاليين مثل آرتورو لابريولا وانطونيو غراتسيادي وج.م. سيراتي وتشيزاري سبيلانزون. ولم تكن هذه مطبوعة رسمية للحزب ولكنها كانت معادية للاصلاحية بقوة، وكانت تعارض الاتجاه الموالي لجوليتي داخل الحزب، وهو موقف راسخ في كل أفكار غرامشي[49]. ومع ذلك، كان انطونيو بعيداً عن كونه اشتراكياً ملتزماً في تلك السنوات المبكرة. ويشهد هو نفسه بأن قراءته المبكرة «للأشياء التي كتبها ماركس» لم تكن أكثر من فضول فكري[50].

كانت جزيرة ساردينيا في أيام شباب غرامشي منطقة متخلفة بشكل غير معقول، حتى قياساً بجنوب ايطاليا. وكان النظام الاقطاعي لملكية الأراضي قد بقي قائماً فيها حتى عام ١٨٣٥، أي لوقت طويل بعد توقفه في مناطق أوروبا الأخرى (باستثناء روسيا). ولم يكن الغاء الاقطاع قد غيّر إلا القليل في ساردينيا. في المناطق الأخرى أدى الغاء الاقطاع الى بروز مبادرات الطبقة الوسطى، ثم الى الوطنية الثورية «القومية»، أما في ساردينيا فلم يحدث شيء من هذا. كانت الجزيرة معزولة جغرافياً واجتماعياً وثقافياً. وكان لطبقتها الحاكمة ولنبلاء الأرض فيها ترابط هوية ضئيل مع ايطاليا او مع ساردينيا باعتبارها ساردينيا. وربما كان بعض السبب في أنه لم يكن للجزيرة أي تقليد ثقافي خاص بها يعود الى ان السيطرة الاسبانية كانت أكثر استمراراً وديمومة على ساردينيا منها على أي من مناطق ايطاليا الأخرى. واستنادا الى غرامشي

---

* شقيق انطونيو الأكبر، جينارو، كان موظفاً لدى حركة عمالية في كالياري قبل عام ١٩٠٩، وفي إحدى المناسبات أدت نشاطاته السياسية هناك الى تحقيقات تولتها الشرطة. انطونيو، الذي كان في كالياري في تلك الفترة، كتب الى أمه مؤكدا ان شيئاً جدياً لن ينجم عن هذا التحقيق. وملاحظاته الساخرة واللاذعة حول دور الشرطة تجعل معتقداته السياسية واضحة. وقد نشرت صورة لهذه الرسالة، التي لم تكن قد نشرت قبلاً، في كتاب «على طريق غرامشي» (بالايطالية) ص ٦. (هذه الرسالة ظهرت الآن في كتاب فيوري «حياة انطونيو غرامشي»، وقد أكد فيوري خطأً انها لم تكن قد نشرت قبلا).

فانه «كان للصقليين تقاليد عظيمة وكانوا موحَّدين بقوة، أما في ساردينيا فلا شيء من هذا القبيل»[٥١].

اقتصادياً، كان يمكن مقارنة الأوضاع السائدة في الجزيرة بأكثر الأقاليم تخلفاً في جنوب ايطاليا القارية. وكان الفقر والجريمة من الأمراض المستوطنة فيها. وفي أيام غرامشي كان في ساردينيا سرقات وحوادث احتيال أكثر مما في أي إقليم آخر من ايطاليا[٥٢]. ومن أصل سكان كان عددهم في عام ١٩١١ يبلغ ١٨١ ٨٦٨ نسمة لم يكن عدد الموظفين في الصناعة يزيد عن ٣٤٠٥٥ نسمة، وهذا الرقم يتضمن ١٥٠٠٠ رجل يعملون في مناجم الرصاص والزنك في اغليسياس، وفي أقصى الركن الجنوبي الغربي للجزيرة[٥٣]، ولم تنجح «غرف العمل» المحلية في تنظيم اكثر من ٢٧٩٠ عاملاً، وهكذا كانت الحركة العمالية الساردينية ما زالت في أيام الطفولة، وكانت الاشتراكية الساردينية غير موجودة تقريباً.

في عام ١٩١٠ نجح عمال مناجم اقليم اغليسياس أخيراً، وبقيادة منظمين من ايطاليا القارية، في تكوين نقابة عمالية لها بعض الأهمية، ولكن النقابة لم تحقق غير تقدم ضئيل جداً تجاه مقاومة الفلاحين المحليين الذين كانوا يخشون ان يكون لعمال المناجم خطة ما تجاه ممتلكاتهم[٥٦]. وبالرغم من الحجم الصغير الذي كانت عليه هذه الحركة، فقد اعتبرها غرامشي دوماً مهمة. وفي عام ١٩١٨، طلب غرامشي من آنجيلو كورسي ان يكتب بضع مقالات عن «البروليتاريا الساردينية» في صحيفة «إل غريدو ديل بوبولو» (صيحة الشعب)، وهي أسبوعية تورينو الاشتراكية، لكي يطلع قراء الصحيفة على «ساردينيا الجديدة» وللمساهمة في «تدعيم التضامن الطبقي للبروليتاريا الايطالية»[٥٧].

كان للحياة في هذا المجتمع الساكن نسبياً تأثيرها العميق على غرامشي. ولم يضع غرامشي قدماً خارج ساردينيا قبل أن يصبح في العشرين من عمره.. الواقع انه نادراً ما خرج عن حدود محافظته كالياري. وبعد سنوات استذكر غرامشي «جهده المستمر لتجاوز تلك الطرق المتخلفة للحياة والتفكير التي كانت من خصائص الساردينيين في مطلع القرن». وتحدث غرامشي عن حاجته الى استبدال معالجته الضيقة للأمور

بمعالجة «قومية» و«أوروبية»(٥٨).

عندما كان صبياً، كان غرامشي يشعر أنه غير محبوب، وكان يشعر بالعزلة وبالاهانة. وفي رسائل كتبها الى زوجته بين عامي ١٩٢٣ و١٩٢٦ أشار غرامشي الى «بالوعة ماضيّ»(٥٩)، والى العيش كـ « دب في كهف» والى إخفاء مشاعره خلف «قناع قاس او ابتسامة ساخرة. . لمنع الآخرين من معرفة حقيقة ما أشعر به»(٦٠). وبالرغم من انه أراد ان يكون اجتماعياً كانت علاقاته مع الآخرين شديدة التعقيد. وبدا لغرامشي أنه. . . «أن أكون محبوباً هو استحالة مطلقة تكاد تكون قدرية»، وشعوره هذا تابع اجتياحه أحياناً حتى في السنوات اللاحقة(٦١). هذه المشاعر قد تساعد في توضيح رغبته الطويلة عن الالتزام بالحركة الاشتراكية وتردده اللاحق في استلام منصبه الذي يستحق كزعيم وطني للحركة. «كم من مرة تساءلت فيها عما اذا كان لرجل ما ان يربط نفسه بالجماهير في حين انه لم يحب أحداً في حياته، ولا حتى والديه، وعما اذا كان بإمكان المرء أن يحب جماعياً اذا لم يكن قد أحب بعمق مخلوقاً انسانياً واحداً»(٦٢).

ولم يكن رد فعل غرامشي على هذه الجراح النفسية سلبياً ولا شعوراً بالشفقة على الذات، بل اقتناعاً بأنه لا يستطيع الاعتماد على غير نفسه. وكتب انطونيو الى أخيه كارلو يقول: «لا تتوقع شيئاً من أحد، وهكذا تستطيع ان تتجنب خيبات الأمل. علينا ان نفعل فقط ما نعرف أننا نستطيع فعله، وان نتجه في سبيلنا»(٦٣). ومرة أخرى: «كدت لا أعرف أبداً إلا المظهر الأكثر سوءاً من الحياة، ولكني نجحت دوماً في العثور على طريقي، بالشكل الحسن أو السيء»(٦٤).

وكان لإرث غرامشي السارديني جانبه الإيجابي أيضاً على العموم. فمن ناحية ساعده هذا الارث على فهم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة جنوب ايطاليا اكثر بكثير مما فعل معظم رفاقه في الشمال. وقام غرامشي بين عامي ١٩١٤ و١٩٢٦ بمحاولات عديدة لتوثيق العلاقات السياسية بين الحركة العمالية في الشمال ومنظمات الفلاحين في الجنوب. وفي نهاية مسيرته السياسية الناشطة، في عام ١٩٢٦، ساهم غرامشي مساهمة أساسية في الأدبيات التي وضعت حول مشكلة جنوب ايطاليا في

مقالته «بعض موضوعات المسألة الجنوبية». وكان الكثير من كتاباته في «دفاتر السجن» على علاقة بالمشكلات الفلاحية، مثل: الثغرة الواسعة التي تفصل بين الجنوبيين المتعلمين والفلاحين، والتباينات اللغوية بين الفلاحين والانتلجنسيا ودلالاتها الطبقية، ومشكلة «الايطاليتين الاثنتين»: المتقدمة إحداهما نسبياً والمصنعة في الشمال، والأخرى المتخلفة شبه الكولونيالية في الجنوب. ويبدو كذلك ان اهتمامه بماكيافيلّي كان ينبع في بعضه من برنامج ماكيافيلّي لاشراك الفلاحين في ميليشيا أوجدت للدفاع عن فلورنسا[٦٥].

وخلّفت ساردينيا أيضاً أثرها على شخصية غرامشي وقيمه. وما الذي كان يمكن ان يشكل لأستاذ ديالكتيك المستقبل دافعاً أكثر من فقر البورجوازية الصغيرة في أصوله؟ لقد ووجه غرامشي منذ سنّي حياته المبكرة جداً بتناقضات أساسية بين طموحاته وشبه استحالة تحقيق هذه الطموحات، وبين عقله المتسائل والباحث دوماً واللاحركية الأبدية في محيطه. في النهاية، كان تعليمه وكانت إنجازاته كلها ايطالية، ولكن الدوافع التي قادت اليها كانت ساردينية[٦٦].

بعد التخرج من ثانوية كالياري في ايلول (سبتمبر) ١٩١١، غادر غرامشي ساردينيا الى جامعة تورينو. وبالرغم من انه لم يكن باستطاعة غرامشي ان يعرف ذلك، فقد كان لتورينو ان تصبح مدينته بالتبني، كطالب أولاً، ثم كزعيم للحركة العمالية التورينية الشابة والسريعة النمو.

٢ ـ سنوات التكوّن في تورينو

«شاركنا كلياً أو جزئياً في حركة الاصلاح الأخلاقي والفكري التي أطلقها بينيديتو كروتشي في ايطاليا . . »

غرامشي ـ ١٧ آب (أغسطس) ١٩٣١

السياسة والثقافة الايطاليتان عام ١٩١١

في الأشهر الأولى من عام ١٩١١ كانت ايطاليا ما قبل الفاشية قد وصلت الأوج بطرق مختلفة كثيرة. ففي سنواتها الخمسين كمملكة مستقلة، وخصوصاً في السنوات العشر الأخيرة، كانت ايطاليا قد حققت تقدماً مذهلاً في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية[١]. وكان «المعرض الصناعي الدولي» الذي أقيم في تورينو بين نيسان (ابريل) وتشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩١١ رمزاً ملموساً لهذا النمو وللتفاؤل السطحي الذي رافقه. وقد زار المعرض ٢٦٠ ٠٠٠ شخص وغادره الجميع مقتنعين تماماً بـ « تقدم التقدم»[٢].

ولم يكن نجم جوفاني جوليتي، حَكَم السياسة الايطالية بين عامي ١٩٠٣ و١٩١٤، اكثر بريقاً منه في تلك الفترة. وكانت سياسته في تحويل الاشتراكية الايطالية من حركة ثورية الى حركة تستهدف تحسين موقع الطبقة العاملة داخل النظام الرأسمالي أثبتت نجاحها التام في الظاهر. ولكن حالات الخلل الأساسية في البنية الاقتصادية الايطالية لم تكنّ إلا لتجد تعبيرها السياسي، والسنوات القليلة التالية

أنضجت تغيرات بعيدة المدى في السياسة الايطالية أربكت حتى «الثعلب البييمونتي» العجوز (جوليتي)، بالرغم من فهمه السياسي المتفوق. وحقق التطرف نجاحات دراماتيكية سواء في اليمين أم في اليسار. وفي عام ١٩١٠، أنشأ المتطرفون القوميون الايطاليون لأنفسهم حزباً، كان أحد شعاراته الديماغوجية يصور «ايطاليا البروليتارية» متراصفة ضد أمم أوروبا «البلوتوقراطية»[٣]. اما بالنسبة للحزب الاشتراكي الايطالي، فقد كان جوليتي أعلن امام البرلمان في ٨ نيسان (ابريل) ١٩١١ ان «كارل ماركس قد وضع على الرف»[٤] (وهو ما يعني ان الاصلاحيين المعتدلين صارت لهم السيطرة الكاملة على الحزب)، ولكن، وبالرغم من ذلك، فقد عاد الجناح الثوري في الحزب بعد سنة واحدة الى السيطرة على القيادة، ولم يتمكن المعتدلون أبداً بعد ذلك من الحصول على أكثرية داخل الجسم الرئيسي للاشتراكية الايطالية.

والمثير للسخرية ان الحرب الليبية ١٩١١ ـ ١٩١٢، التي شتتت شبه الانسجام الذي كان يسود ايطاليا قبل لحرب، كانت الى حد كبير من عمل جوليتي نفسه[٥]. ودفعت الحرب معظم الحركة الاشتراكية باتجاه النقد الراديكالي لمجمل النظام الجوليتي، وزادت من قوة القوميين. وكانت الحرب مسؤولة الى حد ما عن الأزمة الاقتصادية الايطالية ١٩١١ ـ ١٩١٣[٦]. وفي عام١٩١٣،عندما جرت اول انتخابات على أساس الاقتراع العام للذكور، كان موقع جوليتي من الضعف بحيث انه لم يستطع البقاء في السلطة إلا بموافقةالكاثوليك. بالرغم من هذا، كانت أصوات الاشتراكيين قد تضاعفت في هذه الانتخابات، وبعد ذلك بقليل قرر جوليتي الاستقالة، وحل محله انطونيو سالاندرا، الممثل الرئيسي لليمين.

وكانت الثقافة الايطالية كذلك في أزمة في عام ١٩١١، وكانت أزمة الثقافة أكثر وضوحاً بكثير من أزمة السياسة الايطالية[٧]. وكانت الايجابية، أي محاولة تطبيق طرق العلوم الطبيعية على كل مظاهر الواقع، قد فقدت سطوتها بين المفكرين الايطاليين. وفي التعامل مع «الأنواع» المجردة او الحقائق المعزولة فحسب، وليس مع الواقع الملموس والمدرك تطورياً، وكذلك في طرح أسئلة مثل أي من صيغ التنظيم السياسي والاجتماعي هو الأكثر «طبيعية» بالنسبة للانسان، لم تكن الايجابية على اتصال لا مع الطموحات الاشتراكية لليسار ولا مع الطموحات القومية لليمين.

ومع تراجع الايجابية، ظهرت جملة من الايديولوجيات اللاعقلانية مثل: «عبادة الشخصيـة»، وتضخيم الشعور الصـافي او العمل الصـافي كضد للتفكـير، وتمجيـد العنف. وفي نيسان (أبريل) ١٩١٤ تحدث الزعيم المستقبلي فيليبو مارينيتي امام «جمعية دانتي آليغييـري» في تورينـو. ولقي ترحيبـاً بملاحـظاته التـالية: «بـالنسة لنـا، نحن المستقبليين، فإن كلمة ايطاليا تعني لنا شيئاً فوق الأحزاب، إنها تعني عبقريـة العرق اللاتيني، وهي أكثر تألقاً من كلمة الحرية. . . والحرب هي ضـرورة تطهيـرية. إنها الطهارة الصحية. فالحياة تقوم على النضال»[٨]. وكان التعبير الايطالي الأكثر تمييـزاً للغيـاب الراهن للتوجه الفلسفي هـو الشك العميق. وفي الميـدان الأدبي اتخذ هـذا الشك لنفسه صيغة السوداويـة والانهزامية وحب الجمـال الذي لم يكن يـرى في غير الحادثة او الصورة المتلاشية أمراً حقيقياً يستحق الاهتمام .

كانت هنالك فلسفات أكثر شمولية سارية في ايطاليا عام ١٩١١ ، وعلى رأسها المثالية التاريخية لبينيديتو كروتشي وجوفانّي جنتيلي والمادية الديالكتيكية الماركسية. وكلتا هاتان الفلسفتان هاجمتا الايجابية وكانتا مسؤولتان جزئياً عن تراجعهما .

جامعة تورينو

كانت جامعة تورينو قبل الحرب العالميـة الأولى متخلفة بعض الشيء عن بقيـة الجامعات الايطالية في تشـربها للتيارات الفكرية الجـديدة. ولم تكن المـاركسية ولا المثالية قد مترست هناك بقوة[٩]. وكـان آكيلي لـوريا، أستـاذ الاقتصاد السيـاسي في تورينو يعتبر نفسه ماركسياً، ولكنه كان ماركسياً شديد الانحراف عن الماركسية اذا قبلنا حكم فريدريك أنجلز المزدري له[١٠]. وكانت مثالية كروتشي قد حققت أول انتصار أساسي لها في تورينو مع تعيين أومبرتو كوزمو أستاذاً للأدب الايطالي في عام ١٩١٣[١١]. ومعظم الأساتذة الذين بقوا في أماكنهم أيام غرامشي (في الجامعة) بقوا مخلصين للطريقة الايجابية أو على الأقل لأفضل العناصر في تلك الطريقة، أي الدقـة والعنـاية والمستـويات المتشـددة للتوثيق. بعض الأسـاتذة الآخـرين اعتنقوا مبـادىء أخلاقية رومانطيقية تقريباً. ويشهد على ذلك الوصف الذي أعطاه لآرتورو فارينيلّي، أستاذ الأدب الألماني، أحد تلامذته:

«كان هنالك شيء بركاني في محاضراته . . بين الحين والآخر كان يدير رأسه باتجاه النافذة الى يساره، وكان الضوء الذي يسقط عليه، مع ضحكته، وخصلات شعره الجعدة على جبهته، يعطيه مظهراً غريباً، مظهر الملاك أو الشيطان الذي كان يدلنا على السبيل. كانت أخلاقية جديدة تلك التي يدرسنا إياها، قوانينها العليا هي الصدق مع أنفسنا، والتخلي عن الاعراف، والتضحية في سبيل القضية التي كرسنا حياتنا من أجلها»[١٢].

ولكن الجامعة كانت ـ على العموم ـ واحدة من أنشط الجامعات سياسياً في ايطاليا. وخلال الحركة الكبرى «باتجاه الاشتراكية» لعام ١٨٩٠ انضم الكثيرون من أساتذة الجامعة والمفكرين في تورينو الى الحزب الاشتراكي، وفي عام ١٨٩٣ أنشأ الكاتب ادموندو دي آميتشيس الحلقة الاشتراكية في جامعة تورينو[١٣]. صحيح انه كان لمعظم اشتراكيي الجامعة أفكار غاية في الغموض والعاطفية حول طبيعة الاشتراكية، وأن الكثير منهم ترك الحزب بعد عام١٩٠٠، ولكن الأكثرية العظمى من هؤلاء بقيت على ديموقراطية ثابتة وأصبحت من الليبراليين الناشطين. وفي تلك الأيام اعطى هؤلاء الأساتذة جامعة تورينو، بما لهم من مستويات دراسة عليا ومن ليبرالية ناشطة، سمعة «التصلب السياسي والثقافة المناضلة »[١٤] .

وكان من بين الذين وجدوا في الجامعة مع غرامشي بين عامي ١٩١١ و١٩١٣ القادة الشيوعيون فيما بعد بالميرو تولياتي وأومبرتو تيراتشيني وآنجيلو تاسكا، والقادة الاشتراكيون في ما بعد أومبرتو كالوسو وجوزيبي روميتا، ومناضلون ليبراليون في المستقبل مثل بييرو غوبيتي وكارلو ليفي وماريو لامبرتي. واستمر الشيوعيون في انتقاء العديد من أهم قادتهم ـ وبينهم لويجي لونغو وفيليتشي بلاتوني ـ من صفوف تلاميذ جامعة تورينو[١٥]. وقال تولياتي ان «النظام الجديد»، الصحيفة التي أسسها غرامشي بعد الحرب العالمية الأولى، «كانت قد ولدت في جامعة تورينو»[١٦].

وصل غرامشي الى تورينو بلا موارد مالية. وجاء انقاذه عن طريق صندوق الجامعة للمنح الخاصة الذي أنشىء قبل ذلك بسنوات من أجل الطلبة المعوزين والمولودين في المحافظات القديمة لمملكة ساردينيا. وكان امتحان المسابقة صعباً، بل كان أصعب

بكثير من الامتحانات المطلوبة قبل التخرج في الشهادة الثانوية الايطالية، ولكن الطلبة الفائزين كانوا يكافأون براتب محترم يبلغ سبعين ليرة في الشهر، على مدى تسعة أشهر في السنة، لكل سنوات الدراسة في الجامعة او طالما حصل الطالب على درجات جيدة وتابع المحاضرات بشكل منتظم(١٧). وجاء ترتيب غرامشي الخامس في الامتحان وحصل عى إحدى المنح(١٨). وكان أحد المتسابقين الناجحين هو بالميرو تولياتي، وهو شاب نحيل جدي من مقاطعة بيمونتي كان قد تابع ايضا دراسته الثانوية في ساردينيا. وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين.

في الجامعة تابع غرامشي دروساً في الإيطالية واللاتينية والأدب الاغريقي والألسنيات واللغات الرومانسية واللغة الألمانية والجغرافيا والتاريخ الحديث وتاريخ الفلسفة والفلسفة النظرية(١٩). هذا المنهاج لا يعكس مستوى التشديد الايطالي على الكلاسيكيات فحسب، بل يعكس أيضاً اهتمام غرامشي الخاص باللغات والألسنيات. وعندما كان غرامشي ما زال طالباً قدم مساهمات عديدة في هذا الميدان الى صحف اختصاصية(٢٠). وكان ماتيو بارتولي، أستاذ غرامشي في الألسنيات، يتوقع له أشياء عظيمة في هذا المجال، وخصوصاً في محاربة «القواعديين الجدد»، الذين انحدروا بالألسنيات الى مستوى التحليل الشكلي بدلاً من دراسة اللغة في إطارها الاجتماعي والتاريخي(٢١). بل إن بارتولي اختار غرامشي لكي يساعده في تحضير منهج وبيبلوغرافيا الدروس التي يعطيها في الألسنيات للسنة الدراسية ١٩١٢ - ١٩١٣(٢٢). وكان مما خيّب آمال بارتولي ان غرامشي تخلى في النهاية عن فكرة امتهان الالسنيات، ولكن خبرته في المادة أثبتت كونها ذات أهمية في دراساته عن المجتمع والثقافة.

وكانت عادات غرامشي في الدراسة دقيقة جداً. كان يوجز كل هام يقرأه. وملأ دفاتر كثيرة منظمة حسب الموضوع حول قراءاته، بل انه احتفظ بأرشيف بالبطاقات لمقالات الصحف التي أثارت اهتمامه(٢٣). والاشارات الكثيرة في «دفاتر السجن» الى المقالات التي ظهرت ايام شباب غرامشي تشهد على تنظيمه الذهني. وعندما كان طالباً، كان سريعاً في الإعتراف بمحدودية المعرفة الفيلولوجية المستقاة من الكتب، كما نرى في موضوع ساخر كتبه عام ١٩١٤، هو عبارة عن أطروحة هامة حول « تاريخ »

مسمار صدىء معين منذ أيامه الأولى في العوارض الرئيسية لبرج السفينة وحتى وصوله الى موطنه الحالي في جيب غرامشي[٢٤]. ومع ذلك، فقد كان غرامشي يكنّ احتراماً لأفضل الفيلولوجيين، وخصوصاً لعدم ثقتهم بالأحكام السطحية والذاتية: «عليّ اليوم ان أدافع بشدة عن الثقافة الكتبية التقليدية القديمة ضد الضحالة السطحية او البوهيمية التي أدت، وما زالت تؤدي، الى الكثير من الويلات»[٢٥].

الأستاذ الآخر الذي أثّر في غرامشي كان أومبرتو كوزمو، الذي أوصلت محاضراته عن دانتي الطلاب الى أعمال الناقد الأدبي الكبير فرانشيسكو دي سانكتيس (١٨١٧ - ١٨٨٣)، وعبر دي سانكتيس الى فلسفة هيغل وكروتشي. وأصبحت المثالية الجديدة - كما سنرى - عنصراً من عناصر القوة في فكر غرامشي الى درجة انه وصف في ما بعد كل توجهه الثقافي بأنه «كروتشياني الى درجة ما»[٢٦]. وكان غرامشي على علاقة شخصية وثيقة بكوزمو وبقي كذلك لسنوات بعد مغادرته الجامعة[٢٧]. وكان كوزمو سياسياً ليبرالياً. والأستاذان الليبراليان الآخران اللذان حظيا بتقدير غرامشي كانا لويجي ايناودي وفرانشيسكو روفيني، وكان أولهما يحاضر في الاقتصاد السياسي الايطالي والثاني في العلاقات بين الكنيسة والدولة[٢٨].

خلال سنوات الدراسة الجامعية كان غرامشي يعمل بدأب، وكانت بنيته الضعيفة قد أجهدت كثيراً. وفي عام ١٩١٦ كتب الى أخته يقول أنه لا يذكر يوماً واحداً مرّ عليه في السنوات الثلاث الماضية ولم يعان فيه من الصداع او الدوار أو آلام المعدة[٢٩]. ولم يستطع ان يقدم أياً من الامتحانات التي كانت في برنامجه لخريف ١٩١٣ حتى الربيع التالي[٣٠]. وبالرغم من هذه الصعوبات فقد أجاد غرامشي في الامتحانات الجامعية السبعة التي قدمها بين تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤[٣١]. وقد حصل في الألسنيات على العلامة التامة (٣٠ نقطة) مع امتداح خاص.

وبالرغم من ذلك، فإنه لم يستكمل أبداً ما هو مطلوب للحصول على الشهادة الجامعية. وقد تسجل متأخراً جداً (في ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩١٥) في سنته الجامعية الأخيرة، وبدأ الدوام وهو يبدو فاتر الهمة وقلقا[٣٤]. ورآه آنّيبالي باستوري، أستاذ الفلسفة النظرية الذي تابع غرامشي محاضراته في عام ١٩١٥، أكثر ابتعاداً عن

القضايا الفكرية البحتة وأكثر توقاً الى النشاط العملي. وكان اهتمامه الرئيسي في سنته الجامعية الأخيرة، استنادا الى البروفسور باستوري، على «الكيفية التي يقود فيها الفكر الى العمل. . .، وكيف يمكن للفكر أن يجعل الأيدي تتحرك، وكيف ولماذا يمكننا ان نعمل بواسطة الأفكار»[٣٣]. هذا الاهتمام بالعمل الناشط، مترافقاً مع نشاطه الأخير في «منظمة الشباب الاشتراكي» جعله يتساءل ما اذا كان عليه ان يستمر في عمله الجامعي أو أن يدخل بكل قلبه في الحياة السياسية الناشطة[٣٤]. وحلت المعضلة بالنسبة له عندما أعلنت ايطاليا الحرب ضد النمسا ـ المجر يوم ٢٣ أيار (مايو) ١٩١٥ .

تورينو وايطاليا

تعزل جبال الألب البحرية وجبال الأبنين منطقة بييمونتي عن البحر الأبيض المتوسط ، وهي المنطقة البعيدة عن المراكز الثقافية الايطالية التاريخية . وهي من أكثر المناطق الايطالية « إقليمية » ، أي من أقلها ايطالية ، بالاضافة الى أنها أكثر المناطق الايطالية « أوروبية » لأن روابطها في الماضي كانت وثيقة مع فرنسا[٣٥] . وهي الى ذلك ، ولأسباب اقتصادية وتاريخية متميزة ، تشكل مركزاً صناعياً هاماً .

بعد حوالي عام ١٩٠٠ ، عرفت أكبر مدن بييمونتي ، وخصوصاً مدينة تورينو ، تطوراً صناعياً سريعاً وشاملاً بشكل غير اعتيادي ، بينما استمرت البلدات الأصغر ومناطق الريف في طريقة حياتها التقليدية[٣٦] . وترافق هذا التطور بتحرك واسع للسكان من البلدان الصغيرة والريف باتجاه المدن الأكبر . وبينما بقي عدد سكان بييمونتي ثابتاً تقريباً بين عامي ١٩٠١ و١٩١١ ، فإن عدد سكان مدينة تورينو وحدها ازداد بنسبة تفوق ٢٧ بالمئة ، وارتفع من ٣٣٨ الف نسمة الى ٤٣٠ الفاً[٣٧] .

وكان سكان تورينو نفسها ينقسمون أساساً الى طبقتين : البروليتاريا الصناعية والبورجوازية الرأسمالية . ولم يكن في المدينة حرفيون يذكرون . وكان فيها القليل جداً من الطبقة الوسطى من كسبة الأجور يعملون في نشاطات كالخدمات الحكومية والتجارية . وكان لهذه الأوضاع عدد من الأسباب التاريخية . أحد الأسباب هو أنه عندما نقلت عاصمة ايطاليا من تورينو الى فلورنس في عام ١٨٦٥ انتقلت اليها أيضاً نسبة كبيرة من الموظفين الحكوميين[٣٨] . والسبب الآخر هو أن النكبات المصرفية

الكبيرة التي وقعت بين عامي ١٨٨٠ و١٨٩٠ كانت كارثية بالنسبة الى الطبقات الوسطى في تورينو غير المرتبطة بالصناعة[٣٩] . ولكن السبب الأهم كان ، على العموم ، طبيعة الاقتصاد في منطقة بييمونتي ، إذ أن التقاليد الحرفية والصيغ الأقدم من التجارة كانت قليلة الأهمية في بييمونتي المتخلفة منها في أي مكان آخر من شمال ووسط ايطاليا[٤٠] . ومعظم صناعة بييمونتي بدأت كصناعة حديثة .

وكانت صناعة بييمونتي الجديدة تميل الى ان تكون كبيرة ، ومنها « فيات » و « أوليفتي »[٤١] . وأصبحت « فيات » مع مرور الزمن ضخمة الى حد مكّن بييرو غوبيتي من وصفها بأنها « دولة صغيرة مطلقة لها أوتوقراطيتها الخاصة بها »[٤٢] . هذه الصناعات صارت تسيطر على الحياة الاجتماعية والسياسية لتورينو ، وبمرور الزمن كانت لها الغلبة على ما تبقى من الطبقات الوسطى في المدينة[٤٣] . وخلافاً لمثيلاتها في ميلانو وفلورنس ، بقيت الطبقات الوسطى في تورينو محافظة أو هي كانت ليبرالية على طريقة جوليتّي ، وكان هنالك متطرفون قلائل سواء يميناً أم يساراً . وفي الجامعة فقط ، حيث تعرضت السياسات الجوليتية والمحافظة لانتقادات واضحة ، كان هناك دعم ملموس من الطبقة الوسطى للاشتراكية الملتزمة لدى الطبقات الأدنى[٤٤] .

الحركة العمالية الايطالية في عام ١٩٠٠

في عام ١٩٠١ ، كانت الصناعة الايطالية توظف حوالي أربعة ملايين شخص أعمارهم فوق التاسعة، أي حوالي ٢٣,٨ بالمئة من الايطاليين الموظفين توظيفاً مربحاً[٤٥] . وكانت هذه النسبة أدنى بكثير من مثيلتها في أوروبا الغربية[٤٦] . وأكثر من ذلك، فإن إحصاء عام ١٩٠١ حدد الصناعة بكونها «نشاطاً يهدف الى انتاج السلع»، وجرى تعداد حوالي مليون ونصف المليون من العمال باعتبارهم حرفيين، وغزّالين وحائكين مستقلين، وآخرين يعملون في نشاطات غير مرتبطة بالرأسمالية الصناعية الحديثة. وفي مسح أجري في عام ١٩٠٥ ، واستثنى الحرفيين وعمال البناء، ظهر ان هنالك ما مجموعه ١,٤١٢,٠٠٠ عامل يعملون في ١١٧,٠٠٠ «منشأة صناعية»[٤٧] . واذا أضيف عدد عمال البناء الوارد في احصاء ١٩٠١ ، والبالغ ٥٥٢,٠٠٠ عامل، يصبح مجموع عدد العمال الصناعيين حوالي مليونين، وهو رقم صغير نسبياً . وأكثر من ذلك، فإن حوالي ٤٠ بالمئة من هذين المليونين كان يتألف من

النساء والأطفال والمراهقين.

ولم يكن العاملون في الصناعة الايطالية يشعرون بالتضامن الطبقي الذي كان يميز البروليتاريا الأوروبية. وكانت هنالك نسبة عالية من الهجرة من الريف الى المدينة، وحافظ الكثير من العمال على صفاتهم الفلاحية وكانوا يعملون في وظائف زراعية جزئية الدوام. إضافة الى هذا، فإن معظم المنشآت كانت تدار على أساس المسنوى الصغير جداً من الانتاج. هذه العوامل أدت الى مستوى عام منخفض من المهارة لدى العمال «الصناعيين» الايطاليين. ولم تكن إيطاليا ككل تفتقر الى العمال المهرة، ولكن معظم هؤلاء كانوا يعملون لحسابهم الخاص في نشاطات حرفية قبل صناعية، وقد قاومت التقاليد الحرفية في إيطاليا، وبضراوة، تأسيس الصناعة الحديثة. ولم يكن في إيطاليا عملياً أية درجة وسطية بين العمال غير المهرة والعمال ذوي المهارة العالية، «بين الحرفي والفلاح الذي تحول عاملاً يدوياً بلا أية مهارات سوى شبابه وقوة ذراعه. وكان «العامل العادي»، ذلك النوع المميز من العمال في أكثر مراحل التطور تقدماً، العامل ذو المستوى من التعليم والمهارات المهنية، قليل الظهور»[٤٨].

وكان العمال الايطاليون في عام ١٩٠٠ منظمين في إطار نوعين أساسيين من المؤسسات: النقابات (الاتحادات المهنية) و«غرف العمل». وكانت النقابة مفتوحة أمام كل العمال، او على الأقل امام كل العمال المهرة في صناعة ما. ولكن النقابات الايطالية، كانت تعكس تقاليد حرفية وكوربوراتيفية عميقة الجذور، تشدد على التراتبية الهرمية للمهارات والخبرات المهنية داخل النقابة بأكثر مما يحصل في البلدان الأخرى[٤٩]. وكان عامل المعادن لا يفكر بنفسه كعامل معادن بل كسبّاك او نحّاس او مجلّخ.

وكانت كل النقابات الايطالية تقريباً قد أسست كأجهزة «للمقاومة»، أي كممثلة للعمال ملتزمة بالنضال الطبقي ضد رأس المال. ولكن هذه النقابات، بما كانت عليه من ضعف في تلك السنوات المبكرة، كانت بالضرورة أقل اهتماماً بالثورة الاجتماعية من اهتمامها بمجرد الحصول على الاعتراف بها. وكان معظم هذه النقابات قد تشكل بين عامي ١٩٠٠ و١٩٠٤، وحتى عام ١٩١١ لم يكن عدد المنتسبين الى النقابات يتجاوز ٢١٩,٤٠٨ عمال[٥٠].

وبالرغم من ان النقابات الايطالية المبكرة كانت ضعيفة، فإنه لم يكن من الممكن تجاهل الحركة العمالية الايطالية ككل*. وكان أحد مصادر قوتها هو «غرفة العمل» (Camera del Lavoro)، وهي منظمة محلية مؤسسة لتضم كل العمال في بلدية أو محافظة معينة. وكانت هنالك منظمات مشابهة في البلدان الأوروبية الأخرى، مثل الـ Trades Councils في بريطانيا، والـ Kartelle في المانيا، والـ Bourses de Travail في فرنسا. وهذه الأخيرة أنشئت على نموذج الغرف الايطالية الأولى، التي أسست في التسعينات من القرن التاسع عشر، أي قبل عشر سنوات من تأسيس أول نقابة وطنية رئيسية. وكانت الغرف المبكرة قد عملت كمكاتب توظيف، وكانت تقدم المرافق الترفيهية والتعليمية، ولهذا فإنها كانت كثيراً ما تتلقى معونات من الحكومات المحلية[٥١]. وكانت الغرف كذلك تحمي مصالح العمال ضد رأس المال، وخصوصاً من خلال التحكيم. وكان أكثر توجهها اقتصادياً بحتاً، وكان العديد من هذه الغرف، ومن بينها غرفة تورينو، يمنع أية اجتماعات ذات «طابع سياسي أو ديني»[٥٢].

بنيوياً، كانت «غرف العمل» أقل ملاءمة من النقابات لأوضاع الصناعة الحديثة. وكانت عضويتها تتألف من العصبات والاتحادات المحلية، التي كانت تصنيفاتها للعمال تميل الى أن تكون أكثر تشدداً وأكثر دقة من تصنيفات الاتحادات المهنية. وكانت «غرف العمل» تعترف عادة بالنقابات المفردة المنضمة الى الاتحادات. وعلى سبيل المثال، فإن عامل المخرطة كان يصنف كعامل معادن في الاتحاد الايطالي لعمال المعادن، ولكنه كان يصنف كعامل مخرطة فحسب في «غرفة العمل» المحلية[٥٣]: (في غرفة تورينو فقط شكل عمال المعادن قسماً منفرداً، ربما لأن الصناعة الكبيرة كانت أكثر انتشاراً في تورينو، ولم تكن الاختلافات بين المهن ملموسة الى حد كبير). ونظراً للقاعدة الاقليمية التي تقوم عليها غرف العمل، فإن لجانها التنفيذية كانت تعكس تنوعاً ملحوظاً في المهن، وكثيراً ما كانت هذه الغرف ـ بالتالي ـ أقل انسجاماً من أن

---

* بروكاتشي يعتبرها مماثلة في الأهمية للحركة العمالية القوية في المانيا الولهلمية:
(«La Classe eperaia», p. 52)

تكون فاعلة.

لكل هذه الأسباب، كان قادة النقابات العمالية يأملون في ان تستبدل «غرف العمل» كلياً بالاتحادات النقابية الوطنية[٥٤]. وكان هذا أحد أسباب تأسيس «سكرتارية المقاومة» في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢، وفي التكوين النهائي لـ « الاتحاد العام للعمل» في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٦.

ولكن «غرف العمل» كانت تتمتع بميزات تفتقر اليها الاتحادات. فبتجميعها لكل العمال في منطقة معينة كانت هذه الغرف في النهاية مجبرة على أن تأخذ في اعتبارها المشاكل السياسية والانسانية العامة، وليس مواضيع الخبز والزبدة فقط. وفي الواقع، كانت «غرف العمل» تشكل، من نواح عدة، أجهزة للحكم الذاتي الشعبي. وبشكل عام، كانت الغرف تعكس أوضاع التاريخ الاقتصادي والسياسي الايطالي بأفضل مما تفعل الاتحادات بكثير. وبشكل خاص، كانت «غرف العمل» حذرة في تقبل توجه طبقي معين:

«في بلد كإيطاليا، ذات صناعة حديثة متطورة ضئيلة وحركة عمالية تبرز تدريجياً من ديموقراطية مرحلة النهضة (Risorgimento)، فإن التوجهات الطبقية والنقابية تهدد بعزل الأنوية العمالية عن جماهير «الشعب» الواسعة وبتفكيك التضامن الثوري والشعبي القائم على أساس المثاليات الديموقراطية القديمة»[٥٥].

ويرى جوليانو بروكاتشي ان التخلف الشديد للحركة العمالية الايطالية، وخصوصاً في «غرف العمل»، كان قد جنّب هذه الحركة الوقوع في «شرك المرحلة النقابية» للتطور الاقتصادي، كما حصل للحركات العمالية في الأمكنة الأخرى. في ايطاليا، لم يكن من الممكن التفريق بوضوح بين النضالات النقابية والسياسية وبين مطالب الطبقة العاملة والمطالب الديموقراطية. وكانت المشكلة الأساسية أمام الحركة ـ في رأي بروكاتشي ـ هي «تأمين تلك الشروط العامة للديموقراطية والمجتمع المدني التي يمكن من خلالها لحركة (عمالية) ما أن تتطور الى عنصر عضوي من عناصر المجتمع الحديث»[٥٦]. وكان أحد هذه «الشروط العامة» هو وضع حد لقسوة الشرطة التي كثيراً

ما أدت، حتى في أيام حكم جوليتّي، الى القتل المجاني للعمال والفلاحين. «وفي أحد عشر حادثاً من هذا النوع وقعت بين سنتي ١٩٠١ و١٩٠٤ توفرت عنها الاحصاءات، قتل حوالي **٣٢** شخصاً وجرح **٢١٢**»[٥٧].

وباستمرار، كان عدد اعضاء «غرف العمل» أكبر بكثير من اعضاء الاتحادات النقابية. وفي عام ١٩١١، مثلاً، كانت أرقام العضوية ٤٨٥ ألفاً و٢١٩ الفا على التوالي. وكان التباين الآخر جغرافياً. فقد كان وجود اتحادات النقابات يقتصر على الشمال، باستثناء اتحاد عمال السكك الحديدية، بينما كان للغرف قاعدة صلبة في جنوب ايطاليا، وخصوصاً في نابولي وباليرمو وكاتانيا. وبالتالي فقد كانت الغرف أكثر تمثيلاً على المستوى الوطني[٥٨].

وكان التكتيك الفريد والخاص بالحركة العمالية الايطالية ـ على الأقل في كثرة تردده ـ هو القيام بالاضرابات العامة في المدن، التي تحولت فيما بعد الى إضرابات وطنية عامة. وكانت هذه الاضرابات ـ كما يقول بروكاتشي ـ عبارة عن خليط من الاضراب التقليدي للطبقة العاملة و«الصيغ التقليدية للاحتجاج الجماهيري»[٥٩]. ونظراً لأن هذه الاضرابات كانت سياسية في الأساس، فلم يكن لغير «غرف العمل» ان تقودها. وكان أول إضراب عام مديني في ايطاليا قد جرى في تورينو في شباط (فبراير) ١٩٠٢. وكما سنرى، فقد ساهمت المدينة بهذه الصيغة الايطالية المميزة في الاحتجاج العمالي.

الحركة العمالية في بيمونتي وتورينو

من المؤكد ان قوة الطبقة العاملة في تورينو لم تكن كبيرة في عام ١٩٠٠. وكانت ميلانو وإقليم اميليا ـ رومانيا أكثر تقدماً في التنظيم العمالي، وكذلك فإن بلدات في بييمونتي نفسها، مثل بييلا وأليسّاندريا، ساهمت مساهمة اكثر أهمية في الحركة العمالية[٦٠]. وبالرغم من أن عدد سكان مدينة تورينو كان قد وصل فعلاً الى حوالى ٣٠٠ الف نسمة، فقد كان حوالي ٦٠ ألفا من هؤلاء السكان يعملون في المحال التجارية والمنازل، وكان نصف هؤلاء، وأغلبهم من النساء، يعملون في صناعة الألبسة. ولم يكن في تورينو بعد منشأة صناعية حديثة، وكانت ست من مؤسساتها

فقط تدار بما يشبه النطاق الواسع[٦١]. وهكذا، فإن العيوب الأساسية للحركة العمالية الايطالية في عام ١٩٠٠ ظهرت، في تورينو على الأقل، بالقوة نفسها كما في الأماكن الأخرى: نسبة عالية من النساء والأطفال في القوة العاملة (نظراً لأهمية صناعة الألبسة) وعدد محدود من «العمال العاديين» بالمقارنة مع الحرفيين والعمال الصناعيين.

خلال العقد الأول من القرن العشرين، عكست مؤسسات الطبقة العاملة في تورينو حالة التخلف هذه في أوضاعها. وكانت الصحيفة الأسبوعية الاشتراكية المحلية «إلى غريدو ديل بوبولو» (صيحة الشعب) قد شكت من أن «ما من مدينة عمالها بهذه اللامبالاة تجاه القوى التي تعمل من أجل رفاههم. ومن بين ١٢٠ او ١٣٠ جمعية للعمال في تورينو ليس هناك أكثر من ثلاث جمعيات مقاومة»[٦٢]. وبالرغم من ان غرفة عمل تورينو أسست في ١ أيار (مايو) ١٨٩١ - وهي إحدى أول غرف ايطاليا - فقد بقيت لوقت ما أصغر من غرف كل من ميلانو وروما ونابولي ومدن أخرى[٦٣]. اما عضوية الفرع الاشتراكي في تورينو فقد أسست في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٢. وبقيت قليلة الى حد يكاد يكون غير قابل للتصديق لسنوات عديدة. وفي مؤتمر المحافظة الحزبي، في أيلول (سبتمبر) ١٩٠٦، لم يحضر أكثر من ١٣٢٨ عضواً[٦٤]. وفي عام ١٩١٠، بعد ثلاث سنوات من تراجع الالتزام النضالي بين العمال، أصبح عدد الاشتراكيين في تورينو ٦٠٠ شخص فقط[٦٥].

على النقيض من ذلك، كان عمال تورينو تقدميين بشكل ملحوظ في ميادين التعاون والمعونة المشتركة. وفي وقت مبكر يعود الى عام ١٨٨٥ كان في تورينو جمعيات معونة متبادلة أكثر مما في أية منطقة في ايطاليا[٦٦]. والواقع ان أكبر مؤسسات الطبقة العاملة في ايطاليا كانت «الجمعية العامة للعمال» في تورينو (AGO). وكانت هذه قد تأسست في عام ١٨٥٠، ثم حملت هذا الاسم منذ ١٨٦٥، وكان عدد أعضائها قد أصبح آنذاك ١٠ آلاف عضو، وبلغ رأسمالها ٢٥٠ الف ليرة ايطالية. وكانت هذه الجمعية تقدم لأعضائها المعونة الطبية، وتدفع لهم أيام الانقطاع عن العمل بسبب المرض، والرواتب التقاعدية... وأصبحت أول تنظيم عمالي يمارس في ايطاليا بيع التجزئة التعاوني[٦٧]. وفي عام ١٨٩٩، اندمجت «الجمعية العامة للعمال» مع «تعاونية

عمال السكك الحديدية»، وكان هذان التنظيمان هما «القوة الحقيقية للحركة العمالية» في تورينو، ونجم عن ذلك الاندماج «التحالف التعاوني التوريني» (ACT)، الذي لعب فيها بعد دوراً هائل الأهمية في حياة تورينو السياسية.[٦٨].

وكان اشتراكيو تورينو قد حققوا نجاحات مرضية، هم أيضاً، في العمليات الانتخابية. فمنذ عام ١٨٩٧ كانت مقاطعة بييمونتي هي المقاطعة التي يحظى فيها الاشتراكيون بالأصوات الأكثر[٦٩]. وفي عام ١٩٠٤ تقدمت عليها مقاطعة إيميليا ـ رومانيا فقط في نسبة أصوات الاشتراكيين[٧٠].

ومنذ حوالي عام ١٩٠٠، بدأ عمال تورينو يتطورون باتجاه أكثر نضالية والتزام صارمين، خلافاً لمنظماتهم، وبما يتعارض معها. وحصل أول إضراب مديني عام في تاريخ ايطاليا في مدينة تورينو بالذات في شباط (فبراير) ١٩٠٢[٧١]. وكان مما حرض على هذا الاضراب العام استخدام الجنود للحلول محل عمال الغاز المضربين، وجاء الاضراب العام عفوياً وبلا تخطيط مسبق، ولم يلق أكثر من تأييد متحفظ من قبل «غرفة العمل». ومرة أخرى، وفي أول اضراب عام وطني (في أيلول/سبتمبر ١٩٠٤)، كان العديد من عمال تورينو قد نزلوا الى الشوارع قبل ان تعلن «غرفة العمل» تأييدها للاضراب. وفي مرة ثالثة، اعلن الاضراب العام في تورينو، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٧، ضد النصائح الصريحة التي قدمتها «غرفة العمل» بالامتناع عن الاضراب. وأخيراً، وفي ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٩، دعا عمال المعادن الى إضراب عام على شرف فرانشيسكو فيرير، المفكر الأسباني والثوري المحكوم. هذه الحركة أيضا لم تتبعها قيادة «غرفة العمل» والحزب الاشتراكي إلا بعد تردد وتحفظ. وكان جوليو كازاليني، وهو زعيم اشتراكي اصلاحي، قد اشتكى من أن «بروليتاريا تورينو لا تتمتع بقوة واسعة، فهي وفيرة ولكنها غير ناضجة. ولم تكن المظاهرة من أجل فرانشيسكو فيرير منظمة ولا صامتة، كما كان يجب ان تكون»[٧٢].

هذه الأحداث توضح إحدى أكثر الصعوبات جدية من بين تلك التي كانت تواجهها الحركة العمالية في تورينو آنذاك، ألا وهي الثغرة القائمة بين النزعة الاصلاحية الجوليتّية لدى قادة الحركة والاتجاهات العنيفة لدى الجماهير. ولم تقم

علاقة وطيدة بين القادة وجماهير العمال إلا بعد إضراب عمال المعادن عـام ١٩١٢. ولسنـوات، كـان فـرع الحـزب في تـورينـو يهتم بشكـل رئيسي بـالنشـاط التعـاوني والتأمينات. بل ان الفرع أعلن في آذار (مارس) ١٩٠٢ ان ليس للحزب اية علاقـة بالنضالات الاقتصادية للعمال![٧٣] وقد بـذلت جهود ملحـوظة للسيـطرة على ادارة البلدية، كما جرى في ميلانو[٧٤]. ولكن، بالرغم من كثافـة الأصوات الاشتـراكية، فإن هذا الهدف لم يتحقق، وبشكل رئيسي نتيجة لصعوبة إقامة التحالفات السياسية مع الطبقات الاجتماعية الأخرى في المدينة*.

في تلك السنـوات المبكـرة كـان كـل زعـماء الحـزب الاشتـراكي الايـطالي من اللومبارديين او الايميليانـيين او الرمانيوليين، أو من الجنوبيين. وكان بينهم واحد مهم فقط من مقـاطعة بييمـونتي، هـو أودّينـو مـورغـاري، صـاحب فكـرة «التكـامليـة» (integralism) القائلة بمحاولة التوفيق بين الاصلاحية والقصووية (maximalism)؛ وهما ايديولوجيتا الجناحين اليميني واليساري على التـوالي داخل الحـزب الاشتراكي[٧٥]. هذه الدعوة الى «الوحدة في التعددية» كانت في الواقع - وكما وصفها سبريانو - «حالة ذهنية» عاطفية أكثر منها ذريعة تكتيكية. وقد حدد مورغاي التكاملية باعتبارها «توليفاً بين الامكانات الراهنة وآمال المستقبل الاشتراكية، بين المثالية والعملية، بين العمـل المباشر والعمل الرمزي، بين معاداة الدولة وشرعية الدولة، بين الثورة والقانونية، بين النقابية ومعاداة النقابية، بين التصلب والتعاون»[٧٦].

وقد ارتبط ارتفاع اشتراكية تورينو الى دور أكثر إبداعاً، وبشكل مباشر، بالتوسع الكبير للصناعات المعدنية في المدينة، وخصوصاً صناعة السيارات التي نمت بسرعة بعد عام ١٩٠٤. وكانت شركة «فيات»، وهي أول منشأة حقيقية لصناعـة السيارات في ايطاليا، قد أسست في ١١ تموز (يوليو) ١٨٩٩، وقام بتأسيسها رهط من رواد صناعة

---

* في الانتخابات الوطنية التي جرت في آذار (مارس) ١٩٠٩ حصل اشتراكيو تورينو على أكثـرية الأصـوات في المدينة. وشعـرت بورجـوازية المـدينة بـالخطر فشنت حملة شـاملة من أجل تحـالف متماسـك بين الليبراليين والكاثوليك. وهكذا استطاعت الكتلة «الدستورية» أن تهزم الاشتراكيين بفارق بسيط في الانتخابات الادارية (البلدية) التي جرت في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٠٩. أنظر:
Spriano, Socialismo e classe operaia, pp. 238—241

المحركات في بييمونتي، وأنتجت اولى سياراتهـا في تشرين الثـاني (نوفمبـر) من العام ذاته. وسيطر الطابع الرياضي عـلى هذه الصنـاعة في سنـواتها المبكـرة، مثل سبـاق السيارات، والسباق الدولي مع فرنسا، وبدعة امتلاك الجديـد في عالم الصنـاعة. في تلك الأيام كان عمال السيارات، عادة، من ذوي المهارات العالية والأجور المرتفعة، وكانوا معزولين عن الحركة العمالية عموماً ، وكانت العضوية النقابية بينهم نادرة .

وعلى العموم، بحلول عام ١٩٠٥ كانت صناعة السيارات قد أصبحت «الحقيقة الأكثر بروزاً. . . في هذا العقد»[٧٧]. وكانت الصناعة الايطالية تتمتع بفرصة نادرة لمنافسة أكـثر البلدان تصنيعاً في إنتـاج السلع التي عليها إمكـانية طلب هـائلة[٧٨]. وكانت تورينو تتمتع بامتيازات خاصة في هذه الصناعة الجديدة، إذ كانت المياه والقوة الكهربائية ـ المائية متوفرة بسهولـة، وكان يمكن لصنـاعة السيـارات أن تجتذب اليهـا رؤوس الأموال من فرنسا وسويسرا المجاورتين، كما كـان في المدينـة عدد من عمـال المعادن القادرين (على العمل في صنـاعة السيـارات). ومنذ عـام ١٩٠٥ وحتى ربيع ١٩٠٦ كانت موجودات شركة «فيات» قد ازدادت من أربعة ملايين الى تسعة ملايين ليرة ايطالية، وسجلت أعمال السيارات الأخرى في تورينو أرباحاً مثيلة[٧٩]. وبحلول عام ١٩٠٧ كانت هنالك ٦٦ شركة للسيارات تعمل في إيطاليا، منها عشرين ـ بينها الأكبر من هذه الشركات ـ موجودة في تورينو. وكان في المدينة ايضا ست من أصـل تسع عشرة منشأة لصناعة هياكل السيارات، وكذلك معظم المنشآت التي تصنع قطع غيار السيارات[٨٠].

وتسبب النقص الهائل في اليد العاملة والأجور الأعلى في صناعة السيارات «بهجر العمال الأكثر ذكاء في المدينة للمنشآت القديمة والالتحاق بالصناعة الجديدة»، في حين ملئت الوظائف القديمة بالمهاجرين من الريف[٨١]. منذ ذلك الحـين، وخصوصـاً في السنوات الحرجة ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ و١٩١٢ ـ ١٩١٣، استلم قيادة الحـركة العمـالية عمال المعادن ونقـابتهم المسماة «اتحـاد موظفي وعمـال المعادن» (Fiom). وكـان هذا الاتحاد قد أسس في ليغورن في حزيـران (يونيـو) ١٩٠١، ولكن سرعـان ما اتخـذت قيادته من تورينو مقراً لها، وكان معظم قيادييها المسؤولـين إما من تـورينو او ـ عـلى الأقل ـ من مقاطعة بييمونتي[٨٢].

وكان الانتصار الأول الذي حققه «اتحاد موظفي وعمال المعادن»، والذي ساهم فيه نقص اليد العاملة، هو عقد شركة «فيات» الموقع في ٢ آذار (مارس) ١٩٠٦، الذي اعترف بيوم العمل من عشر ساعات كأمر «عادي» والذي قبل بمبدأ تمثيل العمال في المصنع. وكان للنزاعات ان تعالج من قبل الادارة ولجنة تشكل لهذا الغرض وتتألف من خمسة عمال يختارهم زملاؤهم العاملون في الشركة. هذه «اللجنة الداخلية» - التي يمكن مقارنتها عموماً بالممثلين النقابيين داخل المصانع في الولايات المتحدة - لم يكن الصناعيون يعتبرونها كمؤسسة دائمة، بل كانت الفكرة تقوم على أساس اختيار لجنة جديدة لكل نزاع[٨٣]. ولكن، كان للعمال فكرة أخرى، وكان للجهد الذي بذل لجعل هذه اللجان دائمة أهمية كبيرة في النزاعات الكبرى التي تلت الحرب العالمية الأولى[٨٤].

في ربيع ١٩٠٦، أضرب عمال النسيج في تورينو مطالبين بيوم عمل من عشر ساعات، وحظوا بتأييد كل الطبقة العاملة في المدينة. وبعد أن جرح ثمانية من المضربين بنيران رجال الشرطة، دعت «غرفة العمل» في تورينو الى إضراب عام على المستوى الوطني، وقد نفذ هذا الاضراب عملياً في معظم مدن الشمال الكبرى[٨٥]. وأخيراً تم التوصل الى أهداف إضراب عمال النسيج في تورينو، ولكن بعد أن ارتفع صناعيو المدينة الى مستوى الشعور بوحدتهم كجماعة. وفي ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٠٦ أسست «عصبة صناعة تورينو». وكانت هذه في البداية تمثل أكثر من ٢٠٠ شركة، وكان هدفها الأخير هو ان تضم كل الصناعات في المنطقة. وشاركت في عضويتها كل الشركات الكبيرة في حقول الكيمياويات والنسيج والكهرباء والسيارات (باستثناء «ايتالا»). وكان رئيسها المنتخب هو لويس كرابوني، وهو صانع حرير من أصل فرنسي. وكانت هذه العصبة هي الأولى من نوعها في ايطاليا[٨٦].

بعد ثلاثة أشهر، وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٦، أسس «الاتحاد العام للعمل» (CGL). واختيرت مدينة تورينو مقراً لقيادة الاتحاد، وأصبح رينالدو ريغولا، وهو نجار أثاث من بييمونتي، أول رئيس له. وفي تورينو أيضاً أسست اول منظمة للعمال الكاثوليك (عصبة العمل)، ولكنها لم تجتذب اليها غير ٣٠٠ عامل، إذ كان

معظم عمال تـورينو أبعـد يساراً عن الانجيـل الاجتماعي للكنيسـة[٨٧]. وفي تلك السنوات كانت «غرفة العمل» قد أصبحت قوة تمثيلية حقيقية في تورينو، وانتقل عدد أعضـائها من ٨٨٠٠ في عـام ١٩٠٦ الى ١٥٦٠٠ في أيار (مـايـو) ١٩٠٧، وازدهـر «التحالف التعاوني التوريني» أكثر من أي وقت مضى[٨٨].

وكانت نجاحات العمال في تورينو قد وصلت الذروة مع توقيع العقد بين شركة «ايتالا» و«اتحاد موظفي وعمال المعادن» في ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٦. وقـد نص العقد على إقامة هيئة تمثيلية للعمال داخل المصنع ونظام للرقـابة ولجنـة داخلية دائمة، مقابل تعهد بعدم الاضراب لثلاث سنوات هي مـدة سريـان العقد. وكـان الاصلاحيون من اشتراكيي تورينو والمجموعة الجوليتّية في الصحيفة اليومية «لا ستامبا» (الصحافة) من المؤيدين بشدة لهذا العقد، ولكنـه ووجه كـذلك بمعـارضة صـاخبة هائلة. وثارت «عصبة صناعة تورينو» ضد شركة «ايتالا» لتوصلها الى الشروط الواردة في العقد من دون موافقـة العصبة، بينـما رأى النقابيـون الثوريـون في التعهد بعـدم الاضراب خيانة[٨٩].

وعادت الموجة في عام ١٩٠٧. ففي نيسان (أبريل) من تلك السنة اعلن عمال شركة «سافيليانو» لصناعة المعادن في غرب بييمونتي الاضراب مطالبين بيوم عمل من عشر ساعات وباللجنة الداخلية. وعندما امتد الاضـراب الى منشأة «سـافيليانـو» في تورينو قرر «اتحاد مـوظفي وعمال المعـادن» ان يعلن مقاطعـة المؤسستين (وهي أول مقاطعة ينفذها تنظيم عمالي ايطالي). وكانت الأمثلة الأجنبية قد شجعت سكرتاريـة «اتحاد موظفي وعمال المعادن» على الأمل بأن تتسامح شركات صناعة المعادن الأخرى في تورينو مع هذه المقاطعة رغبة منها في الاستفادة على حساب شركة «سافيليانو»[٩٠]. ولكن ظهـر ان هذا الأمـل لم يكن مبـرراً. بل ان انحسـاراً شديـداً لم يكن يتوقعـه اشتراكيو تورينو بتاتاً أصاب الاقتصاد. ونظراً لأن السيارات الايطالية كانت منتجات ترف فحسب، فإن صناعتها كـانت ذات هشاشـة خاصـة في مواجهـة الكساد.[٩١] وسقطت أسهم شركة «فيات» المضـافة من ٤٤٥ الى ٨٠ ثم الى ٤٠. وأدى تسـريح الألوف من عمال السيارات في أواخر أيلول (سبتمبر) عملياً الى انهاء المقاطعة.

الهزيمة الأخرى التي واجهتها الحركة العمالية التورينية جاءت مرتبطة بالاضراب الوطني العام الذي أعلن في ميلانو، في ١١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٧، رداً على مقتل وجرح عمال مضربين على يد رجال «الكارابينييري» في المدينة*. وسرعان ما استجابت معظم المدن الكبرى في شمال ووسط ايطاليا الى الدعوة التي وجهتها «غرفة العمل» في ميلانو. في تورينو، قام نزاع بين العناصر الاصلاحية وتلك النقابية داخل «غرفة العمل» مما منع الاعلان عن الاضراب حتى ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) عندما حصل النقابيون أخيراً على أكثرية ضئيلة. ولكن توقيت الاضراب - الذي كان قد انتهى في ميلانو - واستمرار معارضة الاصلاحيين أديا الى فشله التام. ولم يستجب للدعوة الى الاضراب إلا عمال المعادن. وأكثر من ذلك، فإن عصبة الصناعة اختارت هذه اللحظة بالذات لتتابع هجومها وتعلن اغلاق المعامل في المدينة لمدة ٤٨ ساعة. واستجابت معظم الشركات الكبرى، وبقي حوالي ٣٠ الف عامل خارج مصانعهم. ورد النقابيون الثوريون بإعلان اضراب عام في المدينة لمدة ٧٢ ساعة، خلافاً لنصائح «غرفة العمل». وفشل الاضراب فشلاً ذريعاً عندما ساهم فيه ما لا يزيد عن خمسة آلاف عامل[٩٢].

ولم يتردد الصناعيون في تثبيت امتيازاتهم. ففي آذار (مارس) ١٩٠٨، وتحت رعاية «عصبة صناعة تورينو»، أسس «الاتحاد الصناعي البييمونتي»، برئاسة كرابوني نفسه، وتألف الاتحاد الجديد من ٥٠٠ شركة هامة توظف معا أكثر من ١٠٠ ألف عامل[٩٣]. وفي تورينو كبرت عصبة الصناعة في عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ فصارت تضم ٢٩١ شركة توظف ٤٨ الف عامل. وبدأت العصبة سلسلة من الاتفاقات مع شركات في جنوة وميلانو وتيرني تنص على موافقة الشركات الموقعة على عدم توظيف أي عامل مضرب خلال فترة الاضراب ولثلاثة اشهر بعده[٩٤]. وفي أيار (مايو) أسست في تورينو جمعية أكبر هي «الاتحاد الايطالي للصناعة»، مما أكد هيبة رأسمالية تورينو الصناعية في كل أنحاء ايطاليا. وكانت أنظمة الاتحاد الجديد مبنية على أساس أنظمة «عصبة صناعة تورينو»، وانتخب كرابوني - كالعادة - رئيساً لهذا الاتحاد ايضا[٩٥].

* «الكارابينييري» في ايطاليا سلاح أمن وطني يجمع بين مهمات الشرطة والدرك والشرطة العسكرية، وهو الأكثر عنفاً وشراسة (المعرب).

وحتى شهر تشرين الأول (اكتوبر) صار الاتحاد يضم ۲۱۰۰ شركة توظف حوالي ٢٥٠ ألف عامل.

في تلك الأثناء، ألغى أصحاب شركة «ايتالا» عقدهم مع «اتحاد موظفي وعمال المعادن» الذي وقع في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٠٦ بحجة اشتراك عمال «ايتالا» في عام ١٩٠٧ بإضراب عام. والتحقت منشآت أخرى بهذا الخط، واختفت بين سنتي ١٩٠٨ و١٩١١ فوائد كثيرة كان قد حققها العمال في سنتي ١٩٠٦ و١٩٠٧. وكانت تلك هي «سنوات الصمت شبه المطلق» في عالم تورينو العمالي[٩٦]. وفقدت «غرفة العمل» نصف أعضائها في عام ١٩٠٩، أما عدد أعضاء الفرع الاشتراكي فانخفض في عام ١٩١٠ الى ٦٠٠ عضو، وكان عدد أعضاء «اتحاد موظفي وعمال المعادن» عام ١٩١١ يزيد قليلاً عن ١٠٠٠ عضو من أصل ٣٠ الف عامل في المعادن في المدينة[٩٧]. وكان واضحاً ان النقابة والحزب فقدا تقريباً كل اتصال لهما بالعمال داخل الورشات.

ومع اقتراب نهاية عام ١٩١١ عاد الازدهار الى الاقتصاد، وانتعشت الحركة العمالية. وكان كساد عام ١٩٠٧ قد أزال من الوجود كل شركات السيارات ما عدا الأكثر فاعلية من بينها (فيات، سبا، ايتالا، سكات، لانشا)، تلك التي كانت قادرة على انتاج النماذج الأرخص سعراً. وفي عام ١٩١١، تم إنتاج عدد من السيارات يساوي ثلاثة أضعاف ما أنتج منها في عام ١٩٠٧[٩٨]. وعاد الطلب كبيراً على العمال، وخصوصاً المهرة منهم، وتمتعوا بسلّم أجور عالٍ نسبياً[٩٩]. ومع ذلك، فإن طول ساعات العمل (١٠ ـ ١١ ساعة يومياً لستة أيام أسبوعياً) والعمل الكثيف والمرهق، ما كانا ليؤديا الى السلام الصناعي في المدينة.

في عام ١٩١١، كان المطلب الرئيسي لـ « اتحاد موظفي وعمال المعادن» هو تقصير أسبوع العمل من ٦٠ الى ٥٧ ساعة دون خفض الأجور، وذلك باعتماد «يوم السبت الانكليزي» او ما يعني عمل سبع ساعات فقط يوم السبت[١٠٠]. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١١، وبعد أن حقق الآلاف من عمال السيارات هذا الهدف، رد صانعو السيارات في تورينو بتشكيل «تجمع مصانع السيارات» الذي ضم الشركات

السبع الرئيسية، التي توظف قوة عاملة تقرب من ٦٥٠٠ عامل[١٠١]. وطالب التجمع الشركات الأعضاء فيه بالطاعة التامة، وطلب من كل من الأعضاء وضع تأمين بشكل شيك موقع على بياض. وبهذا تأمنت وحدة العمل بين صانعي السيارات، فقدم التجمع الى العمال عقداً جديداً يطبق على الصناعة بأسرها. ومقابل التعهد بعدم الاضراب والاتفاق على حل اللجان الداخلية وافق الصناعيون على يوم السبت الانكليزي (وإن بأجر أقل للساعات الاضافية في ذلك اليوم) وعلى زيادة نسبتها أربعة في المئة في أجر الساعة. واقترح الصناعيون كذلك تقسيم العمال الى فئتين للأجر: فئة العمال المهرة الذين كانوا عادة أعضاء في «اتحاد موظفي وعمال المعادن» وتتلقى أربعين سانتيماً أو أكثر في الساعة، وفئة العمال غير المهرة وغير المنتظمين وتتلقى أقل من ذلك. وكما في عام ١٩٠٦، اختير «اتحاد موظفي وعمال المعادن» باعتباره أفضل ضامن للاستقرار العمالي، وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩١١ وافق التجمع والنقابة على الشروط المذكورة أعلاه. وبالاضافة الى هذا، وافق التجمع على الاعتراف بالنقابة وعلى تطبيق نظام الرقابة، ولكنه رفض، على العموم، جعل عضوية النقابة إجبارياً.

وعلى غير ما كان متوقعاً، رفض العمال غير المنظمين قبول العقد الجديد، وأعلنوا ان زيادة الأجور غير مرضية (زيادة الأربعة في المئة لا تعوض نقص ساعات العمل)، كما أعلنوا رفضهم لتقسيم العمال الى فئتين. وفي أيام ١٠ ـ ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩١٢ أسس حوالي ألفين من هؤلاء العمال نقابة جديدة هي «النقابة الحرة لعمال السيارات». عندئذ سحب التجمع عرضه المقدم الى «اتحاد موظفي وعمال المعادن» على أساس أن العمال أثبتوا عدم قدرة الاتحاد على المساومة باسمهم[١٠٢].

النقابيون الثوريون ـ والذين لم يعودوا موجودين عملياً في تورينو بعد عام ١٩٠٧ ـ أرسلوا مبعوثاً الى النقابة الجديدة من حصنهم في إيميليا، وسرعان ما أصبحت المنظمة تحت سيطرتهم المطلقة. وفي ١٧ كانون الثاني (يناير) أعلنت النقابة الجديدة إضراباً عن العمل يستمر حتى يوافق أرباب العمل على التفاوض معها. ومع أن «اتحاد موظفي وعمال المعادن» تجاهل هذه الدعوة في البداية فإن الأكثرية العظمى من العمال

بقيت خارج المنشآت. وبالرغم من هذا الدعم فقد أثبتت النقابة كونها أمراً مؤسفاً وفاجعاً، فرئيسها بولفيو زوكّي (عضو في «غرفة العمل» في بولونيا) لم يقدم غير الكلمات الفارغة:

«إن الاضرابات التي تحقق كسباً بهذا القدر في يوم واحد للعمال تصلح لألمانيا وانكلترا وبلدان الشمال، حيث تختلف الطبائع الوطنية فيها عن طبائعنا وحيث الجماهير منظمة من شعر رأسها وحتى أسفل أقدامها. نحن شعب مندفع وحماسي. وكل منا يشعر بارادة التضحية، والبروليتاريا الثورية تراقبنا!»(١٠٣).

وأعلن الصناعيون بدورهم إقفال مصانعهم بعد أن نظموا صندوقاً للتأمين ضد الاضراب. وكان العمال غير المنظمين عاجزين عن تنظيم مقاومة فعالة لهذا التكتيك، فانهار إضرابهم في ٢١ آذار (مارس). وهكذا لم تؤد الجهود التي بذلت طوال ٦٥ يوماً إلا الى فقدان العقد الجديد بما فيه من اعتراف باتحاد موظفي وعمال المعادن ، والى العودة الى أسبوع العمل من ستين ساعة في معظم المصانع.

بعد ذلك بعدة أشهر ظهرت نضالية ملتزمة جديدة في صفوف المنظمات الاشتراكية سواء على المستوى الوطني أم على المستوى المحلي. وفي المؤتمر الوطني الثالث عشر للحزب (الذي عقد في ريجّو ايميليا بين ٧ و١٢ تموز/يوليو ١٩١٢) حصل الجناح الثوري، بدعم من وفد تورينو، على الأكثرية، ومن ثم انقض على الجناح اليميني الاصلاحي، الذي كان قد أيّد الحرب ضد ليبيا، وطرد أعضاءه من الحزب. في تورينو أيضا حقق الجناح اليساري للحزب انتصاراً كاملاً. ومنذئذ أصبح كل من الحزب و«التحالف التعاوني التوريني» مؤيدين صلبين للعمال في نزاعاتهم الصناعية. واستعاد «اتحاد موظفي وعمال المعادن» شجاعته وبدأ الاستعداد لاضراب جديد، هذه المرة تحت قيادة برونو بووتزي. وكانت عضوية الاتحاد قد ارتفعت في المدينة الى أكثر من ألفين، وفي خريف ١٩١٢ تمت الموافقة على البرنامج الجديد للاتحاد من قبل الأكثرية الساحقة للعمال. ودعا هذاالبرنامج الى تخفيض ساعات العمل الأسبوعية من ٦٠ الى ٥٤ ساعة مقابل الأجر الأسبوعي نفسه، واعادة النظر في برامج العمل بالقطعة، والى الاعتراف الكامل بالنقابة واللجان الداخلية. وانتخبت لجنة تحريض

مؤلفة من ثلاثة عمال من كل منشأة، وضمت هذه اللجنة بعض الأعضاء من النقابة التي كانت قد فقدت كل مصداقية لها. وهكذا كان المسرح قد جهز للاضراب الكبير لعمال المعادن عام ١٩١٣(١٠٤).

في مطلع شهر آذار (مارس) قدم «اتحاد موظفي وعمال المعادن» مطالبه الى التجمع فرفضت كلياً، وبدأ الاضراب يوم ١٩ آذار (مارس). وتلقى «اتحاد موظفي وعمال المعادن» الأطعمة والمال من «التحالف التعاوني التوريني» و«الاتحاد العام للعمل» والعديد من «غرف العمل»، وحتى من الاتحاد الألماني لعمال المعادن. وفي ٢٠ آذار (مارس)، وفي محاولة لقطع هذه المعونة الخارجية، اتخذ كرابوني إجراء متطرفاً بالدعوة الى اغلاق كافة المصانع في كل الصناعات المعدنية، مما كان يعني تسريح ١٧٠٠٠ عامل آخر في المدينة. وكان كرابوني بخطوته هذه قد أخطأ جدياً في حساب نوايا الحكومة. وكان جوليتّي [رئيس الحكومة] قد تحول بشكل ملحوظ باتجاه اليمين منذ عام ١٩١١، ولكنه لم يكن ذاك الرجل الذي يترك لمقاومة الادارة أن تشل الاقتصاد كله بهدف التخفيف من مطالب العمال. وقام ألفريدو فراسّاتي، رئيس تحرير صحيفة «لا ستامبا» وأحد المقربين من جوليتّي، بتوبيخ كرابوني قائلاً ان منطقه يتطلب إغلاق المصانع في ميادين الصناعة الايطالية للتغلب على إضراب واحد. وهاجم جوليتّي نفسه كرابوني باعتباره مشاغباً أجنبياً(١٠٥). وأعلن حاكم مدينة تورينو أنه في حال الاغلاق العام للمصانع، فإنه لا يمكن الاعتماد على الشرطة في حماية ممتلكات الصناعيين. واهتز التجمع لهذه المؤشرات عن عدم موافقة الحكومة، واضطر كرابوني الى الاستقالة من رئاسة التجمع، ولم ينفذ اغلاق المصانع(١٠٦).

ولم يوافق الصناعيون على التفاوض مع العمال إلا بعد ان استمر إضراب هؤلاء ٧٥ يوماً وصوّت ٩٠ بالمئة منهم على الاستمرار فيه. وفي ٢٣ حزيران (يونيو)، وبعد مضي ٩٣ يوماً على بدء الاضراب، تم توقيع عقد جديد، وعادت المصانع الى فتح أبوابها. وبالرغم من أن المكاسب بدت ضئيلة جداً فقد اعتبر العمال هذه التسوية انتصاراً لهم. وخفضت ساعات العمل الأسبوعية الى ٥٩ ساعة لبقية عام ١٩١٣، والى ٥٨ ساعة لعام ١٩١٤، والى ٥٧ ساعة لعام ١٩١٥، مع زيادة سنوية قيمتها سانتيمين للساعة لكل فئات العمال. وهكذا، فإن العمال المهرة الذين كانوا يتقاضون

بين ٦٠ و٧٠ سانتيماً لساعة العمل كادوا لا يعوضـون إلا بصعوبـة خسارتهم لسـاعة عمل في الأسبوع، في حين ان العمال غير المهرة، الذين كانت أجورهم تتراوح بـين ٣٠ و٤٠ سانتيماً في الساعة، كسبوا حوالي أجر ساعتي عمل في الأسبوع بـالرغم من أسبوع العمل الأقصر مدة. على العموم، فإن العمال المهرة نظروا الى هذه التسويـة باعتبارها انتصاراً للتضامن الطبقي على الجشع الشخصي. وكـما قال غـرامشي بعد بضع سنوات: «ليس لعمال تورينو المهرة وتقنييها عقلية البـورجوازيـة الصغيرة التي للعمال المهرة في بلدان أخرى، كانكلترا مثلاً»[١٠٧].

غرامشي واتحاد الشباب الاشتراكي

في تلك الأثناء كان «اتحاد الشباب الاشتراكي» يتحول أيضاً الى قوة سيـاسية في تورينو. وكانت «الحزمة»* الأولى للاتحاد في تورينو، أو فرعـه الأول، قد أسست في أيار (مايو) ١٩٠٩ على يد جوزيبّي روميتا وجينو كاستانيو وآنجيلو تاسكا وآخرين**. وكان الفرع المركزي يتألف بكامله تقريباً من العمال، وكان تاسكا وروميتا وحدهما من الـطلاب. وكانت هنـاك فروع أخـرى منـظمـة في الضـواحي والبلدات المجـاورة، وسرعان ما صار للحركة طابعها الاقليمي، وفصلت نفسها عن الاتجاهات النقابـوية المتطرفة لفروع الاتحاد في بقية أنحاء ايطاليا. وفعل قادة الفرع كل ما بوسعهم لادخال بعض المقاييس الدنيا من الثقافة الاشتراكية الى الفروع خارج المدينة،[١٠٨] وعملوا في الوقت نفسه عـلى تحسين قـواعدهم الفكـرية. واستنـاداً الى تاسكـا، فان «الثقـافة

---

* الترجمة الحرفية لكلمة Fascio الايطاليـة هي «الحزمـة»، ومنها تشتق كلمـة الفاشيـة التي تبناهـا موسـوليني (الاشتراكي أولاً) للتعبير عن حزبه القومي الاجتماعي (المعرب).

** أنظر:
Gramsci, La Città futura [22], p. 4; Tasca, p. 3; Zucaro, «Gramsci all'Università», p. 1100.
وكان اتحاد الشباب قد أنشيء، أول مـا أنشيء في ايطاليـا، في عام ١٨٩٨. وفي وقت مبكـر يعود الى عـام ١٩٠٦ كان العمال الشباب في تورينو قد أسسوا «نادي الدراسات الاجتماعية». وفي عام ١٩١٠ تطور هذا النـادي فأصبـح «مدرسـة فرانشيسكـو فيريـر الحديثـة» التي أصبحت صلة الوصل بين الشباب الاشتراكيين والفوضويين.
(أنظر: Spriano, Socialismo e classe operaia, p. 40)
وقد أصبح روميتا (المتوفى سنة ١٩٥٨) فيما بعـد عضواً في الحـزب الاشتراكي الـديموقـراطي الايطالي، أمـا كاستانيو فما زال عضواً في الحزب الاشتراكي الايطالي، وأمـا تاسكـا (المتوفى سنـة ١٩٦٠) فكان عضـواً في الحزب الشيوعي الايطالي حتى طرده في عام ١٩٢٩.

«الايجابويـة» بدأت تـزول تدريجيـاً من خلال القـراءة الدائمـة لجوزيبّي بـريتزوليني لصحيفة «لا فوتشي» (الصوت) وقراءة غايتانو سالفيميني لصحيفة «أونيتا» (الوحدة)، وهما صحيفتان أسستا لمحاربة الريفيـة المزعـومة للثقـافة الايـطالية في سنـوات القرن المبكرة. وكان سالفيميني يتمتع باحترام خاص لدى الاشتراكيين الشباب نظراً للحملة التي شنها لصالح فلاحي الجنوب وهجومه الشامل على وسائل جوليتّي الانتخابيـة في الجنوب ومعارضته للحرب الليبية. وعلاقاته الممتازة مع موسوليني ـ الذي كان يومها زعيماً لـ « الأتراك الشباب» في الاشتراكية الايطالية ـ جعلت منه إنساناً شعبياً(١٠٩).

وكـان الشبـاب الاشتـراكيـون في بييمـونتي يميلون الى أن يكـونـوا طهـوريـين (puritanical). وفي إحدى المناسبات شن فرع الاتحاد في بورغو سان باولو حملة صليبية على السكْر (الثمالة)، وعندما واجهت هـذه الحملة مقاومـة القادة المحليـين للحزب (وكان معظمهم من المكثرين للشرب حسب التقاليد البييمونتية)، قام الفرع ساخطاً باقامة مقر منفصل له وتابع حملته(١١٠). هـذا الخط الطهـوري لاشتراكيي بييمـونتي الأكثر شباباً كثيراً ما كان يولد الحساسية لدى أعضاء الحزب في المناطق الأخرى.

في عـام ١٩١٢ ـ ١٩١٣ بـدأ طـلاب الجـامعـة ينضمـون الى «اتحـاد الشبـاب الاشتراكي» بأعداد أكبر، وكان انطونيو غرامشي بين هؤلاء. ولم يكن غرامشي ناشطاً في البداية، واستناداً الى تولياتي فإنه كان يبـدو «ضيقاً في اهتمـامـاتـه، وما زال مليئـاً بالشكوك حـول الخط الذي يـريد اتبـاعه»(١١١). من النـاحية الفلسفيـة، ربما كـان غرامشي آنذاك من أتباع كروتشي أكثر منه ماركسياً، ولكنـه كان قيـد الوصـول الى مـوقع مـاركسي من خلال دراسته للفلاسفـة المثاليـين، بمن فيهم هيغل وكـروتشي وجنتيـلي(١١٢). وكانت أفكـار كروتشي وجنتيـلي ترتبط ارتبـاطـاً وثيقـاً مـع الأفكـار الماركسية في ايطاليا. وكانت حلقة الوصل تمر عبر انـطونيو لابـريولا، وهـو ماركسي نضج في المدرسة الهيغلية في نابولي*. وبالتالي، فإن الثغرة بين المثاليـة والماركسيـة لم

* يوصف لابريولا (١٨٤٣ ـ ١٩٠٤) أحياناً بأنه أول ماركسي ايطالي، وكان استاذاً للفلسفة في جامعة روما. ويجب الانتباه الى عدم الخلط بينـه وبين آرتـورو لابريـولا (١٨٧٥ ـ ١٩٥٩) وهو المنـظر الايطالي الـرئيسي للنقابوية الثورية ووزير العمل في حكومـة جوليتّي لعـامي ١٩٢٠ ـ ١٩٢١. في سنواتـه الأولى كان انـطونيو لابريولا من زعماء المدرسة الهيغلية الايطالية. وقدم بعد ذلك مساهمة هامـة في النظريـة التاريخيـة والفلسفية

تكن صعبة العبور.

ويعود امتصاص الحركة الاشتراكية الكامل لغرامشي الى أيام الانتخابات النيابية التي جرت في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٣، بينما كان غرامشي في ساردينيا ينتظر اعادة افتتاح السنة الدراسية. هذه الانتخابات كانت الأولى التي تجري في ايطاليا على أساس الاقتراع العام تقريباً لكل الذكور. ورغم ان الفساد الانتخابي كان مستشرياً في محافظات الجنوب والجزر الايطالية، فان غرامشي تأثر عميقاً برؤيته للجماهير الفلاحية الواسعة تشارك للمرة الأولى في عمل سياسي. وأشعلت نتائج الانتخابات - إذ تضاعف عدد الممثلين الاشتراكيين- لهيب الحماسة فيه، فراح يكرس المزيد والمزيد من وقته للحركة الاشتراكية[١١٣].

وكان عمل غرامشي المبكر في صفوف «اتحاد الشباب الاشتراكي» هو تعليم العمال الأصغر سناً المنتسبين الى الفرع المركزي. الكثير من هؤلاء العمال كان ذو تثقيف ذاتي، وكان جدياً وذكياً. ولكن الأمر الذي سرّ غرامشي أكثر من أي شيء آخر كان «قوة طباعهم واستقامة معنوياتهم»، وهما صفتان اعتبرهما غرامشي أساسيتان لبناء حركة اشتراكية أقوى. وكان غرامشي معلماً ذا فاعلية غير اعتيادية: «والذين علمهم شهدوا تحولاً عميقاً ودائماً، وبقوا شاكرين له الى الأبد»[١١٤]. وقد استذكر غرامشي فيما بعد روح الرفاقية والمشاركة في الأفكار:

«كثيراً ما كنا نغادر اجتماعات الحزب في جماعة تحيط بمسؤولنا. وكنا نتابع مناقشتنا عبر شوارع المدينة التي تكون قد أصبحت صامتة الآن، بينما يتوقف المارة القلائل لمراقبتنا، مدهوشين لاصرارنا المتشدد (في النقاش) وضحكاتنا المتفجرة، وانطلاقاتنا في ملكوت الأحلام والمستحيل».

وقيّم غرامشي بشكل خاص:

«الشعور بالثقة الذي كان ينبع من كوننا رفاقاً، ومن امتلاكنا للهوى نفسه والأفكار المسيطرة نفسها.. وكانت تلك الحميمية هي قوتنا. وبفضل هذه القوة

الماركسية ومارس نفوذاً فكرياً كبيراً على الشاب بينيديتو كروتشي. أنظر مؤلفه:
Labriola, Essays on the Materialistic Conceptions of History (Chicago; Kerr, 1908).

استطعنا ان نقود الحزب باتجاه التغيير، واستطعنا ان نجبره على الاعتراف بأن المستقبل يتمثل فينا، نحن الشباب. كنا ننظر الى ذلك المستقبل كخليط من الاشتراكية القديمة غير الواثقة من نفسها والمبالغة في الحذر، والتي كانت تفقد اتصالها مع الجماهير البروليتارية، والاشتراكية الجديدة المليئة بالطاقة المعنوية والثورية والتي ليس فيها حزب وبروليتاريا بل كتلة واحدة تتحرك بسرعة باتجاه هدف كنا نراه أحياناً شديد القرب في الواقع»[١١٥].

في عام ١٩١٤ انتسب غرامشي وتولياتي الى فرع تورينو للحزب الاشتراكي. وكان عملهما الأول المهم كعضوين في الحزب هو دعم اقتراح قدمه تاسكا وأوتّافيو باستوري بأن يسمي الحزب غايتانو سالفيميني كمرشح له للمقعد البرلماني الذي شغر بموت بيلادي غاي، وهو نائب اشتراكي من تورينو. وكان سالفيميني معروفاً بكونه زعيماً للعمال الزراعيين في آبوليا، المنطقة التي كانت مسقط رأسه. وكانت الخطة تقضي بأن يكون ترشيحه هو الخطوة الأولى لكسب الدعم للحزب الاشتراكي بين العمال الزراعيين في الجنوب. ووافقت اللجنة التنفيذية لفرع تورينو على الخطة، ولكن سالفيميني لم يقبل العرض[١١٦].

وبناء على اقتراح سالفيميني، انتقل دعم الاشتراكيين الأكثر شباباً الى بينيتو موسوليني الذي كان يومها رئيس تحرير جريدة «آفانتي» (الى الأمام)، وهي الصحيفة المركزية للحزب. وكان موسوليني رجلاً يحظى التزامه النضالي بإعجاب الأعضاء الشباب في الحزب. ولكن أكثرية فرع تورينو دعمت على العموم ترشيح ماريو بينيتّو، وهو عامل من تورينو، وكان موسوليني - بالرغم من موافقته السابقة - غير قادر على التنافس من أجل المقعد. ومع ذلك، جاء كل من سالفيميني وموسوليني الى تورينو لدعم بينيتّو في حملته الانتخابية. وقد نظر غرامشي دوماً الى هذه الحادثة باعتبارها خطوة هامة في تاريخ الحركة الاشتراكية الايطالية: فقد قبل قادة فرع شمالي هام سالفيميني، الممثل لفلاحي الجنوب، كمرشح للحزب في دائرتهم الانتخابية. وكان هذا أمراً جديداً. وبالرغم من ان سالفيميني رفض العرض، فان غرامشي شعر ان فرع تورينو وضع هذاالرفض جانباً، واعتبره الخطوة الأكثر تقدمية للفروع الايطالية، نظراً لأنه شكل اعترافاً بمشكلة الجنوب على انها مشكلة يجب على البروليتاريا الثورية أن تحلها.

٣ ـ سنوات الحرب في تورينو

«هناك رائحة الجديد في الجو. لقد وصل العالم الى منعطف تقريري»

غرامشي ـ ١١ شباط (فبراير) ١٩١٧

الحزب الاشتراكي الايطالي والحرب العالمية الأولى

الحرب العالمية قذفت بالاشتراكية الأوروبية الى أسوأ أزمة في تاريخها. فهل كان على الاشتراكيين ان ينبذوا أمميتهم ويقاتلوا من أجل بلادهم، أو كان عليهم ان ينبذوا بلدهم باسم الطبقة العاملة الأممية ؟ ونظراً لحياد ايطاليا، فقد كانت للاشتراكيين الايطاليين فرصة أفضل لتحديد موقف متماسك مما كان للاشتراكيين في البلدان المحاربة. وعندما دخلت ايطاليا الحرب في أيار (مايو) ١٩١٥ كان الخط الرسمي للحزب قد تحدد: «لا الدعم ولا التخريب». وقد اشتكى تروتسكي فيما بعد من أن هذا الموقف لم يكن مستوحى من المبادىء الاشتراكية بقدر ما هو مستوحى من المبادىء الانسانية او مبادىء السلم. ولكن هذا الانتقاد لم يكن عادلاً[١]. لقد احتاج الاشتراكيون الى الشجاعة لكي يعارضوا الحرب، وخصوصاً عندما كانت المعارضة تقود الى السجن والى إجراءات قصاص حكومية أخرى. وأكثر من ذلك، فإن التضامن الحزبي حول هذه النقطة كان مثيراً، فقادة الحزب ومعظم أعضائه بقوا يعارضون الحرب بثبات منذ عام ١٩١٥ وحتى عام ١٩١٨، أما الأعضاء الذين كانت لديهم أفكار مغايرة فقد استدعو الى الانضباط أو طردوا[٢]. وأشاد لينين بالحزب الاشتراكي الايطالي باعتباره شكّل «استثناء سعيداً» بين أحزاب الأممية الثانية، وكان

الحزب يستحق هذه الاشادة عن جدارة[٣].

وكانت المشاعر المعادية للحرب قوية بشكل خاص لدى اشتراكيي تورينو. وكانت السياسة المؤيدة للتدخل واسعة الانتشار بين عمال بارما كما سيطرت على القليل من عمال ميلانو، أما في تورينو «فلم يظهر أي تشقق في صفوف الحياد لدى الطبقة العاملة»[٤]. وساعد في ذلك غياب التقاليد الراديكالية ـ الجمهورية عن تورينو، نظراً لأن مثل هذ التجمعات كانت، حيث وجدت، كثيرة الحماسة للتدخل في الحرب. وامتد حياد المدينة الى ليبراليها من أتباع جوليتّي والى البورجوازية عموماً، خصوصاً وأن شتاء ١٩١٤ ـ ١٩١٥ كان قد حقق ازدهاراً في صناعة السيارات[٥]. في نيسان (أبريل) ١٩١٥، طلبت «غرفة عمل» تورينو من اللجنة التنفيذية الوطنية لـ « الاتحاد العام للعمل» إجراء استفتاء عما اذا كان أمر التعبئة العامة يستدعي القيام بإضراب عام. وأجاب معظم أعضاء الاتحاد العام سلباً على الاستفتاء، ولكن «غرفة عمل» تورينو صوتت بالاجماع تقريباً الى جانب الاضراب العام، كما فعل الفرع الاشتراكي[٦].

في ١٦ أيار (مايو) ١٩١٥، وبينما كانت إدارة الحزب مجتمعة في بولونيا لتقرر ما يجب عمله حول اشتراك ايطاليا القريب في الحرب، أعلن عمال تورينو إضراباً عاماً. . . «وأغلقت كافة المصانع وشلت كل الخدمات العامة. وكان الاضراب شاملاً لدى كل فئات العمال»[٧]. واجتمعت كل القوة العاملة في المدينة أمام «غرفة العمل»، ثم سار الجميع ببطء، ودون تحريض خطابي، باتجاه الحاكمية للاحتجاج على الحرب. عند هذا الحد، تدخل رجال الشرطة المستنفرين فقتلوا عاملاً وجرحوا ١٤ آخرين. وتفرقت الجموع، ولكنها عادت فتجمعت بعد الظهر، فهاجمت الشرطة «غرفة العمل» نفسها، ونهبت البناء، واعتقلت العشرات من العمال الذين تجمعوا هناك. في تلك الأثناء وصلت أنباء من بولونيا تفيد بأن قيادة الحزب قررت ان تترك لكل اتحاد محافظة أن يتخذ قراراته حول الاجراءات التي يجب اتخاذها ضد الحرب. هذا القرار عزل عمال تورينو كلياً، فتخلوا عن إضرابهم العام في اليوم التالي. وبعد أربعة أيام، في ٢٣ أيار (مايو) ١٩١٥، دخلت ايطاليا الحرب[٨].

هذا الاعلان الصادر عن قيادة الحزب كشف نوعاً من عدم الانسجام في تفكير الحزب. وكان أعضاء الحزب قد عارضوا الحرب بعفوية، ولكن لم يكن لديهم اي برنامج واضح لجعل معارضتهم فاعلة. وربما كان ذلك ناجماً عن حداثة تشكل الدولة الايطالية والآلام المتزايدة التي ما زالت تحيق بها، مما أدى بالكثير من الاشتراكيين الى التقليل من أهمية القومية في الحرب، حتى ان بعض القادة الاشتراكيين أنكر حتى مفهوم «الانتماء القومي» في ايطاليا. وعندما تساءل العمال الذين راقبوا التجربة الفرنسية وتلك البلجيكية حول كيف سيتصرف الاشتراكيون اذا ما هوجمت ايطاليا كانت أجوبة الحزب نظرية أكثر من أن ترضيهم. وأكثر من ذلك، فان بعض أعضاء الحزب كانوا ناشطين في تأييدهم للتدخل على أساس ان المشاركة الايطالية في الحرب ستؤدي الى تسريع التصنيع والى تحرك تالٍ للفلاحين باتجاه المصانع.

في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٤، أصبح بينيتو موسوليني الناطق بلسان الاشتراكيين غير الراضين عن الحياد «المطلق» للحزب. وفي سلسلة من الافتتاحيات التي نشرت في جريدة «آفانتي» دعا موسوليني الى مواقف اشتراكية مختلفة تجاه «القوى المركزية» و«التحالف». وقال أيضاً ان الاضراب العام الاشتراكي لا يمكنه ان يمنع الحرب، وأنه لا يمكن للاشتراكيين الايطاليين ان يتجاهلوا المسألة القومية، وخصوصاً في منطقة ترنتينو*:

«إذا كان مفهوم الأمة قد أصبح «بالياً»، واذا كان الدفاع الوطني قد اصبح منافياً للمنطق بالنسبة للبروليتاريا التي ليس لديها ما تدافع عنه، يجب ان تكون لدينا الشجاعة التي تسمح لنا بتوبيخ اشتراكيي بلجيكا وفرنسا الذين ووجهوا بالغزو الألماني فوحدوا أنفسهم ـ مؤقتاً طبعاً! ـ مع الأمة. وبالتالي علينا ان نستنتج بأن الاشتراكية الوحيدة الأصيلة والصحيحة والنقية في العالم هي الاشتراكية الايطالية. ولكن هناك أسباب كثيرة تجعل هذا النفاق غير ملائم!»(٩).

قليل من الاشتراكيين الايطاليين كان راغباً في الانضمام الى موسوليني في رفضه للحياد، ولكن العديد من الاشتراكيين الأصغر سناً وبعض المعتدلين من كبار السن

---

* منطقة في شمال ايطاليا متنازع على انتمائها القومي بين ايطاليا والنمسا (المعرب).

كانوا قد تأثروا لفترة بأطروحاته. وكان الديموقراطيون اليساريون، مثل سالفيميني متحمسين بوضوح:

«عزيزي موسوليني،

«كنت في القطار عندما قرأت مقالتك عن الحياد غير المطلق، وأشعر أني أرغب في تهنئتك عليها. وقد قادك حدسك الصحيح والقوي مرة أخرى الى الأمر الصحيح. لقد كان خرق حرمة الكلمة لانقاذ روح الأممية بحاجة الى غير قليل من الشجاعة في بلد الرهبان والثرثارين هذا»[١٠].

بعد ذلك بفترة قصيرة ظهر نقاش معقد حول الحياد على صفحات الأسبوعية الاشتراكية الصادرة في تورينو «إل غريدو ديل بوبولو». ونشر آنجيلو تاسكا مقالين في ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) و٧ تشرني الثاني (نوفمبر)، وساهم غرامشي بمقال معنون «الحياد الناشط والفاعل» نشر في عدد ٣١ تشرين الأول (اكتوبر)[١١]. ورأى تاسكا ان لمعارضة الحرب قيمتها كـ «أسطورة سلبية» تساهم في فصل الطبقات العاملة عن سلطة البورجوازية. على العكس من ذلك، رأى غرامشي ان الحياد الرسمي للحزب يعلّم «التنازل البوذي» عن العمل، وهو سلبية لا تتوافق مع طموحات الحزب للعب دور ناشط في الحياة الوطنية. وكان هذا موقف غير موفق عملياً في وقت كانت فيه البروليتاريا الايطالية تنمي «وعياً وطنياً» وشعوراً بالتضامن[١٢].

بهذا الدعم المتردد لموسوليني كان واضحاً ان غرامشي اعتقد ان الزعيم الرومانيولي ما زال اشتراكياً ثورياً. وشعر غرامشي ـ وافترض موافقة موسوليني ـ بأن الحرب ذاتها ستؤدي الى انهيار النظام البورجوازي: «لا ينكر موقف موسوليني (بل هو يفترض مسبقاً) أن على البروليتاريا ان تتخلى عن موقفها المعادي. وبعد فشل الطبقة الحاكمة أو انكشاف عجزها، يمكن للبروليتاريا ان تقضي على تلك الطبقة وأن تستولي على الدولة، هذا إذا كنت قد فهمت تصريحاته (تصريحات موسوليني) التي تتسم بشيء من عدم التنظيم»[١٣]. على العموم، هذا القول ليس نموذجياً. وعنصر الاستمرارية بين غرامشي الشاب وغرامشي المفكر الناضج هو التشديد على الدور الابداعي

والناشط الذي على الاشتراكية الايطالية ان تلعبه اذا كانت تريد تحقيق الامكانات الثورية.

ولكن دفاع غرامشي الكفء عن موسوليني لم يعمر طويلاً. وبعد ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر)، عندما بدأ موسوليني ينشر صحيفته «إل بوبولو ديتاليا» (شعب ايطاليا) الموالية صراحة للتدخل في الحرب، عارضه غرامشي وكل رفاقه*. في الشهر نفسه، وافقت الأكثرية الحيادية في فرع تورينو على قبول غرامشي كمساهم منتظم في تحرير صحيفتها الاسبوعية «إل غريدو ديل بوبولو»(١٤).

روابط غرامشي الأولى داخل الحزب قامت مع الجناح «الامتناعي» (عكس «التدخلي») الثوري، الذي يقوده آماديو بورديغا من نابولي. وكانت معارضة بورديغا للحرب أكثر كمالاً ومنطقية من معارضة قيادة الحزب، وكان بورديغا قد حدد موقفه من خلال سلسلة من المقالات التي نشرها في صحيفة «آفانتي» بين عامي ١٩١٤ - ١٩١٥، والتي أكدت - كما فعل لينين - الطبيعة الامبريالية للحرب(١٥). وانضمام غرامشي الى هذا الجناح كان بداية صعوده داخل الحزب، الذي سهله استبعاده من الخدمة العسكرية بسبب اعتلال صحته. وفي بداية عام ١٩١٦ بدأ غرامشي يكتب الأخبار المحلية وأعمدة المسرح للطبعة الصادرة في تورينو من صحيفة «آفانتي»، الى جانب عمله في «إل غريدو ديل بوبولو»(١٦).

زيمروالد وكينيتال

تماماً كما أدت اضرابات عمال المعادن الكبرى في عامي ١٩١٢ - ١٩١٣ الى بروز الالتزام النضالي الاقتصادي للحركة العمالية في تورينو، أدت أحداث أيار (مايو) ١٩١٥ الى بروز الالتزام النضالي السياسي. وقدمنعت الاجتماعات «العامة» وفرضت الرقابة على الصحف والمطبوعات الأخرى منذ اليوم الذي دخلت فيه ايطاليا الحرب.

---

* Tasca, «La Storia», p.4

ويؤكد آلدو رومانو - عن حق في رأيي - ان تاسكا لم يكن محقاً في نسبة الموقف «التدخلي» الى غرامشي، حتى في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٤. وكان غرامشي يتكلم جدياً عن «الحياد الناشط الفاعل» وان لم يكن موسوليني يفعل ذلك. سبريانو (Torino operaia., p. 90) يبرز ان تاسكا وأوتافيو باستوري كتبا الى موسوليني بأمل ثنيه عن انشقاقه النهائي عن الحركة الاشتراكية. - وأجاب موسوليني بطريقته المعهودة: «Alea jacta est. وعلي أن أتكلم الى الجماهير كل يوم».

ولكن النقاش السياسي لم يتوقف داخل التنظيمات الاشتراكية. وفي تورينو، كما في كل مكان آخر، اتخذ الاشتراكيون موقفين من الحرب. وبينما رفض القادة المعتدلون الدعم المباشر للحرب فإنهم أصرّوا على أن ليس من مهمة الحزب إضعاف البلاد بل حماية البروليتاريا من الاستغلال. وكان هذا هو أيضاً موقف إدارة الحزب: «لا الدعم ولا التخريب». الجناح اليساري أراد ـ من ناحية أخرى ـ تملصاً كاملاً من «الحرب البورجوازية»، ورفض هذا الجناح المشاركة في الكتائب العامة التي أنشئت للتعامل مع الجهد الحربي حتى وإن كانت هذه المشاركة تفيد الطبقة العاملة. وفي أواخر عام ١٩١٦ اتخذ هذا الجناح موقفاً يكاد يقرب من الانتفاضة[١٧].

في تورينو سيطر الجناح اليساري على الفرع، سواء مباشرة او بصورة غير مباشرة، وذلك منذ بداية الحرب وحتى آب (أغسطس) ١٩١٧. ولم يكن هذا بالأهمية التي كان يمكن ان يكون عليها، إذ أن النواب الاشتراكيين عن مقاطعة بييمونتي، والاشتراكيين في مجلس المدينة، والعديد من قادة العمال في تورينو، كانوا معتدلين. بالاضافة الى هذا، لم يكن لفرع الحزب في تورينو إلا أقل من الف عضو في عام ١٩١٥. ومع ذلك، فقد تكلم اليسار باسم أكثرية عمال تورينو خلال الحرب، كما دلت على ذلك أحداث ١٩١٧.

وسمى قادة اليسار أنفسهم «المتصلبون الصارمون». وكان لفرانشيسكو باربيريس، الذي ربما كان أشهرهم، «حماسة المدافع عن حقوق الشعب»[١٨]. وكان دوره في إضراب عمال النسيج عام ١٩٠٦ قد جعله شهيراً، وكانت لحرارة خطاباته بالعامية شعبية في المدينة[١٩]. وكان بييترو رابيتزانا قد جاء الى الاشتراكية من الحزب الجمهوري وكثيراً ما كان يطرح أفكاراً قريبة من أفكار النقابوية الثورية. وكان من بين زعماء اليسار الآخرين كل من: جوفاني بويرو وهو عامل لا يثق بالمثقفين ولا بالتشديد المبالغ على المهمات «الثقافية» للحزب، وإلفيرا تزوكّي التي عرفت بعملها في الحركة النسائية وبـ « انهزامية» غير قابلة للمساومة، أي بالمعارضة الكاملة للجهد الحربي. وربما كانت تتحدث الى الكثير من زملائها المتصلبين عندما قالت: «لقد جئت الى الاشتراكية أساساً من خلال العاطفة، ومن خلال غريزة العصيان تلك السائدة بين كل أفراد الطبقة العاملة»[٢٠].

كان متصلبوا تورينو في البداية عاجزين عن تنظيم أي برنـامج فـاعل لمعـارضة الحرب، وربما كان ذلك يعـود جزئيـاً الى ازدرائهم للتعاون مـع الطبقـات الوسـطى الحيادية في المدينة[٢١]. وكان هؤلاء أكثر نجاحاً في مجال الأممية البروليتارية. بحلول عـام ١٩١٥، كانت الأمميـة الثانيـة قد اختفت تقـريباً، وسـرعان مـا بذلت الجهـود للاستعاضة عنها بطريقة أو بأخرى، وساهم الحزب الاشتراكي الايطالي الى حد كبير في نجاح هذه الجهود. واستناداً الى غويدو ماليولي فإن «الاشتراكية الايطالية كتبت في تلك السنوات أنقى صفحات تاريخها وأكثرها جاذبية. . وكانت قد تميزت مرة أخرى عن اشتراكية معظم البلدان الأخرى»[٢٢].

في تموز (يوليو) ١٩١٥، التقى أودّينو مـورغاري وآنجيليكـا بالابـانوف في بـرن باشتراكيين روس وبولونيين وسويسريين، بهدف التخطيط لمؤتمر يضم كافة المنظمات الاشتراكية، سواء من البلدان المحايدة ام تلك المحاربة، والتي حافظت على معارضتها للحرب. وأعلنت كل أجنحة الحزب الاشتراكي الايطالي تأييدها لمثل هذا الاجتماع. وفي ٥ أيلول (سبتمبر) افتتح المؤتمر في قريـة زيمروالـد الجبلية السـويسريـة. وحضر الاجتماع ٤٠ وفداً يمثلون ١٣ بلداً بالرغم من أن الوفود الألمـانية والفـرنسية كـانت تنتمي الى الأقلية المعارضة داخل أحزابها. وكان المندوبون الايطاليون هم: بالابانوف ومورغاري وج. م. سيرّاتي وكوستانتينو لاتزاري وج. إ. موديلياني. وانقسم المؤتمر حول اقتراح لينين بتحويل الحرب الرأسمالية الى حرب ثـورية، وأيـد معظم الـوفود الموقف الايطالي الذي شدد على الاجراءات التي لا تستهدف غير إنهاء الحرب. على العموم، فإن الجميع، بمن فيهم لينين، أيدوا ما سمي «بيان زيمروالد»[٢٣]. ووصف هذا البيان الحرب بأنها نتاج للامبريالية. وأدان الأحزاب الاشتـراكية التي تخلت عن النضال الطبقي وقبلت الحرب. ودعا البيان الى عمل جماهيري يستهدف إنهاء الحرب ويؤدي الى تسوية سلمية دون عمليات ضم للأراضي او دفع تعويضات عن أضرار الحرب.

ونشر سيرّاتي، رئيس تحرير صحيفة «آفانتي»، بيـان زيمروالـد بالـرغم من يقظة المراقبين[٢٤]. وفي مساء ١٣ تشرين الأول (اكتوبر)، أرسل سيرّاتي صفحات الجريدة الأربع الى رقيب ميلانو كما يستدعي القانون فوافق هذا عليها. وما أن عادت النسخة

حتى استبدل سيرّاتي الصفحة الثانية «البريئة» بصفحة تضم بيان زيمروالد وأخبار أخرى عن المؤتمر. ووزعت الطبعة في كل أنحاء ايطاليا عدا ميلانو، وحتى في فرنسا*.

كل بنى الاشتراكية الأيطالية (إدارة الحزب و«الاتحاد العام للعمل» والادارات الاشتراكية المحلية) وافقت على أعمال زيمروالد. وفي تورينو أعلن برونو بووتزي تأييد «اتحاد موظفي وعمال المعادن» لقرارات زيمروالد[٢٥]، وتبنى الشباب الاشتراكيون شارة للصدر تحمل الأحرف FAZ التي ترمز الى «اتحاد زيمروالد الألبي»[٢٦]. وأشاد غرامشي بالمؤتمر كدليل على أن قصور «المكتب الاشتراكي الأممي» في بروكسل لا يعني نهاية الأممية البروليتارية:

«إن الأممية بالنسبة لنا هي عمل روحي، إنها الوعي بالوحدة التي لبروليتاريّ العالم (عندما تكون لديهم)... انها نوع من القوى الموحدة التي تناضل باتفاق مشترك، وإن بتنوع في الصيغ الوطنية، من أجل هدف واحد مشترك ألا وهو إحلال الاشتراكية محل الحضارة البورجوازية»[٢٧].

وعقد مؤتمر ثان في كينيتال في سويسرا، في شهر نيسان (أبريل) ١٩١٦، وكان أكثر جذرية من المؤتمر الأول. وأدان هذا المؤتمر السياسات الموالية لـ « التحالف» التي يتبعها مكتب بروكسل. وبناء على اقتراح لينين ناقش المؤتمر هجر الأممية الثانية وتشكيل الأممية الثالثة. وكان لينين مدعوماً بسيرّاتي وبالابانوف، ولكن الأكثرية رفضت الانفصال التام عن مكتب بروكسل[٢٨]. وفي ٢١ حزيران (يونيو) ذهب سيرّاتي الى تورينو لكي يحاضر عن دروس زيمروالد وكينيتال. وبكلمات غرامشي، فان هذا كان دليلاً على «أن الرحم الذي انطلقت منه الحركات البروليتارية لم يجدب بعد، وأن ما من عملية جراحية بورجوازية يمكنها ان تجعله عقيماً»[٢٩]. وبعد سنوات، امتدح غرامشي سيرّاتي للنجاح الكبير الذي حققته جهوده للمحافظة على وحدة الحزب بينما كان يرفض الحرب، ووصفه بأنه «أنبل ممثل للمدرسة القديمة

---

* لم تتخذ أية إجراءات ضد سيرّاتي لأن الحكومة كانت تخشى ان تؤدي مثل هذه الخطوة الى زيادة المقاومة البروليتارية للحرب.

للاشتراكية الثورية الايطالية»[٣٠].

بعد كينيتال ازدادت النشاطات السياسية الاشتراكية في تورينو. وألقى بييترو رابيتزانا سلسلة من المحاضرات حول «وحدة العمال في العالم»، التي قال أن لها الأولوية على الأممية، وهاجم الاشتراكية المعتدلة وأشاد بالنقابات كقاعدة للثورة الاجتماعية. وفي أيار (مايو) ١٩١٦، أصبحت ماريا جوديشي، وهي متصلبة غاية في السذاجة، رئيسة تحرير «إل غريدو ديل بوبولو» وبدأت هجوماً شاملاً على المعتدلين. وعلى شكوى بأن الصحيفة أصبحت مغرقة في البساطة، ردت جوديشي تقول: «ما زالت «إل غريدو» أقل بساطة مما يجب، وأقل سهولة مما يجب، وأقل وضوحاً مما يجب. إن الدعاية توجه الى الأكثر تواضعاً من بين الجماهير، الذين اعتادوا ان يقرأوا الأقل من الكتب النظرية والأكثر من كتب الحياة... وبنظريات أو بدونها، فإن الجماهير عندما «تشعر» أنها اشتراكية تتصرف كاشتراكية»[٣١]. ولم يكن غرامشي الشخص الذي يمكنه ان يتعاطف مع مثل هذه السياسة، ولم يكتب بعد ذلك أكثر من أربع مقالات لـ « إل غريدو»، حتى أصبح هو نفسه رئيساً للتحرير فيها في آب (أغسطس) ١٩١٧. خلال هذه الفترة كان نشاطه الصحافي مقتصراً على كتابة صفحة تورينو في «آفانتي».

عمل غرامشي في عام ١٩١٦

حتى صيف ١٩١٧ لم يشترك غرامشي مباشرة في النقاشات السياسية داخل فرع تورينو. ولكن الواضح، على العموم، ومن خلال عمله الصحافي، أنه لم يكن متعاطفاً مع الطرق التي يتبعها المتصلبون ولا مع متاعهم الايديولوجي، بالرغم من انه كان يشاركهم بالتأكيد الكثير من أهدافهم. ولكنه كان أكثر بعداً عن الاصلاحيين القلائل في فرع تورينو. أما الاشتراكيون الشباب الذين كانوا أقرب اليه فقد استدعوا الى الخدمة العسكرية في عام ١٩١٦، خصوصاً منهم، تاسكا وتيراشيني وتولياتي. نتيجة لذلك، كرس السارديني الشاب نفسه كلياً للعمل في الصحافة الاشتراكية التي كانت مصدر رزقه الوحيد. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ بدأ يكتب عموده الخاص في صفحة تورينو في «آفانتي». ويصف سبريانو هذا العمود بأنه كان يشكل «درساً

يومياً رائعاً بصيغة صحافية قوية كانت جديدة على صحافة الحزب»[٣٢]. وبعد سنوات، اقترح البروفسور أومبرتو كوزمو ان يجمع غرامشي مقالاته وينشرها[٣٣].

ودلت تلك المقالات على اهتمام عميق بالمظاهر الثقافية والتربوية للاشتراكية. وكانت إحدى هذه المقالات المميزة قد نشرت في حزيران (يونيو) ١٩١٦ بعنوان «الاشتراكية والثقافة»[٣٤]. وتهاجم المقالة النزعة التي كانت سائدة في تورينو والداعية الى معارضة «الثقافة والانغماس الفكري» (intellectualism) والى الاتجاه في منحى «الممارسة والواقع التاريخي اللذين تستخدمهما الطبقة [العاملة] لصنع المستقبل بيديها». ويشدد غرامشي في المقالة على الجدلية الابداعية بين النضالات اليومية للعمال ومستواهم الايديولوجي. ووجد غرامشي أساساً لموقفه في تأكيد فيكو على ان الوعي بالمساواة الانسانية إنما أنتجته الجمهوريات الديموقراطية في الأزمنة القديمة.

وعلى العموم، فإن غرامشي لا يعني بالثقافة ـ المعرفة الانسيكلوبيدية (معرفة دائرة المعارف). فهو يقول أن التعليم وحده لا يؤدي إلا إلى شعور زائف بالتفوق. وهكذا، فإن أي طالب او محام ينظر الى الأسفل باتجاه «أفضل العمال المهرة الذي يكون التنفيذ الدقيق والضروري لعمله اكثر استحقاقاً مئة مرة مما يفعل الآخرون»[٣٥]. ويؤكد غرامشي ان المعرفة الذاتية ومعرفة حقوق المرء وواجباته التاريخية لا تأتي بشكل عفوي:

«.. بل بالتأمل الذكي، أولاً لدى قلائل ثم لدى طبقة بأسرها، في سبب وجود الشروط المعيارية وفي الطريقة الأفضل لقلب الحقائق الاقطاعية وتحويلها الى اشارات للثورة واعادة البناء الاجتماعي. وباختصار، ما من ثورة إلا وسبقها تفكير ناقد حاد، وانتشار للثقافة، وسريان للأفكار بين الرجال الذين كانوا معرضين أولاً عن الاستماع، الرجال المهتمين فقط بحل مشكلاتهم السياسية والاقتصادية الخاصة بهم، الرجال الذين لا شعور لديهم بالتضامن مع الآخرين الذين يعيشون الشروط نفسها»[٣٦].

وهكذا، فإن «الاستنارة» أعطت أوروبا كلها «وعياً موحداً، وروحاً بورجوازية أممية، وحساسية تجاه المحن وحالات سوء الحظ المشتركة، كانت هي التحضير الأفضل

للثورة الفرنسية الدموية التي تلت». وهكذا يجب على الطبقة العاملة ان تخلق «استنارتها» المبنية على معرفة «الآخرين» لتاريخهم والجهود المتتابعة التي بذلوها ليصبحوا ما هم عليه، ولايجاد الحضارة التي أوجدوا والتي نحاول استبدالها بحضارتنا»[٣٧].

وفي مقالات أخرى يستنكر غرامشي التشديد المعاصر في التعليم على التعلم من الكتب وليس من ما يسميه «الروح الابداعية»[٣٨]. وقد عارض غرامشي التعليم التقني الصافي للعمال باعتباره لعبة في أيدي الصناعيين البورجوازيين[٣٩]. وفي المقالة التي تحتفل بالذكرى العاشرة لأول اضراب هام لعمال النسيج في تورينو رأى غرامشي ان الاضراب كان قبل كل شيء درساً في الوعي الطبقي. وقد أصبح العامل الآن (١٩١٦) «محارباً من أجل فكرة. أصبح صليبياً في طريقه الى فتح الأرض الموعودة. فهو يعرف ما يريد، وقد رص صفوفه وأجبر اخرين على الاعتراف بقيمه.. في حين كان حتى زمن قصير مضى، ذليلاً ومستسلماً»[٤٠].

وكان أفضل تعبير لغرامشي عن المفكر الاشتراكي المثالي كمعلم قد ورد في امتداحه لشارل بيغى. ورأى غرامشي في بيغي رجلاً «يرهق نفسه في صراع يومي من أجل التعليم الداخلي للآخرين مضحياً بشخصيته الفنية لكي يمنح شباب فرنسا وعياً جديداً». وتخيل غرامشي أن بيغي ـ مثله ـ توقع أن لا يأتي تحرير المجتمع من قيم الفساد إلا «من الأعماق، من أدنى الطبقات الاجتماعية»[٤١].

وتشديد غرامشي في مقالة «الاشتراكية والثقافة» على «التضامن مع الآخرين الذين يعيشون الشروط نفسها» يعكس بلا شك اهتمامه المستمر بجنوب ايطاليا. وفي مقالة أخرى نشرت في عام ١٩١٦ امتدح غرامشي آرتورو لابريولا ووصفه بأنه النائب الوحيد الذي يملك من الشجاعة ما يكفي لاثارة مسألة تأثيرات الحرب على الجنوب[٤٢]. وأكد غرامشي ان التنشيط الملحوظ الذي أدت اليه الحرب في نمو رأس المال سيزيد من اتساع الثغرة الاقتصادية القائمة بين الشمال والجنوب، إذ أنه «حيث كان المصنع موجوداً استمر في النمو من خلال الاستثمار، أما حيث تواجه كل مؤسسة مصيراً مشكوكاً فيه او متقلباً فان التوفيرات... توظف حيث يمكن استخدامها

فوراً». وبالرغم من ان حكومة سالاندرا وعدت بخطة جديدة للجنوب بعد الحرب، فإن غرامشي قال ان هذه الخطة سوف «تنسى، ككثير من الخطط الأخرى التي وضعت في الماضي».

المدينة المستقبلية

الأكثر أهمية بكثير من كتابات غرامشي المبكرة كان «المدينة المستقبلية»، وهي عبارة عن بحث قصير نشره «اتحاد الشباب الاشتراكي» في بييمونتي، مطبوعاً كالصحف اليومية، في ١١ شباط (فبراير) ١٩١٧ كجزء من حملة لتنشيط الانتساب. ويمكن النظر الى هذا البحث كموجز وتجميع للتدريب الذي حصل عليه غرامشي في الجامعة، ولخبراته في الحركة الاشتراكية الايطالية. وهو يقدم ايضا اشارة مثيرة للاهتمام الى أفكاره عشية ثورة شباط (فبراير) في روسيا. وموضوع «المدينة المستقبلية» يدور حول إيمان غرامشي بقوة الارادة، التي يوجهها التحليل الذكي للواقع، والتي يضبطها حزب سياسي قوي، لكي تجري تغييرات جذرية في المجتمع والدولة. وبكلمة مختصرة، فإن اهتمامه ينصب على «تقاليد ماتزيني من ناحية التعبير الاشتراكي»[٤٣].

المقالة الرئيسية المعنونة «ثلاثة مبادىء... ثلاثة نظم»، تقول بأن الثورة الاشتراكية سوف تتحقق في ايطاليا قبل تحققها في الدول المتقدمة في أوروبا الغربية، وتحديداً نتيجة لتخلف ايطاليا. هذه الأطروحة كانت تشكل هجوماً مباشراً على الاصلاحيين الايطاليين، الذين كانوا يصرون على ان ايطاليا لن تصبح اشتراكية إلا بعد أن «تنضج» الرأسمالية الايطالية ودولتها الليبرالية. ودعم غرامشي مقولاته بتحليل للمشكلات التالية: الارادة كعامل في التغيير المؤثر، والدولتان الانكليزية والالمانية كتعبيرين عن الرأسمالية الناضجة، والمقارنة بينهما والدولة الايطالية[٤٤].

واستنادا الى غرامشي، فإنه لكي يكون النشاط الانساني فاعلاً لا بد ان يكون له هدف قابل للتحقيق. وهذا صحيح خصوصاً بالنسبة للنشاط الاشتراكي، نظراً لأن على الاشتراكية ان تتجاوز تردد الجماهير في المخاطرة بالفوضى التي قد ترافق الانتقال الى مجتمع جديد. وفي محاولة «الاشتراكيين الطوباويين» لتجاوز هذا التردد فإنهم

حـددوا مجتمعهم المستقبـلي بكـل تفـاصيله. ولكن تعقيـدات الأحـداث جعلت من المستحيل التنبؤ بالمستقبل الى هذا الحد من الكمال، وبـالتالي فـإن من الصعب إقناع الناس بالعمل لإحداث مثل هذا النوع من الطوبـاويات. ومـا من صعوبـات مماثلة ترافق دعم فكـرة ما، أو مبدأ قانوني، أو «قانون» أخلاقي، نظراً لأن هذه يمكن ان تفهم بمعزل عن الطبيعة، المحددة للمجتمع الذي تتجسد فيه. وهكذا، فإن رجـال ثورة ١٧٨٩ الفرنسية لم يحاولوا إقامـة النظام الـرأسمالي، بـل كان هـدفهم هو نشـر «حقوق الانسان».

والمؤكد هو أن البورجوازية كانت في النهـاية أكـثر المستفيدين من الثـورة. ومع ذلك، فقد كان ينظر الى المبادىء التي أقامتها الثورات البورجوازية على أنها عقـلانية وكونية شاملة، وبالتالي يمكن تطبيقهـا على كـل الناس. وعـلى أساس هـذه المبادىء أقيمت «الدولة الأخلاقية»، وهي دولة تقوم مثالياً فوق مصالـح الأشخاص المعينـين والطبقات المعينة. هذه الدولة كـانت دولة مثـالية وليس واقعـاً، وعلى العمـوم، فإن صفتها المثالية بالتحديد هي التي مدّتها بالقوة وجعلت منها قوة محافظة قوية. وبأمل أن تتحقق هذه الدولة المثالية أخيراً بكمالها التام، امتنع الكثيرون عن العمل للاطاحة بها.

وكـانت انكلترا والمـانيا المعـاصرتـان تقدمـان أفضـل الأمثلة عن هـذه الـدولـة الأخلاقية. وبالمعنى الشكلي بدت هاتـان الدولتـان مختلفتين إحـداهما عن الأخـرى، ولكن كان لكل منهما أجهزة سياسية قوية يفترض أنها فوق مصالح مواطنيها الأفراد. وكانت الليبرالية هي المفتاح الرئيسي للدولة البريطانية، في حين ان السلطة، بمساعدة العقل، كانت تقود الدولة الألمانية.

وبرزت الليبرالية في انكلترا كنتاج للنضال من أجل الحريات الدستورية، وهي أكدت ان الحقيقة تنبع من التنافس الحـر للأفكـار، وأن القوة الاقتصـادية تنبـع من التطور العفوي للقوى الانتاجية. وهكذا، فـإن لويـد جورج قـال في تعليق له عـلى الاقتراحات الاشتراكية بعد الحرب بقليل ان الحكومة الاشتراكية لن توجد إلا عندما يثبت الاشتراكيون، واذا أثبتـوا، في سوق الأفكـار السياسيـة، انهم الحزب الأقـوى

والأقدر. هذا التصريح الذي بدا مذهلاً للايطاليين، الذين كانوا يرون حكومتهم غير ذات علاقة بالقوى الحيوية للبلاد، «لم يكن بلاغة فارغة»، فهو يشير الى حق اكتسبه الشعب الانكليزي خلال قرنين من النضال السياسي.

على العكس من ذلك، كانت الدولة الألمانية سلطوية. وهي استهجنت التنافس الحر للقوى السياسية العاملة باعتباره غير فاعل، وفضلت برنامجاً ثابتاً يقوم على العقل. ولم يكن للبرلمان الألماني أية قوة حقيقية. وكان البرلمان موجوداً فقط لأن إنساناً واحداً لم يكن يمكنه ان يؤكد عقلانياً عصمة السلطة التنفيذية، وكان يمكن للمناقشة البرلمانية ان تدفع الحقيقة الى البروز. ومع ذلك، كان الظلم نادراً في المانيا وكانت مصالح كافة الطبقات محمية.

هاتان «الدولتان الأخلاقيتان» كانتا تشكلان النموذجين الأساسيين للأحزاب الليبرالية والمحافظة في ايطاليا، وكانت انكلترا هي النموذج لليبراليين وألمانيا هي النموذج للمحافظين. ولكن ايطاليا لم تكن قد مرّت أبداً بمرحلة التطور السياسي والاقتصادي التي أوجدت انكلترا أو المانيا الحديثتين، وبالتالي فإن كلا النموذجين كانا استباقاً توقعياً. وأسوأ من ذلك فإن مضمونها كان يعني ان على البروليتاريا الايطالية ان تضحي بمصالحها الاقتصادية والسياسية لكي تتم إقامة الدولة الايطالية الجديدة بأقصر زمن ممكن. وكان الليبراليون والمحافظون يميلون الى تحويل الفوضى الإيطالية الراهنة الى نظام جديد، ولكن هذا النظام الجديد لم يكن يمكن التوصل ايه إلا إذا بقيت قوة الاشتراكيين محدودة.

على العموم، بالنسبة لغرامشي، كان غياب النظام السياسي عن ايطاليا هو «المصدر الأكبر لطاقة الاشتراكيين ونضالهم»:

«في البلدان التي لا تجري فيها نزاعات مكشوفة، وحيث لا تداس القوانين الأساسية للدولة، وحيث لا ترى الاجراءات الاستبدادية للطبقة السائدة، يفقد الصراع الطبقي خشونته، ويفقد النضال الثوري اندفاعه وحالات تردده... وحيث يوجد النظام، يكون من الأصعب تقرير استبداله بنظام جديد».

ولم يكن على الاشتراكيين الايطاليين استبدال نظام قديم بآخر جديد، بل

الاكتفاء بخلق نظام حيث لم يوجد نظام قبلا. وكان على النظام الايطالي أن «يمنح كل مواطن فرصة إرضاء الذات». وهو ما يبطل الامتيازات التقليدية للطبقات الايطالية الحاكمة. ونظراً لأن «كل مبادىء البرنامج الاشتراكي الأقصى ترتبط عضوياً بهذا المبدأ، فإن البرنامج ليس طوباوياً. . . بل يمكن دفعه الى الأمام بالارادة». وفي تلك الظروف، اعتقد غرامشي أن النظام الاشتراكي «سيتحقق في ايطاليا بأسرع مما يفعل في أي بلد آخر».

لقد أوجزت هذه المقالة بتفصيل ملحوظ لأنها تقدم إطاراً لكل الكتابات الأخرى في «المدينة المستقبلية» ولأنها تشير الى قوة الميول «المثالية» و«الارادية الطوعية» عند غرامشي تلك الأيام، والتي كثيراً ما انتقد بسببها من قبل أعدائه في الحزب الاشتراكي[٤٥]. ومقالة «ثلاثة مبادىء. . .» بحد ذاتها ليست مؤثرة، فالكثير من أفكارها لم يطور بصورة كافية، وتبقى استنتاجاتها، مهما كانت مثيرة للاهتمام، ضعيفة تحليلياً. اما المقالات الأخرى في «المدينة المستقبلية» فأقل عظمة وأكثر تدنّياً.

في «اللامبالون» يهاجم غرامشي ببلاغة وقوة حجة اولئك الذين يرفضون زج أنفسهم في الحركات السياسية القائمة[٤٦]. وتشكل هذه المقالة تصريحاً واضحاً بمعارضته الدائمة للحتمية التاريخية:

«يبدو ان التاريخ ليس إلا ظاهرة طبيعية هائلة، بركاناً، زلزالاً، نحن كلنا ضحاياه، سواء منا صاحب الارادة أم اللامبالي. ويصبح هذا الأخير مهتاجاً، إنه يريد ان يفصل نفسه عن النتائج ليجعل من الواضح أنه لم يكن راغباً في الأمر وليس مسؤولاً عنه. . . ولكن أحداً تقريباً لا يسأل نفسه: «لو فعلت انا ايضا واجبي، ولو سعيت الى جعل ارادتي ورأيي يتغلبان، هل كان لهذا ان يحدث ؟»».

المقالة التالية تحث الشباب على الانضمام الى «اتحاد الشباب الاشتراكي». وبالنسبة لغرامشي، كان الانضمام الى حزب سياسي يمثل الطريقة الأكثر فعالية للتأثير على مسار التاريخ.

«ان الانضمام الى حركة ما يعني تحمل جزء من مسؤولية الأحداث المقبلة. . والشاب الذي ينضم الى حركة الشباب الاشتراكي يقوم بفعل استقلال وتحرير. ان

يضبط الانسان نفسه يعني ان يحقق لها الاستقلال والحرية. ولا تكون المياه صافية وحرة إلا عندما تنساب بين ضفتي جدول او نهر، وليس عندما تتبدد فوضوياً على التربة»[٤٧].

وبالروح المضادة للحتمية نفسها هاجم غرامشي الاصلاحيين الاشتراكيين أتباع كلاوديو تريفيز:

« ان الحياة بالنسبة لهم (للاصلاحيين) مثل قمة جليدية ترى عن بعد وهي تنهار دون ان يوقفها شيء. ويتساءل القزم: «هل أستطيع إيقافها؟». ويجيب: «لا، إنها لا تستجيب لأية إرادة. ونظراً لأن القمة الجليدية الانسانية لا تتبع منطقاً قد لا يكون منطقي، ونظراً لأني كفرد لا أملك القوة اللازمة لوقفها أو لتحويل مسارها، أجدني مقتنعاً بأنها لا تملك منطقاً داخلياً، بل هي تستجيب لقوانين طبيعية لا يمكن خرقها»[٤٨].

واستنادا الى غرامشي، فإن هذا النوع من الحتمية دمرته أزمة أواخر القرن التاسع عشر في الفكر العلمي، التي أدت الى الحد من الطريقة العلمية لمعالجة تلك المشكلات التي كانت مؤهلة لحلها. لقد تمكنت الاشتراكية من الاستمرار في الحياة خلال تلك الأزمة وبعدها: «لقد حلت الارادة القوية للانسان محل قانون الطبيعة والمسار المصيري العلمي الزائف للأمور. الاشتراكية لم تمت، لأن الرجال الذين لهم إرادة قوية تجاهها ما زالوا موجودين»[٤٩]. هذا الحكم «الذاتوي» الى حد كبير هو نتيجة للتدريب الذي عرفه غرامشي في حقل الفلسفة المثالية*.

واستكملت تلك الجريدة بمقالات وملاحظات عديدة أخرى حول مشاكل الثقافة والمجتمع الايطالي، بما في ذلك كتابات مختارة من أعمال سالفيميني وكروتشي وآرماندو كارليني. وتشكل «المدينة المستقبلية»، بالرغم من عدم نضوجها التعبيري، وثيقة هامة في حياة غرامشي. انها تمثل جهده الأول للتعامل مع بعض القيم الأساسية التي

* بعد سنوات، وفي عام ١٩٣١، لاحظ غرامشي (G. to Tatiana, 18. iv. 31, Lettere[1], p. 124) أن «الايمان شبه الديني للغرب بالعلم» دمرته الفلسفة الحديثة، «وكارثة الديموقراطية السياسة». هنا يكون «الحد» من العلم، بالرغم من كونه ما زال مقبولاً كحقيقة تاريخية، ينظر اليه بوضوح كأمر مؤسف.

جعلت منه فيها بعد شخصية بارزة في اليسار الايطالي: موقف قوي مضاد للحتمية، وإيمان بأهمية التخطيط، وتشديد على الانضباط السياسي، والتزام بفلسفة المثاليين الايطاليين وخصوصاً كروتشي الذي وصفه غرامشي بأنه «أعظم مفكر في أوروبا في هذا الوقت»(٥٠).

انتفاضة آب (أغسطس)

مباشرة بعد نشر «المدينة المستقبلية» ذهبت مشاركة غرامشي في الحركة الاشتراكية الى أبعد من العمل الصحافي البحت. وفي ٢١ آب (أغسطس) ١٩١٧ قامت الانتفاضة الكبرى في تورينو مطالبة «بالسلم والخبز»، ووصف غرامشي هذه الانتفاضة اليائسة بأنها «نضال ثوري مسلح على مستوى واسع»، وسمى تورينو «بتروغراد الثورة البروليتارية الايطالية»(٥١). أما السلطات فكانت تشير الى الانتفاضة بالجملة المعهودة «أحداث تورينو» مقللة من سمتها السياسية(٥٢). ولم تكشف حقائق تلك الانتفاضة إلا أخيراً من خلال العمل الذي قام به مونتيكوني وآفيغدور وسبريانو وتزوكارو وأمبروسولي(٥٣). وترجع الانتفاضة في أصولها الى أيلول (سبتمبر) ١٩١٦ على الأقل، عندما اعتقل عدد من المتظاهرين في اجتماع عقدته «الجمعية العامة للعمال» في تورينو للاحتجاج على حكم بالاعدام صدر بحق الفوضوي كارلو تريسكا. ويشير تقرير (أو «حكم») المحكمة العسكرية الاقليمية حول أحداث آب (أغسطس) ١٩١٧ الى هذا الاجتماع قائلاً أنه «الأول في سلسلة من الاجتماعات الخاصة بالاسم والعامة في الواقع، التي عقدت بتوال زمني سريع»(٥٤). بعد أيام قليلة، اعتقل كل من ماريا جوديشي وأومبرتو تيراشيني لتوزيعهما منشورات عن اجتماع كينيتال. وسرعان ما جنّد تيراشيني وأرسل الى الجبهة.

كان الفوضويون قد أعلنوا أعنف إدانة للحرب. وأحد بيانات الفوضويين النموذجية (بتاريخ ٢١ أيلول/سبتمبر ١٩١٧) حث على الثورة فوراً:

«ألم تقتنعوا بعد بأن هذه الحرب التي تخص الأسر الحاكمة، هذه الحرب البورجوازية، هذه الحرب التي راحت تدمر ثمار عملكم الشاق وتقتل أطفالكم منذ أكثر من سنتين، لا يمكن وضع حد لها إلا بمواجهة العنف البورجوازي بالعنف

البروليتاري؟. . . إن تقدمكم الاجتماعي لن يتم إلا بثورة اجتماعية. . احملوا في الشوارع وخلف المتاريس وفي المعارك ضد السلطات البنادق التي صنعتها البورجوازية لقتلكم. . . أيها البروليتاريون، قوموا بفؤوسكم ومعاولكم الى المتاريس، الى الثورة الاجتماعية ! إن عدوكم ليس عند ما يسمى بالحدود، بل هو هنا! ليس لكم وطن أم لتدافعوا عنه، بل لكم أن تدافعوا عن حياة البروليتاريا، البروليتاريا الجريحة برصاص البورجوازية والعسكر. أيها العمال، إن الدرب الذي اختطته الحكومة لكم هو درب الثورة ! أعدوا أسلحتكم، واتخذوا مواقعكم، ولتبدأ المعركة»[٥٥].

كذلك دعا الشباب الاشتراكي الى «ساعة العمل»، وبدأ المتصلبون الاشتراكيون حملة أكثر كثافة ضد المعتدلين. وفي اجتماع عقد في ٢٢ أيلول (سبتمبر) في «الجمعية العامة للعمال» حذر باربيريس المستمعين من أن عليهم «أن يفضلوا الذهاب الى السجن على الموت في الخنادق. . وصارت الحاجة اليوم الى الأفعال لا الى الأقوال. علينا ان نستمر في جهودنا لجعل الاشتراكيين في ايطاليا وأوروبا يفهمون أننا بالقوة فقط نستطيع تحقيق السلام وتدمير الامبريالية والروح العسكرية»[٥٦].

ولكن «المتصلبين الصارمين»، الذين لم يتمكنوا من إقناع الأكثرية في الفرع باتباع خطواتهم، فقدوا السيطرة على اللجنة التنفيذية بفارق ضئيل في نهاية عام ١٩١٦. ولكن القيادة الجديدة، كتلك القديمة، أيدت المعارضة الشاملة للحرب. والواقع ان حاكم تورينو طلب الاذن من وزير الداخلية بحل فرع الحزب في المدينة، وكذلك حل «غرفة العمل» واتحاد الشباب، ولكن الطلب لم يحظ بالموافقة[٥٧]. وبالرغم من وجود المتصلبين في موقع الأقلية داخل الفرع فإن خطهم السياسي بقي له نفوذ واضح. وفي الواقع فإن مندوبي تورينو الى المؤتمر الاشتراكي الذي عقد في روما في ٢٥ ـ ٢٧ شباط (فبراير) ١٩١٧ كانوا كلهم من المتصلبين (رابيتزانا وباربيريس وجوديشي وكارلو كيابّو)، وقد أيدوا مشاريع القرارات المتطرفة، وخصوصاً مشروع قرار بورديغا حول العمل الثوري لانهاء الحرب[٥٨]. في تورينو، ذهب الفرع بعيداً الى حد انه أصدر قراراً ـ وإن بأغلبية ضئيلة ـ يدعو الأعضاء الاشتراكيين في الادارات البلدية وإدارة المحافظة الى الاستعداد للاستقالة من أعمالهم، وهي خطوة كانت ستضحي بالادارات الاشتراكية في ميلانو وبولونيا. وفي ٢٦ شباط (فبراير) وصفت صحيفة

«آفانتي» اشتراكيي تورينو عموماً بأنهم «أكثر المتصلبين تشنجاً»، وحذر مدير شرطة الدولة حاكم تورينو من أن «العناصر الاشتراكية المعتدلة فقدت كل نفوذ لها» على الطبقة العاملة في المدينة(٥٩). كان هذا هو الجو المسيطر الذي كتب غرامشي خلاله «المدينة المستقبلية».

كذلك كان للأوضاع الاقتصادية تأثيرها في مزاج عمال تورينو عام ١٩١٧، وعلى أساس البحث الذي أجراه فوسّاتي وآخرون استنتج سبريانو أن الأجور الحقيقية في ايطاليا ككل تناقصت بين عامي ١٩١٥ و١٩١٨، وأن هذا التراجع في الأجور كان يتسارع من سنة الى أخرى(٦٠). وفي تورينو وجدت الأكثرية العظمى من العمال أجورها الحقيقية تقل عن الأسعار بالرغم من ان العمال الأكثر مهارة وتنظيماً، مثل عمال السيارات، تمكنوا أحياناً من مماشاة الأسعار بالعمل ساعات اضافية او بإرسال أفراد العائلة غير العاملين الى العمل. وحتى جوزيبيّ براتو، وهو اقتصادي محافظ الى حد ما، لاحظ النقص المطلق لاستهلاك اللحوم والزبدة والسكر بين عامي ١٩١٢ و١٩١٤ وعامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨ في تورينو(٦١). ولكن كل هذه الاستنتاجات استنبطت من أبحاث أجريت بعد الحرب، اما في أيام الحرب فكان هناك الكثير من التذمر في صفوف الطبقات الوسطى حول الارتفاع المزعوم للأجور والانفاق اللامبالي للعمال. براتو نفسه، وبالرغم من تغير رأيه بوضوح بعد الحرب، كان قد شن هجوماً عنيفاً ضد «الانتشار الشامل للترف، المكلف بقدر ما هو مبتذل»، وضد «التبديد بلا تفكير الذي أصبح ممكناً لدى الجماهير بفضل الأجور المبالغة التي تتقاضاها»(٦٢). بعد وقت ما، رد غرامشي على هذه الاتهامات بسخرية حادة خص بها الأكاديميين الذين اعتبرهم متحذلقين وغوغائيين:

«كان على (البروفسور براتو) أن يشرح لنا ـ نحن الذين نعرف أننا جهلة ونسعى باستمرار الى أن ننهل من ينبوع المعرفة ـ ما هي العملية المعقدة التي يمكن بواسطتها ان تصبح زيادة مبيعات «التحالف التعاوني» للنبيذ دليلاً عملياً على الادمان الكثيف، ولماذا لا يمكن للتفسير أن يكون أقل غوغائية إذ يقال بفتح مخازن جديدة وبزيادة عدد المستهلكين الذين يشربون هذا النبيذ على مائدة الطعام. وبأية عملية معقدة تصبح حقيقة ان الاشتراكيين، مثل الاقتصاديين الليبراليين، يقفون ضد الادخارات القسرية

المصطنعة، جاهزة لتدفع الى الاستنتاج بأن العمال لا يدخرون، عندما يكون بنك الادخار والاقراض التابع لـ « التحالف التعاوني التوريني» قد دلّ بأرقامه على العكس؟ هذه العملية المعقدة تسمى «الجهل بالوثيقة»، وبراتو لم يكن يعرف الوثيقة لأن شخصية الباحث لديه أفسحت المجال لشخصية النصير، لأن براتو، بالاضافة الى كونه باحثاً، هو إنسان غوغائي (ديماغوجي). إن الغوغائية ليست ممارسة تقتصر على الاشتراكيين، بل هي ترتيب عام للعقل يتجاهل المرء من خلاله اعتبارات قد تدعم موقفه بهدف التغلب على خصمه»(٦٣).

ويعكس جدل براتو الغضب الشديد الذي كان يعم الطبقة الوسطى في تورينو التي وجدت نفسها بين فكي كماشة «المستفيدين من الحرب» من ناحية والعمال «المتميزين» من ناحية أخرى. والكثير من أبناء هذه الطبقة وجد مدخراته ورواتبه المتواضعة تذوب في تضخم أيام الحرب.

العمال من ناحيتهم شعروا بالاستياء لا بسبب الصعوبات الاقتصادية التي أدى اليها تضخم أيام الحرب فحسب، بل أيضاً بسبب أوضاع وشروط العمل في أيام الحرب. فقد سيطر الانضباط العسكري القاسي وطول ساعات العمل على معظم مصانع تورينو خلال الحرب. وفي كل ورشة أقامت الحكومة «لجنة التعبئة الصناعية» التي كانت تتألف من ممثلين لأصحاب الورشة وللعمال ويرأسها موظف حكومي يملك السلطة الفعلية. وبالرغم من أن الكثير من المصانع كانت تضم أيضاً لجاناً داخلية منتخبة من قبل العمال فقط، فإن هذا الجهاز لم يكن يعترف به رسمياً وكانت له سلطة ضئيلة للمساومة*.

بالرغم من كل أسباب الاستياء هذه فإن السبب الأهم لانتفاضة آب (أغسطس) ربما كان الأنباء الواردة عن أحداث روسيا. وكان كل إنسان في ايطاليا تقريباً قد سرّ في البداية بثورة شباط (فبراير)، الأحزاب الدستورية سرّت لأنه بدا لها ان ما حصل في

---

* Montagnana, pp. 56—57; Spriano, Torino operaia, p. 170 ويشير أمبروسولي Ambrosoli (Néadenrire, pp. 212—13) الى أنه بالرغم من ان اللجان الداخلية كانت في هذا الوقت منتخبة من العمال فقط، فانه كان يجب اختيار نصف أعضائها من لائحة بأسماء تقترحها الادارة، على الأقل في المصانع التي كان «اتحاد موظفي وعمال المعادن» يمثل العمال فيها.

روسيا يعطي قضية الحلفاء طابعاً ديموقراطياً أكثر جوهرية، والاشتراكيون سروا لأن ما حصل يمثل بالنسبة اليهم الخطوة الأولى في تفتت النظام الأوروبي القديم. ولكن، مع تدهور الوضع في روسيا سرعان ما انقسمت الآراء. وفي ٢٩ نيسان (أبريل) أشار اشتراكيو تورينو الى دعمهم للينين عندما وصفته صحيفة «إل غريدو ديل بوبولو» بأنه «الأكثر اشتراكية والأكثر ثورية بين القادة ذوي النفوذ في الأحزاب الاشتراكية الروسية». ويذكر ان اسم لينين وبعض مبادئه ومفاهيمه كان معروفاً بشكل جيد في ايطاليا نتيجة لمؤتمري زيمروالد وكينيتال. وتنبأ غرامشي في العدد نفسه من الصحيفة الأسبوعية الصادرة في تورينو بأن الثورة «يجب ان تؤدي طبيعياً الى نظام اشتراكي»[٦٤]. وفي اجتماع عقد في تورينو في ٦ أيار (مايو) هاجم باربيريس أوغو موندولفو لتشاؤمه فيما يتعلق بإمكانات بناء الاشتراكية في بلد متخلف مثل روسيا[٦٥]. وخلال فترة الربيع كله وزعت في تورينو وفي المحافظات منشورات تشيد بالثورة الروسية. وقد أورد سبريانو المثال التالي المأخوذ من تقارير حاكم المدينة:

«أيها الرفاق.. ان رفاقنا في روسيا ضربوا مثلاً يستحق الاعجاب للقوة البروليتارية، وهم يقومون بعمل من أجل العدالة. ولو فعلت الشعوب الأخرى كلها الشيء نفسه فإن الحرب ستتوقف. لنقلدهم أيها الرفاق. أيها الجنود البروليتاريون، عندما يقولون لكم بأن البروليتاريا تكرهكم صفوهم بالكذب. ان ما نفعل هو في سبيل الخير العام. اتبعوا مثل رفاقكم الروس. لا تكونوا من قتلة الأهل. توحدوا معنا في قضية السلم والحرية»[٦٦].

واستمر الجو الملتهب طيلة الربيع ومطلع الصيف سنة ١٩١٧. وقاد المتصلبون الحملة. وفي ٢٧ أيار (مايو) أصرّ رابيتزانا على أن الوقت قد حان من أجل الانتفاضة العامة. وكان على العمال أن يجهزوا أنفسهم بالمتفجرات من المصانع التي تصنع فيها، وأن يستعملوها ضد كل من يعارض « حركة الشعب وارادته»[٦٧]. وجاء سيرّاتي من ميلانو، وكان السبب الظاهر لمجيئه هو التنسيق بن حركة تورينو وحركات المدن الأخرى[٦٨]. ولكن إبداء الاهتمام هذا لم يكن كافياً لتهدئة استياء باربيريس ورابيتزانا من «السياسات الملتوية» للقيادة الوطنية للحزب التي استقالا منها على الفور[٦٩]. وفي فلورنس، ساهم متصلبو تورينو خلال شهر تموز (يوليو) ومطلع آب

(أغسطس) في تشكيل «جناح ثوري متصلب» في الحزب. هذا الجناح الجديد، الذي أثبت كونه في غاية القوة في تورينو وميلانو ونابولي وفلورنس، وصم القومية بأنها مشاعر بورجوازية ودعا الى العنف باعتباره «قابلة كل المجتمعات الحبلى بالثورة»[٧٠]. وتجاهلت السلطات ببساطة هذه التحديات المباشرة لجهود الحرب، ربما لأنها قللت من إمكانات قوة الجناح الجديد.

بين الطبقات الوسطى للمدينة كان الحياد قد بدأ يصبح أكثر رسوخاً. وقد أفاد أحد مفتشي الشرطة بأن «الرأي العام في تورينو كان دوماً، ولدى كل الطبقات، معادياً للحرب، وقد بقي كذلك. ولهذا، فان من الطبيعي ان يجد المرء في تورينو أكثر من أي مكان آخر أرضاً خصبة لبذور السلام مهما كان بذارها سابقاً لأوانه»[٧١]. وفي حزيران (يونيو) أجبر عمدة تورينو تيوفيلو روسّي على الاستقالة بعد أن أعلن ان جوليتّي «هو اليوم في قلوب الايطاليين أكثر من أي وقت مضى»[٧٢]. وفي ١٣ آب (أغسطس) هاجم جوليتّي نفسه الحكومة بسبب قيادتها للحرب، وخصوصاً بسبب اجازتها لـ « تضحيات غير متساوية» ولـ « الظلم الاجتماعي »[٧٣].

في ١٣ آب (أغسطس) وقع حادث آخر ربط بين الحماسة للثورة الروسية والاستياء والانهزامية المحليين. ففي أواخر تموز (يوليو) كانت حكومة كيرينسكي قد أرسلت، بموافقة الحلفاء، وفدا من سوفييت بتروغراد لزيارة انكلترا وفرنسا وايطاليا. وكان على هذا الوفد، الذي كان برئاسة جوزيف غولدنبرغ ويتألف كله من المناشفة، أن يقدم لعمال أوروبا الغربية برنامج كيرنيسكي من أجل النضال المتزامن، من أجل السلام على المستوى الدبلوماسي ومن أجل استمرار الجهد الحربي في الجبهة. وللمرة الأولى منذ اندلاع الحرب سمحت الحكومة الايطالية للاشتراكيين بعقد اجتماعات عامة للترحيب بالوفد. ووصلت المجموعة الى تورينو يوم ١٣ آب (أغسطس)، وكانت تلك هي نقطة الذروة في جولتها[٧٤]، حيث احتشد أكثر من ٢٥ ألف عامل للاستماع الى ما ستقوله[٧٥]. ودهش الروس عندماووجهوا بهتافات «يعيش لينين» (قبل الاجتماع بوقت قصير كان غرامشي قد أشاد بالزعيم البلشفي في «إل غريدو»)[٧٦]. بغض النظر عن لينين، كان الاجتماع نجاحاً باهراً. وخطاب غولدنبرغ، الذي امتدح فيه حركة السلام من دون أن يؤيد سلاماً روسياً منفصلاً مع

«القوى المركزية»، «ترجمه» سيرّاتي للجماهير، ويبدو أن سيرّاتي أظهر في ترجمته وكأن الروس يدعون الى وقف فوري للحرب[٧٧]. وكان بين المتكلمين الآخرين كل من ماريا جوديشي وباربيريس والفوضوي آنسيلمو آكوتيس والمحارب القديم الجريح جوزيبي بيانيتزا، الذي أكد للجموع أن «الجنود كانوا متعبين من الحرب ويرغبون بالسلام بحماسة»[٧٨].

ووصف سبريانو هذا الاجتماع الحاشد بأنه «الشرارة» التي أشعلت «برميل البارود»[٧٩]. وحصل الانفجار الحقيقي بعد أسبوع، عندما أضيفت شرارة اقتصادية الى التأثير السياسي لوصول البعثة الروسية. وكان قد لوحظ نقص القمح في تورينو في وقت مبكر من السنة، ولكن الأزمة الحقيقية بدأت في آب (أغسطس). وصباح **٢١** آب (أغسطس) عجز حوالي الثمانين من أفران تورينو عن فتح أبوابها[٨٠]. وحصلت عدة مظاهرات ـ وكن معظم المتظاهرين من النساء والأطفال ـ وردت السلطات باستيراد كميات كبيرة من الطحين للبيع يوم **٢٣** من الشهر نفسه. هذه الخطوة جاءت متأخرة كثيراً على العموم وسرعان ما انتقل التحرك من قاعدته الاقتصادية الى قاعدة سياسية[٨١]. ماريو مونتانيانا، الذي كان يومها عاملاً في منشأة «دياتّو ـ فريجوس»، وصف هذا التغير بحيوية في قوله: «بدلاً من الدخول الى المصنع بدأنا التظاهر خارج البوابات صائحين: «لم نأكل، لا نستطيع ان نعمل، نريد خبزاً!». وعندما أكد بييترو دياتّو، صاحب الشركة، للعمال ان شاحنة محملة بالخبز ستصل فوراً وحثهم على الدخول الى المصنع «هدأ العمال للحظة. ونظر البعض في وجوه البعض الآخر كما لو كانوا يتشاورون، ثم صاحوا في صوت واحد: «ليذهب الخبز الى الجحيم.. نريد السلام.. ليسقط المستفيدون (من الحرب).. لتسقط الحرب». ثم غادر العمال المصنع في جمهرة واحدة»[٨٢].

بدأت الصدامات الأولى بين رجال الشرطة والعمال بعد ظهر ذلك اليوم نفسه. وتبعت ذلك معارك التحام ضارية بين العمال والجنود جرى معظمها في أحياء الطبقة العاملة حول ضواحي المدينة، وخصوصاً في «بورغو سان باولو» و«باريبرا دي نيتزا» و«باريبرا دي ميلانو». وقام العمال بحماية أحيائهم بالطريقة الثورية التقليدية، أي بإقامة المتاريس من الأشجار وعربات القطارات وحافلات الترام[٨٣]. وهوجمت

ثكنات عسكرية عديدة للحصول على السلاح. ونهبت كنيستان على الأقل*. ولأسباب استراتيجية، حاول الثوار الوصول الى مركز المدينة، وفي ٢٤ آب (أغسطس)، في قمة الثورة، كاد العمال ان ينجحوا، ولكنهم ردوا على أعقابهم بالبنادق الرشاشة والدبابات. وفي ٢٦ آب (أغسطس)، وبعد خمسة أيام من القتال المستميت، انتهت الثورة عملياً. وكانت هذه إحدى أكثر الأحداث دموية في تاريخ الحركة العمالية الايطالية.

وكان هنالك سببان رئيسيان لفشل الانتفاضة. الأول كان عجز الثوار عن الانتصار على الجنود[٨٤]. واستناداً الى أحد المصادر، فإن «سرية بكاملها من جنود جبال الألب تلقت أمراً باطلاق النار على العمال ولكنها سلمت بنادقها اليهم»[٨٥]، ولكن من الواضح ان هذه كانت حادثة معزولة. ويصف جينو كاستانيو وحدة أكثر نموذجية هي كتيبة ساساري. . «المشهورة بقسوة ضباطها وجهالة جنودها الذين كانوا من الفلاحين والرعاة الفقراء من سردينيا». واستناداً الى كاستانيو، فإن هؤلاء الفلاحين ـ الجنود حرضوا ضد العمال بأن أخبروا بأن فقر عائلاتهم كان نتيجة مباشرة لارتفاع أجور العمال[٨٦]. وكان استخدام الفلاحين الساردينيين ضد عمال تورينو مؤلماً لغرامشي بشكل خاص طبعاً. أما السبب الثاني والأكثر جدية لفشل الثورة فكان الغياب شبه الكامل للقيادة، سواء المحلية او الوطنية، بين العمال، بالرغم من الأشهر الطويلة للتحريض الثوري الناري من قبل المتصلبين. وحتى على المستوى التكتيكي يبدو ان الفوضويين هم الذين قدموا الادارة القليلة التي وجدت[٨٧].

يوم ٢٣ من الشهر نفسه اجتمع حوالي ثلاثين من القادة السياسيين وقادة النقابات (يمثلون سواء الاصلاحيين ام المتصلبين) لتقديم بعض الادارة للحركة. واستناداً الى مونتانيانا الذي كان حاضراً فإن « أحداً لم يكن يعرف ما يجب عمله، لا بين الاصلاحيين ولا بين «الثوريين» (بمن في ذلك أنا نفسي طبعاً)»[٨٨]. ولاحظ

---

* يبدو أن كنيسة سان برناردينو نهبت في عملية ثأر متأخرة لحادث وقع في العام السابق عندما قام رهبان الكنيسة بضرب عدد من الأولاد بالسياط والأيدي بعد ان فاجأوهم في حديقة الكنيسة. واستناداً الى غرامشي، فإن الرهبان قصّوا شارة الصليب ايضا على رؤوس الأولاد. أنظر:
«L'Utilità delle dimostrazioni» (9. IX. 16), Scritti giovanili [9], p. 45.

كاستانيو، الذي حضر الاجتماع هو أيضاً، ان القادة كانوا يحاولون «تحمل مسؤولية حركة لم يخطط لها أحد وكانت تتطور بشكل عفوي»[٨٩]. وكان من نتيجة الاجتماع صدور قرار مشترك عن فرع الحزب و«غرفة العمل» وزع في مناشير يوم ٢٤، وقد أشاد القرار بالعمال لمقاومتهم «غباء واستفزازات السلطات»، وأكد ان الحركة كانت «في أيد أمينة»، وطلب من العمال انتظار تعليمات أخرى وتجنب «أعمال العنف التي لا فائدة منها»[٩٠]. وفي يوم ٢٤، طلب النواب الاشتراكيون من العمال أن يعودوا الى أعمالهم، ويوم الثلاثاء ٢٨ آب (أغسطس) أعيد النظام كلياً الى المدينة[٩١].

الأقدم من بين الذين كتبوا مذكراتهم، مثل مونتانيانا وجرمانيتّو، قدروا عدد القتلى بـ ٤٠٠ وعدد الجرحى بـ ٢٠٠٠[٩٢]. أما مونتيكوني، الذي وضع دراسة دقيقة حول المسألة، فقد توصل الى أنه ربما كان هنالك ٥٠ قتيلاً و٢٠٠ جريح، ويوافقه سبريانو على هذه التقديرات[٩٣]. وخلال الانتفاضة اعتقلت السلطات ما مجموعه ٨٢٢ من الاشتراكيين والفوضويين، بما في ذلك تقريباً كل قيادة الفرع المحلي. وبين المعتقلين كان هناك حوالي ٣٠٠ من العمال المعفيين من الخدمة العسكرية للاستمرار في عملهم داخل المصانع، وأرسل ١٧٧ منهم الى الجبهة في الفترة بين ٤ أيلول (سبتمبر) و٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٧[٩٤]. أما المتهمون «بقيادة» الانتفاضة فقد حوكموا أمام محكمة عسكرية في تورينو بين ٣ حزيران (يونيو) و٢ آب (أغسطس) ١٩١٨[٩٥].

من هذه الاستعادة الموجزة للأحداث لا بد انه يتضح ان انتفاضة آب (أغسطس) ١٩١٧ كانت عفوية وذات طابع جماهيري في آن معاً. وفي تقدير سبريانو أن آلافاً من العمال شاركوا فيها، وفي لحظات معينة كان هناك عشرات الآلاف من المشاركين في الانتفاضة[٩٦]. ويؤكد مونتيكوني أن أقلية من المتصلبين قادت الجماهير الشاردة، ولكن هذا يبدو غير مرجح، خصوصاً وأن ليس هنالك ما يدل على وجود انقسام بين الاصلاحيين والمتصلبين خلال الانتفاضة[٩٧]. وينظر سبريانو الى الانتفاضة، بغض النظر عن حجمها، على انها مشابهة أساساً لصدامات الأعوام ١٩٠٤ و١٩٠٦ و١٩١٥، التي خلقت «تقليداً متفجراً لمظاهرات الشوارع والاضرابات والعنف»[٩٨]. وكان هنالك على العموم عنصران جديدان في عام ١٩١٧، استناداً الى سبريانو:

التحرك الاشتراكي من أجل السلام وحافز الثورة الروسية. وخلافاً للانتفاضات السابقة فإنه كان لانتفاضة آب (أغسطس) ١٩١٧ طابعاً أممياً بين أعين الثوار. والواقع ان لينين نفسه نظر الى «الانفجار الجماهيري في تورينو» كجزء من «تطور الثورة العالمية»[٩٩].

هذه الانتفاضة أفسحت المجال أمام عدد من الخلافات في سنوات تالية. ففي عام ١٩٢٧، أكدت الصحيفة الشيوعية «لو ستاتو أوبيرايو» [الدولة العمالية] أن مايور روسّي، وهو جوليتّي حيادي، قد حث وفداً عمالياً على الاضراب «لمنع الحرب»[١٠٠]. بعد سنوات، التقط غرامشي هذا الاتهام وعمل في معالجته. وقال غرامشي ان الجوليتّيين كانوا يخشون إجراءات حكومة بوزيلي الجديدة المضادة للحياديين فأوجدوا بارادتهم نقصاً في المواد الغذائية لاستثارة الشعب الذي كانوا يأملون بأن يؤدي الى إسقاط الحكومة[١٠١]. وعلى العموم، فإن مونتيكوني وسبريانو، بعد تدقيقهما في وثائق المحاكمةووثائق الاستقصاءات الحكومية المتعددة، يستنتجان ان ليس لهذه الاتهامات أي قاعدة من الصحة في الواقع[١٠٢].

وهناك خلاف آخر يتعلق بأثر الانتفاضة في الهزيمة العسكرية الايطالية في كابوريتّو، وكانت هذه المعركة الكارثية قد بدأت في ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر)، بعد بضعة أسابيع من ارسال العمال الـ ١٧٧ «المعفيين من الخدمة العسكرية»، الذين كانوا قد شاركوا في انتفاضة آب (أغسطس)، الى الجبهة[١٠٣]. واستنادا الى السفير الأميركي في روما، توماس نلسون بيج، فإن الكثير من العمال أرسلوا الى كابوريتّو، حيث شكلت انهزاميتهم أحد العوامل التي أدت الى انهيار المعنويات الايطالية[١٠٤]. أما الشيوعي روجييرو غريكو فادعى ان «أنباء أحداث تورينو وصلت الى الجبهة ومهدت الطريق لكابوريتّو»،التي يرى فيها غريكو «حدثاً من أحداث الثورة الايطالية»[١٠٥]. على النقيض من ذلك فإن بييرو بييري، عميد المؤرخين العسكريين الايطاليين، يصر على الطابع العسكري البحت لهزيمة كابوريتّو. وهو يؤكد، بين أمور أخرى، أن العدد المزعوم للهاربين من المعركة والمقدر بـ ٤٠ ألفاً لم يكن يتجاوز ٤ آلاف، معظمهم تجاوز إجازة مقررة له ببضعة أيام[١٠٦].

غرامشي و«الثوريون المتصلبون»

كان لأحداث آب (أغسطس) ١٩١٧ في تورينـو تأثـير آخر هـام: كان انـطونيو غرامشي قد وضع في واجهة الفرع الاشتراكي، الذي كان كـل قادتـه، اصلاحيـين ومتصلبـين، قد فقـدوا مصداقيتهم بعـد فشل الانتفـاضة. ولم يكن غـرامشي، على العموم، في موقع قيادي في الفرع ولم يكن على ارتباط وثيق بأي من الجناحين بحيث يعـرّف به. وكـان قد انتقـد في «المدينـة المستقبلية» سلبيـة الاصلاحيـين وغوغـائيـة المتصلبين. وأكثر من ذلك، وخلافاً للمتصلبين، كـان غرامشي مقتنعـاً بأن الـطبقة العاملة يجب ان تحصل عـلى تعليم ثوري مكثف. في أيلول (سبتمبـر) ١٩١٧ جُعل غرامشي مسؤولًا وحيداً عن نشر «إل غريدو ديل بوبولو» لا كرئيس تحرير فحسب بل باعتباره «مخبرها الـوحيد» أيضـاً[١٠٧]. وورث غرامشي صحيفـة مكرسـة «للأخبـار المحلية والدعاية الانجيلية»، فقام فوراً بتحويلها الى ناطقة بلسان «الثقافة الاشتراكية المطورة بموجب المبادىء والتكتيكات الاشتراكية الثورية»[١٠٨]. وللمـرة الأولى أسند الى غرامشي أيضاً دور قيادي في النشاطـات السياسيـة للفرع الاشتـراكي. وفي ٣٠ أيلول (سبتمبر) أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية للمحافظة، التي تولت ادارة الفرع حتى أوائل عام ١٩١٨[١٠٩]. وللأسف، فإنـه لا يعرف إلا القليـل عن عمل فـرع تـورينو حتى نهايـة الحرب بسبب الـرقابـة الفائقـة التشـدد التي فـرضت بعـد آب (أغسطس) ١٩١٧.

بعـد أن أصبح غـرامشي عضواً في إدارة فـرع تورينـو بوقت قصـير قام بتثبيت موقعه ـ وأمّن السيولة المالية للفـرع ـ بكسب معركـة سياسيـة للسيطرة عـلى رأسمال «التحالف التعاوني التوريني». وكانت التعاونية تدار لسنوات عـديدة من قبـل الفرع الاشتراكي، ولكن عمال سكك حديـد تورينـو وعائـلاتهم كانـوا يسيطرون بشكـل رئيسي على رأسمالها. وعندما أدى تضخم أيام الحرب وازدياد الثقة بالتحالف التعاوني الى زيادة قيمة كل سهم من ٥٠ الى ٧٠٠ ليرة، اقترحت بعض الأوساط توزيع فارق قيمـة السهم، أي ٦٥٠ ليرة، عـلى حملة الأسهم، ولكن الحزب أقنـع حملة الأسهم بالقبول بأرباح محسوبة على أساس التقييم الأصـلي نظراً لأن هـدف مؤسسة الـطبقة العاملة هذه لم يكن تحقيق الربح بل دعم النضال الثوري. ولم يكن كل حملة الأسهم

سعيدين بهذا القرار على العموم. وكان رد الفعل السياسي الـذي تلى انتفـاضة آب (أغسطس) والاحباط المرافق بين العمال قد أبرزا مطالبة جديدة بتوزيع رأس المال. وهذه المرة تلقى الاقتراح دعم صحف تورينو وكذلك، واستناداً الى غرامشي، دعم بعض الاشتراكيين الاصلاحيين بقيادة كويرينو نوفري. ونظراً لأن رقابة أيام الحـرب منعت مديري الفرع الاشتراكي من المعارضة العلنية لهذا التوزيع، فقد نظم غرامشي حملة تعليمية غير رسميـة ولكن دقيقة الضبط بـين حملة الأسهم والعمال الآخـرين. وعندما طرح الأمر على التصويت حصل الحزب الاشتراكي على دعم ٧٠٠ من أصل ٨٠٠ من حملة الأسهم. وكـان هـذا هـو أول انتصـار سيـاسي لـه مغـزى يسجله غرامشي[١١٠].

في هذه الأثناء، كانت العناصر الثورية داخل الحزب الاشتراكي الايطالي ـ الذين كان غرامشي يعرّف بهم عن بعد ـ تزيد من قوتها في كل أنحاء ايطاليا وذلـك بنسبة مماثلة لازدياد الانهزامية في البلاد. وفي ٢٣ آب (اغسـطس) ١٩١٧، شكلت رسمياً «لجنـة الجنـاح الثـوري المتصلب» في فلورنس. ودعـا بيـان اللجنـة الى وضـع حـد للانتهازية وللتعاون مع البورجوازية، وأعلن ان ساعة الثورة بدأت تقترب[١١١]. ولم تؤد الهزيمة العسكرية الساحقة في كابوريتو، في تشرين الأول (اكتوبر)، إلا الى تكثيف هذه الروحيـة التي زادت من حدتهـا ردة الاصلاحيـين وتوجههم الى قضيـة الوحـدة الوطنية. بعد كابوريتّو مباشرة ألقى فيليبو توراتي، زعيم الجنـاح اليميني في الحزب، خطاباً حث فيه على دعم المجهود الحربي. ورد المتصلبون بالدعوة الى مؤتمر استثنائي لمناقشة الاستراتيجية الثورية.

وعقد المؤتمر في فلورنس، يوم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ وحضره ممثلون عن الكثـير من اتحادات المحـافظات في الحـزب، وحضره غـرامشي وآرتورو تيـرّيني كممثلين عن ثوريي تورينو[١١٢]. وحضر المؤتمر كذلك بورديغا وبرونو فورتيكيـاري وجوفانّي جرمانيتّـو، وكلهم من القادة المهمـين للجناح المتصلب. وجـاء كوستـانتينو لاتزاري، أمين عام الحزب، وسيرّاتي، رئيس تحريـر «آفانتي»، الى المؤتمـر كممثلين للأكثرية أو ما يسمى بجماعة «القصوويين» في الحزب الاشتراكي الايطالي. ولم يكن لهؤلاء ثقـة باليسـاريين الأكـثر شبابـاً والأكثر عنفـاً، الذين كـانوا يعتبـرونهم غـير

مسؤولين ومتطرفين، ولكنهم كانوا راغبين في التعاون معهم لضمان هزيمة الجناح اليميني.

بالرغم من أن الحكومة منعت عقد المؤتمر رسمياً، فإن الشرطة سمحت للمندوبين، وبشكل غير متوقع، بالاجتماع حتى منتصف الليل، على ان يتفرقوا بعد ذلك. وافتتح بورديغا، الذي كان من القادة الوطنيين لليسار، الاجتماع بالدعوة الى ثورة اشتراكية فورية: «لقد وقعت كارثة الهزيمة. والدولة الايطالية غير منظمة. لقد أزفت ساعة العمل. العمال في الحقول والمصانع مسلحون، وهم تعبون من كل شيء، وعلينا ان نعمل»(١١٣). وكان للتقييم الواقعي للأوضاع في الحزب الاشتراكي الايطالي وفي النقابات العمالية أن يدل على عبثية مثل هذه النصيحة، ولكن كلمات بورديغا بدت مقبولة في تلك الأيام الحرجة المشحونة التي كان لم يمض فيها أكثر من أسبوعين على ورود الأنباء المثيرة عن الثورة البلشفية. وصوت غرامشي وجناحه كله الى جانب بورديغا. ولكن لاتزاري وسيرّاتي ومعظم ممثلي المحافظات عارضوه وفضلوا الصيغة الرسمية للحزب: «لا الدعم ولا التخريب».

عند هذه النقطة فض رجال الشرطة الاجتماع، ولكن معظم المندوبين، بمن فيهم غرامشي، عادوا فاجتمعوا في بيت خاص في فلورنس، حيث تم وضع بيان المؤتمر. ولم تكن هذه الوثيقة في صيغتها النهائية أكثر من تصريح قوي يحمل الصيغة الرسمية للحزب. ودعا البيان الى الاستمرار في «المعاداة المتصلبة للحرب» وأكد أن «الموقف السياسي للحزب الاشتراكي لا يمكنه ان يعتمد على تقلبات العمليات العسكرية». واستنكر البيان وأدان أعمال «هؤلاء الرفاق وممثلي الحزب الذين قادتهم الأحداث الأخيرة الى دعم الحرب»(١١٤). وأعطي كل مندوب نسخة من البيان لطباعته وتوزيعه في منطقته. وعاد غرامشي الى تورينو حاملاً نسخته وسرعان ما عرفت محتوياتها في المدينة.

بالنسبة لغرامشي، كان المظهر الأهم للمؤتمر، الذي لم يلعب فيه غير دور صغير جداً، اجتماعه ببورديغا. وكان لهذين الرجلين أن يتعاونا فيما بعد في تأسيس الحزب الشيوعي الايطالي، وأن ينشق أحدهما عن الآخر كلياً فيما بعد حول مسألة تطرف

بورديغا. وكان غرامشي بطبيعته حذراً ودقيقاً، وهما فضيلتان لم يكن بورديغا يتمتع بهما. ولكن شباب غرامشي (كان عمره ٢٦ سنة عام ١٩١٧) والجو المثير لتلك الأيام جعلاه يتقبل مؤقتاً شخصية بورديغا المليئة بالحيوية وبريقها السطحي. وأكثر من ذلك، فقد اعتقد غرامشي بان بورديغا كان على حق في إصراره على ان تبدأ البروليتاريا الايطالية بالتفكير في الاستيلاء على السلطة[١١٥]. وكان لبورديغا تأثير قوي على معظم الاشتراكيين الشباب في تلك السنوات. وكان جوفانّي جرمانيتّو، وهو أحد العاملين مع غرامشي، قد قابل بورديغا أيضاً أثناء مؤتمر فلورنس وسجل لنا انطباعاته الأولية عن ابن نابولي الحيوي هذا:

«في مساء ذلك اليوم [١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧] سمعت للمرة الأولى بورديغا يتكلم. وكان له تأثير عميق فيّ. بعد خطابه بدت لي الاشتراكية أكثر واقعية بكثير مما كانت قبلاً... وفتح خطاب بورديغا آفاقاً جديدة أمامي وساعدني على فهم ما كان يحصل في روسيا. لقد فهمت غرامشي بشكل أفضل، ولكن بورديغا كان ملائماً تماماً لطباعي. وبدا ان هذين الرفيقين يكمل أحدهما الآخر. وشعرت بشكل ما بالتوافق بين هذين الرجلين المختلف أحدهما عن الآخر كلية من الناحية الجسدية. فبورديغا طويل ويفرض نفسه، وغرامشي نحيف وقصير وعليل، الأول متكلم قوي ومندفع، والثاني مفكر»[١١٦].

حتى في ذلك الوقت، لم يكن غرامشي يشارك الجناح المتصلب كل آرائه. وحتى إن لم يكن مذنباً ـ بأي شكل جدي ـ بـ « البرغسونية» والارادية كما اتهمه مندوب زميل في فلورنس[١١٧]، فإنه استنكر «المفهوم القدري والآلي للتاريخ» الذي سيطر على المؤتمر[١١٨]. وفي فلورنس كما في ما بعد، كانت مواقف غرامشي الأيجابية والابداعية تجاه مشاكل الاشتراكية الثورية هي التي ميزته عن معظم رفاقه.

غرامشي والثورة الروسية ١٩١٧ ـ ١٩١٨

إذا كان موقف غرامشي السياسي داخل الحزب الاشتراكي الايطالي تلك الأيام تابعاً لبورديغا، فإن مقالاته التي كتبها خلال الثورة الروسية وبعدها مباشرة دلّت على تفوقه الواسع في عالم النظرية. ومقالات غرامشي التي تعود الى عامي ١٩١٧ و١٩١٨

في «إل غريدو ديل بوبولو» وفي طبعة تورينو من «آفانتي» كـانت التعليقات الايـطالية المتبصرة الوحيدة على أحداث روسيا[119]. وفـي حين ان كتّاباً مثل بورديغا وسيرّاتي وبانفيلو جنتيلي مالوا الى خفض النقاش حول الثورة الى مستوى «البحث المدرسي . . حول صيغ مجردة»، فإن غرامشي قام بسلسلة من المحـاولات لتشرّب روح اللينينيـة وتـطبيقها في دراسـة الأوضاع في ايـطاليا[120]. وقـد وصف بييرو غـوبيتي، صديق غرامشي الللييبرالي المبكر النضوج، النتيجة كما يلي:

«في عام ١٩١٨، أصبحت أسبوعية الدعاية الحزبية الصغيـرة صحيفة للثقـافة والفكر، ونشرت الترجمات الأولى لكتابات الثـورة الروسيـة وقدمت تفسيـراً سياسيـاً لنشاطات البلاشفة. وكان غرامشي هو المحرك الأساسي لهذا العمل. بالنسبة اليه، كان لينين يرمز الى ارادة التحرير البطولية. ومـا كان لـلأفكار الأسـاسية لـلأسطورة البلشفية ان تخدم كنموذج مفروض على الثورة الايطالية بل كحافز لمبادرة ايطالية حرة تأتي من تحت»[121].

لم تكن معرفة لينين والثورة الـروسية سهلة الـوصول في عـام ١٩١٧ - ١٩١٨ نظراً لأن رقابة أيام الحرب في ايطاليا كانت غاية في التشدد الى درجة ان لم تصل الى ايطاليا إلا أنباء قليلة من روسيا، وخصوصاً بعد ثورة تشرين الأول (اكتوبر). وكانت بعض مقالات لينين وتروتسكي الأخيرة قد نشرت في «آفانتي» مع تقارير كتبها هنري باربوس ورومين رولاند وجون ريد. بعدالحرب مباشرة بدأ غرامشي يتلقى نسخاً من «ذي ليبيريتور»، وهي مطبوعة أميركية مـوالية للسـوفييت يحررهـا ماكس ايستمـان. وحتى تأسيس « الأممية الثالثة » كانت هذه المطبوعة تشكل بالنسبة لغرامشي مصدراً هاماً للأنباء عن روسيا والمجر والمانيا[122]. وقد ذكر تولياتي ان «لينـين لم يُعرف ويتـرجم وينشر ويقرأ بشكل واسع في ايطاليا إلا بدءاً من سنة ١٩١٨. (والذي عرف) بشكل رئيسي من كتاباته، على العموم، هي الكتابـات المكرسـة للنضالات الخـاصة بتلك السنـوات تحديـداً. ولم يكن إلا القليل من أعمـاله النـظرية الهـامة معـروفاً في عـام ١٩١٨»[123].

بالنسبة لغرامشي، لم يكن لينين محرفاً لمـاركس كما ظنـه الكثير من الاشتـراكيين

الأوروبيين الغربيين. وعلى العموم، فإن فهم غرامشي لماركس نفسه كان في عام ١٩١٨ يختلف كثيراً عن معظم رفاقه في الحزب الاشتراكي الايطالي: فماركس «ليس مسيحاً خلّف وراءه سلسلة من الحكايات ذات المغزى الاخلاقي التي تحمل ملزمات صريحة وقواعد غير قابلة للتغيير على الاطلاق، خارجة عن مقولات الزمن والفضاء. إن الملزم الصريح الوحيد، والقاعدة الفريدة هي: يا عمال العالم، اتحدوا». ماركس غرامشي كان رجل تاريخ وجد التاريخ في «عالم الأفكار»، ولكن ليس الأفكار التي هي مجرد تجريدات خيالية. «كان جوهر هذه الأفكار يكمن في الاقتصاد، وفي النشاط العملي، وفي أنظمة وعلاقات الانتاج والتبادل». ولكن حكم غرامشي لا يتضمن بشكل من الأشكال الحتمية الاقتصادية. فمن خلال معرفة الحقيقة الموضوعية «يعرف الانسان نفسه، وقيمة ارادته الفردية، وكيف يمكن جعلها قادرة. وبالانصياع الى الضرورة، وتنظيم النفس بما يتلاءم معها، يستطيع الانسان ان يسيطر على الضرورة نفسها بأن يطابقها مع أهدافه. من يعرف نفسه؟ ليس الانسان عموماً، بل ذلك الانسان الذي يشعر برباط الضرورة»[١٢٤].

وكان تجدد جدل غرامشي مع الاصلاحيين (كانت صحيفتهم النظرية هي «لا كريتيكا سوشالي»، أي «النقد الاجتماعي») قد منحه فرصة مناقشة الارادية التي كان متهماً بها دوماً:

«يبدو أن الجيل الجديد يرغب في العودة الى مذهب ماركس الأصيل الذي لا ينفصل فيه الانسان عن الحقيقة، ولا أداة العمل عن الارادة، بل يأتيان معاً في «الفعل التاريخي». وبالتالي، فإنهم يعتقدون أن مدافع المادية التاريخية لا تصلح للاستخدام إلا بعد وقوع الحدث، لدراسة وفهم أحداث الماضي، ويجب ألا تصبح رهينة للحاضر والمستقبل».

وشدد غرامشي بشكل خاص على أهمية الحرب «في تغيير المحيط التاريخي العادي». فالحرب «لم تدمر المادية التاريخية»، بل هي أعطت أهمية مؤقتة غير اعتيادية «للارادة الاجتماعية الجماعية للناس». وبالنسبة لغرامشي، فإن للارادة الابداعية في التاريخ أهمية أساسية، ضمن حدود معينة طبعاً. وحتى الحتمية يمكنها أن تكون

إبداعية: «قال فيكو، قبل ماركس، انه حتى الاعتقاد بالعناية الالهية قد عمل بشكل مفيد في التاريخ بأن أصبح حافزاً للعمل الواعي. وبالتالي، فحتى الاعتقاد «بالحتمية» يمكن ان تكون له الفاعلية نفسها، في روسيا بالنسبة للينين وفي غيرها بالنسبة لآخرين»(١٢٥).

وفي مقالات أخرى تعود الى عامي ١٩١٧ و١٩١٨ مجّد غرامشي الطابع الابداعي للثورة الروسية، الذي رأى أنه يقود - وبكلمات ماركس - من «عالم الضرورة الى عالم الحرية». ورأى غرامشي كل التاريخ الروسي الماضي على أنه تاريخ إكراه، ضروري بالتأكيد، ولكنه مستنكر في نتائجه:

«كانت الامبراطورية الروسية ضرورة مرعبة من ضرورات العالم الحديث.. فلكي يعيشوا ويتطوروا ويؤمنوا لأنفسهم طرقاً للنشاط، اضطر ١٧٠ مليون انسان، من عشرة أصول عرقية، أن يصبروا على نظام سياسي وحشي، وأن يتخلوا عن انسانيتهم، وأن يصبحوا مجرد أدوات لأولئك الذين هم في السلطة.. وفقد الأفراد كل استقلالية وحرية لكي تصبح الدولة مستقلة وحرة بين الدول الأخرى»(١٢٦).

وبالطبع، لم يكن بإمكان غرامشي ولا أي انسان آخر ان يتنبأ بكم من ذلك العبء سيكون على شعب روسيا السوفيتية ان يستمر في تحمله.

وقد سبق غرامشي معظم المراقبين بكثير في تعريفه للينين والبلاشفة بالثورة الروسية. وحتى في تموز (يوليو) ١٩١٧، عندما حرم لينين وعزل كيرينسكي البلاشفة ظاهرياً عن التيار الرئيسي للثورة، كان غرامشي يتنبأ بانتصار محتمل للبلاشفة على أساس أنهم لن يقبلوا بتسوية الاجراءات الوسط، او بتمرير الوقت خلافاً لنظريات الحتمية. وفهم اللينينيون انْ ليس للاشتراكية جدول زمني حتمي. وبدلاً من ذلك كانوا مقتنعين:

«أنه يمكن تحقيق الاشتراكية في أية لحظة... انهم ثوريون، لا تطوريون. والفكر الثوري لا يرى في التطور عاملاً للتقدم، وهو ينكر وجوب أن تمر كل المراحل الوسيطة بين مفهوم الاشتراكية وتحقيق هذا المفهوم باختبار مطلق وكامل في الزمان والمكان. فلعبور مرحلة والتقدم الى أخرى يكفي ان تكون المرحلة الأولى قد تحققت

بالفكر»[١٢٧].

والمقالة الأكثر إثارة للاهتمام والجدل التي كتبها غرامشي في هذه الفترة، كانت بعنوان «الثورة ضد الرأسمال». وقال غرامشي في مقالته أن «الرأسمال»، سواء في روسيا ام في ايطاليا، كان «كتاب البورجوازية وليس كتاب البورليتاريا». فقد استعمل هذا الكتاب لتصعيد الفكرة الحتمية القائلة بأن النموذج الغربي من الحضارة لا بد أن يوجد في روسيا قبل ان يمكن بناء الاشتراكية. وعندما قال البلاشفة الروس انهم ليسوا ماركسيين، عنوا بذلك ان العناصر الحيوية من الماركسية هي التي تهمهم فقط، هذه العناصر التي تضع الانسان، وليس الحقائق الاقتصادية الخام، في مركز التاريخ.

وفي المقالة نفسها يطرح غرامشي الفكرة التي أصبحت مؤخراً هامة في دراسة التطور الاقتصادي، ألا وهي فكرة قصاص من يكون الأول. ويقول غرامشي ان الولايات المتحدة أكثر تقدماً من انكلترا لأنها انطلقت مباشرة من النقطة التي كانت انكلترا قد وصلت اليها عبر تطور طويل. وبالطريقة نفسها، فإن:

«البروليتاريا الروسية، المتعلمة اشتراكياً، سوف تبدأ تاريخها من المرحلة القصوى للانتاج التي وصلتها انكلترا اليوم. ولأن عليها ان تبدأ، فانها ستبدأ انطلاقاً مما تحقق فعلاً حتى الآن في الأمكنة الأخرى. ومن هذا المستوى سوف تصل الى النضج الاقتصادي الذي يعتبره ماركس شرطاً ضرورياً للجماعية (Collectivism). إن الثوريين سيخلقون بأنفسهم الشروط الضرورية للتحقيق الكامل والشامل لفكرتهم. وسيخلقون هذه الشروط بأسرع مما تفعل الرأسمالية»[١٢٨].

هذه الفقرات لم تشر أبداً الى الحاجة الى دعم الثورات الغربية من أجل نجاح الاشتراكية في «روسيا المتخلفة». ويتركز تشديد غرامشي دوماً على الدور الابداعي للبروليتاريا الروسية وقادتها الثوريين. وهكذا يكون غرامشي قد استبق بسنوات البلاشفة انفسهم في مبدأ «الاشتراكية في بلد واحد».

ورأى غرامشي في لينين صفات القيادة والتفهم التي اعتبرها غرامشي أساسية وضرورية لنجاح الثورة الايطالية. وبالنسبة لغرامشي، كان لينين قبل كل شيء «تلميذاً بارداً للواقع التاريخي» و«ثورياً يبني بدون تخيلات مهتاجة، وبانصياع للعقل

والحكمة»[١٢٩]. وعندما اختلف لينين وتروتسكي حول توقيع معاهدة برست - ليتوفسك، وقف غرامشي الى جانب لينين. وأعاد غرامشي نشر مقالة لكارل راديك تدعم رفض تروتسكي للقبول بشروط المانيا القاسية، ولكنه نشر المقالة بهدف إدانة أطروحات راديك باعتبارها تركيباً للجمل فحسب. وكان راديك يتحدث عن «الامبريالية الالمانية» و«النضال الثوري»، اما لينين فرأى الأمور كما هي عليه. كانت المانيا قوية وكانت روسيا ضعيفة. «ومن الناحية العملية فإن «النضال الثوري» كان يعني الحرب، ولكي تقوم بأعباء الحرب كانت الثورة الروسية بحاجة الى جيش. ولكن الجيش الروسي كان مشتتاً»[١٣٠].

هذه المقالات المبكرة تعكس الاستجابة الحماسية الأولية عند غرامشي للثورة الروسية واللينينية. وفي دراسته الأعمق للثورة والتأمل في دروسها التي يمكن الاستفادة منها بالنسبة لايطاليا، سرعان ما توصل غرامشي الى التركيز على دور السوفييتات الروسية، او المجالس الثورية للعمال والفلاحين والجنود. وكانت حياة غرامشي في عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ مكرسة للتبرير النظري والاقامة الفعلية لمجالس العمال الثورية في ايطاليا. وفي هاتين السنتين اكتسب غرامشي سمعته على المستوى الوطني وقدم مساهمته الأولى الأصيلة للحركة العمالية الايطالية.

القسم الثاني

«النظام الجديد»

٤ ـ « النظام الجديد » و « السوفييتات الايطالية »

«بـدأ الوجـود الأول للمجلـس في تـوريـنـو، في صنـاعـة المعـادن، وهي خصوصية سوف يذكرها العارفون في المستقبل».

غرامشي ـ ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩

ايطاليا والحزب الاشتراكي الايطالي عام ١٩١٩

هزت الحرب بقوة البنية السياسية والاقتصادية غير المستقرة في ايطاليا. وعملت السنة التي قضتها ايطاليا في الحياد، ثم الظروف الانتهازية لـدخولهـا في النزاع، الى تكثيف العداء بين الفئات المؤيدة للتدخل وتلك المؤيدة للحياد، وبقيت هذه الفئات على عداء إحداها للأخرى في فترة ما بعد الحرب. لقد كلفت الحرب ايطاليا نصف مليون إنسان. وشوّه نصف مليون إنسان آخر، وجرح أكثر من مليون[١]. وكان على ايطاليا ان تستورد معظم المواد الخام اللازمة للجهـد الحربي، وارتفـع عجز الميـزانية الايطالية من ٢١٤ مليون ليرة في عام ١٩١٣ الى ٢٣ مليارا في ١٩١٨ ـ ١٩١٩، بينما قفزت تكاليف المعيشة بين عامي ١٩١٣ و١٩٢٠ من ١٠٠ الى ٦٢٤[٢]. وكان الأسوأ ان تلك النفقات الهائلة لم تكسب لايطاليا إلا القليل جداً، بالرغم من ان الحكـومة توقعت ان تضم الى البلاد أراض شاسعة. وكان المسؤولون الحكوميون والجنرالات في الجبهة قد وعدوا القوات، وبترداد منتظم، بمكافآت ثمينـة مقابـل معانـاتها. ووُعـد الفلاحون بالأراضي والعمال بعائدات أكبر لعملهم[٣]. وفي النهاية، لم تفعل الحكومة شيئاً لتحقيق هذه الوعود.

وكان مما زاد في حدة هذه التوترات السياسية والاقتصادية الأساسية المزاج النفسي الذي كان سائداً في تلك الأيام. وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، أعلن رئيس الوزراء ف. إ. أورلاندو ان الحرب كانت أعظم ثورة سياسية ـ اجتماعية في التاريخ. وفي اليوم نفسه، كان انطونيو سالاندرا، وهو زعيم نافذ للمحافظين الايطاليين، يحث الشباب على تأكيد وجودهم: «لا أحد يعتقد بأن نهاية العاصفة تعني العودة بسلام الى الماضي»(٤). في الواقع، كانت أوروبا كلها مشحونة بالثورة: كان قد أطيح بعائلتي هوهنزوليرن وهابسبورغ من على عرشيهما، وكانت هناك الثورة البلشفية في روسيا والمجر وبافاريا، وانفجرت انتفاضة الاسبارطيين في برلين. وكتب بييترو نيني يقول: «كل الأحداث الاستثنائية والصاخبة التي وقعت في نهاية عام ١٩١٨ وبداية عام ١٩١٩ ألهبت الخيال وأوحت بالأمل بأن العالم القديم كان على وشك الانهيار وان الانسانية أصبحت على عتبة عصر جديد ونظام اجتماعي جديد»(٥).

وبالنظر للأوضاع الايطالية في عام ١٩١٩ يبقى من المدهش عدم اندلاع الثورة. فأكثر المحاربين السابقين، سواء من الفلاحين ام من العمال، عادوا من الحرب بأفكار ديموقراطية متقدمة إن لم تكن اشتراكية. وفي حزيران (يونيو) ١٩١٩، عقدت «الجمعية الوطنية للمحاربين القدماء» أول مؤتمر لها في روما وتبنت برنامجاً يدعو الى اقامة جمعية تأسيسية، والغاء مجلس الشيوخ، والى مفهوم ماتزيني للقومية المرتبطة بالانسانية عموماً و«المتميزة عن الأنانية القومية»(٦). في الوقت ذاته، كان الفلاحون قد بدأوا يطالبون باعادة توزيع للأراضي كانت قد استحقت منذ زمن طويل، في حين ان عدد العمال المنتسبين الى «الاتحاد العام للعمال» ازداد من ٢٥ ألفا في عام ١٩١٨ الى ١٠٠ الف في عام ١٩١٩(٧). وبحلول عام ١٩١٩، كان الحزب الاشتراكي الايطالي، او أكثرية قادته على الأقل، قد ارتد عن تسويات منتصف الطريق، مثل مطالبات المحاربين القدماء والعمال والفلاحين. وفي اجتماع لادارة الحزب عقد في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨، انقلب سيرّاتي، مدير صحيفة «آفانتي»، على موقفه السابق، وأعلن وقوفه ضد اقامة جمعية تأسيسية ومع اقامة دكتاتورية البروليتاريا. وتم تبني هذا الموقف كخط رسمي للحزب.

على العموم، في اجتماع كانون الأول (ديسمبر) قدمت بعض الطلبات الفورية

الى الحكومة، مثل العودة الى الحريات الديمقراطية والانهاء السريع لحالة التعبئة. هذه المطالب التي أوحى بها اصلاحيو توراتي كانت بعيدة عن الثورية[٨]. وأبرز الاجتماع أحد مواطن الضعف الأساسية في الحزب الاشتراكي الايطالي في فترة ما بعد الحرب، ألا وهو تعايش العناصر الثورية والتدريجوية في جسم واحد. ومنذ أيلول (سبتمبر) ١٩١٨ وحتى الانتصار النهائي للفاشية كان الثوريون، أو «القصوويون»، يسيطرون على آلة الحزب. ولكن النواب الاشتراكيين في البرلمان كانوا تدريجويين باستمرار في هذه الفترة، بالرغم من ان رأي قاعدة الحزب كثيراً ما أجبرهم على ان يظهروا أكثر يسارية مما هم في الواقع. وكان قادة «الاتحاد العام للعمل». وهو المنظمة النقابية، اصلاحيين تقليدياً في نظرتهم، ولكنهم كثيراً ما حاولوا اتباع خط وسط بين إدارة الحزب والمجموعة البرلمانية نتيجة لضغط القاعدة[٩].

وكما أشار بييترو نينّي (في كتابه Storia di quatro anni)، فإن كل حزب اشتراكي في دولة رأسمالية هو ـ في الوقت نفسه ـ حزب المستقبل الذي يحمل أهدافاً تتجاوز بكثير الوقائع الاقتصادية والسياسية الراهنة، وحزب الحاضر الذي يجب عليه ان يتوصل الى توافق مع هذه الوقائع. وقليلة هي الأحزاب الاشتراكية التي نجحت في حل هذه المعضلة، ولكن أحزاباً قليلة أخرى رفضت ـ على العكس من ذلك ـ مواجهة المعضلة، كما فعل الحزب الاشتراكي الايطالي في تلك الأيام. لقد تحققت حاجة الحزب الى الوحدة، ولكن الأجنحة المختلفة للحزب تابعت التباعد فيما بينها اكثر فأكثر.

وكان الخلل الرئيسي الآخر داخل الحزب الاشتراكي الايطالي مرتبطاً بذاك الأول، إذ لم تكن لدى الحزب خطة لمواجهة الأزمة الثورية في عام ١٩١٩. وكانت المواقف النظرية المتباينة داخل الحزب أحد الأسباب في هذا الفشل، وعلى العموم، فإن عمى الحزب عن الوضع الايطالي الفعلي كان الأكثر أهمية. وكان الاصلاحيون يقولون بأن الرأسمالية الايطالية ستنهار بحكم ترهلها عندما تنضج الظروف. أما القصوويون فاعتمدوا على الثورة الروسية لحل مشاكل الثورة الايطالية من حلال هزيمة ساحقة للأعداء داخل وخارج روسيا. وبالتالي فإن العمود الرئيسي في «آفانتي» كان مكرساً بالدرجة الأولى لتسجيل انتصارات البروليتاريا الأممية[١٠]. ولاحظ غرامشي

أن الجماهير في ايطاليا كانت تقود و«تعلم» الحزب بدلاً من العكس[١١].

وفي المناطق التي كان الحزب فيها أكثر فاعلية لم يفعل إلا ان يبرز ضعفه كجهاز للبروليتاريا الايطالية. اما في معظم أمور تضامن البروليتاريا الأممية، مثلاً، فكان الحزب الاشتراكي الايطالي ناشطاً. وكانت قيادة الحزب قد قررت في ١٨ آذار (مارس)، وبعشرة أصوات ضد ثلاثة، الخروج من الأممية الثانية والانضمام الى «الكومنترن» الذي كان قد أسس في موسكو قبل أقل من أسبوعين فقط[١٢]. وأدت عمليات الحلفاء العسكرية في روسيا في عامي ١٩١٨ ـ ١٩١٩ الى موجة احتجاجات قوية شاركت فيها كل الجماعات الاشتراكية الايطالية[١٣]. وكان الاضراب الدولي العام يومي ٢٠ و٢١ تموز (يولبيو) ١٩١٩ قد شكل ذروة هذه الإحتجاجات. وكان الهدف من الاضراب هو التعبير عن التضامن مع السوفييتات الروسية والمجرية، وكان يفترض به ان يجري في آن واحد في كل من انكلترا وفرنسا وايطاليا. وفي النهاية لم يشترك غير الايطاليين في الاضراب، ولكن مشاركتهم كانت شبه شاملة[١٤].

ولم يكن الحزب واضحاً دوماً حول أغراض ونتائج الاضرابات التي كانت تشكل التكتيك الوحيد الذي كان الحزب يستخدمه لقيادة الجماهير. وكان يبدو وكأن الكثير من الاشتراكيين ينظرون الى الاضرابات باعتبارها العمل الوحيد اللازم لتوليد الثورة[١٥]. وقلّل آخرون من النتائج النفسية الخطرة، في فترة ثورية، حتى لأكثر الاضرابات نجاحاً. وكان الاضراب العام في تموز (يوليو) ١٩١٩ أفضل مثال على ذلك. وبالرغم من ان العديد من القادة الاشتراكيين اهتم بأن يصف الاضراب بأنه «تعبيري وليس ثورياً»، فإن التحرك كان هائل الحجم الى درجة ان شتت طاقة العمال كلها من دون ان يحسن موقعهم السياسي. وبطريقة ما، كان العمال يتوقعون الثورة، وكما أفاد «الاتحاد العام للعمل» فيما بعد، فان عدم اندلاع الثورة «لم يؤد الى الاحباط بل الى خيبة أمل عنيفة لدى العمال، وحرض الصناعيين الذين كانوا ضعيفي الارادة في السابق على بدء نضال الهدف منه تحطيم قوة النقابات»[١٦].

وحصل الحزب الاشتراكي الايطالي على ٣٢ بالمئة من الأصوات في انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩، وعلى ١٥٦ مقعداً في البرلمان[١٧]. ولكن هذا كان

يعني ان على الاشتراكيين ان يتوصلوا الى اتفاق سريع حول السياسات الجوهرية، وأن على الحزب ان يحدد برنامجاً له. وخلال الأيام ٥ ـ ٨ تشرين الأول (أكتوبر)، أي قبل الانتخابات بشهر واحد، كان الحزب الاشتراكي الايطالي قد عقد مؤتمره الوطني السادس عشر في مدينة بولونيا. [١٨] واتضحت خلال المؤتمر القوى والمواقف الخاصة بالعديد من أجنحة الحزب، وبرزت هناك معظم الشخصيات المسؤولة عن ادارة تحركات الجناح اليساري خلال فترة ما بعد الحرب.

ولا شك في ان الاصلاحيين، بقيادة فيليبو توراتي ولودوفيكو داراغونا (السكرتير العام للاتحاد العام للعمل) كانوا يشكلون الجماعة الأكثر تجانساً. وكان هؤلاء يسيطرون على الكتلةالبرلمانية الاشتراكية وعلى المكاتب المركزية لـ « الاتحاد العام للعمل» ومعظم نقابات العمال والادارات البلدية الاشتراكية. وأدت الخبرات البرلمانية والادارية الطويلة للاصلاحيين الى أن يميل هؤلاء باتجاه الالتزام القوي بطرق ووسائل الديموقراطية البورجوازية. وكان فشلهم في فهم الطابع الثوري لتلك الأيام قد حد من جاذبيتهم السياسية بين الجماهير.

أما قصوويو ج. م. سيرّاتي (أو «الانتخابيون القصوويون» كما كانوا يسمون أنفسهم يومها) فقد شكلوا الأكثرية الساحقة للمندوبين في بولونيا، ولكنهم لم يكونوا جماعة موحدة بشكل من الأشكال. وكانت قوتهم تكمن في السيطرة على إدارة الحزب وعلى عدد أقل من مكاتبه وفي امتلاكهم لصحيفة الحزب اليومية «آفانتي». ومع نمو الأزمة السياسية والاقتصادية في البلاد تحول موقف سيرّاتي بسرعة نحو اليسار في الأشهر التي سبقت مؤتمر بولونيا. وبحلول موعد المؤتمر كان سيرّاتي يريد الثورة، ومن خلال العنف اذا دعت الضرورة، ولكنه لم يرغب في المغامرة بوحدة الحزب بفرض موقفه على الجميع. وكان كوستانتينو لاتزاري (سكرتير الحزب ١٩١٢ ـ ١٩١٩) يحمل أهدافاً مماثلة، ولكنه كان يأمل بتجنب العنف.

الجناح الثالث الذي كان حاضراً في بولونيا هو جماعة الامتناعيين التي كان آماديو بورديغا قد جمع أفرادها من بين صفوف «المتصلبين الثوريين» خلال عامي ١٩١٧ ـ ١٩١٨. وأخذت هذه الجماعة اسمها من مبادئها القائلة بأن على الحزب ان يمتنع

عن المشاركة في الانتخابات، التي كانت الجماعة تنظر اليها على أنها انحراف عن المهمة الأساسية التي هي تحضير الثورة. وكان لـلامتناعيين شبكة من المجموعات الصغيرة في كل أنحاء ايطاليا، ولكن مركزهم كان في نابولي حيث كان بورديغا ينشر صحيفة «السوفييت» منذ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨. وكان بعض متصلبي تورينو قد انضم اليهم، وبين هؤلاء كل من جوفانّي بويرو وجوفانّي بارودي. وكان معظم قادة «اتحاد الشباب الاشتراكي»، بمن فيهم سكرتيره لويجي بولانو من الامتناعيين. وكان هؤلاء يؤيدون دكتاتورية البروليتاريا ويطالبون بالطرد الفوري للاصلاحيين وكل الآخرين من ذوي المواقف الغامضة من الاستخدام المحتمل للعنف أو من برنامج «الأممية الثالثة».

كانت الدولة الليبرالية الايطالية في تلك الأيام قيد التفتت السريع، وكان هناك تحريض واسع الانتشار داخل الجيش على العصيان، وكان التضخم قفّازاً. وهكذا وافق مؤتمر الحزب بشبه إجماع على إجراءات مثل الانضمام الى «الأممية الثالثة»، والتخلي عن برنامج الحزب العائد الى عام ١٨٩٢ باعتباره لم يعد صالحاً*، والاستبدال المحتمل للسوفييتات أو مجالس العمال بالدولة البورجوازية. وفي الاقتراع على الاقتراحات النهائية للأجنحة المختلفة سجل قصوويو سيرّاتي انتصاراً صارخاً بـ ٤٨٠٠٠ صوت. أما اقتراح لاتزاري، المشابه لاقتراح سيرّاتي ولكنه يشدد على ضرورة تجنب العنف إن أمكن، فلم يحصل إلا على ١٤٠٠٠ صوت. وصوّت الاصلاحيون، الذين كانوا يعرفون أن بياناً يمينياً بشكل واضح لن يحظى بأي دعم، الى جانب لاتزاري. ولم يحصل شيوعيو بورديغا إلا على ٣٠٠٠ صوت نظراً لأن مندوبين قلائل كانوا على استعداد لطرد الاصلاحيين، وأقل منهم كان ما زال راغباً في مقاطعة الانتخابات.

وعكس مؤتمر بولونيا الطابع الملتهب لتلك الأيام، ولكن نتائجه موّهت

---

* كان الحزب الاشتراكي الايطالي قد حافظ على «برنامج جنوة» الذي وضع عام ١٨٩٢ طيلة فترة الحرب، وهو مثال صارخ على العجز عن صياغة مبادىء أولية. ولم يكن الايطاليون وحيدين في هذا، فالحزب الاشتراكي الديموقراطي في المانيا اتبع «برنامج ايرفورت» الذي تم تبنيه في عام ١٨٩١ حتى عام ١٩٢١ حين تبنى «برنامج غورليتز» الاصلاحي.

الالتباسات التي سرعان ما كانت لتذهب بوحدة الحزب. وعلى سبيل المثال، فإن الاصلاحيين قيّموا انضمامهم الى «الأممية الثالثة» على أنه عمل «مثالي» للتضامن مع الثورة، وتركوا أنفسهم بذلك أحراراً في انتقاد البرنامج المحدد للأممية[١٩].

غرامشي والحزب الاشتراكي الايطالي عام ١٩١٩

لم يكن غرامشي منغمساً بعمق أبداً في سياسات الأجنحة داخل الحزب الاشتراكي الايطالي. وكانت اهتماماته الحقيقية تتركز على تعليم الطبقة العاملة ووضع أسس ثقافية لمجتمع المستقبل. ومع ذلك، فإن التغييرات المتوالية في قيادة فرع تورينو حافظت عادة على وجود غرامشي في الادارة. وفي أيار (مايو) ١٩١٩، عندما أسس غرامشي صحيفة «النظام الجديد» (أورديني نووفو)، كان هو المفكر الوحيد الذي أدخل في اللجنة التنفيذية الجديدة للفرع. وكانت هذه اللجنة قد انتخبت على أساس تضمّن المشاركة في الانتخابات الوطنية «باعتبارها صيغة للتثقيف الثوري للجماهير»[٢٠].

ووافق غرامشي على هذا الرفض لـ «الامتناعيين» الى حد ملحوظ. وكان لا يحب ميل هؤلاء الفئوي الى التركيز على إيجاد حزب شيوعي «حقيقي»، متجاهلين في الغالب مهمة تعزيز الشروط التي تضمن نجاح مثل هذا الحزب بين الجماهير[٢١]. واعترض غرامشي بشكل خاص على الهجمات المذهبية التي كان الامتناعيون يشنوها على مشاركةالحزب في الانتخابات، ودعم غرامشي النشاطات الانتخابية لأنه كان يعتقد أن وجود عدد كاف من النواب الاشتراكيين «سيجعل من المستحيل على أي من القادة البورجوازيين أن يشكل حكومة مستقرة وقوية»[٢٢]. وكان هذا سبباً سلبياً بحتاً يعكس حالة الفوضى في عام ١٩١٩. وكان غرامشي يقول بإيجابية أكثر انه يمكن للاشتراكيين ان يستخدموا البرلمان لجذب انتباه الجماهير الى المشاكل الحقيقية للبلاد وإبراز الحلول لهذه المشاكل[٢٣]. ومع ذلك، فإن الامتناعيين تركوا تأثيراً قوياً في نفس غرامشي بتلهفهم الى طرد الاصلاحيين والتزامهم المطلق ببرنامج «الأممية الثالثة».

وبقي موقف غرامشي تجاه الاصلاحيين يتسم بالازدراء والمعاداة كما كان عليه أيام كتابة «المدينة المستقبلية»، ولكن تقييمه للقصوويين لم يكن معادياً بشكل مكشوف

بعد. وكان غرامشي يأمل بأن يعطي المؤتمر السادس عشر للحزب القصوويين طابعاً «أكثر واقعية»، أي ان يحملهم على هجر الشعاراتية البحتة والبدء بتنظيم شروط محددة من أجل ثورة ايطالية[٢٤]. وبالتالي، فإنه احتفظ بحكمه على القصوويين حتى نهاية عام ١٩١٩.

وكان غرامشي نفسه، في الأشهر الأولى من عام ١٩١٩، مذنباً بعض الأحيان في بعض الأخطاء التكتيكية التي ارتكبتها جماعة سيرّاتي. وفي ١٥ نيسان (أبريل) أحرق الفاشيون المقر الرئيسي لصحيفة «آفانتي» في ميلانو، فحيا غرامشي مقاومة مديري الحزب لأولئك الأعضاء المتعطشين الى الانتقام باعتبارها «أحد المواقف الأقوى التي تبناها الحزب في هذه الفترة»[٢٥]. واهتمامه بالخشية من ان تصبح الجماهير محرضة بأسرع من اللازم هو أمر مفهوم، ولكن النتائج السياسية لمقاومة غير ملائمة للعنف غير الشرعي بعد عام ١٩٢٠ دلّت على ان غرامشي كان ينظر أحياناً الى الصراع السياسي في ايطاليا بهدوء خاطىء.

ولكن القصوويين ارتكبوا عدداً من الأخطاء التي لم يشارك فيها غرامشي، حتى في هذه المرحلة المبكرة، إذ نادراً ما أزعج القصوويون أنفسهم بشرح فوائد الاشتراكية للطبقات الوسطى، وكثيراً ما أثاروا مخاوف هذه الطبقات بالتشديد الصاخب على العنف. على العموم، كان غرامشي يشدد دوماً على الطابع «الوطني» لثورة البروليتاريا في المستقبل. وكانت الاشتراكية قد طرحت لتحسين أوضاع كل الطبقات المتخلفة الامتيازات في الأمة، بما في ذلك البورجوازية الصغيرة، وهي ترغب في تحرير الاقتصاد الايطالي من التبعية للرأسمال الأجنبي[٢٧].

وبالرغم من ان غرامشي وأكثرية الحزب أرادا تحالفاً للعمال مع الفلاحين، فإن الحزب لم يدرس أبداً بصورة جدية مشاكل هذا التحالف. واستاء غرامشي من عدم توفر المعلومات عن مشكلة فلاحي الجنوب في صحافة الحزب، وهو غياب أجبر الاشتراكيين الايطاليين على العودة الى المجلات الأجنبية[٢٨]. والواقع ان النفوذ الاشتراكي في الجنوب كان ما زال ضعيفاً، ولم تكن نسبة الجنوبيين بين نواب الحزب الاشتراكي الايطالي المنتخبين عام ١٩١٩ تزيد عن ١٠ بالمئة[٢٩]. ونَسَبَ غرامشي

هذا الضعف الى الميل الاصلاحي لتفضيل «ارستقراطية» الطبقة العاملة في الشمال على جماهير فلاحي الجنوب(٣٠).

ورأى غرامشي خطراً في إطلاق التصريحات الملتهبة حول دكتاتورية البروليتاريا المقبلة، كما كان يفعل القصوويون، في وقت لا يطلب من العمال غير التوقعات السلبية. وكما قال بييترو نينّي فإن جماعة «النظام الجديد» بقيادة غرامشي مثلت «المحاولة الوحيدة لمواجهة الجانب التقني من الثورة» في فترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠(٣١). وفي أواسط عام ١٩١٩ عرف غرامشي ان الأمل الوحيد في نجاح الثورة الايطالية يكمن في بعث المؤسسات الاشتراكية وفي التثقيف السياسي والاقتصادي للعمال.

تأسيس «النظام الجديد» وبرنامجها

بعد الحرب، أعاد تاسكا وتولياتي وتيراشيني وغرامشي جمع مجموعة الطلبة القدامى في «اتحاد الشباب الاشتراكي» بنية تأسيس صحيفة تدار جماعياً الهدف منها نشر النظرية والثقافة الماركسيتين. وكان تدريب هذه المجموعة الأكاديمي وتجربتها الاشتراكية الوفيرة يؤهلانها لأداء المهمة*، وشعر أفراد المجموعة بأن المطبوعات الموجودة في هذا الحقل غير صالحة، فصحيفة «آفانتي» كانت تتحدث عن الثورة دون أن تفعل شيئاً من أجلها، و«كريتيكا سوشالي» كانت صحيفة إصلاحية، و«إل سوفييت» ـ التي أسسها بورديغا أخيراً في نابولي كصحيفة اسبوعية ـ كانت تركز جلّ اهتمامها على الامتناع عن المشاركة في الانتخابات. وهكذا، اجتمعت المجموعة في مكتب غرامشي في مقر صحيفة «آفانتي» في تورينو. وفي نهاية نيسان (أبريل) ١٩١٩ وضعت الخطة لاصدار صحيفة اسبوعية باسم «أورديني نووفو»، أي «النظام الجديد»، وظهر العدد الأول من هذه الصحيفة في الأول من أيار (مايو) ١٩١٩. وكانت لهذه الصحيفة أهيمتها في تاريخ الحركة العمالية الايطالية لسببين اثنين:

---

* كان كل هؤلاء باستثناء غرامشي متخرجين من جامعة تورينو. وكان تولياتي يحمل شهادتين جامعيتين، إحداهما في الحقوق والأخرى في الآداب والفلسفة. وكان تيراشيني يحمل شهادة في الحقوق وهو ما زال معتبراً من أفضل المحامين في ايطاليا بالرغم من قضائه ١٨ سنة في السجون الفاشية. اما تاسكا فسرعان ما بنى سمعته على أساس كونه باحثاً دقيقاً، وكان مسؤولاً عن تحرير رسائل انطونيو لابريولا الى انجلز (in Lo Stato operaio, 1927—30) وكل صفحة منها تذكر المرء بطبعة معلق على حواشيها من «الكوميديا الالهية».

الأول، لأن الرجال الذين ساهموا في إصدار «النظام الجديد» أصبحوا بمرور الزمن النواة المديرة للحزب الشيوعي الايطالي، والثاني، لأن الصحيفة كانت الأداة التي شن غرامشي من خلالها حملته لتنظيم السوفييتات الايطالية (مجالس المصانع)، وكانت هذه السوفييتات موضوعاً أساسياً لفترة ما بعد الحرب مباشرة.

كانت جماعة «النظام الجديد» تكاد تكون جدية بشكل مميز، وهي صفة لوحظت سابقاً كطابع اختص به اشتراكيو بييمونتي الأكثر شباباً. وحذر غرامشي أعضاء الحزب من أن «عليهم ان يتمتعوا ببرودة الأعصاب وصفاء الذهن في كل الحالات، وألا يسمحوا لأنفسهم بالانجراف وراء الشعور بالأهمية المبالغة او وراء الحلول المتسرعة. للأسف، إن الدول لا تبنى بالبطولات والمشاعر السخية، فالصفات الأساسية هي الانضباط والمثابرة والانسجام وازدراء اللامسؤولية»[٣٢]. وباستخدام هذه «الصفات الأساسية»، المأخوذة من الدراسة الأكاديمية الجدية، حاول غرامشي والرجال الذين حوله التخلص من البلاغة الكلامية التي كانت شائعة بين الثوريين الايطاليين.

بالرغم من جدية مؤسسي «النظام الجديد» فإن أحداً منهم لم يكن يتوقع لها ان تغير المستقبل الروحي للعمال الايطاليين، والواقع ان غرامشي أكد أن «الشعور الوحيد الذي وحّدنا في تلك الاجتماعات [المبكرة] كان عشقاً غير واضح المعالم لثقافة بروليتارية مبهمة»[٣٣]. ومع ذلك، كان غرامشي قد اقترح افكاراً محددة تماماً كانت قد سجلت في مسودات هذه الاجتماعات.

في ذلك الوقت، اقترح غرامشي أولاً إقامة مؤسسات ايطالية شبيهة بالسوفييتات الروسية. وحتى وقت قريب، كانت خلفية هذا التحول في فكر غرامشي قد بقيت غامضة. فقد أعلمنا فقط ببعض التأثيرات العامة التي دفعت غرامشي الى دراسة المؤسسات التمثيلية للجماهير العمالية. وكان بين اهتماماته ـ الى جانب السوفييتات ـ حركة ممثلي العمال داخل المصانع الانكليزية، والمجلة الأميركية «ذي ليبيريتور»، والاشتراكي الأميركي دانييل دي ليون[٣٤]. وبفضل مقالة نشرها أخيراً اميليو سوافي أصبح يمكن الآن إثبات ان غرامشي وقادة تورينو الشباب عموماً أظهروا اهتماماً

متزايداً بـ « التنظيم البروليتاري» منذ بداية عام ١٩١٨[٣٥].

ووجد سوافي أن زاوية «التنظيم البروليتاري» التي كانت تظهر بشكل منتظم في «إل غريدو ديل بوبولو» كانت تحتوي على «كمية مدهشة من المعلومات» عن المؤسسات العمالية. وفي ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩١٨ نشرت «إل غريدو» ـ التي كان غرامشي يرأس تحريرها منذ آب (أغسطس) السابق ـ مقالة غير موقعة حول «تطور النقابات العمالية» استَبَقَت الكثير من انتقادات غرامشي الموجهة الى البنية التقليدية للنقابات.

وعلى سبيل المثال، فقد هاجمت المقالة الاتحادات القديمة باعتبارها «في الأساس كوربوراتيفية* وتقليدية ومحافظة»، ونظراً للمركزية البيروقراطية للنقابات «فإن الجماهير تكتفي بالموافقة والطاعة السلبية»، في حين أن «السلطة التنفيذية تقوم بكل العمل». وقال كاتب المقالة المجهول ان الانتشار الواسع لطرق الانتاج الحديثة خلال الحرب يتطلب تطويراً أكبر لمؤسسات النضال الطبقي. وقبل كل شيء، فإن على النقابات ان تمنح البروليتاريا مسؤولية أكبر بحيث تتولد «المبادرة ودوافع العمل عند الجماهير وفي المِصانع»[٣٦]. وانتهت المقالة بوصف تفصيلي للحركة التمثيلية العمالية في انكلترا، حيث كان الانكليز يحاولون تجاوز محدودية النقابات العمالية من خلال التمثيل المباشر للعمال في المصانع.

وظهرت مقالة أخرى في الزاوية نفسها من «إل غريدو» توجز التطورات الأخيرة في الاتحاد الألماني لعمال المعادن، وتعلق المقالة مؤيدة تقوية العناصر اليسارية في الحركة الالمانية وانطلاق المظاهرات العفوية في برلين ولايبزغ . وانتقدت المقالة بقسوة ميل كل النقابات الأوروبية تقريباً الى التعاون مع حكوماتها. وقالت «إل غريدو» ان الانخفاض التالي بالنقابات الى مستوى الوظائف الاقتصادية والتقنية البحتة جعل المنظمات النقابية «لا معنى لها»، في حين ان مهمتها الحقيقية كانت «التحويل الكامل لمؤسسات الامتياز الرأسمالي»[٣٧].

---

* النقابات الكوربوراتيفية وجدت بشكل خاص في ايطاليا، وهي تضم أبناء المهنة الواحدة، وأصبحت هذه النقابات فيما بعد العمود الفقري للنظام الفاشي (المعرب).

ومما لا شك فيه ان كاتب هذه المقالة كان مدركاً للعلاقة بين اضرابات عمال المعادن في ايطاليا وانكلترا والمانيا وروسيا بين سنتي ١٩١٦ و١٩١٨. وللمرة الأولى في تاريخ الحركة العمالية الأوروبية أصبحت النقابات جزءا من البنية الحكومية في بلدانها، وذلك من خلال المشاركة في هيكل الانتاج. من الناحية الشكلية، أدى هذا الاندماج الى منح النقابات بعض السلطة والمسؤولية، ولكنه حدّ كثيراً من قدرة النقابات على حماية مصالح العمال. وقد يصلح المثال الانكليزي للدلالة على كل الحالات الأخرى: «إن قادة النقابات... بتخليهم عن حق الاضراب ولجوئهم الى التعاون، بشروط، مع الحكومة وأرباب العمل، تخلوا عن قوتهم وسلطتهم لقيادة سياسة نضالية لرفع مستوى الأجور او للدفاع عن المطالب النقابية»[٣٨]. وكما يقول سوافي فإن الحركة العمالية، لكي تدافع عن نفسها، «كانت مجبرة في كل مكان تقريباً على التعبير عن نفسها بأشكال جديدة كثيراً ما كانت غير منظمة و«عفوية» مالت في المناطق الأكثر تطوراً رأسمالياً الى ان تصبح مجالس لمندوبي الورشة والمصنع»[٣٩]. في هذا الاطار، يجب ان ينظر الى السوفييتات كاتجاه عام لدى الحركة العمالية الأوروبية كما في روسيا. وفي عام ١٩٢١ ذكر ريتشارد مولر، مؤسس مجالس العمال في برلين أيام الحرب، ان هذه المؤسسات «جاءت نتيجة للمضاعفات الاقتصادية للحرب، ولقمع كل حرية للحركة في الطبقة العاملة نظراً لحالة الحصار وللعجز الكامل للنقابات والأحزاب السياسية». وبالاشارة الى إضراب برلين في تموز (يوليو) ١٩١٦، لاحظ مولر ان المجالس «عملت بشكل مماثل تماماً للجان الورشات في الشركات الكبرى في بتروغراد سنة ١٩٠٥، بالرغم من ان [عمال برلين] لم يكونوا يعرفون شيئاً عن [هذه اللجان]... ولم يكن للنضال السياسي في تموز (يوليو) ١٩١٦ ان تقوده الأحزاب ولا للنقابات»[٤٠].

وبقدر ما هو معروف، فإن غرامشي لم يكتب في عام ١٩١٨ أية مقالة يناقش فيها بشكل مباشر مسألة المؤسسات العمالية في المصانع. ومع ذلك، ففي مقالة نشرها في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٨ أشار غرامشي الى عدم الرضى عن التنظيمات العمالية الايطالية القائمة، فالنقابات «بعيدة جداً عن تمثيل تلك القوى الديموقراطية القادرة على المراقبة والضبط المتبادلين الضروريين للعمل عند اية طبقة سياسية واقتصادية». وفي

رأي غرامشي ان نقطة الضعف الأكبر عند البروليتاريا الايطالية كانت ان «اقلية صغيرة من الأعضاء تشارك في الحياة الداخلية للعصبات ولغرف العمل». والأسوأ من هذا، هو ان الأكثرية، السلبية عادة، كان بإمكانها ان تتدخل «في لحظات تقريرية من حياة التنظيم، بحيث تضيف الى موافقتها تفاهة وطيش أولئك الذين، لأنهم لم يساهموا بشيء في النشاط اليومي للتنظيم ولا يفهمون المعنى المحتمل والنتائج الممكنة للقرار، لا يملكون شعوراً بالمسؤولية عن أعمالهم». وبهذا، «يصبح لقادة النقابات نفوذاً وأهمية ما كان يمكن ان تكونا لهم في اعتماد روح المساواة الديموقراطية أساساً للتنظيم»[41]. وفي مقالة أخرى تعود الى الفترة نفسها اشتكى غرامشي من أن الحزب الاشتراكي لم ينجح في خلق أجهزة يمكنها ان تنظم الجماهير بشكل دائم. ولكن غرامشي، على العموم، لم يقترح في هذه المرة طرقاً جديدة للتنظيم، بل اكتفى بالحث على التنسيب المكثف لأعضاء جدد في الحزب الاشتراكي الايطالي وفي «الاتحاد العام للعمل»، وهما «الجسمان الضروريان والكافيان لتطور منضبط وواع للنضال الطبقي»[42].

وكان كثيرون من القادة الثوريين الايطاليين يأملون بقيام سوفييتات في ايطاليا. وفي ١٣ آذار (مارس) ١٩١٩ دعا جوفاني بويرو، الذي كان يومها أميناً لفرع الحزب في تورينو، الى إدخال نظام السوفييتات في تلك المدينة. وعلى العموم، فان بويرو لم يكن قادراً على اقتراح أية وسائل عملية لتشكيل هذه السوفييتات[43]. وفي الشهر نفسه، نشر ألفونسو ليونيتي مقالة هامة في صحيفة «آفانغوارديا» (الطليعة)، وهي صحيفة «اتحاد الشباب الاشتراكي»، بعنوان «في فجر النظام الجديد»، دافع فيها عن إقامة السوفييتات باعتبارها «الضمانة الأكيدة للتحرك باتجاه الاشتراكية» والوسيلة الأفضل لاعطاء طابع حديث للحركة العمالية الايطالية[44]. ولكن غرامشي، الذي كان يرأس جماعة صغيرة من المفكرين الاشتراكيين، كان أول من رأى انه يمكن للسوفييتات ان تقوم في تورينو بتحويل «اللجان الداخلية» الى سوفييتات، وكانت هذه اللجان عبارة عن مؤسسات لها تاريخ طويل، وإن كان مخلخلاً ومتقطعاً، في المدينة.

بحلول عام ١٩١٨، كان هنالك عدد ملحوظ من اللجان الداخلية المقامة في تورينو، وخصوصاً في مصانع المعادن. على العموم، ومع بعض الاستثناءات القليلة،

لم تكن هذه اللجان تحظى بالاعتراف الرسمي لدى الصناعيين والحكومة[٤٥]. وفي شباط (فبراير) ١٩١٩، عندما وقّع عقد العمل بين «اتحاد موظفي وعمال المعادن» وتجمع صناعة السيارات، حصلت اللجان الداخلية على هذا الاعتراف الرسمي[٤٦]. وكانت هذه اللجان قد شكلت بالطريقة التالية: استشار «اتحاد موظفي وعمال المعادن» «أفضل العمال» في كل منشأة، وتم الاتفاق على لائحة تضم خمسة اعضاء، ثم ان هذه اللائحة «قدمت ونوقشت ووفق عليها في اجتماع [للعمال المنظمين] حضره ممثل للاتحاد». في البداية، تم اختيار رجال اللجان من بين أولئك المقبولين لدى الادارة، اما فيما بعد فكانوا كثيراً ما يُختارون من بين أعضاء الحزب الاشتراكي[٤٧]. وهكذا، لم تكن اللجان الداخلية أجساماً منتخبة ديموقراطياً تمثل بدقة وجهات العمال كلهم. وفي أغلب الأحيان كانت هذه اللجان تمثل أفكار قادة النقابات، في حين كانت تهمل العمال غير المنظمين إهمالاً كلياً تقريباً. وأكثر من ذلك، فإن مهمات اللجان كانت تقتصر على النزاعات المعتادة حول الأجور وساعات العمل وشروطه. اما المشكلات الأساسية بالنسبة للسوفييتات، اي السيطرة البروليتارية على الانتاج وتحضير البروليتاريا لتكون طبقة حاكمة، فلم تؤخذ في الاعتبار أبداً.

واقترح غرامشي على رفاقه ان يدرسوا أوضاع اللجان الداخلية وأن يعثروا على الوسائل المناسبة لتحويلها الى سوفييتات حقيقة وكاملة، كأجسام **عمالية** أكثر منها جماعات نقابية. وكان على رفاق غرامشي كذلك ان يدرسوا وحدة المصنع الرأسمالية «كصيغة ضرورية للطبقة العاملة، وكجهاز سياسي، وكـ«أرض وطنية» للحكم الذاتي للطبقة العاملة»، وهو ما اعتبره غرامشي ضرورياً للربط بين المصنع والعامل الاشتراكي بنفس الطريقة التي تربط بين البلدية او المنطقة الانتخابية و«المواطن» البورجوازي[٤٨].

واعترض آنجيلو تاسكا على جعل هذا البرنامج هدفاً لـ « النظام الجديد»، وبشكل أكثر دقة فإنه اعترض على الدعاية للبدء باقامة السوفييتات قبل الاتفاق المسبق مع الصناعيين والنقابات. وكان تاسكا قد دخل «اتحاد الشباب الاشتراكي» منذ عام ١٩٠٨ وكان ناشطاً في إضرابات عمال المعادن الكبرى خلال عامي ١٩١٢ ـ ١٩١٣.

ولذلك، فقد كان له ارتباط حميم بقادة الحركة العمالية في تورينو، وقد تردد في الموافقة على برنامج قد يهدد مصالح هؤلاء. وأكثر من ذلك، فإن فهم تاسكا لصحيفة تمثل «الثقافة الاشتراكية» كان يختلف كثيراً عن فهم غرامشي لهذه الصحيفة. فبالنسبة لتاسكا، كان الغرض من مثل هذه الصحيفة هو مراجعة تاريخ الفكر الاشتراكي، وكان لأعمال أنطونيو لابريولا ـ المساهم الايطالي الوحيد ذو الأهمية في الفكر الاشتراكي ـ ان تشكل النقطة المركزية في هذه الدراسة التي كان هدفها الأخير إجراء اعادة نظر شاملة في الماركسية.

ودعم تولياتي وتيراشيني خطة غرامشي. ولكن، نظراً لأن تاسكا كان الوحيد القادر على استدانة مبلغ ٦٠٠٠ ليرة ايطالية ضرورية للبدء بنشر الصحيفة، فان الأعداد الأولى من الصحيفة الجديدة عكست نفوذه*. ووصف غرامشي شكل الصحيفة حتى ٢١ حزيران (يونيو) بأنه ليس أكثر من «مقتطفات أدبية مختارة» أو «مراجعة لثقافة تجريدية»، وكانت هذه الثقافة تجريدية بالنسبة لغرامشي لأنها لم تكن تحتوي على شيء من مشكلات تورينو، بل كان يمكن ان تنشر «في نابولي او كالتانيسيستا او برينديزي»[٤٩]. ولم يكن للصحيفة برنامج محدد ولا فكرة مركزية قادرة على تحريك الجماهير التورينية.

وبدأت الأصالة في «النظام الجديد» مع صدور العدد السابع منها في ٢١ حزيران (يونيو)، بعد أن قام غرامشي وتولياتي في منتصف حزيران (يوليو) بـ « انقلاب تحريري» ناجح. وكان غرامشي قد طرح مشكلة اللجان الداخلية وتحويلها الى سوفييتات في افتتاحيته الأولى المعنونة «الديموقراطية العمالية»، وحصل على نجاح

---

* Ferrara and Ferrara, p. 47

وكان غوبيتي Gobetti (ص ١١٨ ـ ١١٩) قد وصف عمل تاسكا في الصحيفة بقوله: «بدأ بسلسلة من الدراسات حول لويس بلانك، وكان هذا العمل قد جرى بالعناية البيبليوغرافية لمحرر موظف في «جورنالي ستوريكو ديلا ليتيراتورا ايتاليانا» (الصحيفة التاريخية للأدب الايطالي). والى شمول الكتابات للهوامش والاستشهادات، فإن الاهتمام فيها كان موجهاً الى مشكلة الملكيات الصغيرة ومعبراً عن مواقف عاطفية تكاد تكون بورجوازية صغيرة. وكان هنالك في أفكاره بعض الأمور العملية المأخوذة عن باكونين وتوراتي معاً». ولكن حكم غوبيتي غاية في القسوة. لا شك في ذلك. فقد أصبح تاسكا في ما بعد معادياً شجاعاً للفاشية، ومع ذلك وجد الوقت الكافي لكتابة عمل نموذجي حول أصول الفاشية بعنوان «ولادة وحلول الفاشية»:
(Nascita e avvento del façcismo).

فـوري. ودعت نوادي العمـال والعديـد من اللجان الـداخليـة غـرامشي وتـوليـاتي وتيراشيني الى مناقشة السياسة الجديدة لـ «النظام الجديد»، التي سرعان ما انضم اليها كثيرون. وربما كان الخطاب الأهم لغـرامشي هو ذلـك الذي ألقـاه في ٢٤ حزيـران (يونيو) ١٩١٩ أمام مجموع فرع الحزب الاشتراكي. وبعد الدعوة الى تحويل اللجان الداخلية الى سوفييتات من النوع الذي أقيم في روسيا والمجر، و«استناداً الى الخبرات الثورية للجماهير العاملة الانكليزية والاميركية»، أكد غرامشي ان إقامة السوفييتات ستكون أسهل بكثير قبل الثورة منها بعد الثورة، عندما «يصبح الجدل والصـدام بين الاتجاهات المختلفة أكثر حدة». وفي نداء موجه الى الامتناعيين، الذين كانوا يزدادون قوة في تورينو، قال غرامشي ان اقامة السوفييتات سيشكل، بحد ذاته، نقداً إبداعياً وفاعلاً لقيمة النشاط البرلماني(٥٠).

في آب (أغسطس) ١٩١٩ حصل برنامج غرامشي على نتائجه الأولى الملموسة. ففي مؤتمر لـ «اتحاد الشباب الاشتراكي» عقد في وقت مبكر من ذلك الشهر نـوقش برنامج «النظام الجديد» طويلاً. وأعلن ماريو مونتانيانا أن صحيفـة «النظام الجـديد» يجب ان تصبح بالنسبة للاشتراكيين ما كانته صحيفة برتيزوليني «لافـوتشي» بالنسبـة للبورجوازيين(٥١). والأهم من هذا هو ان اللجنة الداخلية في «فيات ـ المركز»، وهو أكبر مصنع في تورينو، استقالت ودعت الى انتخاب مجلس يضم «مفـوضاً» عن كـل قسم صناعي في المنشأة. وبحلول ٢٦ تشرين الأول (اكتوبـر) ١٩١٩، كان قـد تم تنظيم أكثر من ٥٠ ألف عامل توريني في ٣٠ مصنعاً(٥٢). وازداد العدد الى ١٥٠ ألفاً في نهاية العام(٥٣). وفي ١ تشرين الثاني (نوفمبر) انتخب فرع تورينو لـ «اتحاد موظفي وعمال المعادن»، الذي يبلغ عدد أعضائه ١٦ ألفاً، لجنة تنفيذية جديدة تبنت مبادىء مجالس المصانع، ومنذئذ، كان لهذه المجالس ان تمثل النقابـة داخل الـورشات. وفي كانون الأول (ديسمبر) قبلت المجالس أيضاً لدى فرع الحزب الاشتراكي الايطالي في تورينو، وعين الفرع لجنة للدراسة برئاسـة توليـاتي(٥٤). وأخيراً، وفي كـانون الأول (ديسمبر) أيضاً أقرت «غرفة العمل» في تورينو، وبأكثريـة كبيرة، قـراراً يوافق عـلى حركة المجالس ـ ووصفت هذه الحركة بـأنها «منطلقـة عفويـاً من مصانـع تورينـو» ـ باعتبارها «دلالة على نضج الطبقة العاملة»(٥٥).

الأساس النظري لمجالس المصانع عند غرامشي

لم ينفق غرامشي الوقت والجهد في تحويل اللجان الداخلية الى سوفييتات «حقيقية» لأنه اعتقد بوجوب التقليد التبعي للثورة الروسية، بل بسبب الاحترام الكبير الذي كان هنالك لـ « المجالس» في كل مكان تقريباً في أوروبا ما بعد الحرب، ونتيجة لفهمه العام للنظرية الاشتراكية للثورة. بالنسبة للماركسية، كانت البروليتاريا طبقة جديدة محتواة ضمن بنية الرأسمالية، وكان وجودها بحد ذاته يسرع في انهيار تلك البنية. وكطبقة جديدة، فإن البروليتاريا ستخلق دولة جديدة، اشتراكية الطابع نتيجة لأوضاع الصناعة الحديثة وإيمان العمال بأن الاشتراكية وحدها قادرة على وضع حد لاستغلال طبقة لأخرى.

واستناداً الى غرامشي فإن هذه الدولة الاشتراكية «موجدة كإمكانية في مؤسسات الحياة الاجتماعية المميزة للطبقة العاملة المستغَلّة»[٥٦]. وعلى العموم، فإن إيجاد هذه الدولة الجديدة يستدعي بالضرورة تحديد الشروط الأساسية لتحقيق الانتقال اليها. وكان الشرط الأساسي هو، بالتأكيد، دخول كل العمال في إطار المؤسسات الاشتراكية، لأنه بذلك فقط يمكن للطبقة كلها ان تصبح واعية لدورها في خلق الدولة الجديدة. ولم يكن لأي من المؤسسات القائمة للطبقة العاملة ان تحقق هذا الشرط. وكان الحزب في وضع يصعب عليه معه استيعاب الطبقة العاملة بأسرها خلال فترة قصيرة من الزمن، وحتى لو استطاع الحزب ان يفعل ذلك فإنه سيتوقف عن كونه «طليعة» للبروليتاريا ومنارة للمستقبل. وبدلاً من ذلك، فإنه سيخضع لسيطرة حقائق اللحظة الراهنة. وكانت النقابات لا تتحدث إلا باسم أعضاء مهن معينة، وكان لها ـ في كل الأحوال ـ أهداف محدودة مثل تحسين الأجور وساعات العمل، وبالتالي فإن المستقبل لم يكن من مهمات هذه النقابات.

وكان لا بد من خلق مؤسسة جديدة يمكنها ان تنظم البروليتاريا «لتثقيف نفسها وتجميع الخبرات واكتساب الوعي المسؤول للواجبات المترتبة على الطبقات التي تمسك بسلطة الدولة». وكان على المؤسسة الجديدة ايضا ان تضم، في ذاتها، نموذج الدولة البروليتارية[٥٧]. وكانت السوفييتات بالطريقة التي نشأت بها في روسيا قد لبت هذين

المطلبين كليهمـا ، وكان غـرامشي ينظر الى اللجـان الداخليـة كسوفييتـات ممكنة، وبالتالي فإنه سعى الى تحويل هذه اللجان الى أداة فاعلة.

وكـانت إحدى نقـائص اللجان هي أنها تمثـل فقط أولئك العمـال المنظمـين في النقابات. اما العمال غير المنظمين ـ وهم في غالبيتهم من غير المهرة ومن ذوي الياقات البيضاء ـ فلم يكونوا ممثلين. وكما في النقابات، كانت اللجان الداخلية تقصر نشاطها على مسائل الأجور وساعات العمـل. ونظراً لأن العمـال لم يكونـوا ممثلين كلهم فإن «تثقيف» الـطبقة العـاملة بأسـرها لم يكن ممكنـاً. وبالشكـل نفسه، فـإن الواجبـات المقتصرة على العلاقات بين أرباب العمل والموظفين لم تكن لتعدّ العمال لمسؤوليتهم الكبرى في الدولة الاشتراكية المقبلة. وكان التحويل الفاعل للجان الى سوفييتات، أو مجالس، يستدعي القضاء على حالات الخلل هذه.

وقد مكنت طبيعة اللجان الاشتراكيين من إيجاد الشروط اللازمة للثورة مباشرة داخـل المصنع، الـذي هو الـوحدة الأسـاسية للمجتمـع الاشتراكي. واستنـاداً الى غرامشي، فإن مراكز القوة الرأسمالية كانت تجارية ومالية (مصارف وتبـادل عملات واحتكارات «كارتل» و«تروستات» وغرف تجارة)، أما مراكز قوة المجتمع البروليتاري فكان يمكن ان تكون صناعية (المصنع ومجموعات المصانع)(٥٨). وكان جوهر الثـورة الاشتراكية يكمن في الاعتـراف بهذه الحقيقـة الاقتصاديـة وفي العمل لجعـل المصنع مؤسسة اقتصادية. واذا كان الاقتصاد يسبق السياسة فإن الثورة هي عمل سياسي، وبالتالي فإن على المصنع ان يعطى «الشكل العضوي والتنظيمي» اللازم لجعله قاعدة للثورة السياسية(٥٩).

وحالةالتخلف التي كان الاقتصاد الايطالي يعاني منها كانت تجعـل هذا التحـرك أكثر ما يكون ضرورة. ولم يكن لاندلاع الثورة أن يضمن انتصار الثورة الاشتراكية في إيطاليا، حتى وإن أطيح بنجاح بالدولة البورجوازية(٦٠). وقد يمكن لأكثرية السكان أن توافق على تدمير النظام الحالي، ولكن عمال المصنع وحـدهم يستطيعـون ضمان انتصار الاشتراكية. وهـم وحدهم ـ خلافاً للفلاحين وصغار البورجوازيين ـ متأكدون «حسـابياً» من أنهم لن يصبحـوا أصحاب نـظام رأسمالي، وبـالتالي فـإنهم وحـدهم

يؤمنون تماماً بأن الاشتراكية، كنظام جديد يقوم على الملكية الجماعية، ضرورية[٦١]. لهذا، فان مستقبل الاشتراكية كان يتطلب تنظيم العمال داخل المصانع. وبالنسبة لغرامشي، فان تطوير مجالس المصانع لم يكن مجرد رغبة، فشروط وجود هذه المجالس قائمة فعلاً.

وكانت التطورات التكنولوجية في المصنع قد غيرت من موقع المعلمين الحرفيين والتقنيين داخل المنشآت الصناعية. وصار باستطاعة العامل ان يتابع عمله بدون إشراف مباشر عليه في معظم مهماته التقنية، وحصل بالتالي على استقلال ذاتي أكبر. والتقني، الذي لم يعد ضرورياً عندما حل الانضباط الذاتي محل الانضباط المادي للمصنع، كان قد «انحدر الى مستوى المنتج» المرتبط بالرأسمالي «بعلاقة عارية وفجة بين المستغَل والمستغِل»[٦٢]. وبالتالي، فإن نفسيته أصبحت بروليتارية أكثر منها بورجوازية صغيرة.

إن نمو الرأسمالية المالية، بفصلها المادي المرافق بين صاحب العمل والمصنع، جعلت دور الرأسمالي هامشياً. ولم تعد بصيرته ومبادراته ومصالحه الفردية ضرورية للانتاج.

«لقد أصبح قبطان الصناعة فارساً صناعياً مختبئاً في المصارف والصالونات والبورصات والأروقة الوزارية والبرلمانية. وأصبح مالك رأس المال فرعاً ميتاً في حقل الانتاج، ومنذ ان أصبح غير لازم بالضرورة ـ بعد ان ضمرت وظائفه التاريخية ـ تحول الى مجرد عميل للشرطة. انه يضع مصالحه مباشرة في أيدي الدولة التي ستحميها بلا شفقة»[٦٣].

لقد حصل عمال المصنع على درجة عالية من الاستقلال الذاتي من خلال إزالة الدور الشرعي للرأسمالي في الانتاج. وكان العمال على استعداد لاستخدام هذا الاستقلال الذاتي بفائدة جيدة، لأن حياة المصنع، بانتاجها الكثيف والمنهجي، علمتهم احترام النظام والدقة. لقد كان تضامن الطبقة العاملة ـ وهو قوة العمال ـ يعتمد على هذه الصفات وعلى تقسيم للعمل مصاحب لها، كما يرى في المصنع. ووصل كل عامل الى التفكير بنفسه على انه غير قابل للانفصال عن رفاقه في القوة

العاملة. «وكلما زاد تخصص البروليتاري في مهنة ما، شعر أكثر بالحاجة الكبيرة الى رفاقه، وصار يفكر بنفسه كخلية في جسم منظم. . ويشعر أكثر بالحاجة الى النظام والمنهجية والدقة. . . ». وبدأ العامل يفهم المجتمع على انه «مصنع واحد كبير، منظم بنفس الدقة والمنهجية والنظام الذين يراهم العامل غاية في الأهمية داخل المصنع حيث يعمل»[٦٤].

برنامج مجالس المصانع وتنظيمها

في ٣١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٩ ناقشت اول جمعية عمومية لمفوضي مصانع تورينو برنامجاً للمفاهيم العامة والنواظم المعينة لتنظيم مجالس المصانع، ووافقت على هذا البرنامج، أولاً في تورينو (حيث كانت الحركة قد أصبحت تضم ٥٠ ألف عامل)، ثم في مقاطعة بييمونتي، ثم ـ احتمالاً ـ في كل أنحاء ايطاليا*. هذا البرنامج، الذي نشر كاملاً في عدد «النظام الجديد» الصادر في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر)، عكس بشكل مباشر أفكار غرامشي حول الغرض من إقامة هذه المجالس. وحتى لغة الوثيقة، بلهجتها الهيغلية المبالغة، هي لغة غرامشي، بالرغم من انه وصف البرنامج، تواضعاً، بأنه نتاج جماعي لـ« لجنة الدراسة» التي عينها المفوضون[٦٥]. وكانت المجالس قد أنشئت بعناية كبيرة لتجنب النواقص الموجودة في التنظيمات الاشتراكية الايطالية المعاصرة.

بعد تحليل مطول للعلاقة بين النقابات والمجالس، شدد «البرنامج» على أهمية المبادىء الديموقراطية في عملية المجالس: فالذين يجري انتخابهم كمفوضي مصنع ما عليهم أن ينفذوا ارادة جمهور العمال في المصنع. وعلى العموم، فإن هذه الديموقراطية لم تكن تقوم فقط على أساس التعبير الرقمي عن ارادة الجمهور، بل هي ـ بالاضافة ـ تعكس وظائف العمال والتنظيم الذي «اتخذته لنفسها بشكل طبيعي الطبقة العاملة من خلال عملية الانتاج الصناعي المتخصص مهنياً وفي المصانع»[٦٦]. وداخل كل

---

* كان أول مجلس في تورينو قد شكل في منشأة «بريفيتّي ـ فيات» في مطلع شهر أيلول (سبتمبر) ١٩١٩ . وتم انتخاب ٣٢ مفوضاً يمثلون سبعة أقسام صناعة، وكان كل العمال البالغ عددهم ٢٠٠٠، وباستثناء ثلاثة أو أربعة، قد مارسوا حقهم في التصويت:

(L'Ordine nuovo [10], pp. 356—57).

قسم من أقسام مصنع ما، انتخبت كل «فرقة عمالية» ـ وهي جماعة متخصصة بوظيفة أو عمل واحد ما ـ مفوضاً واحداً. وأخيراً، كان لا بـد لموظفي الادارة من أن يمثلوا، سواء كانوا مهندسين أم تقنيين أم موظفين مكتبيين(٦٧).

ولضمان تمتع المفوضين الـدائم بثقة واحتـرام العمال، فـإنه كـان يمكن سحب التفويض المعطى إليهم من خـلال استفتاء يمكن ان يجـري في أية لحـظة(٦٨). وبهذه الـطريقة كـان يؤمل بتجنب «التبقـرط» (من البيروقـراطية) السخيف الـذي عرفتـه النقابات. ولم يوضع سوى شرط واحد يحد من المسـاواة التامـة بين كـل بروليتاريّ المصنع، إذ كان لكل عامل الحق في التصويت، ولكن المنظمين داخل النقابات كان لهم وحدهم حق أن يصبحوا مفوضين(٦٩). وكـان هذا الشـرط مبرراً بعـدم النضج السياسي للكثير من العمال غير المنظمين، وبخطر التخريب الرأسمالي داخل المؤسسة الجديدة، وبالحاجة الى التدخـل المتوالي للمجلس فـي أمـور تتعلق بالنقـابات(٧٠). وأعطى البرنامج أيضاً مسؤولية مزدوجة للمفوضين. فهم كانوا يمثلون طبقة اجتماعية كممثلين لكل بروليتاريا المصنع، وكـانوا نـاطقين بـاسم فئات النقـابات داخـل كل منشأة.

وكانت نواظم، أو قواعد، البرنامج تنص على تسمية لجنة تنفيذية تختار من مجلس المفوضين وتتألف مما يتراوح بين ثلاثة وتسعة أعضاءحسب المصنع(٧١). وهذه اللجنة التنفيذية أخذت محل اللجنة الداخليـة القديمـة وكان عليهـا ان تحصل عـلى اعتراف المصنـع باعتبـارها كـذلك(٧٢). وكـان للمجلس طبعاً ـ وبـالتالي للجنـة التنفيذيـة ـ سلطات أوسع بكثير مما كان للجنة الداخلية، ولكن كان لا بد من تأمين اعتراف مبكر للادارة بالمؤسسة الجديدة.

وكانت للمفوضين مهمات مختلفة عديدة، وبالرغم من ذلك، لم يكن يسمح لهم بترك وظائفهم في مصانعهم إلا في الظروف التي تتـطلب وجودهم خـارج أقسامهم. ويحتوي «البرنامج» على إحدى عشرة مادة مرقمة تحت عنـوان «مهمات المفـوضين في المصانع». ويمكن اختصار هذه المواد بشكل أساسي الى ثلاث: الـدفاع عن حقـوق العمال، والاستعداد لإنتزاع السلطة في المصانع، وتثقيف العمال.

وكان «البرنامج» ينظر الى تثقيف العمال بطريقة جديدة كلياً. وكان المفوضون مسؤولين عن تنظيم مدرسة داخل المصنع لزيادة مهارات العمال في مهنهم او وظائفهم الصناعية(٧٣). وبالاضافة الى «مدارس العمل» هذه أقامت « النظام الجديد » « مدرسة للثقافة والدعاية الاشتراكيتين» في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩، انتمى اليها سواء الطلاب الجامعيون أم العمال. وكان غرامشي وتولياتي وتاسكا وباستوري يلقون المحاضرات هناك، كما كان يفعل عدد من أساتذة الجامعة(٧٤). وقد بحثت هذه المدرسة فكرة «دولة المجالس» كدولة جديدة كلياً تُحل «نظام المجالس» محل الدولة الليبرالية.

وحاولت «النظام الجديد» نفسها دفع التثقيف العمالي الى الأمام من خلال إقامة دروس منتظمة، مثل ذلك المسمى «معركة الأفكار»، وتقديم مساهمات خاصة، مثل دراسة آلدو أوبردورفر عن ليوناردو دافينشي او ترجمات تولياتي لوالت ويتمان(٧٥). وكان في رأي غرامشي ان الخلل في الثقافة الايطالية أصاب أكثر ما أصاب الطبقة العاملة، وهي الطبقة الوحيدة القادرة على ان تربط عضوياً بين الثقافة والحياة. ومن خلال التثقيف وحده يمكن للعمال ان يتوصلوا الى النضج الذي يمكنهم من الاستيلاء على السلطة، وبالتالي، فقد أراد غرامشي ان يقنع الطبقة العاملة، من خلال المجالس، بأن « من مصلحتهم الخضوع الى نظام دائم للثقافة ، لكي يطوروا لأنفسهم مفهوماً للعالم وللنظام المعقد والمتشابك للعلاقات الانسانية، الاقتصادية منها والروحية، التي تشكل الحياة الاجتماعية للكون»(٧٦).

وكان البرنامج التثقيفي يتعلق بشكل مباشر بمهمة أخرى لمفوضي مجالس المصانع، ألا وهي الاستعداد للاستيلاء على السلطة. وكانت هذه المهمة تتلخص، بالدرجة الأولى، في تحضير العمال لأن يصبحوا منتجين مستقلين ذاتياً. وبالتالي، فإن المطلوب من المفوضين كان دراسة « الأنظمة البورجوازية للانتاج »، وعندما يكون ذلك ممكناً: اقتراح طريق لتسريع الانتاج بالغاء العمل غير اللازم. واذا كانت التجديدات التقنية ـ حتى الذي تقترحه الادارة منها ـ تبدو مفيدة للانتاج، فإنه يجب حث العمال على قبولها، حتى وإن كان الثمن «ضرراً مؤقتاً» يلحق بمصالحهم، على ان يكون الصناعيون أيضاً راغبين في تقديم التضحيات(٧٧). وبهذه الطريقة، سيكون على

العامل ألا يفكر بنفسه ككاسب للأجر بل كمنتج، مع الوعي الكامل بمكانه الدقيق في عملية الانتاج «بكل مستوياتها، من المصنع، الى الأمة، الى العالم»(٧٨). وكان غرامشي يعتقد ان هذه النظرة الموسعة هي أفضل ضمانة للتغيير الكامل للنظام الرأسمالي القائم.

وكان الهدف النهائي للمجالس قد أعلن بوضوح كبير في ما يكتبه تولياتي في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠:

«ليس لتأسيس المجالس قيمة إلا إذا نظر اليها كبداية واعية للعملية الثورية. وليس للسيطرة على الانتاج أي معنى إلا اذا كانت جزءاً... من هذه العملية... إن البرنامج النموذجي المضاد للثورة فيما يختص بتأسيس المجالس، أجهزة المجتمع المستقبلي، يتركز على جعل هذه المجالس تعترف بالدولة، الجهاز الأعلى للمجتمع الحالي... ولا يمكن ان تكون هنالك أية تسوية بين التنظيم البورجوازي وتنظيم العمال. وما من سلطة يمكن اقتسامها بينهما، هناك سلطة واحدة يجب الاستيلاء عليها»(٧٩).

واعتقد غرامشي بأنه يمكن للمجالس، اذا سمح لها بتنمية الوظائف المشار اليها أعلاه، ان تحل محل الدولة البورجوازية:

«إن مجلس المصنع هو نموذج الدولة البروليتارية. وكل المشاكل المتعلقة بتنظيم الدولة البروليتارية هي مشاكل تتعلق بتنظيم المجلس. وفي الحالتين يتراجع مفهوم المواطن ويحل محله مفهوم الرفيق، مفهوم التعاون لانتاج الثروة... ومضاعفة روابط التعاطف والأخوة. كل انسان ضروري، وكل إنسان في مكانه، ولكل انسان وظيفة ومكان عمل. حتى الأكثر جهلاً وتخلفاً من العمال، وحتى الأكثر تفاهة «وحضارة» من المهندسين، قد يمكنه ان يقنع نفسه بهذه الحقيقة في تجربة تنظيم المصنع. وكل إنسان يحتمل ان يكتسب وجهة نظر شيوعية من خلال فهم الخطوة الكبيرة الى الأمام التي يمثلها الاقتصاد الشيوعي بالنسبة الى الاقتصاد الرأسمالي. والمجلس هو الجهاز الأكثر ملاءمة للتثقيف والتنمية المتبادلين للروح الاجتماعية الجديدة التي نجحت البروليتاريا في تحقيقها... إن تضامن الطبقة العاملة... في المجلس هو أمر إيجابي

ودائم وحاضر حتى في أقل اللحظات أهمية في الانتاج. انه موجود في الوعي المبتهج بالكون كلًّا عضوياً ونظاماً منسجماً ومتماسكاً يؤكد سيادته، بالعمل المفيد والانتاج اللامصلحي للثروة الاجتماعية، ويحقق سلطته وحريته كصانع للتاريخ»[٨٠].

لهذه الأسباب، أكد غرامشي في أيلول (سبتمبر) ١٩١٩ أن «تشكيل نظام للمجالس يمثل التأكيد الأول الملموس للثورة الشيوعية في ايطاليا»[٨١]. وكان لبعض الوقت ان يمر قبل ان يكتشف غرامشي أن حركة المجالس كانت آخر تقدم حققته «الثورة الشيوعية في ايطاليا».

النقابوية ومجالس المصانع

إن الأهم بين المشاكل التي أثيرت في تشكيل مجالس العمال كانت العلاقة بين المجالس والنقابات والحزب الاشتراكي الايطالي. وأوضح غرامشي ان الحزب والنقابات قاموا في فترة تاريخية تسيطر عليها الرأسمالية. وبهذا فإن الحركة البروليتارية بكاملها لم تكن مستقلة. فهي لم تكن تنصاع «لقوانين» متضمنة في الحياة والتجربة التاريخية للطبقة العاملة، بل لقوانين تفرضها عليها الطبقة المالكة، طبقة الرأسماليين. وكأية ظاهرة أخرى من ظواهر المرحلة لم تكن الحركة البروليتارية إلا تطوراً «للتنافس الرأسمالي الحر». كانت النقابات «تدخل هذه المنافسة» اقتصادياً، وكان الحزب يدخلها سياسياً. وبسبب هذا الواقع، رسم غرامشي خطوط «كل النزاعات الداخلية، والانحرافات، وحالات التردد والتسويات التي ميزت كل حياة الحركة البروليتارية، والتي توجت بإفلاس الأممية الثانية»[٨٢].

وفي رأي غرامشي ان الخطأ الأكبر المتعلق بالأصول التاريخية للحركة النقابية كان ميل الكثيرين من قادتها الى النظر الى صراعها الاقتصادي مع الرأسمالية على انه نشاط أساسي من نشاطات الثورة الاجتماعية، ورأى غرامشي هذا على انه نضال **مؤقت وطارىء** وليس **دائماً**. النقابة بحد ذاتها كانت قد ولدت كرد فعل لشروط تاريخية معادية (مفروضة)، وليس كتشكيل مستقل للعمال (مقترح). ونظراً لاعتماد النقابات على القوانين الرأسمالية، فإنها لم تكن تملك «خطاً ثابتاً ويمكن التنبؤ به للتطور»، وبالتالي، فإنها كانت عاجزة عن تجسيد حركة ثورية إيجابية. [٨٣].

ولأن النقابوية كانت مجرد صيغة من صيغ المجتمع الرأسمالي، فإنها نظمت العمال كمجموعة داخل النظام الرأسمالي مكلفة ببيع سلعة تسمى «العمل». ولبيع هذه السلعة بأعلى سعر، نظمت النقابات العمال على أساس مبدأ او اثنين، حسب الظروف: استنادا الى أداة مهنة ما، وهو ما أعطى نقابوية الحرفة، او استنادا الى المادة المراد تحويلها (مثل تحويل الحديد الى فولاذ)، وهو ما أعطى النقابوية الصناعية. هذان المبدآن كانا مفروضين على النقابات من قبل النظام الرأسمالي. ونظراً لأن استخدام المخرطة بدلاً من النول، مثلاً، او صناعة الفولاذ بدل الثياب، كان يعتمد على المستويات المختلفة لقدرة العمال وتدريبهم، فإن كلًا من كميات الجهد وكميات الربح كانت غالباً شديدة التراتب. وهذا ما أدى بالعمال الى أن لا ينظروا الى عملهم كـ « عملية للانتاج، بل كوسيلة للربح فحسب»[٨٤].

على العكس من ذلك، فإن مجلس المصنع أدى بالعمال الى أن ينظروا الى انفسهم «كجزء لا ينفصل من نظام شامل للعمل جمع في شيء مولّف». وساعد المجلس العامل عى تحقيق «وحدة العملية الصناعية، التي تتطلب تعاون العمال غير المهرة والعمال المهرة والموظفين الاداريين والمهندسين والمديرين التقنيين»[٨٥]. وشدد غرامشي على كون هذا المفهوم أساسياً بالنسبة للعملية الثورية.

وبالرغم من ان النقابة كانت أدة للصراع الطبقي (أو «التنافس الطبقي») فإنها لم تحقق أية انتصارات ذات مغزى على مؤسسات الملكية الخاصة والربح. والوعي المبكر بأن القضاء على الرأسمالية أبعد مما تقوى عليه (وهذا يعود طبعاً الى أصل النقابة ومفهومها للعامل) سرعان ما أدى بالنقابة الى توجيه كل جهودها الى الهدف الفوري الذي يتلخص في رفع مستوى معيشة العمال عن طريق المطالبة بأجور أعلى، وساعات عمل أقل، وهيكل للتشريع الاجتماعي. وقد تحسن مستوى المعيشة نسبياً. ولكن كل الانتصارات النقابوية، تم تحقيقها في إطار نظام الملكية الخاصة. ونادراً ما تأثر الربح. وعندما كان معدل الربح يخفض بنجاح من خلال جهد النقابة كان هذا يؤدي الى «إيجاد استقرار جديد: عن طريق المنافسة الحرة في حالة الأمم ذوات الاقتصادات العالمية، كانكلترا وإلمانيا، وعن طريق تعرفات الحماية في حالة الأمم ذات الاقتصادات المحدودة، كفرنسا وايطاليا». وهكذا، فان تزايد تكاليف الانتاج

الصناعي كان يحول الى كاهل جماهير المستعمرات او كاهل شريحة واسعة من السكان في الدول المستقلة الأكثر تخلفاً. وفي كلتا الحالتين كان يمكن للعمل النقابي ان ينتج ثورة اجتماعية[٨٦].

كان مما يحد من حرية عمل النقابة خضوعها المتزايد للشرعية الضيقة في علاقاتها مع الطبقة المالكة[٨٧]. والواقع ان شرعية النقابات كانت أفضل ضمانة لقدرتها على القيام بمهمتها، أي بالتفاوض على عقود العمل. وتزايد حجم النقابة ونمو البيروقراطية المركزية فيها أبعدها تدريجياً عن الجماهير. ولكن هذا الضعف الظاهري كان قوة حقيقية للحركة النقابية، فبيروقراطيتها المنفصلة (عن الجماهير) كانت أبعد من ان تصل اليها الجماهير الصاخبة والهائجة، وبالتالي، فقد كانت النقابة قادرة على التعاقد على اتفاقات والارتباط بالتزامات. وكان يمكن لصاحب الصناعة ان يكون متأكداً من ان النقابة هي تنظيم مستقر قادر على الحصول على احترام الجماهير العاملة لالتزامات التعاقد. وهذا التأكد كان هو قاعدة «الشرعية الصناعية» التي حسنت، بلا شك، من أوضاع الطبقات العاملة.

ومع ذلك، فإن الشرعية الصناعية لم تكن أكثر من تسوية مؤقتة لا يبررها شيء سوى الظروف غير الملائمة للطبقة العاملة. وبقدر ما تعترف النقابات بالطبيعة المؤقتة للتسوية وتحاول زيادة قوة الطبقة العاملة وتعدها لدور أكثر ايجابية في المجتمع، تصبح أداة ثورية في الصراع الطبقي. وحتى إن تمت تقوية الشرعية الصناعية بمثل هذه الأهداف في الذهن، فان هذا يمكن تبريره بالحاجة الى الانضباط الثوري. وعلى العموم، وللأسف، فإن حركة النقابات كثيراً ما نظرت الى الشرعية الصناعية على انها تسوية أبدية. وفي هذه الحال، كان من غير الممكن تجنب الصدامات مع المؤسسات الصريحة الثورية للطبقة العاملة.

أما مجلس المصنع فأبطل الشرعية الصناعية، نظراً لأن غرضه كان تثقيف الطبقة العاملة بهدف الاستيلاء على السلطة من خلال السيطرة على الانتاج، في حين ان النقابات الساعية الى ضمان استمرار عمل وأجور العمال كانت تصر على الحفاظ على الشرعية الصناعية. «إن المجلس، نتيجة لعفويته الثورية، يميل الى اطلاق العنان

للحرب الثورية في أية لحظة، أما النقابة، ونتيجة لصيغتها البيروقراطيـة، فتميل الى المنع الكلي لاطلاق العنان للحرب الثورية».

وأخيـراً، فإن غـرامشي نظر الى المهمـات المحددة للنقـابة والمجلس بـاعتبارهـا متعارضة كلياً في المبدأ، وأكد أولوية دور المجلس. ولكـــن هذه الأولوية لم تكن تعني أن دور النقابات قد انتهى. وما دام المجتمـع مبنياً عـلى مبدأ الملكيـة الخاصـة، فإن الحركة العمـالية ستستمـر في المساومـة مع مـوظّفيها. وحتى في الـدولة الاشتـراكية، سيكون على النقابات ان تسيـطر على التثقيف التقني لكـل العمال في مهنـة معينة او عملية صناعية معينة.

ولكن، كان هنالك مصدر خطر حقيقي في محاولات النقابات لكبت المجالس او للتخفيف من أثر وجودها. ومن أجل التطور الناجع للحركة البروليتارية، يجب تبيان الدور المحدد لكل مؤسسة. وأوصى غرامشي بالتعاون بين النقـابة والمجلس «لخلق الشروط التي يمكن فيها هجـر الشرعيـة (هجوم الـطبقة العـاملة) أن يتم في اللحظة الأكثر ملاءمة للطبقة العاملة»[٨٨].

العلاقة بين الحزب ومجالس المصانع

كانت أفكار غرامشي حول العلاقة بين الحزب الاشتراكي ومجلس المصنع تقـوم على أساس المقدمة نفسها التي استخدمها غرامشي في تحليله للنقابة، أي على أساس ان تطوير الحزب لكي يصبح جهازاً ثورياً يواجه عقبة أصـل نشوء الحـزب في مجتمع رأسمالي، باعتبار كونه جهاز تنافس مع البـورجوازيـة. وبالـرغم من ان القيود التي تفرضها على الحزب طبيعة أصوله كانت مختلفة عن تلك التي عانت منها النقابة، فإن الاثنين تقاسما فشلاً واحـداً. فبمقدار مـا كان الاثنـان صيغتين من صيـغ الليبراليـة الديموقراطية، فإنهما سوف يتراجعان بانهيار الرأسمالية، المعبر عنها سياسياً بالليبرالية الديموقراطية[٨٩].

هذا الخطـر كان يتهدد الحزب أكثر من النقابة نظراً لأن انهيار الرأسماليـة بعد الحرب سيؤدي الى زوال النظام الاجتماعي والسياسي دون النظام الاقتصادي القائم على المصنع. وكـان الحزب الاشتـراكي، خلافـاً للنقابـة، مؤسسة سيـاسية بحتـة.

وبالربط بين أزمة الدولة الايطالية بعد الحرب ومشهد حزب اشتراكي تحيط به الخلافات الداخلية، طرح غرامشي فكرة ذات قيمة نظرية كبرى تميز تاريخيته المتطرفة[٩٠]. واستناداً الى غرامشي، فإنه يمكن للحزب تجنب الأخطار المتعلقة بهذا الوضع من خلال تشجيع نمو حركة مجالس قوية، وهو ما سيجذر وجود الحزب في الحياة الاقتصاديبة للطبقة العاملة ويضعه امام التحدي المستمر لكسب أكثرية صديقة داخل كل مجلس.

وكان الحزب، كـ «طليعة للبروليتاريا»، مؤلفاً ـ في رأي غرامشي ـ من أفراد الطبقة العاملة الأكثر وعياً طبقياً وانضباطاً. وكان الحزب يقف فوق المصالح العابرة لتلك الطبقة والى جانب الصراع المباشر والطويل الأمد من أجل الاستيلاء على السلطة. وبانضباطه المتفوق، ومعرفته بـ «قوانين» التطور التاريخي، وتحليله عن قرب للأحداث المعاصرة، ووعيه الحميم للأوضاع بين الجماهير العاملة، كان الحزب مؤهلاً لرسم استراتيجية وتكتيكات الصراع الطبقي[٩١].

من ناحية أخرى، كان المجلس مكلفاً بالتثقيف الاقتصادي والسياسي لكل الجمهور العامل، على ان يتم إنجاز ذلك من خلال السيطرة على الانتاج. ففي النهاية، سوف تحل المجالس محل الدولة كجهاز حكم. ومع ذلك، فقد اعترف غرامشي باحتمال ان تقوم مجالس عديدة، ولفترة قصيرة، بدعم ايديولوجيات بروليتارية غير اشتراكية، وخصوصاً منها النقابوية والفوضوية. وهذا ما ينجم عن ان الديموقراطية غير المحددة للمجلس تعكس المصالح المؤقتة والرغبات الهائجة لدى الجماهير[٩٢].

هذه الفوارق كانت تميز الفكر الماركسي ـ اللينيني بشكل عام، ولكن غرامشي تابع لكي يربطها بتحليله للأخطار الكامنة في أصول الحزب. ووصف غرامشي الحزب بأنه مؤسسة «طوعية» أو «خاصة»، في حين ان المجلس جهاز «تمثيلي» أو «عام»[٩٣]. وكان الحزب تنظيماً «طوعياً» لأن العامل ينضم اليه عبر «عملية واضحة الوعي» أو ـ بلغة النظرية السياسية التقليدية ـ عبر «الموافقة المعلنة». وكان باستطاعة العامل ان يسحب موافقته في أية لحظة، وذلك بانكار «العقد» القائم بين نفسه

والحزب. على العكس من ذلك، كان المجلس تنظيماً «تمثيلياً» لأنه جهاز للحكم، فعلي وكإمكانية. وتعكس بنية المجلس موقع أعضائه في عالم الانتاج، وكل عامل يشارك فيه بفضل دوره في الانتاج وليس عبر موافقته كفرد. وكان الحزب «قد ولد في حقل الحرية السياسية، وفي حقل الديموقراطية البورجوازية، كتأكيد وتطور للحرية والديموقراطية بشكل عام»، اما المجلس فوجد «في حقل الانتاج الصناعي، داخل المصنع»، وما من ديموقراطية هناك، ومن مهمات المجلس إيجادها.

إن مشكلة كيفية عمل الحزب والمجلس في وضع ثوري تبقى قيد المناقشة[٩٤]. لقد كان الحزب هو العامل الأهم في العملية الثورية. وبمقدار ما قبلت الجماهير تحليله للأحداث وتوقعاته للمستقبل، كان تفتت النظام القديم يزداد سرعة[٩٥]. ومع ازدياد عدد الأعضاء الذين يتبعون توجيهات الحزب تزداد سيطرة هذا الأخير على الثورة. ولكن العملية الثورية ذاتها لم تكن لتوجد في ساحة الحرية والديموقراطية الليبرالية الملائمة للحزب، بل في العلاقات الاجتماعية داخل المصنع «حيث ليس للحرية وجود» و«حيث تكون العلاقات علاقات المضطهِد بالمضطهَد، علاقات المستغِل بالمستغَلّ».

ولن تكون للحزب سيطرة على سير الأحداث بين الجماهير إلا اذا منحته الجماهير ولاءها. ولكن التماثل الكامل بين الحزب والجماهير العاملة ليس ممكناً إلا بعد فترة طويلة من التثقيف. في هذا الوقت، يمكن للمجلس، الذي كان قادراً على تنظيم كل الطبقة العاملة، ان يحاول السيطرة على العملية الثورية. ولا يمكن للمجلس، بدوره، ان يسهل الثورة ويضبطها إلا بشرط ان تكون الثورة مستجيبة كلياً لعمالها، أي ديموقراطية حقاً. ولهذا السبب تم حث الحزب على عدم فرض آرائه ومعتقداته على المجالس خشية ان تفقد هذه صلتها مع المزاج السائد فعلاً بين الجماهير. واستناداً الى غرامشي، فإن الحركة الثورية الألمانية في عام ١٩١٩ فشلت لأن الاشتراكيين الديموقراطيين حاولوا ان يفرضوا على العمال مجالس يسيطر عليها رجالهم، وبالتالي فإن الثورة «اهتزت ودجّنت»[٩٦]. في مثل هذه الحالة يمكن للحركة الثورية ان تستمر بالتأكيد، ولكنها لن تكون بعدئذ خاضعة لأية سيطرة لأن المجلس، وهو الجسم الوحيد الذي يستجيب فوراً لمزاج العمال، لن يكون ممثلاً حقيقياً لرغباتهم.

وأخيراً، فإن نظرة غرامشي الى العلاقة بين الحزب والمجلس كانت مماثلة تماماً للنظرة الماركسية الى العلاقة بين السياسة والاقتصاد: «لا يمكن لأي شكل من أشكال السلطة السياسية ان يفهم ويبرر تاريخياً إلا كهيكل حقوقي للسلطة الاقتصادية الفعلية»[٩٧]. واذا كان للحزب الاشتراكي ان يتسبب في الثورة في ايطاليا فإنه يجب تأمين القاعدة الاقتصادية للدولة الاشتراكية. وهذا بالتحديد ما كان المجلس يحاول ان يفعله بمساعدته العمال على تثقيف أنفسهم كمنتجين. وفقط من خلال مثل هذه العملية يمكن للثورة ان تتحول من كونها مجرد عصيان ضد الدولة البورجوازية الى إعادة بناء اشتراكي لايطاليا. وبتشجيع التطور الحر للمجالس يمكن للحزب ـ وللنقابة أيضاً ـ ان يساعد على خلق الشروط الاقتصادية من أجل انتصارٍ هذه المرحلة الثانية من الثورة:

«يجب على الحزب والنقابة ان لا يعتبرا نفسيهما أوصياء بنى فوقية جاهزة بالنسبة لهذه المؤسسة الجديدة [المجالس] التي تتخذ فيها العملية التاريخية للثورة صيغة تاريخية قابلة للضبط. بل على الحزب والنقابة ان يعتبرا نفسيهما عاملين واعيين يسهمان في تحرير الثورة من قوى القمع المتمركزة في الدولة البورجوازية. وعليهما ان ينظما الشروط العامة الخارجية (السياسية) التي يمكن من خلالها لعملية الثورة ان تطور سرعتها القصوى، والتي تجد القوى الانتاجية المحررة من خلالها توسعها الأكبر»[٩٨].

وشدد غرامشي على واجبات الحزب والنقابة تجاه المجلس الى درجة ان بدت كلماته أحياناً كثيرة وكأنها توحي باعتقاده بامكانية الثورة «العفوية» للطبقة العاملة من دون الادارة السياسية للحزب ومن دون ضبطه للأمور. ولم يكن الحكم النظري لغرامشي على الأحزاب السياسية، كأحزاب سياسية، بهذه السلبية في الواقع. وعلى العموم، فإنه أصبح متزايد الادراك لكون الحزب الاشتراكي الايطالي يعاني من كثير جداً من النواقص مما لا يسمح له بتوجيه مسار الثورة بنجاح. وفي عام ١٩١٩ اعتقد غرامشي بأنه يمكن تجديد الحزب من القاعدة وذلك باقامة المجالس، ولكن الأحداث الكارثية لعام ١٩٢٠ أقنعته أن إعادة التنظيم الشاملة للحزب هي الوسيلة الوحيدة لضمان نجاح المجالس.

غرامشي في مواجهة إدارة الحزب الاشتراكي الايطالي حول مسألة مجالس المصانع

لم يكن غرامشي أبداً مؤيداً متحمساً للمديرين القصوويين في الحزب الاشتراكي الايطالي، ومع ذلك، فإن عداءه لهم لم يتغلب على رغبته في المحافظة على وحدة الحزب إلا في أواخر عام ۱۹۱۹. ومنذئذ، أخذ الشقاق بين «النظام الجديد» والقصوويين في الاتساع، مما ساهم أخيراً، والى حد كبير، في انشقاق الحزب الاشتراكي في ليفورنو، في كانون الثاني (يناير) ١٩٢١.

ومع «النظام الجديد» كانت الحركة العمالية التورينية ككل تبتعد بشكل متزايد عن القيادة الوطنية للحزب الاشتراكي. وكان هذا واضحاً في وقت مبكر يعود الى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨، عندما رصد عمال المدينة مبلغ ۰۰۰ ۱۰ ليرة ايطالية لأجل تأسيس طبعة بيمونتية من صحيفة «آفانتي» يحرر الجزء الأكبر منها في تورينو[٩٩]. وعارض ج.م. سيرّاتي، الزعيم القصووي ورئيس تحرير «آفانتي» في ميلانو، مثل هذه الخطوة على أساس انها ستميل الى شق وحدة إدارة الصحيفة[١٠٠]. وكانت هذه هي الحادثة الأولى في سلسلة طويلة ومتزايدة العنف من الجدل بين سيرّاتي والحركة العمالية في تورينو.

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٩ أعلن سيرّاتي معارضته لادخال العمال غير المنظمين (نقابياً) في بنية مجالس المصانع. وفي ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) رفضت جمعية عمومية، ضمت العمال والتقنيين والموظفين في تورينو، موقف سيرّاتي، وذلك بعد خطاب ألقاه غرامشي ومناقشة حية جرت في الجمعية[١٠١]. في الوقت نفسه، وللسبب نفسه، قامت صحيفة «باتّاليي سينداكالي» (معارك نقابية) الناطقة بلسان «الاتحاد العام للعمل»، هي أيضاً، بمهاجمة حركة المجالس. ولكن غرامشي رفض النقد الذي وجهته الصحيفة ملاحظاً انه نظراً لأنها ناطقة باسم الاصلاحيين، فإن أي نقاش يجري بينها وبين «النظام الجديد» كان «يستحيل عضوياً»[١٠٢]. وكان غرامشي يرى ان معارضة القصوويين وحدها يجب ان تؤخذ جدياً.

ومن قبيل المفارقة، ان رسالة مديح كان لينين قد أرسلها الى سيرّاتي هي التي

وفرت لغرامشي مادة هجومه الأول على الزعيم القصووي. وشكلت هذه الحادثة مثالاً نادراً لتبني غرامشي موقفاً ناقداً تجاه لينين. وكانت الرسالة قد كتبت في ٢٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٩، ونشرتها صحيفة «آفانتي» في ايطاليا للمرة الأولى يوم ٦ كانون الأول (ديسمبر). وبعد تهنئة سيرّاتي على الانتصار «الشيوعي» في مؤتمر بولونيا (مدينة في شمال ايطاليا) عبّر لينين عن رضاه التام عن قرار الحزب الاشتراكي الايطالي بالمشاركة في الانتخابات: «وسيكون لمثال الحزب الاشتراكي الايطالي تأثير كبير على العالم بأسره». وحذر لينين من ان «الانتهازيين المكشوفين او المموهين» داخل الحزب الاشتراكي الايطالي قد يحاولون الغاء قرار بولونيا، ولكنه قال انه يشعر ان القيادة الاشتراكية الراهنة سوف تقوى بنتائج المؤتمر. وأخيراً، كان لينين مقتنعاً بأن «العمل الممتاز للشيوعيين الايطاليين يشكل ضمانة أكيدة لنجاحهم في انّ يكسبوا للشيوعية كل البروليتاريا الصناعية والزراعية، وكذلك صغار الملاكين»[١٠٣].

ولم يختلف غرامشي مع الأفكار السياسية والاقتراحات التي تضمنتها الرسالة، ولكنه شعر ان مديح لينين لـ « الشيوعيين» الايطاليين (أي للقصوويين) كان مديحاً لا يستحقونه، والواقع انه «خلق حالة ليست سعيدة ولا مطمئنة». واستناداً الى مبادىء لينين نفسها، فان على الثوري «الماهر» ان يعرف عملية تطور الثورة، وأن لا يكون مجرد محرض. لقد اعترفت بروليتاريا العالم و«الأممية الثالثة» بأن هذه العملية تتميز الآن بظهور المجالس، ولكن الحزب الاشتراكي الايطالي لم يفعل شيئاً لدفع التطور الملموس للمجالس الى الأمام. وبدلاً من اعطاء القوة لنظام للمجالس، ومن النضال للحصول على أكثرية شيوعية داخل هذه المجالس، حافظ الحزب الاشتراكي الايطالي على «كوربوراتيفية نقاباته وفئوية الحزب»[١٠٤]. واستناداً الى غرامشي فإن كلمات لينين نفسها كانت تدين سياسة القصوويين. ولم يكن في نية مجموعة سيرّاتي شن هجوم شامل على الاصلاحيين، كما تمنى لينين ان يفعلوا[١٠٥]. وأيضاً، وكما ذكر سابقاً، فإن السياسات الراهنة للحزب الاشتراكي الايطالي لم تكن محسوبة لتعمل على هدي نصيحة لينين بأن « تكسب للشيوعية كل . . . البروليتاريا الزراعية ».

من الواضح ان خلاف غرامشي مع سيرّاتي كان عاماً، وكان يقوم على فهم مختلف تماماً للعملية الثورية. وكان سيرّاتي قد رأى هذه العملية على أنها «أساساً عمل

حفنة من «تقنيي» السياسة والدعاية والادارة والنقابوية، الذين تتلخص مهمتهم في ان يجرفوا معهم كل الكتلة اللامبالية من العمال»(١٠٦). ويستخدم ألبرتو كاراتشولو تعبير «البلانكوية» لوصف هذه النظرة «الارستقراطية» و«الفئوية» للحزب، نظراً لتشابهها مع نظرة اوغوست بلانكي، الثوري الفرنسي من القرن التاسع عشر. اما غرامشي فقد أظهر اشمئزازاً من هذا الفهم للحزب والثورة. واعتبر ان الحزب كان مجرد «وكيل» للثورة، في حين يجب ان يكون العمال أنفسهم تجسيد الثورة. وبالتالي، فإن غرامشي شدد على الجمع بين الديموقراطية الكاملة في المصانع وبرنامج التثقيف «الشيوعي»(١٠٧). ولهذا، كان الشقاق بين غرامشي والقصوويين أكثر بروزاً حول مسألة مجالس المصانع.

واتفاقاً مع مقررات مؤتمر بولونيا، وافق مجلس وطني للحزب الاشتراكي الايطالي، عقد في فلورنس في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠، على مشروع وضعه نيكولا بومباتشي لاقامة المجالس. وكان لهذه المجالس ان تكون «أجهزة فريدة للسلطة والادارة العليا لتنظيم الانتاج والتوزيع، وكذلك لضبط مجموعة العلاقات الاقتصادية والأخلاقية والسياسية التي تنجم عن ذلك»(١٠٨).

المعالجة القانونية البحتة في مشروع بومباتشي هي التي أثارت اشمئزاز غرامشي. وشعر غرامشي انه لا يمكن للمجالس ان تقام بمرسوم بيروقراطي، بل فقط بالتحريض الذي يؤدي بالعمال أنفسهم الى تشكيل مثل هذه الأجسام. اما بومباتشي فقد تجاهل مسؤولية الحزب في مثل هذا التحريض. وعكس اومبرتو تيراشيني آراء غرامشي في المشروع عندما علّق قائلا: «اذا كانت الموافقة على المشروع، التي قرئت في فلورنس، كافية لخلق دولة العمال، فان التنفيذ سيكون حقاً رخيصاً جداً»(١٠٩).

على العموم، لم يكن دعم مشروع بومباتشي - مهما كانت قيمته - بلا شروط بشكل من الاشكال، وحتى بين الامتناعيين والقصوويين مثل بورديغا وسيرّاتي(١١٠). وقد اعترض سيرّاتي على ايجاد نظام للمجالس مستقل كليا عن النقابات، وسمى الذين يدعمون مثل هذا المشروع «هامبورغيين» لأن الفكرة نسبت في الأصل الى النقابيين الثوريين في هامبورغ(١١١). وكان سيرّاتي يقف على أرض أكثر

صلابة عندما عبّر عن خشيته من ان الحزب الاشتراكي الايطالي كان يعامل مسألة مجالس العمال بالطريقة الثورية الزائفة نفسها التي عالج بها مشاكل أخرى كثيرة في هذه المرحلة. وعلّق سيرّاتي قائلاً بسخرية: «ان من يتكلم اليوم عن التأمل والدراسة لا يمكنه إلا أن يكون اصلاحياً حقيراً. اما الثوري الأكبر فهو الذي يعد الجماهير بأنها تستطيع لمس السماء بأصابعها بمجرد ان تقف على رؤوس اصابع أرجلها». وبالرغم من ان غرامشي ربما كان متفقاً مع هذا النقد، فإن سيرّاتي لم يعترض على روح مشروع بومباتشي فحسب، بل أيضاً على مجالس العمال نفسها، إذ انه أنهى المقالة بالتوصية بأن تقام مثل هذه الأجهزة في البداية، في محلة واحدة او محافظة واحدة فقط، لأنه كان يشك بتوافقها مع الأوضاع الايطالية(١١٢).

واعترض بورديغا ايضا على الفكرة التي تقول بأن مجالس العمال هي أجهزة ثورية(١١٣). وفي مناقشة ذكية، وإن كانت خادعة، أكد بورديغا أن فكرة المجالس، باعتبار هذه المجالس أدوات اقتصادية ـ تقنية للسيطرة على الانتاج، كانت فكرة اصلاحية بحتة: «والخطأ هو القول بأنه يمكن للبروليتاريا ان تعتق نفسها بكسب الأرض في العلاقات الاقتصادية في حين ما زالت الرأسمالية تمسك بزمام السلطة السياسية من خلال الدولة»(١١٤). وبعد أشهر قليلة، أصرّ بورديغا على انه «لا يمكن تحقيق السيطرة على الانتاج إلا عندما تكون السلطة قد انتقلت الى أيدي البروليتاريا»، وتابع متهماً جماعة «النظام الجديد» بالمبالغة في التشديد على هذه المسألة، وربما لأن اوضاع الانتاج المتقدمة في تورينو أدت بقادة طبقتها العاملة الى المبالغة في أهمية المصنع في الحياة الوطنية»(١١٥).

ولم يكن سيرّاتي، خلافاً لبورديغا، راغباً في إجراء التغييرات الأساسية في طبيعة الحزب، التي كان غرامشي قد بدأ يعتبرها ضرورية لاقامة نظام فاعل للمجالس. ويمكن اعادة عداء غرامشي المكشوف لقيادة الحزب الاشتراكي الايطالي الى تاريخ الافتتاحية المعنوية: «لنجدد الحزب اولاً»، والتي نشرت في «النظام الجديد» في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠. وأعلن غرامشي ان الحزب الاشتراكي الايطالي لم ينجح إلا في الجزء الأكثر ابتدائية من مهمته التاريخية، ألا وهو التحريض بين الجماهير وجذب هذه الجماهير الى البرنامج الثوري. ولكن الحزب لم ينجح في مهمته الأكثر تقدماً، وهي

الاستيلاء على السلطة السياسية. وبدلاً من ذلك، كان تسابق الأحداث يتجاوزه، ويفقده السيطرة حتى على مصيره نفسه:

«ان الشروط اللازمة والكافية للثورة البروليتارية قائمة، سواء على المستوى الدولي ام على المستوى الوطني. ولكن الحزب الاشتراكي غير جدير بنفسه ولا برسالته. إنه حزب من المحرضين والمنكرين والمتصلبين في مسائل التكتيكات العامة، وحزب من حواريي النظريات الابتدائية، لم ينجح في تنظيم وضبط الجماهير الكبيرة المتحركة»(١١٦).

والتوضيح الرئيسي عند غرامشي لهذا العجز كان يكمن في استمرار وجود الاصلاحيين داخل الحزب. كان الاصلاحيون هم الذين «يخربون بشكل منتظم كل العمل الثوري»، وكانوا «حزباً داخل الحزب، والحزب الأقوى، لأنهم سادة المراكز المحركة لجسم الطبقة العاملة»(١١٧). وأشار غرامشي بمرارة الى ما نجم عن ذلك من شلل للحزب الاشتراكي خلال الاضرابات الراهنة (كانون الثاني - يناير ١٩٢٠) لعمال البريد والبرق ولعمال السكك الحديدية. هذه الاضرابات انحدرت بالدولة الى موقع قريب من الانهيار ودفعت البورجوازية، في الوقت نفسه، الى الاقتراب أكثر من الهجوم على الطبقة العاملة. ومع ذلك، فإن العمال افتقدوا الادارة السياسية لهذه الحالة، وبدلاً من حصولهم على هذه الادارة تعرضوا الى حث الدعاية الفوضوية المتطرفة. لذلك، يقول غرامشي، «يجب تجديد تنشيط الحزب الاشتراكي اذا كان هذا الحزب غير راغب في الاطاحة به وسحقه نتيجة لتسابق الأحداث. ويجب تجديد نشاطه لأن هزيمته يمكنها ان تعني هزيمة الثورة»(١١٨).

في هذا الوقت، كان غرامشي قد كسب أكثرية فرع تورينو الى جانب وجهة نظره. وكتب بنفسه «برنامج العمل» للجنة الانتخابية التابعة للفرع، وهو البرنامج الذي حدد معايير اختيار المسؤولين الجدد في الفرع. أساساً، كان البرنامج عبارة عن ورقة اتهام للحزب الاشتراكي الايطالي لأنه سمح بتزايد مستمر للنفوذ الاصلاحي في أجهزته الادارية، وهو وضع عكس الاضطراب والشكوك المتنامية في صفوف القصوويين.

بالنسبة لغرامشي، كان الرد الوحيد على هذه المشكلة هو اعادة إقامة الاتصال بين الحزب والجماهير بايجاد شبكة من مجالس العمال في كل أنحاء ايطاليا بأسرع ما يمكن. ونظرا لعدد المجالس الموجودة فعلاً في تورينو، فإن فرع تورينو سيتحمل المسؤولية الأولى في شن الحملة[١١٩]. ولمحاربة سيطرة الاصلاحيين داخل النقابات اقترح غرامشي «تشكيل جماعة شيوعية دائمة التنظيم» داخل كل نقابة. واستباقاً للنزاعات مع الادارة التي يترأسها سيرّاتي لصحيفة «آفانتي» قال غرامشي بأن تكون طبعة تورينو من الصحيفة مدارة «بما يتلاءم مع الاحتياجات المتنامية لاقليمنا»، أي بطريقة أكثر استقلالية[١٢٠].

تقييم لحركة مجالس المصانع الغرامشية

في عام ١٩٥٤ كتب آنجيلو تاسكا يقول ان مقالات غرامشي التي نشرت في «النظام الجديد» خلال عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ «تشكل التعبير الأكثر أصالة وقوة عن الفكر الاشتراكي خلال السنوات الخمسين الأخيرة»[١٢١]. من الأكيد ان في هذا القول شيء من المبالغة. وفي عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ كان لأفكار اشتراكية ذات مغزى ان تصاغ من خلال علاقة وثيقة بالتطورات في روسيا، نظراً لأن الدولة الاشتراكية وجدت هناك فعلاً. وأراد بعض الاشتراكيين القلائل، وحتى الأكثر تحريفية، أن يفصلوا أنفسهم كلياً عن «التجربة» الروسية، وحتى دراسة عرضية لكتابات لينين ووثائق الكومنترن تكشف مصدر الكثير من فكر غرامشي.

ومع ذلك، فإن هذا الفكر نقي ومثير، وليس مجرد نسخة لما قيل قبلاً في روسيا. وهناك الكثير من الأصالة في عمل غرامشي بالرغم من ان اصالته أكثر محدودية من أصالة لينين. ان مفاهيم غرامشي لأصول الحزب والنقابات ولمهمات مجالس المصانع يتضمن بالتأكيد نظرات غير مألوفة، كما هو الأمر بالنسبة لموضوعاته حول الأدوار التاريخية للفوضوية وللديموقراطية المسيحية[١٢٢]. وحتى أسلوب غرامشي الأدبي، وهو أسلوب ذكي لاذع، يعود في أصوله الصدفية الى دراسته السابقة للهيغلية وصيغتها المنطقية الباردة التي يتخللها نوع من الالحاحية الكثيفة، هو أسلوب غاية في الشخصانية الى درجة انه يمكن تمييز أي عمل له فوراً.

ومثل لينين، والواقع انه مثل التيار الرئيسي للاشتراكية الماركسية، لم يكن

غرامشي حتمياً . كانت الماركسية بالنسبة اليه فلسفة تطبيق عملي ، واعتقاد بأنه يمكن إنجاز هدف تحرير البروليتاريا من خلال النشاط السياسي الطوعي للبروليتاريا نفسها، او بالأحرى عن طريق الجدلية المستمرة التقدم بين البروليتاريا وطليعتها ذات الوعي الطبقي. وخلافاً لكل من القصوويين والاصلاحيين، لم يعتقد غرامشي بأن من الضروري انتظار «نضوج الزمن» للوصول الى الثورة. وفي رفضه للقبول سلباً بمحدوديات الوضع الايطالي المعاصر، ومعالجته لبرنامج بنّاء للذهاب الى أبعد من هذا الوضع، ميّز غرامشي نفسه بين الاشتراكيين الايطاليين لتلك المرحلة.

بعد بضع سنوات، وعندما أصبح غرامشي وكل ما ناضل من أجله مهدداً بالابادة من قبل الفاشية المنتصرة، قادته جهوده اليائسة لاعادة بناء حركة عمالية قوية الى التأمل في تجاربه التي عرفها خلال ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ :

«علينا السعي الى اعادة بناء جو مماثل لذلك الذي كان في عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ بالوسائل المتوفرة لنا. في تلك الأيام، لم يكن يتم تنفيذ أي مشروع إلا بعد اختباره من خلال الواقع وحتى نكون قد تفحصنا بطرق عديدة آراء العمال. وبالتالي، فإن مشاريعنا كانت تحظى دوماً تقريباً بنجاح فوري وواسع، وكانت تبدو كترجمة لحاجة يتسع الشعور بها، وليس أبداً كتطبيق بارد لبرنامج فكري»[١٢٣].

وهناك بالتأكيد لحظات قليلةجداً في تاريخ الحركة العمالية ـ وليس في ايطاليا فقط ـ كان فيها السعي الى رأي القاعدة بهذه القوة ، ومقدراً حق قدره .

وكان غرامشي قد تفحص الأوضاع الايطالية على ضوء طروحات لينين، واستقى منه الكثير من نظريته حول مجالس االمصانع، ولكنه كيّف عمله بحسب تجربته وبحسب الأوضاع المحددة في تورينو. ووجد غرامشي «جرثومة» السوفييت في اللجان الداخلية، كما عثر على إمكانية الوصول الى سوفييتات كاملة النمو في التقاليد النضالية لبروليتاريا تورينو. وقد خصص لمسرح نشاطه، مدينة تورينو، دوراً خاصاً. وكان لجهود غرامشي الشخصية بعض الفضل في أن طورت هذه «المدينة البروليتارية بامتياز» طبقة عاملة كانت «متراصة ومنضبطة ومتميزة كما في مدن قليلة أخرى من العالم»[١٢٤].

والدليل على هذا القول، وهو دليل ايضا على طاقة غرامشي الابداعية، ان حركة مجالس المصانع في تورينو نجحت في ان تضم اليها أكثرية الرجال العاملين في المدينة. وكان هؤلاء العمال، استناداً الى بييرو غوبيتّي، «يتكلمون لغة هيغلية دوغما وعي» تعكس نفوذ صياغات غرامشي للفكر اللينيني المبنية على خلفيته التربوية والثقافية.

ان شعور غرامشي بالأزمة الشاملة هو ما أعطى أعماله هذه القوة والصراحة، وكاتن هو سبب وجود برنامجه كله في تلك السنوات. لقد نظر الى الوضع في ايطاليا ما بعد الحرب كانهيار شامل لكل تقاليد الدولة الليبرالية الايطالية. والطبقة العاملة وحدها لم تصب بأذى في هذا الانهيار. وعلى العموم، فإن مؤسساتها، كالحزب والنقابات، كانت مفسدة بأصولها في النظام الرأسمالي. وكان لا بد من تجديد حيويتها. وكان للمؤسسة الجديدة التي هي مجلس المصنع، والمعبرة عن قيم طبقة حاكمة جديدة من المنتجين، ان تؤمن استقلالية البروليتاريا وبالتالي ديمومة حياتها.

ولم يميز غرامشي تمييزا تاماً بين الدور الآني لمجالس المصانع كأداة للنضال ضد البورجوازية، ودورها النهائي كوحدة قاعدية للدولة البروليتارية الجديدة. وهذا ما جعل بإمكان بورديغا وآخرين ان ينتقدوا تشديد غرامشي على وظيفة المجالس في التثقيف التقني ـ الذي هو جزء من الدور النهائي ـ باعتباره مجرد طبعة أخرى من الاصلاحية التي تساعد ـ في النتيجة ـ الرأسماليين . ومع ذلك ، فإن هذا التشديد انبثق مباشرة من رغبة غرامشي في إعداد العمال إعداداً كاملاً من أجل هيمنتهم المقبلة على الطبقات الاجتماعية الأخرى . وليس ما يضمن هذه الهيمنة غير التفوق الشامل للعمال ، اقتصادياً وتقنياً وسياسياً وثقافياً ، على الطبقات الأخرى .

إن طبيعة تلك الأيام استثارت شعوراً بالأزمة عند أناس كثيرين، ولكن استجابة أي كان في ايطاليا لهذا الشعور لم تكن باتقاد وحماسة استجابة غزامشي. كانت كل طاقات حركة «النظام الجديد» موجهة باتجاه اعادة رسم كاملة لخطوط ثقافة العمال كمنتجين، وذلك عن طريق المجالس. وكان هذا البرنامج فريداً في ايطاليا، وكذلك كانت المجالس المنبثقة عنه.

٥ ـ الحركة العمالية التورينية عام ١٩٢٠

«إن تورينو اليوم . . . هي المدينة الصناعية بامتياز، انها مدينة البروليتاريا بامتياز. ان الطبقة العمالية التورينية متماسكة ومنضبطة ومتميزة كما هو الحال في مدن قليلة في العالم».

غرامشي ـ ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠

الأوضاع السياسية في مطلع ١٩٢٠

استمر التفسخ السياسي والاقتصادي للدولة الايطالية بسرعة مذهلة في أواخر عام ١٩١٩ ومطلع عام ١٩٢٠. وكان احتلال دانّونزيو* الناجح لفيومي في أيلول (سبتمبر) ١٩١٩ قد استثار مشاعر القوميين المتطرفين من الايطاليين بدلاً من تهدئتها، وكانت هذ المشاعر ثائرة أصلا نتيجة للاهمال المزعوم للمصالح الايطالية في فرساي. وكذلك، فقد شجعت هذه المغامرة التحريض على العصيان داخل الجيش، وبالتالي فإنها أضعفت قوى القانون والنظام في البلاد. وأكثر من ذلك، فإن الأحزاب التقليدية للدولة الليبرالية الايطالية لم تعد تتمتع بالأكثرية داخل مجلس النواب، وأصبح تشكيل حكومة مستقرة ومقبولة لدى كل الكتل البرلمانية ولا تواجه عداء المعارضة الموحد والناشط، مشكلة في غاية الصعوبة.

عدم الاستقرار السياسي هذا ترافق بمشكلات اقتصادية ذات مضمون سياسي

---

* D'Annunzio واسمه الكامل غابرييلي دانونزيو، شاعر ايطالي مشهور (المعرب).

كبير. فقد اجتاح ايطاليـا في عام ١٩٢٠ تضخم متسـارع، وازداد متوسط النفقـات الأسبوعية لعائلة عادية في ميلانو من ١٠٩,٢٤ ليرة في شهر تموز (يوليو) ١٩١٩ الى ١٢٤,٦٧ ليرة في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠، ثم الى ١٨٩,٧٦ ليرة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠[١]. وكان هـذا التضخم مدمـراً للطبقات الـوسطى المـأجورة التي بقيت مداخيلها متخلفة كثيراً عن مستويات الأسعار المتزايدة الارتفاع، وهو ما ساهم في دفعها النهائي للانضمام الى الفاشية. ولم يكن تصاعد الأسعـار مرافقـاً لزيـادة في ارتفاع الانتاج وارتفاع مستويات الاستهلاك. على العكس من ذلك، فقـد انخفض الانتاج فعلا في العديد من الصناعات، وأصبحت البـطالة واسعـة الانتشار في عـام ١٩٢٠، وخصوصاً في بدايته ونهايتـه[٢]. ومن ناحيتهم، وجـد العمال الصنـاعيون صعوبة كبيرة في المحافظة على قوتهم الشرائية في مستويات الأسعار هذه، بالرغم من الاضرابات العديدة التي جرت خلال هذه الفترة للمطالبة بزيادة الأجور.

والواقع ان الأشهـر الأولى من سنة ١٩٢٠ مثلت ذروة مـوجة الاضـرابات التي عمت اوروبا بعد الحرب[٣]. وكان لمعظم هذه الاضرابات أهداف اقتصادية أكثر منها سياسية، لكن الحوادث المحددة التي تسببت في هذه الاضرابات كثيراً ما كانت تافهة الى درجة تبين بوضوح الاضطراب الاجتماعي والاستياء السياسي اللذين كانا يكمنان خلفها بشكل مؤلم[٤]. وبالتأكيد، لم تكن هذه الاضرابات منسقة بالمعنى السياسي، إذ كان عمال البريد والبرق قد أعلنوا اضرابهم يوم ٢١ كانون الثاني (يناير)، أي بعد يوم واحد من بدء عمال السكك الحديدية لاضرابهم. وكان الاضراب الوحيـد الهام الذي كان له هدف سياسي هو الاضراب العام في نيسان (أبريـل) في تورينـو، وهو الاضراب الذي سيرد تحليل له في هذاالفصل.

وسرعان ما لوحظ التحفظ السياسي للمنظمات العمالية، وللقادة الاشتـراكيين بالتالي، لدى ممثلي الدولة والصنـاعيين. وفي خـريف ١٩١٩ أعاد فـرانشيسكو نيتّي، رئيس الوزراء من حزيران (يونيو) ١٩١٩ وحتى تموز (يوليو) ١٩٢٠، تنـظيم أجهزة الشرطة التي كانت سلطاتها شبه معدومة في الأشهر الأولى من تلك السنة. وأسس نيتّي كذلك «الحرس الملكي»، الذي كان يضم ٣٧٧ ضابطاً و٢٥ ألف رجل، وزاد عدد رجال «الكارابينييري» (الدرك) الى ١٦٠ ألف رجل[٥]. وكانت هذه القوات مسؤولة

عن مقتل حوالي ١٠٠ عامل وفلاح بين تشرين الأول (اكتوبـر) ١٩١٩ وأيار (مـايو) ١٩٢٠[٦]. وأخضع العمال الاشتـراكيون، وكـذلك النـواب الاشتراكيـون، لعنف عصابات الطلبة والفاشيين والجماعات القـومية الأخـرى. وفي أوائل ١٩٢٠ انبعثت معارضة الحركة الاشتراكية بقوة.

وردت الرأسمالية الايطالية على الخطر الاشتراكي باقامة «الاتحاد العام للصناعة» (المسمى اختصارا «كونفيندوستريا») في ٧ آذار (مارس) ١٩٢٠[٧]. وضم هذا الاتحاد كل الصناعات الكبيرة وثلاثة أرباع الصناعات المتوسطة والصغيرة، وبلغ مجموع عدد أعضائه ١١ ألفاً. وتبنى «الاتحاد العام للصناعة» برنامجاً كاملاً ومفصـلاً للعمل أبـرز الـطرق التكتيكية لمحـاربة الاضـرابـات واقتـرح اعـادة الاعتبـار سيـاسيـاً لجـوفـانّي جوليتّي[٨]. وأطلع جينو اوليفتّي، السكرتير القادر للمنظمـة، زملاءه عـلى موضـوع مجالس المصانع مؤكداً وجـوب تدمـير هذه المجـالس[٩]. وكانت الـوحدة التنـظيمية للرأسمـالية الايـطالية كـاملة في ١٨ آب (أغسطس) عنـدمـا انشىء «الاتحـاد العـام للزراعة» على أساس مماثل للاتحاد العام للصناعة. وقال اوليفتّي: «ان المستقبل ملك للطبقات المنظمة».

هذه الدلالات على المقاومة المستجدة للاشتراكية كانت جلية لغرامشي، بالرغم من ان القليل من القادة الآخـرين لليسار الايـطالي فهموا ذلـك، نتيجة لأن الحملة الانتخابية الاشتراكية كانت ناجحة، وكانت ستستمر كذلك خلال عام ١٩٢١. وفي أيار (مايو) ١٩٢٠ تنبأ غرامشي صراحة بأن الاشتراكية، وكذلك الرجعية المكشوفة، ستتبع مجرى الأحداث: «ان المرحلة الحالية من الصراع الطبقي في ايطاليا هي المرحلة التي تسبق سواء استيلاء البروليتاريا الثورية على السلطة السياسية... او رجعية رهيبة يقودها الرأسماليون والطائفة الحاكمة، وسوف تستخـدم كل أنـواع العنف لاخضاع البروليتاريا الزراعية والصناعية»[١٠].

إضراب تورينو العام في نيسان (أبريل) ١٩٢٠

التطورات المتضاربة خلال عام ١٩١٩ ومطلع عام ١٩٢٠، مثل التقـدم المتردد للاشتراكيين، وزيادة قوة الأجهزة القمعيـة كالـ «كـارابينييري» و«الحـرس الملكي»،

والفوضى الاقتصادية، والاجراءات الرجعية البورجوازية، والنمو السريع لمجالس المصانع بالرغم من معارضة الحزب الاشتراكي الايطالي، ساهمت كلها في خلق حادث ذي أهمية كبيرة جداً، هو إضراب بييمونتي العام في نيسان(أبريل) ١٩٢٠. وأدى هذا الاضراب الى كارثة شاملة بالنسبة لكل الاشتراكية الايطالية، وبالتالي فإن من المهم استعادة تسلسل الأحداث التي أدت الى الاضراب نفسه.

المرحلة الأولى من مراحل هذه الكارثة كثيراً ما سميت «إضراب عقارب الساعة». وكانت الاستفادة من نور النهار قد انتشرت بشكل واسع في ايطاليا خلال الحرب، وبقيت عموماً قاعدة سارية بعد الحرب. وعلى العموم، فقد اعترض بعض العمال على الاستفادة من نور النهار باعتباره مثالاً آخر على تطفل الدولة البورجوازية على شؤ ونهم الحياتية. وكان اتهام العمال للدولة يقوم على أساس ان مكاسب شركات الكهرباء سوف تزداد من خلال هذا النظام، بالرغم من ان السبب في ذلك لم يكن واضحاً. ورفض العديد من البلديات وغرف العمل الاشتراكية تبني نظام الاستفادة من نور النهار في ربيع ١٩٢٠. ونُسب إضراب تورينو في بدايته الى ان عمال شركة « فيات » رفضوا قبول قرار الادارة بتبني هذا النظام.

وتحدث عدد من المؤرخين ـ الذين يبدو أنهم اعتمدوا كلهم على رواية لويجي إيناودي ـ عن مقاومة نظام الاستفادة من نور النهار باعتباره كان واسع الانتشار بين العمال، حتى ان تاسكا أعلن ان الموضوع «كشف عن الحالة الذهنية التي كانت سائدة في تلك الفترة في بعض المراكز الصناعية»(١١). ولكن ماريو مونتانيانا، الذي كان يومها واحداً من عمال شركة «فيات»، يصر على أن الحملة ضد «التوقيت القانوني» كانت قد جرت ببادرة عن «قليل من قدامى القصوويين»، ولم يكن لها اي مضمون سياسي جدي(١٢). واذا كان الطرح الأول صحيحاً، فإن هذا يعني ان تصلب العمال وقادتهم بشأن موضوع قليل الأهمية نسبياً هو الذي تسبب في الاضراب. واذا كان قول مونتانيانا هو الصحيح، فإن هذا يعني ان الجسم الرئيسي للعمال وقادتهم لم يهتموا فعلاً بمسألة «عقارب الساعة»، وأن السبب الحقيقي للاضراب كان مختلفاً تماماً. وبشكل عام، يبدو طرح مونتانيانا أكثر ترجيحاً، لأنه يفسر بشكل أفضل المسار الفعلي لتطور الاضراب.

واستنادا الى مونتانيانا، فقد بدأت الحادثة صباح يوم ٢٩ آذار (مارس)، عندما تم تقديم الساعات في كل مصانع تورينو ساعة واحدة، في مصنع «الصناعات المعدنية» في تورينو، وهو مصنع تابع لشركة «فيات» قام عامل باعادة الساعات ساعة واحدة الى الوراء دون إذن من أحد. وعندما تعرف حراس المصنع الى العامل صاحب الفعلة تم تسريحه فوراً. وعندئذ طلب مجلس المصنع من العمال الاحتجاج بإضراب الجلوس في المكان، وردت الادارة فوراً على هذا باغلاق المصنع. وأدى اغلاق مصنع «الصناعات المعدنية» الى إضراب جلوس في المكان في كل مصانع «فيات»، وبعد يومين أعلن اغلاق كل مصانع «فيات»، في تورينو[١٣].

وكانت تلك هي المرحلة الأولى من اضراب نيسان (أبريل)، عندما كان الاضراب مقتصراً على عمال المعادن في تورينو. وهناك بعض التناقض الهام بين هذه الرواية والأحداث التي رواها المؤرخون الذين استندوا الى رواية إيناودي. واستناداً الى هؤلاء، فإن مجلس المصنع نفسه هو الذي أدار عقارب الساعة الى الوراء. وللبرهان على ذلك قيل ان الادارة سرعان ما طردت مجلس المصنع في «الصناعات المعدنية»[١٤]. وعلى العموم، ونظراً للعداء العام الذي كان الصناعيون يشعرون به تجاه المجالس، فان الطرد لا يشكل بحد ذاته برهاناً على مشاركة مجلس المصنع في الحادثة. وأكثر من ذلك، فإن هذا الطرح يفترض ان المجلس كان تواقاً الى الحسم مع الادارة، او كان على الأقل راغباً في مواجهة مباشرة معها. ولكن الحقائق تناقض هذا الافتراض.

وقد لاحظ قادة الحركة العمالية في تورينو، وبقلق كبير، الاستعدادات المعقدة لصناعيي المدينة لصدام تقريري مع العمال. وبدأ هذا الهجوم المعاكس يوم ٧ آذار (مارس) بالتقرير الذي قدمه جينو أوليفتّي (وأعاد غرامشي نشره فيما بعد في «النظام الجديد») الى «الاتحاد العام للصناعة» حول ضرورة سحق حركة مجالس المصانع. بعد ذلك بوقت قصير أرسلت أعداد كبيرة من القوات الى تورينو. ورأت صحيفة «إل جورنالي ديتاليا» الصادرة في روما ان هذا الحادث من الأهمية بحيث يستوجب إرسال مندوب خاص للصحيفة الى المدينة[١٥]. وهذا ما جعل غرامشي يعلن ان الصناعيين تمسكوا بحادث عقارب الساعة كـ « أنف كليوباترا»، أي كحادث صدفي يمكنه ان

يغير مسار التاريخ إذا ما استغل كما يجب[١٦].

خلال المرحلة الأولى من الاضراب أظهر العمال وقادتهم ابتعاداً عن الموقف المتصلب. وفي ٩ نيسان (أبريل) صوّت عمال المعادن بقبول اقتراحات الوساطة التي قدمها حاكم المدينة[١٧]. واستناداً الى تاسكا، الذي يشايع تفسير إنياودي للحادث، أقرّت الاقتراحات من قبل «الجمعية العمومية لمفوضي الأقسام»*. ومع ذلك، فإن فرص التوصل الى تسوية مبكرة زالت تماماً عندما اجتمع ممثلو العمال والصناعيين في ١١ نيسان (أبريل). في ذلك الوقت طالب أصحاب المصانع بـ« توضيح» لدور مجالس المصانع[١٨]. والواقع انهم أصروا على أن ليس لهذه الأجهزة سلطات تفوق السلطات التي كانت للجان الداخلية القديمة. وكانت الموافقة على هذا الطلب تعني التخلي كلياً عن الصفة المميزة للحركة العمالية في تورينو. وكما لاحظ غرامشي، فإن «الطبقة العاملة في تورينو جرّت جراً الى الصراع، ولم يكن لها في ذلك خيار».

عملياً، إن مغزى إضراب نيسان (أبريل) لا يكمن في أسبابه المباشرة بقدر ما يكمن في ما أصبح عليه بعد ١١ نيسان (أبريل) كنزاع بين مبدأين لا يمكن التوفيق بينهما: السيطرة المطلقة لأرباب العمل على المصانع، وسيطرة الطبقة العاملة على الانتاج كما يراها غرامشي ومؤيدون آخرون لمجالس المصانع. وفي صفاء التأمل اللاحق، أشاد غرامشي بالاضراب باعتبار أنها «المرة الأولى في التاريخ التي تخوض فيها البروليتاريا نضالاً للسيطرة على الانتاج دون ان يدفعها الجوع او البطالة الى ذلك»[٢٠].

في ١٣ نيسان (أبريل) أعلنت «غرفة عمل تورينو» بالاشتراك مع «اتحاد موظفي وعمال المعادن» وفرع الحزب الاشتراكي، إضراباً عاماً دفاعاً عن مجالس المصانع. وأدان البيان نوايا «عصبة الصناعة» الهادفة الى تدمير اللجان الداخلية «التي أظهرت كونها... قادرة على ان تصبح أداة لانجازات جديدة»[٢١]. بعد ١٥ نيسان (أبريل) أصبحت طبعة بييمونتي من «آفانتي» هي «النشرة اليومية للاضراب العام»، وأوقفت

---

* Tasca, Nascita, p. 126, n.5.
ويستخدم تاسكا تعبير «الجمعية العمومية لمفوضي الأقسام»، وربما كان يعني به مجلس المصنع نفسه، ولكن ليس من الواضح تماماً ما إذا كان لا يشير الى فرع من فروع المجلس.

«النظام الجديد» صدورها مؤقتاً. وأصبح الاضراب عاماً، أولاً في مدينة تورينو، ثم في المحافظة، وأخيراً في معظم أنحاء مقاطعة بييمونتي. وقال ريكاردو باكي:

«في انتشاره، كان (الاضراب) أكبر حركة تضامن يمكن للانسان ان يتذكرها في ايطاليا. فقد أقفلت كل المصانع، ولم تستمر في العمل إلا أهم الخدمات العامة، وبتخفيض كبير. وأضرب كذلك حراس البلدية وموظفو الجمارك، وعمال حافلات الترام وعمال السكك الحديدية وعمال البريد والبرق»[٢٢].

وفي ذروته، كان الاضراب يشمل حوالي نصف مليون عامل صناعي وزراعي، وانعكس تأثيره على سكان يصل عددهم الى أربعة ملايين[٢٣]. ولقي الاضراب دعماً كذلك من عمال السكك الحديدية في جنوة وبيزا وفلورنس وليفورنو، الذين منعوا بنجاح تحرك قوات أخرى الى تورينو[٢٤].

ومع ذلك، أصبح من الواضح في ١٩ نيسان (أبريل) ان الاضراب ما عاد يستطيع الاستمرار أكثر من ذلك. وفي ٢٣ نيسان (أبريل) وافق الفرع الاشتراكي على كون المعركة انتهت، وقبل بشروط التسوية التي اقترحها الحاكم تيدّاي. واعترفت النشرة الأخيرة الصادرة عن لجنة الاضراب ان العمال هزموا، وقالت: «نظراً للفشل في توسيع الحركة من أجل سيطرة العمال الى كل أنحاء ايطاليا، فإن مفوضي الأقسام يعترفون بأن الصناعيين المدعومين بالقوات المسلحة وبالبورجوازية فرضوا ارادتهم مرة أخرى». ولم يكن لهذا الاعتراف بالهزيمة ان يمحى بالاعلان الختامي القائل: «ان المعركة من أجل الشيوعية، هذه المعركة الأولى وليس الأخيرة، تدل على ان المقاومة السلبية التي تقوم بها البروليتاريا، في اللحظة الراهنة هي مقاومة عقيمة... لقد انتهت هذه المعركة، ولكن الحرب مستمرة»[٢٥].

وكانت الحركة العمالية في تورينو قد هزمت، وبجدية تفوق كثيراً ما تدل عليه الشروط التي قبلت لانهاء الاضراب، فقد تراجعت سيطرة مجالس المصانع على العمال، ولكن تلك الأجهزة استمرت في الوجود، ولم تتخذ أية إجراءات انتقامية ضد المضربين[٢٦]. ومع ذلك، واذا كان الأمر صحيحاً ـ كما يقول توليـاتي ـ فإن هذا الاضراب العام كان «الحركة الأكثر إثارة في كل فترة ما بعد الحرب في ايطاليا»[٢٧]،

ثم كان فشل العمال في الدفاع عن مؤسساتهم هزيمة جدية. وكانت الأبعاد الكبيرة لتلك الحركة، عند مقارنتها بالنتائج السلبية، محبطة للعمال. ويعتبر مونتانيانا إضراب نيسان (أبريل) العام نقطة الذروة في الحركة العمالية في ايطاليا، ولم يكن احتلال المصانع في ايلول (سبتمبر) إلا نتيجة دراماتيكية للكارثة[٢٨].

وكان فشل العمل الكبير ناجماً عن أسباب ثلاثة. أولا، ان الفعالية السياسية لأي إضراب، مهما كان شاملاً، نادراً ما تكون كبيرة جداً*. ثانياً، كان الصناعيون على استعداد وأجبروا العمال، بالفعل، على الانخراط في صراع شامل. ثالثاً، كان الاضراب بأكمله تقريباً مقتصراً على اقليم واحد في ايطاليا[٢٩]. وأصر غرامشي على أن القيادة الوطنية للحزب الاشتراكي الايطالي قد عزلت طوعاً البييمونتي عن بقية الأمة برفضها لدعم الاضراب.

الحزب الاشتراكي الايطالي والاضراب العام

في أيام ١٩ - ٢١ نيسان (أبريل)، وفي عزّ الاضراب العام، اجتمع قادة الحزب الاشتراكي في كونفرنس وطني. وكان قد خطط لعقد الكونفرنس أولاً في تورينو، ولكنه نقل فجأة الى ميلانو، كما لاحظ غرامشي بسخرية، لأن «مدينة فيها إضراب عام ليست ملائمة للنقاشات الاشتراكية»[٣٠]. وبالرغم من ان تولياتي أرسل لحضور الكونفرنس كممثل لفرع تورينو، فان نشرة واحدة لم تطبع لدعم الاضراب، ورفضت طبعة ميلانو من صحيفة «آفانتي» حتى نشر بيان الاضراب الصادر عن فرع تورينو[٣١]. وكانت المعارضة لجماعة تورينو شاملة، ورفضت أكثرية المندوبين التصريح بتوسيع الاضراب الى خارج حدود بييمونتي[٣٢].

وكانت قد سبقت هذا الرفض مناقشة غير مركزة للخط السياسي العام للحزب ونقاش آخر حول إمكانية إقامة مجالس العمال، كما لو ان هذا لم يقرر في بولونيا وفلورنس. ولم يتردد العديد من أهم قادة الحزب في مهاجمة برنامج المجالس بأكمله.

---

* إن الأمر المثير للدهشة ليس فشل الاضراب بل كونه استمر لمدة أحد عشر يوماً. ويعتقد مونتانيانا (ص ١٢٢) ان أحد عشر يوماً تكاد تكون رقماً قياسياً في تاريخ الاضرابات العامة.

وقال بورديغا، بالرغم من كونه في أقصى اليسار، ان السوفييتات لا يمكنها ان تقوم «كصيغة مناسبة للدولة البروليتارية المنتصرة» إلا بعد الانتصار السياحي للبروليتاريا[٣٣]. وأصر المتحدثون الأكثر اعتدالاً، مثل فينشينزو فاشيركا على ان السوفييتات قد تخترق من قبل العناصر الغوغائية، وحث لاتزاري الحزب الاشتراكي على ان يفعل حسناً «بتذكر التقاليد الشائعة للشعب الايطالي وتعاطف العمال مع المؤسسات التي أقامها الحزب حتى الآن»، بدلاً من اتباع فكرة «غير عملية» مثل فكرة السوفييتات[٣٤].

صحيح انه تمت الموافقة على مشروع لانشاء المجالس، مرة أخرى، بأكثرية كبيرة، ولكن، عندما كان قادة الحزب يثرثرون حول المشاريع النظرية في ميلانو، كانوا يسمحون بتدمير الواقع الحقيقي (للمجالس) في تورينو. «وقرروا كيفية تنظيم المكاسب التي لم تنجز بعد، وتركوا بروليتاريا تورينو تواجه مصيرها»[٣٥].

وفي ٢٩ نيسان (أبريل) حاول سيرّاتي الرد على هذا النقد:

«إننا لسنا ملزمين بقبول دخول المعركة في كل مرة يشعر فيها العدو بأنه قوي ومستعد، فيثير المعركة. ويبدو ان رأي قادة حركة تورينو مختلف تماماً. فبعد ان رأوا انفسهم هدفاً للهجوم تخلوا عن دفاعاتهم بدلاً من تفادي الضربة. وعندما أخضعوا لضغوط كبيرة سارعوا في اللحظة الأخيرة الى البحث حولهم عن مساعدة أولئك الأقل قوة واستعداداً منهم، بعد اطلاق ما يكفي من التصريحات الاستفزازية لجعل العدو يعتقد بأن عملهم لن يقل عن بدء الثورة في تورينو التي أصبحت الآن جاهزة للشيوعية. وهكذا، بينما كانوا يفاوضون في دار الحاكمية مع كازاليني وفرولا وبووتزي أعطوا الانطباع في كل مكان آخر بأن الانتفاضة كانت في مطال اليد، بحيث يمكنهم أن يثقلوا فيما بعد الكاهل القادر لقيادة بالمسؤولية عن هزيمة لم تطلها بتاتاً»[٣٦].

وربما كان سيرّاتي على حق في اتهام اللهجة الاستفزازية لاشتراكيي تورينو، ولكنه كان مخطئاً في الافتراض بأنه كان باستطاعتهم «تفادي الضربة» التي وجهها الصناعيون.

وفي الرد على سيرّاتي كانت طبعة تورينو من صحيفة «آفانتي»، في البداية، غير

راغبة في الاعتراف بخطورة الهزيمة، فقالت: «ان للاضراب العام في تورينو مغزى كبيراً في تاريخ البروليتاريا الأممية، إذ لم يسبق لطبقة عاملة ان واجهت مشكلة السيطرة [على الصناعة] إلا عندما قادتها الى ذلك آلام الجوع». . . الخ[٣٧]. وكانت الهزيمة حقيقية على العموم، وقد اعترف غرامشي بها صراحة في تقريره عن حركة تورينو الذي أرسل الى اللجنة التنفيذية للكومنترن في تموز (يوليو) ١٩٢٠. وقد رأى غرامشي ان السبب الرئيسي للهزيمة، كما ذكر سابقاً، هو العزل الطوعي لبروليتاريا تورينو عن بقية ايطاليا بارادة الأجهزة المركزية للحزب «التي لم تفعل شيئاً لمساعدتها».

عملياً، أصبحت المعركة بين سيرّاتي وجماعة «النظام الجديد» معركة بين شيوعيي تورينو وقصوويي ميلانو. وكان سيرّاتي يرى في الاستيلاء على السلطة تتويجاً للارتقاء العام للجماهير، في حين ان غرامشي اعتقد ان الجماهير لا يمكنها ان ترتقي إلا بامتلاك السلطة[٣٨]. وكان هذا التضارب يحتوي على الاختلاف الرئيسي بين الأمميتين الثانية والثالثة.

مباشرة قبل انعقاد الكونفرنس الوطني للحزب الاشتراكي، كان غرامشي قد كتب إحدى أهم افتتاحياته في تلك الفترة، وكانت بعنوان «من أجل تجديد الحزب الاشتراكي»[٣٩]. وكانت هذه الافتتاحية قد قدمت كتقرير الى الكونفرنس في ميلانو بعد ان حصلت على موافقة بالاجماع من فرع الحزب الاشتراكي في تورينو[٤٠]. وانتقدت المقالة الحزب الاشتراكي الايطالي لما فيه من نواقص سياسية وتنظيمية في وضع ايطالي عام لا يمكنه ان ينتهي إلا الى الثورة أو «الرجعية الرهيبة». وهاجم غرامشي أجهزة ادارة الحزب الاشتراكي قائلا: «إنهم لا يفقهون شيئاً مطلقاً عن مرحلة التطور التاريخي الوطني والأممي التي تمر في المرحلة الحالية». وقد بقي الحزب الاشتراكي، بالرغم من قرارات مؤتمر بولونيا، «مجرد حزب برلماني يجمد نفسه داخل الحدود الضيقة للديموقراطية البورجوازية»[٤١].

ولام غرامشي كذلك الاصلاحيين في صفوف الحزب عن عدم كفاءته، لأن القصوويين سمحوا ببقائهم:

«لم تفعل الأجهزة المركزية للحزب شيئاً لمنح الجماهير تثقيفاً سياسياً بالمعنى

الشيوعي، ولا لدفع الجماهير الى إزاحة الاصلاحيين والانتهازيين من إدارة النقابات والمؤسسات التعاونية... وهكذا، بينما كانت الأكثرية الثورية للحزب عاجزة عن التعبير عن أفكارها ورغباتها داخل الادارة والصحيفة، كانت العناصر الانتهازية منظمة تنظيماً قوياً وتستغل هيبة ونفوذ الحزب لتدعيم مواقفها في البرلمان وداخل النقابات. وقد سمحت إدارة الحزب لهؤلاء بالتمركز وبالتصويت على قرارات تخالف مبادىء وتكتيكات الأممية الثالثة»[٤٢].

وكانت إحدى النواقص الأخرى في الحزب الاشتراكي الايطالي، تتعلق مباشرة بقوة الاصلاحيين داخله، وترتبط بالانعزال عن نشاطات الأممية الثالثة، التي كانت قد عقدت فعلاً اجتماعين اثنين في أوروبا الغربية. وبدون أي مبرر، لم يكن الحزب الايطالي ممثلاً في هذين الاجتماعين. وقال غرامشي في افتتاحية ان صحيفة «آفانتي» أفردت مساحة أكبر للفكر الاصلاحي مما أفردت للخط السياسي للأممية الثالثة، واستمرت صحافة الحزب في نشر أدبيات تمثل مواقف الأممية الثانية متجاهلة التعابير الهامة للأممية الثالثة، مثل مقالة لينين «الدولة والثورة».

وكان رد غرامشي على هذه المشكلة هو أن على الحزب أن يصبح «متجانساً ومتماسكاً، له مذهبه وتكتيكاته ونظامه الصلب والعنيد، ويجب ابعاد الثوريين غير الشيوعيين عن الحزب»[٤٣]. وفي تلك الفترة كان غرامشي مقتنعاً أن حتى مجالس المصانع لا يمكنها ان تقوم بدون وجود مثل هذا الحزب. ولهذا، فانه اقترح، وباسم الفرع الاشتراكي التوريني، اجتماعاً يعقد بين جماعات من رفاق يحملون أفكاراً مشابهة وموجودين في كافة الفروع بهدف التحضير لمؤتمر يسعى الى تخليص الحزب من كل أعضائه غير الشيوعيين.

تقرير غرامشي الذي حمله تولياتي الى ميلانو لم يكد يجلب انتباه أحد في مقر قيادة الحزب. ولكنه، على العموم، قرىء في موسكو[٤٤]، وامتدحه لينين في المؤتمر الثاني للـ «كومنترن»، في حين استنكر غياب مندوب عن تنظيم تورينو.

المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية

شكلت «المسألة الايطالية» موضوعاً رئيسياً جرى حوله النقاش في كل مؤتمرات

الأممية الثالثة من عام ١٩٢٠ وحتى ١٩٢٤. وكانت كل أجنحة الاشتراكية الايطالية قد أعلنت انضواءها تحت لواء الـ «كومنترن» في مؤتمر بولونيا. على العموم، فإنه بانعقاد المؤتمر الثاني (موسكو، تموز/يوليو ـ آب/أغسطس ١٩٢٠) لم يكن مرحباً بالاصلاحيين في موسكو، وهكذا فإن ممثليهم في انوفد الايطالي (داراغونا ونوفري وكولومبينو) لم يقوموا بأية محاولة مباشرة للتأثير على المؤتمر. وكانت بقية الوفد الضخم تضم: سيرّاتي وبورديغا وبومباتشي وانطونيو غراتسيادي ولويجي بولانو.

وكان لينين، خلال ربيع ١٩٢٠، قد دعم سيرّاتي (الذي كان يومها يمثل أكثرية الحزب الاشتراكي الايطالي) أملاً في جذبه الى موقع شيوعي أكثر جدية[٤٥]. وكان لينين قد تابع الوضع في ايطاليا باهتمام خاص لأنه «يمثل سمات ثورية واضحة» ولأن الحزب الاشتراكي الايطالي كان الحزب الاشتراكي الوحيد المنضم بكامله الى الأممية الثالثة. وكانت المهمة الرئيسية للمؤتمر الثاني، استناداً الى لينين، هي توضيح «شروط الانضمام الى الأممية الثالثة»[٤٦]. وبالنسبة للحزب الايطالي، كانت هذه الشروط تشمل إزالة اتجاهين متنازعين: الاتجاه الامتناعي انتخابياً والاتجاه الاصلاحي.

وكان بورديغا، زعيم الجناح الامتناعي، قد أصبح أيضاً في عام ١٩٢٠ الزعيم المعترف به لمختلف الجماعات «الشيوعية» في الحزب الاشتراكي الايطالي من خلال وكالة صحيفته الأسبوعية «السوفييت»، التي كانت مكرسة كلياً لتنظيم الجناح «الشيوعي». ومع ذلك، فقد كان لينين غاية في الانزعاج من العناصر المتطرفة في موقف بورديغا. وكان بورديغا يخشى أن تؤدي المشاركة في البرلمان الى إفساد النواب الشيوعيين بقيم «الاشتراكية الديموقراطية». وحتى قبل المؤتمر الثاني، كان لينين قد حذر بورديغا من ان الامتناعية لم تكن أكثر من مجرد طريقة رخيصة لتجنب «المشكلة الصعبة التي هي مشكلة محاربة تأثيرات الاشتراكية الديموقراطية داخل حركة الطبقة العاملة»[٤٧]. وخلال المؤتمر نفسه، أبرز لينين انه لا يمكن الاطاحة بالبرلمان، في معظم البلدان، إلا من خلال العمل من داخله لكشف واقع حقيقته وأنه، في الوقت الراهن، «ساحة للصراع الطبقي»[٤٨]. وبالرغم من ان بورديغا صوّت ضد مشروع قرار بوخارين الذي يؤكد الحاجة الى العمل المستمر داخل البرلمان، فانه وافق على وقف معارضته لمثل هذا العمل في المستقبل[٤٩].

وكانت مشكلة القضاء على الاصلاحية في أحزاب الأممية مشكلة أصعب. وكانت هذه واحدة من الأغراض الرئيسية للائحة الشهيرة ذات «الاحدى وعشرين نقطة» لشروط الانضمام الى الأممية. وكانت المواد ٧ و١٦و١٧ و٢١ توضح روحية المؤتمر، وهي تنطبق بشكل خاص على الحزب الايطالي:

«٧ ـ إن الأحزاب الراغبة في الانضمام الى الأممية الشيوعية ستكون مجبرة على الاعتراف بالحاجة الى التخلي الكامل والمطلق عن الاصلاحية وعن سياسة «الوسط»... وتطالب الأممية الشيوعية بأن تتم هذه القطيعة، بلا قيد او شرط، بأسرع ما يمكن. إن الأممية الشيوعية لا تستطيع ان توافق على ان يكون لانتهازيين معروفين، مثل توراتي وموديلياني وكاوتسكي وهيلفردينغ وهيلكويت ولونغيه وماكدونالد.. الخ، الحق في الظهور كأعضاء في الأممية الشيوعية. ولا يمكن لهذا إلا ان يؤدي بالأممية الشيوعية الى ان تصبح، في مظاهر عدة، شبيهة بالأممية الثانية التي تفتتت.

«١٦ ـ كل قرارات مؤتمر الأممية الشيوعية، وكذلك قرارات لجنتها التنفيذية، تلزم كل الأطراف المنتمية الى الأممية الشيوعية. والأممية الشيوعية، التي تعمل في ظروف الحرب الأهلية الصعبة، يجب ان تصبح أكثر مركزية بكثير مما كانت عليه الأممية الثانية. ولا بد من توجيه انتباه الأممية الشيوعية ولجنتها التنفيذية في كل نشاطاتهما الى الشروط المختلفة التي على الأحزاب المفردة ان تحارب وتعمل في ظلها، وعليهما اتخاذ القرارات ذات الصلاحية العمومية فقط عندما تكون مثل هذه القرارات ممكنة.

«١٧ ـ وبالعلاقة بهذا، فإن على كل الأحزاب التي ترغب في الانضمام الى الأممية الشيوعية ان تغير أسماءها. وعلى كل حزب يرغب في الانضمام الى الأممية الشيوعية ان يسمى حزباً **شيوعياً** لهذا البلد او ذاك (فرع الأممية الشيوعية)..

«٢١ ـ أعضاء الحزب الذين يرفضون الشروط والطروحات الموضوعة مسبقاً من قبل الأممية الشيوعية، لا بد وان يطردوا من الحزب»[٥٠].

ومع ذلك، فقد دافع سيرّاتي عن توراتي في المؤتمر، وقال: «اذا كان توراتي مفيداً

لنا فلنحافظ عليه، وإن كان يشكل خطراً علينا فلنعمل على إزاحته. ليست لي أية مشاعر شخصية ضد أحد»[٥١]. ورد لينين على هذا بجفاف: «ليست المسألة مسألة عواطف، رجاء». وكان لينين مدركاً لتردد سيرّاتي، وقد لاحظ في خطابه الرئيسي امام المؤتمر أنه:

«فيما يتعلق بالحزب الاشتراكي الايطالي، يرى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية ان الانتقاد الموجه الى الحزب والاقتراحات العملية المقدمة الى المجلس الوطني للحزب الاشتراكي الايطالي باسم فرع الحزب في تورينو، والتي صيغت في عدد «النظام الجديد» الصادر في ٨ أيار (مايو) ١٩٢٠، والتي تتجاوب كلياً مع كل المبادىء الأساسية للأممية الثالثة، هي صحيحة في الأساس.

«ولهذا، فإن المؤتمر الثاني للأممية الثالثة يطلب من الحزب الاشتراكي الايطالي ان يدعو الى عقد مؤتمر خاص للحزب لمناقشة هذه الاقتراحات، وكذلك لمناقشة كل القرارات المتخذة في مؤتمري الأممية الشيوعية، بغرض تصحيح خط الحزب وتطهيره وتطهير كتلته البرلمانية من العناصر غير الشيوعية»[٥٢].

وهكذا أعلن لينين دعمه الصريح للشيوعية التورينية مفضلاً إياها على القصووية الميلانية. وفي ٣٠ تموز (يوليو) وفي خطابه عن «شروط الانضمام الى الأممية الشيوعية» الذي كان يشكل بشكل رئيسي هجوماً على سيرّاتي، كان لينين أكثر صراحة، إذ قال: «ان علينا ان نخبر رفاقنا الايطاليين، بصراحة، ان الاتجاه في منحى الأممية الشيوعية يتوافق مع الاتجاه في منحى «النظام الجديد»، وليس في منحى الأكثرية الحالية للقادة الاشتراكيين وكتلتهم البرلمانية»[٥٣].

وكانت الوثيقة التي امتدحها لينين هي تقرير غرامشي الى المجلس الوطني للحزب الاشتراكي الايطالي، المعنونة «من أجل تجديد الحزب الاشتراكي»، والتي ذكرت سابقاً في هذا الفصل. وكان أعضاء ادارة الحزب الاشتراكي الايطالي قد اختاروا تجاهل التقرير، حتى وُجّه انتباههم اليه بالقوة في موسكو. «ولكن بعد ان قرأه الرفاق في اللجنة التنفيذية للأممية الثالثة في موسكو، صار يحكم على الحزب الاشتراكي الايطالي على أساس هذا التقرير»[٥٤].

وقد دهش لينين لما استثار دعمه لجماعة «النظام الجديد» من عدائية لدى الوفد الايطالي كله، بما في ذلك شيوعيي بورديغا. ولاحظ بورديغا نفسه في وقت لاحق ان «أحداً من المندوبين الايطاليين لم يقبل طرح (لينين)». وفي الواقع، وبعد أن أعلن المندوبون الايطاليون، واحداً بعد الآخر، عدم موافقتهم على «النظام الجديد»، أعلن لينين وبوخارين رسمياً ـ واستنادا الى بورديغا أيضاً ـ «أنهما لم يقصدا إصدار حكم بشأن توجه «النظام الجديد» الذي ليست لديهما معلومات كافية عنه». ومع ذلك، فإنهما أصرّا على ان المقالة المحددة موضوع البحث تمثل موقفاً سياسياً يوافقان عليه[٥٥].

بالرغم من هذه النزاعات، وعد سيرّاتي ـ الذي كان قد انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية للأممية ـ بالدعوة الى عقد مؤتمر استثنائي للحزب الاشتراكي الايطالي للموافقة على النقاط الاحدى والعشرين وطرد الاصلاحيين. على العموم، بعد ذلك الوعد لم يتم عمل شيء إلا القليل لأن سيرّاتي نفسه كان متذبذباً. وفي خريف ١٩٢٠ كان واضحاً انه لن يطرد الاصلاحيين.

خلاف داخل حركة «النظام الجديد»

كان لجماعة «النظام الجديد» تمثيل ضئيل في الأجهزة الوطنية للحزب الاشتراكي الايطالي. وكانت هنالك أسباب عديدة لهذا النقص. وربما كان أحد هذه الأسباب يعود الى تحفظ غرامشي المبالغ به في طلب مكان داخل إدارة الحزب. «كانت الجدية الفكرية والاشمئزاز من أي نوع من الغوغائية تترافق عند غرامشي بتواضع شخصي كبير، مما منعه عن استلام القيادة مباشرة كما كان عليه ان يفعل»[٥٦].

وهناك خطأ أكثر جدية ساهم هو أيضاً في ضعف حركة تورينو: «لم تواجه حركة «النظام الجديد» بشكل مكشوف مشكلة انشاء جناح وطني (على مستوى ايطاليا كلها) في الحزب الاشتراكي»[٥٧]. وكما يقول تولياتي، فإن جماعة النظام الجديد خلقت حركة جماهيرية واسعة في تورينو، ولكنها كانت مقتصرة على الاتصالات الشخصية وغير المنظمة في بقية أنحاء البلاد. بالمقابل، كان الاصلاحيون يسيطرون على «الاتحاد العام للعمل»، والنقابات العمالية، والتعاونيات والكثير من الحكومات المحلية (البلديات)

والكتلة البرلمانية. وكان القصوويون يسيطرون على الأجهزة المركزية للحزب وعلى صحيفته اليومية. وكان للامتناعيين شبكة وطنية من الجماعات الجناحية ودعم كبير داخل «اتحاد الشباب الاشتراكي». والواقع ان الفرع الاشتراكي في تورينو نفسها كثيراً ما كان يقع تحت سيطرة الأكثرية الامتناعية[٥٨]. ومن هنا، فإن جماعة الامتناعيين الموجودة فعلاً كانت هي القوة التي تقوم بالتنسيق بين الأجنحة الشيوعية في الحزب الاشتراكي خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٩٢٠. وفي ظلام كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ حلّل غرامشي أسباب فشل جماعته:

« بشكل اساسي نحن ندفع اليوم ثمن الأخطاء الجدية التي ارتكبناها في سنتي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ . وخوفاً من أن يعتقد الآخرون أننا متعطشين الى السلطة وامتهان الوجود في موقعها لم نحاول ايجاد جناح محدد يمكن تنظيمه في كلّ أنحاء ايطاليا . ولم نكن نريد إعطاء مجالس مصانع تورينو جماعة إدارية مستقلة كان يمكن أن يكون لها تأثير كبير على كل البلاد ، لأننا كنا نخشى الانشقاق داخل النقابات والطرد المبكر من الحزب الاشتراكي »[٥٩] .

وكانت يدا غرامشي مغلولتان تجاه الامتناعيين، وقد اعترف بضرورة دعمهم للاطاحة بالاصلاحيين من الحزب. والواقع انه لم يهاجم الامتناعيين أبداً بشكل مكشوف بالرغم من ان بورديغا وجد، في المؤتمر الثاني للأممية، أن من الملائم مهاجمة جماعة «النظام الجديد»[٦٠]. وصحيح ان غرامشي انتقد أحياناً عناصر الصفائية او الفئوية في موقف الامتناعيين[٦١]. والواقع انه خلال المؤتمر الوطني لـ « الشيوعيين الامتناعيين» الذي عقد في فلورنس يومي ٨ ـ ٩ أيار (مايو)، أعلن غرامشي بصراحة، وكان يحضر بصفة مراقب، انه لا يعتقد بإمكانية اقامة حزب سياسي على أساس مبدأ الامتناع الضيق. كانت الاتصالات الواسعة مع الجماهير ضرورية، وهو ما لا يمكن إنجازه إلا بصيغ جديدة من التنظيم[٦٢]. على العموم، فإن غرامشي لم يكن يقصد بهذه الأقوال تهديم الثقة بقيادة جماعة بورديغا.

وأخيراً، فإن السبب الأكثر أهمية لافتقار «النظام الجديد» الى قوة سياسية وطنية كان غياب الوحدة عن صفوف أفراد الجماعة أنفسهم، وهو ما اتخذ أشكالاً عديدة

مختلفة. قبل كل شيء، كانت هنالك عودة الى الخلافات القديمة بين غرامشي وتاسكا حول العلاقة بين النقابات والمجالس. وفي ٣٠ أيار (مايو) ألقى تاسكا كلمة أمام مؤتمر لغرفة عمل تورينو حول «القيم السياسية والنقابية لمجالس المصانع»[٦٣]. وكما رأينا، كان غرامشي يعتقد انه يجب على المجالس ان تبقى مستقلة عن النقابات، وحتى عن الحزب، الذي عليه ان يكسب المجالس من داخلها وليس بفرض نفسه عليها ميكانيكياً. على العموم، كان تاسكا يعتقد ان الظروف السياسية لا تسمح بتنظيم مجالس مستقلة كلياً، مما سيؤدي حتماً الى صدام مع الحزب ومع «غرفة العمل» والنقابات والدولة. ولهذا كان من الضروري اخضاع حركة المجالس الى النقابات و «غرف العمل»[٦٤]. ولقي خطاب تاسكا موافقة ملحوظة في «غرفة عمل» تورينو، نظراً لأن الكثير من النقابات الممثلة في الغرفة كانت ما زالت تدار من قبل الاصلاحيين المعادين لمفهوم غرامشي للمجالس.

ورد غرامشي بافتتاحية غاضبة انقض فيها على تاسكا: فتاسكا لم يقتصر على التبرؤ من مفهوم «النظام الجديد» للمجالس بل انه فشل قبل كل شيء في فهمه، وقد ارتكب أخطاء حقيقية عديدة، معطياً أسباباً خطأً للتغييرات التي جرت أخيراً في السوفييتات الروسية ومعلومات خطأً عن واضع «نظام» المجالس، وقد خربت مداخلته البرنامج التثقيفي الذي كلف جماعة «النظام الجديد» سنة من الجهود المكثفة[٦٥]. واستناداً الى تاسكا فإن هجوم غرامشي كان من الحدة بحيث دفع أحد الرفاق الروس الى الكتابة الى صحيفة «النظام الجديد» مستنكراً القطيعة، خصوصاً وأن مؤتمرا حزبياً جديداً كان سيعقد قريباً[٦٦].

كانت آخر لجنة تنفيذية لفرع تورينو قد انتخبت في شباط (فبراير). وكانت هذه اللجنة مؤلفة من عناصر «شيوعية» مختلفة في الفرع، وتضم بين أعضائها غرامشي وتولياتي وعدداً من الامتناعيين (بويرو وبارودي هما الأكثر شهرة بينهم). وبالرغم من ان اللجنة التنفيذية كلها وافقت على برنامج يشدد على إقامة علاقات أوثق بين الفرع والجماهير العاملة في تورينو، فإن جهودها بددت في نزاعات دائمة حول الأمور التافهة، كالامتناع الانتخابي، والمسؤولية عن هزيمة الاضراب العام في نيسان (أبريل)، والعلاقات بين الحزب والنقابات والمجالس. وكان الخلاف بين تاسكا

وغرامشي يشكل جزءاً من هذه الحالة. وتسبب الاشتراكيون الأكثر اعتدالاً بمزيد من الفوضى بدعمهم للجناح الشيوعي المؤيد للاشتراك في الانتخابات الوطنية [٦٧]. ونظراً لهذه الفوضى المؤدية الى الشلل ولاقتراب موعد الانتخابات البلدية، رأت اللجنة التنفيذية نفسها مدعوة الى الاستقالة في ١٠ تموز (يوليو).

ودعا توليياتي، بين آخرين، الى مناقشة شاملة لكل المشاكل في الفرع. وكان على كل جناح ان يضع برنامجاً واضحاً بحيث يستطيع الفرع ان يختار مجموعة متجانسة لتشكل اللجنة التنفيذية التالية. وظهرت في النقاشات ثلاث مجموعات: «الانتخابيون القصوويون» (وسموا أحياناً «الانتخابيون الشيوعيون»)، و«الامتناعيون الشيوعيون»، و«مجموعة الثقافة الشيوعية». وضمت المجموعة الأولى توليياتي وتيراشيني وتاسكا، ووقفت الى جانب معارضة قوية للنفوذ المتزايد للفوضويين والنقابويين في الحركة العمالية التورينية. وأيدت هذه المجموعة المشاركة في الانتخابات، وكذلك تطهير الفرع من «الاصلاحيين والانتهازيين». وكان «الامتناعيون الشيوعيون» يعارضون طبعاً النشاطات الانتخابية، ولكن أملهم كان ضئيلاً أيضاً في ان ينجح «الانتخابيون» في تطهير الفرع.

المجموعة الثالثة كانت بقيادة غرامشي مدعوماً من قبل باتّيستا سانتيا وأندريا فيليونغو وبعض الآخرين، وقد رفضت هذه المجموعة ان تقدم لائحة بمرشحين لها كما أحجمت عن التصويت لأية مجموعة أخرى. واعترض غرامشي على تنظيم الأجنحة على أساس «عناصر تكتيكية ثانوية تماماً» (الانتخابية مقابل الامتناعية). بالنسبة لغرامشي، كان هذا يعني انه لا يمكن توقع شيء من القادة غير «تآمر فئوي مماثل للأحقاد والنزاعات التي مزقت الحزب خلال الحرب». والموضوع بأسره إنما يدل على ضعف مستوى التثقيف السياسي حتى بين أعضاء الحزب، وكان لا بد من العثور على النضال الحقيقي «في ساحة العمل الجماهيري: من أجل الجماعات الشيوعية في المصانع والنقابات، ومن أجل مجالس العمال، ومن أجل وحدة البروليتاريا المهددة بتقلبات القادة الاشتراكيين وقادة النقابات». وكان غرامشي يأمل بتوحيد كل العناصر «الشيوعية» في الفرع بإنهاء الخلافات حول المشاكل التكتيكية والتركيز على «المسائل الأساسية للطبقة العاملة والثورة الشيوعية».

ولكن آراء غرامشي ومواقفه المطروحة في برنامج جناحه لم تكن على العموم، في نواح هامة منها، بالحياد الذي تبدو عليه. فرفضه الانضمام الى الآخرين من جماعة «النظام الجديد» شكل بحد ذاته خطوة باتجاه الامتناعيين. ولا شك أنه كان يفكر بتاسكا عندما أشار في اعلان برنامجه الى بعض الأشخاص «غير المسؤولين» والذين «ربطوا أنفسهم بالمصالح القائمة للنقابات والتعاونيات» والذين «يعملون في صالات البيرة او أماكن تآمر النقابات» أكثر مما يعملون بين الجماهير. وأيد الانتخابيون تطهير الفرع ولكنهم قيدوا هذا التطهير الى درجة أن أصبح بلا معنى، فقد شعر هؤلاء ان الحزب لم يكن مستعداً لانشقاق فوري او لعمليات طرد عديدة. على العكس من ذلك، وقف غرامشي الى جانب الامتناعيين في رغبته لانهاء التسويات التساومية مع الاصلاحيين.

في ٢٤ تموز (يوليو) صوتت العناصر القصووية والاصلاحية في الفرع للائحة الانتخابيين التي كسبت بسهولة. في ذلك الوقت، انتخب تولياتي سكرتيراً لفرع تورينو، وهو منصب حافظ عليه حتى مؤتمر ليفورنو. ومنذ تلك اللحظة، اعتقد غرامشي، والامتناعيون كذلك، ان الحزب الاشتراكي الايطالي القديم أصبح ميتاً بالفعل وأن جثته لا تستحق كبير اهتمام. وتوّج غرامشي هذا الموقف في افتتاحيته المعنونة «الحزب الشيوعي»، التي كتبت خلال شهري أيلول (سبتمبر) وتشرين الأول (اكتوبر)، والتي وصفت الحزب الجديد بكونه «ينطلق من رماد الأحزاب الاشتراكية»(٦٨). ولام غرامشي قادة الحزب الاشتراكي الايطالي على «الخطأ التاريخي العملاق الذي ارتكبوه بظنهم ان باستطاعتهم انقاذ البنية القديمة للحزب من التحلل من داخلها». وبالنسبة الى غرامشي فقد أصبح الحزب الاشتراكي الايطالي «لا يختلف بتاتاً عن حزب العمال الانكليزي... تجمعاً لأحزاب مختلفة»(٦٩).

في سنتي ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤، وفي بداية صراعه مع بورديغا على قيادة الحزب الشيوعي الايطالي، أشار غرامشي الى هذ الحالة السياسية التي كانت سائدة في تموز (يوليو) ١٩٢٠. ونعرف من الرسائل المرسلة الى توليـاتي والى سكوتشيمارّو ان غرامشي قصد بتصرفه في عام ١٩٢٠ ان يكون بمثابة خطوة باتجاه الامتناعيين(٧٠)، وكتب غرامشي الى توليـاتي أنه «لم يكن يرغب في دخول جناحه الشيوعي (جناح

تولياتي)، بل أصر على اتفاق أكبر مع الامتناعيين»[٧١]. وبعد بضعة أشهر أوضح غرامشي لسكوتشيمارّو أنه فصل نفسه في آب (أغسطس) ١٩٢٠ عن تولياتي وتيراشيني. «يومها كنت أنا الذي رغب في المحافظة على العلاقات مع اليسار وليس مع اليمين، في حين لحق بالمي وأومبرتو بتاسكا، الذي كان قد انفصل عنا منذ كانون الثاني (يناير)»[٧٢].

احتلال المصانع

في ذلك الوقت بقيت الأوضاع السياسية في تورينو أكثر توتراً حتى مما كانت عليه قبل الاضراب العام في نيسان (أبريل). وكان عمال عديدون قد قتلوا خلال احتفال أول أيار (مايو)، وبعد ذلك أصبحت الصراعات بين العمال ورجال الشرطة أو الجيش أكثر تردداً ودموية[٧٣]. ومع ذلك، فإن المعركة الكبيرة الثانية للعمال الايطاليين في فترة ما بعد الحرب لم تبدأ في تورينو بل في ميلانو.

في حزيران (يونيو) ١٩٢٠ قدم مديرو «اتحاد موظفي وعمال المعادن» الى الصناعيين مذكرة تطالب بإجراء بعض التعديلات في عقود العمل وبزيادات ملحوظة في الأجور. وبالرغم من ان العقود السائدة كانت وقعت في أيلول (سبتمبر) ١٩١٩، فان التضخم كان كبيراً الى درجة ان مكاسب العمال كانت قد تبددت نهائيا. وأدت هذه الحالة بالتنظيمات العمالية وجماعات سياسية أخرى (كالكاثوليكيين والفوضويين والجمهوريين) الى تقديم طلبات مشابهة[٧٤].

وفي ١٥ تموز (يوليو) افتتحت المفاوضات. وطلب «اتحاد موظفي وعمال المعادن» زيادات كبيرة في الأجور بالنظر للارتفاع الكبير في كلفة المعيشة، وبالنظر أيضاً لتنازلات مشابهة قدمتها أخيراً صناعات أقل تخصصاً بكثير من الصناعات المعدنية. وردت «الجمعية الصناعية للمعادن والميكانيك وتوابعها» (AMMA) بأن الأجور كانت متكافئة بالفعل مع كلفة المعيشة، كما هو مثبت في النشرات الاحصائية الصادرة في ميلانو، وهي مدينة ذات إدارة اشتراكية[٧٥]. وأكثر من ذلك، فإن الشروط في الصناعات الأخرى ليست ذات علاقة نظراً لأن الصناعات المعدنية تمر بفترة كساد.

خلال جلستي المساومة التاليتين (٢٩ تموز/يوليو و١٠ آب/أغسطس) دعم «اتحاد

موظفي وعمال المعادن» مقولاته بتقديم تحليل للأوضاع في كل فرع من فروع الصناعة وتقرير عن الوضع الحقيقي للأجور بين عمال المعادن. ثم طالب الاتحاد بأن يتابع الصناعيون مناقشة المذكرة الأساسية والطلبات المفردة الواردة فيها. وعلى هذاالطلب ردت «الجمعية الصناعية للمعادن والميكانيك وتوابعهما» بالرفض القاطع، على أساس الزعم بوجود أزمة صناعية ومنافسة أجنبية وضرائب عالية. وتوقفت المفاوضات.

وكان مديرو «اتحاد موظفي وعمال المعادن» يصرون على تجنب الاضراب، الذي كان الصناعيون يكادون يرحبون به نظراً لحالة الكساد في النشاط الاقتصادي في ذلك الوقت. وفي يومي ١٦ و١٧ آب (أغسطس) قدمت خطة بديلة للعمل الى مؤتمر طارىء عقده «اتحاد موظفي وعمال المعادن»، ودعت هذه الخطة البديلة الى «إضراب أبيض» أو إضراب تباطؤ في العمل، على ان يتم هذا الاضراب مع الالتزام الدقيق بالأنظمة والقواعد الموضوعة لكل عمل صناعي. فكان ان رد أرباب العمل باغلاق المصانع، واحتل العمال المصانع فوراً. ووافق المؤتمر بالإجماع على هذه الخطة وبدأ التباطؤ في ٢١ آب (أغسطس). وكان تبرير «اتحاد موظفي وعمال المعادن» للجوئه الى التباطؤ قد وضع بشكل صريح وواضح:

«إن المقصود بالتباطؤ هو إيذاء الصناعيين، نظراً لأن تكاليفهم العامة لن تتغير عندما يهبط الانتاج. اما العمال من ناحيتهم، فبالرغم من ان مكاسبهم ستنخفض بسبب انخفاض الانتاج، فانهم سيتابعون تقاضي أجور كافية لتمكنهم من متابعة النضال لأمد»[٧٦].

في البداية، أهمل الصناعيون هذه «الاعاقة» على أساس أنها لا تشكل بديلاً فعالاً للاضراب. ولكن، خلال أيام شعر الصناعيون بقلق شديد نتيجة للهبوط الكبير في الانتاج، والذي لم يعد يتجاوز ٦٠ بالمئة من مستواه السابق في بعض المصانع[٧٧]. وأعلن الصناعيون عندها ان العمال انغمسوا في عملية تخريب، وأن حياة بعض موظفيهم أصبحت مهددة. وفي ٣٠ آب (أغسطس) ادعى مديرو مصنع (ألفا ـ روميو» في ميلانو «وجوداً مفاجئاً بين الموظفين لعناصر استفزاز خارجية»، وأعلنوا اغلاق المصنع[٧٨]. وزد العمال فوراً باحتلال مصنع «الفا ـ روميو» واحتلال ما لا

يقل عن ٢٨٠ مصنعاً آخر في منطقة ميلانو، كوسيلة للتعبير عن الاحتجاج. وأعلن «اتحاد موظفي وعمال المعادن» أن:

«أحداً لا يجب ان يغادر المصانع، وعلى الجميع أن يبقوا هناك بغرض الاستمرار في العمل حتى ينهى اغلاق كافة المصانع المغلقة. إن لدى الصناعيين القوات المسلحة لتدافع عنهم. لنثبت ان قوتنا أكبر، انها قوة العمل والايمان بقضيتنا. ابقوا في أماكنكم، ولا تمسوا الآلات، وابقوا على إيمانكم بالمعركة»(٧٩).

وهكذا، فإن احتلال المصانع لم يبدأ كحركة ثورية، بل كان، على العكس من ذلك، محاولة يائسة قام بها قادة «اتحاد موظفي وعمال المعادن» للعثور على وسيلة للاحتجاج أقل كلفة من الاضراب. بل ان بيانهم أعلن أيضاً ان العمال سيغادرون المصانع بمجرد ان توافق الادارة على عدم اللجوء الى إغلاق المصانع كسلاح. وفي الواقع فإن قادة «اتحاد موظفي وعمال المعادن» الذين كان معظمهم من الاصلاحيين، ربما ما كانوا ليتخذوا خطوة راديكالية كاحتلال المصانع لو لم يكونوا يتوقعون تدخلاً حكومياً سريعاً، وهو ما كان سيؤدي الى تسوية سريعة للمسائل الاقتصادية التي أثارتها النقابات في الأساس(٨٠). ثم ان الاصلاحيين شعروا أيضاً بالحاجة الى ان يظهروا أكثر يساراً مما هم في الواقع. وكان هذا نتيجة لضغط القواعد داخل الحزب الاشتراكي الايطالي ولقرارات وطروحات الـ «كومنترن». وكما قال داراغونا، من «الاتحاد العام للعمل»، فإن «المعتدلين كانوا يعودون الى الخط خشية عزلهم»(٨١).

في الأول من أيلول (سبتمبر) تم احتلال مصانع المعادن في تورينو، وبعد وقت قصير تم احتلال كل الصناعات الثقيلة تقريباً في كل أنحاء ايطاليا(٨٢). وكان مثل هذا الانتشار للحركة ضرورياً لتفادي انهيار الجهد الأساسي. ولا بد من التذكير بأن الاحتلال لم يكن إضراب جلوس بل محاولة للابقاء على المصانع قيد العمل، بأصحابها او بدونهم. ولهذا السبب، كانت المصانع تحتاج الى مواد أولية والى قطع لم يكن يستطيع تقديمها إلا مؤسسات صناعية أخرى. وكان من الطبيعي ان يتردد الصناعيون الآخرون في تزويد المصانع المحتلة بهذه المواد، وبالتالي فقد اضطر «اتحاد موظفي وعمال المعادن» الى توسيع الغرض من التحرك. ونظراً لأن صناعة المعادن تضم

شركات غـاية في التعقيـد، مثل صنـاعة السيـارات، فقد تم احتـلال حتى مصانـع الصناعات الخفيفة، كصناعة النسيج مثلاً.

وبالرغم من ان هذه الحركة التي كانت مميزة لم تبدأ في تورينو، فـلا شك في أن عمال المدينة شاركوا فيها بحماسة أكبـر من حماسـة العمال في أي مكـان آخر[٨٣]. وخلافا للوضع أثناء إضراب نيسان (أبريل) العام لم تبد تورينو مرة أخرى معزولة عن بقية الحركة العماليـة الايطاليـة، وهي نقطة شـدد عليها كثيـراً المحررون المحليـون لصحيفة «آفانتي»:

«لقـد وضعت مسألـة سيطرة العمـال اليوم في مستـواها الـوطني بالنسبـة لكـل الصناعات. واليوم، بعد خمسة أشهر من هـزيمة بـروليتاريـا تورينـو، لم تعد سيـطرة العمال تبدو جنوناً للمتطرفين في عين أي كان، ولا حتى في أعين الصناعيـين. وكان عمال تورينـو على حق في نيسـان (أبريـل) ١٩٢٠. كان عمـال تورينـو يقفون عـلى عتبة التاريخ، أي على عتبة الثورة العالمية»[٨٤].

وربما اعتقد العديد من قادة تورينو، وكذلـك قسم كبير من القـواعد فيهـا، ان الاحتـلال بحـد ذاتـه هـو الاستيـلاء عـلى السلطة[٨٥]. وأحـد أكـثر المـراقبـين «البورجوازيين» ذكاء في تورينو، وهـو بييرو غـوبيتّي، تأثـر بقوة بـالطابـع «الثوري» للاحتلال:

«إني أتابع بتعاطف جهود العمال الذين يبنون حقاً نظاماً جديداً. ولا أشعـر في نفسي القوة للحاق بهم في عملهم، ليس الآن على الأقل. ولكن يبدو لي... أن أكبر معارك القرن قـد بدأت. وعنـدئذ سيكـون مكاني الى جـانب الجهة التي تملك روح التضحية وتكريس الذات اكثر من غيرها. اليوم تتقدم الثورة بكل طابعها الـديني. من المؤكد ان اللحظة صعبة حتى بالنسبـة للعمال. وعـلى الأقل في تـورينو، نجـح العمال حتى الآن في تصفية المنظِّمين والقادة القدامى، التجريديين وغير الشـرفاء في ممارساتهم، وهـم يسيرون الى الأمام بقوتهم الذاتية... إن الحركة عفوية وهدفها غير الأهداف المادية. هذه محاولة حقيقية ومناسبة لا لتحقيق الجماعية بل لتحقيق تنـظيم عمالي يكون العمـال فيه، او الأفضـل من بينهم على الأقـل، في المكان الـذي يحتله

الصناعيون اليوم . . . إننا امام حقيقة بطولية»[٨٦].

استناداً الى البعض، لم يكن غرامشي متفائلاً حول احتمالات الثورة. ومع ذلك، ليس هنالك في كتاباته ما يؤيد الشك في صحة الحركة[٨٧]. على العكس من ذلك، فإن احتلال المصانع كان يعني أن قادة النقابات، بالرغم من إصلاحيتهم ومعاداتهم للبلشفية كانوا مجبرين، بمنطق الأحداث، «على الاستمرار في النضال في ميدان جديد، وإن كان العنف ليس ضرورة فورية فيه، فإن دراسة وتنظيم العنف أصبحا أمراً ذا ضرورة فورية»[٨٨]. وهذا التطور الجديد كان مساوياً لانتصار مجالس المصانع على النقابات:

«في الوقت نفسه خلقت حالة جديدة ناجمة عن طريقة جديدة في النضال. فعندما كان العمال يقاتلون لتحسين وضعهم الاقتصادي بوسائل الاضراب، كانت مهمتهم في النضال محصورة في الايمان بقادتهم البعيدين، وكانت مقتصرة على تنمية وتطوير فضائل التضامن والمقاومة المبنية أساساً على الايمان العمومي. أما إذا احتل العمال المصانع ورغبوا في الاستمرار بالانتاج، فإن الحالة المعنوية للعمال تتخذ فوراً شكلاً مختلفاً وقيمة مختلفة. ولا يكون باستطاعة قادة النقابات ان يستلموا الادارة عندئذ، بل يختفون في ضخامة حجم الصورة، وعلى الجماهير ان تحل بنفسها، وبوسائلها، وبرجالها، مشاكل المصانع»[٨٩].

وظهر ان «حل مشاكل المصانع» هو، في النهاية، أمر غاية في الصعوبة لأن المصانع المحتلة أخليت من كل مهندسيها تقريباً. في البداية، بدا الصناعيون أقل نجاحاً في الابقاء على التقنيين خارج المنشآت. وفي الواقع، فإن «الجمعية العامة لتقنيي الصناعات المعدنية وتوابعها» أدانت هذه المحاولة التي قام بها الصناعيون باعتبارها «مناورة تنوي أساسا جعل التقنيين يخرجون عن خطهم الحيادي لينخرطوا ويرموا بأنفسهم في القتال ضد العمال». وفي انفجار حماسي اعلنت الجمعية ايضا ان اعضاءها ينوون الاستمرار في العمل وان لمجرد ضمان «المحافظة على وسائل الانتاج»، خصوصاً وأن الصناعيين كانوا يبدون في الظاهر غير مبالين أبداً بمصير الآلات والتجهيزات في المصانع المحتلة[٩٠]. وهذه الملاحظات تبين عمق القوة

المعنوية للحركة العمالية التورينية التي أثرت بواسطتها حتى على العناصر غير البروليتارية بين السكان. على العموم، في النهاية انسحب معظم التقنيين وتركوا العمال لأنفسهم[٩١].

وكانت هناك مشاكل تقنية أخرى، مثل الصعوبات في الحصول على المواد الخام، وتصريف المنتجات المصنوعة، واستحالة الحصول على قروض، جعلت من المستحيل على مجالس المصانع مواجهة دفع أجور العمال. وقد حلت المشكلة جزئياً باتفاق جرى بين الاتحادات العمالية في المحافظات وتعاونيات العمال، وبموجبه قدمت التعاونيات نسبة معينة من الأجور. وكذلك جرى الاستعداد لتأمين دفعات اضافية تقدم على أساس العمل الفعلي المشغول، بعد تسوية نتائج الحركة. في الوقت نفسه، صرفت للعمال سندات ورقية على شكل ١٠ ليرات و٢٠ ليرة ايطالية، ولكنهم كانوا لا يستطيعون مبادلتها بالسلع[٩٢].

وكانت الادارة الفعلية للمنشآت الصناعية قد أصبحت في أيدي مجالس المصانع. وفي تورينو، حقق جوفاني بارودي لحظة مجد بادارته الذكية والملتزمة لمجمع «فيات» الصناعي. وكان مونتانيانا وباتّيستا سانتيا بين القادة العديدين الآخرين الذين سرعان ما أصبح معظمهم اعضاء في الحزب الشيوعي الايطالي[٩٣]. ونظراً لأنه كان يستحيل على العمال مغادرة المصانع فقد كان لا بد من المحافظة على الحد الأقصى للانضباط. ولهذا فقد منع استخدام المشروبات الكحولية. وفرضت عقوبات قاسية جداً على السرقة. للأسف، لم يكن العمال يستطيعون تكريس كل ساعات عملهم للانتاج الصناعي، والواقع ان سياسة التباطؤ استمرت طوعاً خلال الأيام الأولى القليلة في معظم المصانع. وكان يفترض ان قوات الشرطة قد تهاجم المصانع (كانت تورينو مثلاً مطوقة بالقوات خلال كل فترة الاحتلال). لهذا فإن بعض العمال راح يصنع أسلحة من أنواع مختلفة. وجنّد آخرون في «الحرس الأحمر» الذي نظم أولاً لحماية المصانع من الهجمات، واستخدم فيما بعد للمحافظة على النظام بين أولئك الذين بدأت حماستهم تزول.

ونجحت المجالس لفترة من الزمن في منح العمال مستويات عالية من الانضباط

والجدية. وهذه الصفات تبدو واضحة في الوصف التالي لزيارة قام بها غرامشي ومونتانيانا الى منشأة «فيات ـ لينغوتّو» خلال الاحتلال.

«عندما كنا نتحدث بهدوء، مع ممثلي مجلس المصنع بدأت صفارات الانذار تطلق أصواتها. وكان هذا دليل إنذار. وكان شباب «الحرس الأحمر» في مصنع «فيات ـ لينغوتّو»، الذين قضوا الليل يجوبون المصنع على دراجاتهم، قد لاحظوا ان بعض الدوريات القوية للجنود والحرس الملكي كانت تقترب من مختلف الاتجاهات في وقت واحد. وكان لا بد من الاستعداد لهجوم محتمل.

«وفي جزء من الثانية.. توقفت الآلات. وأسرع العمال الى أسلحتهم، وهم ما زالوا بثياب العمل، وجوههم ملطخة بالزيت والغبار. وكان بعضهم يحمل المسدسات، ويحمل البعض الآخر القنابل اليدوية او البنادق، بينما لم يكن في أيدي آخرين غير القضبان الحديدية التي شكلوها وجعلوها حادة بأنفسهم. وكان الجميع على استعداد للدفاع عن منشآتهم، وإن كانت الحياة هي الثمن...

« بعد بضع دقائق، توقفت صفارات الانذار. وانتهى الانذار بالخطر، فوضع العمال أسلحتهم جانباً وعادوا إلى آلاتهم وكأن شيئاً لم يحصل، دون إضاعة أي وقت في الثرثرة التافهة. فهذا الحادث البسيط يجب ألا يتدخل في الانتاج »[٩٤].

مثل هذا الانضباط وهذه الحماسة كان لهما حسابهما في أية نجاحات حققها العمال خلال الاحتلال. ففي مصنع « فيات ـ المركز » كان الانتاج يصل الى ما معدله ٣٧ سيارة يومياً، بدلاً من ٦٧ ـ أو ٦٨ سيارة كانت تنتج في الأوقات الطبيعية[٩٥]. وفي مصنع الأعمال الميكانيكية في سافيليانو (بين كونيو وتورينو) زاد الانتاج عن معدله الطبيعي[٩٦]. وأنتجت مصانع أخرى في منطقة تورينو بطريقة مؤثرة، مما جعل طبعة بييمونتي من صحيفة « آفانتي » تؤكد، يوم ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠، ان العمل في تورينو « كان يجري في كل المصانع. وكان العمل ضئيلاً في الأيام الأولى، وكثيراً في الأيام التالية. وفي بعض الورشات تم تجاوز معدل الانتاج المعتاد »[٩٧]. ومع ذلك، كان الكل يعرفون ان الانتصار النهائي لم يكن يعتمد على معدل الانتاج. وبعد ان مرت الفورة الأولى للحماسة بدأت مجالس

المصانع تفهم ان مشكلة الاحتلال يجب أن تحل في الساحة السياسية . فإما ان يستلم العمال السلطة أو يموت الاحتلال موتاً طبيعياً .

جوفاني جوليتي وهزيمة الاحتلال

بالرغم من أن قادة « اتحاد موظفي وعمال المعادن » كانوا قد توقعوا تدخلاً حكومياً فورياً ، فان حكومة جوليتي الجديدة ، بعد محاولة أولية للمصالحة ، وقفت بعيداً عن الصراع . ولاحظ أرتورو لابريولا ، وزير العمل ، والنقابي سابقاً ، ان حكومته حاولت الحفاظ على الحياد ، وأن التدخل سيساعد الصناعيين في الواقع(٩٨) . عملياً ، كان جوليتي واثقاً من ان التدخل لم يكن حلاً حكيماً ، حتى بالنسبة لأصحاب الصناعة . وكان جوليتي قد استقبل في الأيام الأولى لاحتلال المصانع وفداً من الصناعيين ، وكان أحدهم أكثر غضباً من بقية أعضاء الوفد ، **فطلب** من جوليتي ان يقصف العمال المتصلبين بالمدفعية . وبابتسامته الدمثة والساخرة ، رد جوليتي قائلاً : « أقسم لي بأن أبدأ القصف في مصانعك » ؟ وأهمل الاقتراح(٩٩) .

بعد سنتين ، أشار جوليتي الى ان رفضه للتدخل كان يقوم على أساس الاعتقاد بأن الاحتلال سيكون بناءً بالنسبة للعمال اذا هم أعطوا وقتاً كافياً ليروا أنهم لا يستطيعون ادارة الصناعة الايطالية بأنفسهم(١٠٠) . وفي كل الأحوال ، فان عدم تصرف جوليتي أدى بقادة « اتحاد موظفي وعمال المعادن » . إلى اعادة النظر في أغراض الاحتلال . وكان يجب استشارة الحزب الاشتراكي الايطالي و« الاتحاد العام للعمل » لتحديد ما إذا كان على العمال أن يتحركوا قدماً نحو السلطة السياسية أو أن يحاولوا تحرير أنفسهم من هذا الوضع باعادة فتح المفاوضات الاقتصادية(*) . وبالرغم

---

* أحد الاكتشافات خلال الاحتلال أغرى العمال بالثورة الفورية ، ففي الخزائن الحديدية للعديد من مصانع تورينو وجد العمال وثائق تثبت وجود لوائح سوداء تضم أسماء العمال المناضلين الملتزمين ، كما اكتشفوا وجود شبكة للمخابرات السرية تدار ضد الحركة العمالية . أنظر : Nenni, p. 100 وأيضاً : Spriano, L'Occupasione, pp. 95 - 96.

من ان الحزب الاشتراكي الايطالي و« الاتحاد العام للعمل » عقدا اجتماعاً مشتركاً في مبلانو يومي ٤ و٥ ايلول (سبتمبر) فانهما لم يدفعا بهدف الحركة الى أبعد من المطالب الاقتصادية الاصلية التي تقدم بها « اتحاد موظفي وعمال المعادن » . وبدلاً من ذلك فقد أصدر الطرفان قراراً يؤكد التضامن غير المشروط مع العمال ويهدد بتوسيع نطاق النضال ليشمل كل فئات العمال اذا ما أدى « عناد أرباب العمل » أو « خرق الحكومة لحيادها » الى منع الوصول الى « حل مرض للنزاع »[١٠١] . ومع ذلك ، فان ادراك وجود خطر كبير ناجم عن هذا الوضع كان يبدو واضحاً في اللهجة القوية للقرار[١٠٢] .

وفي الواقع ، كانت البلاد كلها تبدو مشرفة على الثورة . وكان الفلاحون في بعض مناطق صقلية ولوكانيا قد بدأوا « احتلالهم » الخاص للأراضي غير المستثمرة والتي هي جزء من الملكيات العقارية الكبيرة[١٠٣] . وبالرغم من أنه لم تكن هنالك أية صلة بين الحركتين (وكان يبدو أن قادة الفلاحين أعضاء في « الحزب الشعبي الكاثوليكي » أو من قادة منظمات المحاربين القدماء) فإن توافقهما زاد من حالة عدم الاستقرار في البلاد . وبالرغم من أن الحزب الاشتراكي الايطالي لم يكن مسؤولاً بشكل من الأشكال عن أعمال الفلاحين فانه حاول الاستفادة من حركتهم . وفي يوم ٦ ايلول (سبتمبر) نشر الحزب بياناً « إلى الفلاحين والجنود » طلب فيه دعم الريف لنضال عمال المعادن . وجاء في البيان : « إذا نجح العمال في الغاء الأرباح الزائدة التي يجنيها المالكون سيصبح ممكناً بيعكم الآلات بأسعار أفضل » . وانتهى البيان بروحية وصفها سبريانو بأنها روحية « ما قبل الانتفاضة » .

« إذا دقت غداً ساعة المعركة ضد كل المالكين والمستغلين ستأتون انتم أيضاً لمساندة هذه المعركة . استولوا على الحكومات البلدية وعلى الأراضي . أنزعوا سلاح الكارابينييري . شكلوا كتائبكم بالاشتراك مع العمال . سيروا الى المدن الكبيرة لمساعدة الذين يقاتلون الشرطة المأجورة للبورجوازية ، فربما كان يوم الحرية والعدالة قريباً »[١٠٤] .

عملياً ، لم يفعل الحزب شيئاً لتسريع « ساعة اتخاذ القرار » سواء بين العمال أم

بين الفلاحين . أما فيما يتعلق بمسألة التسليح ، التي ركزت عليها الصحافة المحافظة اهتماماً كبيراً يومها ، فقد كانت معالجة الحزب لها دفاعية بحتة ، وكتب آنجيلو تاسكا يقول : « في تورينو ، حيث كانت الطليعة اكثر جرأة وأفضل تسليحاً » من أي مكان آخر ، لم يبد القادة الشيوعيون أية بادرة في هذا الاتجاه ، بل أنهم كبحوا مجموعات شركة « فيات » التي كانت قد أعدت الشاحنات للعمليات الهجومية »[١٠٥] .

تردد شيوعيي تورينو هذا يبدو مثيراً للدهشة للوهلة الأولى نظراً لمواقفهم السابقة ، ولكن هذا التردد لم يكن ناجماً إلا عن الخشية من أن يبقى التحرك في المدينة معزولاً ، كما حصل في نيسان (ابريل) . ويوم ٩ ايلول (سبتمبر) كان تولياتي يحضر في ميلانو، باعتباره سكرتيراً لفرع تورينو الاشتراكي ، اجتماعاً لمجلس إدارة «الاتحاد العام للعمل». وعندما سئل اذا كان عمال تورينو مستعدين للتحرك أولاً في انتفاضة مسلحة، أجاب تولياتي: «لا يمكنكم الاعتماد على تحرك تقوم به تورينو وحدها . . واذا جاءت الثورة فيجب ان تكون إيطالية وإلا فإن المدينتين الأكثر تقدماً، أي تورينو وميلانو، ستهزمان. والاستعداد (للثورة) غير موجود». بعد سنة من هذا الاجتماع، اوضحت افتتاحية ظهرت في «النظام الجديد» أنه لم يكن في استطاعة قادة عمال تورينو «تحمل مسؤولية نضال مسلح من دون ان يضمنوا ان بقية ايطاليا سوف تقاتل أيضاً، وبدون أن يضمنوا ان «الاتحاد» لن يدع ـ كعادته ـ القوات العسكرية للدولة تتركز في تورينو، كما حصل في نيسان (أبريل)»[١٠٦] .

وفي ١٠ و١١ أيلول (سبتمبر) عقد اجتماع ثان مشترك للمجلس الوطني لـ « الاتحاد العام للعمل» ولادارة الحزب الاشتراكي في ميلانو، ودعا المجتمعون الحزب، لأول مرة، الى تحديد هدف الاضراب بوضوح. ولم تكن **أي من الفئات** صاحبة العلاقة راغبة في تحمل هذه المسؤولية. وبدأ برونو بووتزي، سكرتير «اتحاد موظفي وعمال المعادن»، برفض توقيع أي اتفاق لا يوافق عليه «الاتحاد العام للعمل». وعندها أعلن لودوفيكو داراغونا، الناطق بلسان «الاتحاد العام للعمل»، أنه ليس هنالك غير ثلاثة سبل للعمل: فإما حصر الاحتلال بعمال المعادن، أو توسيعه ليشمل فئات أخرى والمطالبة بسيطرة العمال على الصناعة، أو بدء انتفاضة مفتوحة. وفضّل «الاتحاد العامّ للعمل» (السبيل الثاني نظراً لأن السبيل الأول أثبت فعلاً عدم

جدواه، ولأن السبيل الثالث يتطلب عملاً خارجاً عن هدف الاتحاد العمالي. ومع ذلك، فقد عرض «الاتحاد العام للعمل» أن يجير الحركة بكاملها الى الحزب فيما لو رغب هذا باستلام القيادة.

عندئذ طلب ايجيديو جينّاري، سكرتير الحزب الاشتراكي الايطالي، الذي كان يصر في السابق على العمل الثوري، ان يقوم «الاتحاد العام للعمل» باجراء استطلاع للرأي بين كل ممثلي أعضائه. وطرح مشروعا قرارين، أحدهما يمثل وجهة نظر «الاتحاد العام للعمل»، والآخر يدعو الى التحول الاشتراكي الفوري في الصناعة (وهو ما يعني: الثورة). ونجح مشروع قرار «الاتحاد العام للعمل» بحصوله على **٥٩١٢٤٥** صوتاً مقابل **٤٠٩٥٦٩** صوتاً للمشروع الآخر، وذلك ـ بشكل رئيسي ـ نتيجة لدعم العمال الزراعيين الأكثر محافظة، والذين كانوا عديدين، ونتيجة لامتناع «اتحاد موظفي وعمال المعادن» عن التصويت بأصواته البالغ عددها **٩٣٦٢٣** صوتاً [١٠٧]. وسارع جينّاري الى القبول بنتيجة التصويت بمضمونها القائل بأن يبقى الاحتلال حركة مطلبية اقتصادية، لا أكثر. وأعلن جينّاري أن:

«اتفاق التحالف [بين «الاتحاد العام للعمل» والحزب الاشتراكي الايطالي] يؤكد ان على ادارة الحزب ان تتحمل مسؤولية إدارة الحركة فيما يخص كل المسائل ذات الطابع السياسي.. وفي هذه المرحلة، لا ينوي الحزب الافادة من هذا الامتياز»[١٠٨].

وكما يقول سبريانو، فان أحد الأسباب الأخرى لهذا التردد لدى قادة الحزب ربما كان الشعور بانعزالهم عن «الكومنترن». وكانت أنباء الاحتلال شديدة البطء في الوصول الى موسكو، حتى ان اللجنة التنفيذية لم تستطع معالجة هذه المسألة حتى **٢١** أيلول (سبتمبر). وفي **٢٢** أيلول (سبتمبر)، أعلنت اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية للعمال الايطاليين انه لكي يتم تجنب الهزيمة يجب ان يتحول الاحتلال الى استيلاء عام للطبقة العاملة على السلطة، وهو ما ينظم دكتاتورية البروليتاريا. وكان لهذا ان ينجز من خلال «تغطية ايطاليا كلها بمجالس ممثلي العمال والفلاحين والجنود والبحارة» وطرد الاصلاحيين[١٠٩]. ولكن الاحتلال كان قد وصل في **٢٢** أيلول (سبتمبر) الى مراحله

الأخيرة، وبالتالي فإن صحيفة «آفانتي» لم تقم حتى بنشر هذا النداء. ومع ذلك، فإن سبريانو يؤكد ان «الفشل في التنسيق ليس أقل العوامل التي ساهمت في ضعف الحزب الاشتراكي الايطالي»[١١٠]. ولا يبدو هذا الرأي صحيحاً، نظراً لأنه يستحيل رؤية كيف كان بإمكان النصيحة الروسية ان تصحح ضعف الحزب الاشتراكي الايطالي. وعلى كل حال، ففي ٢٧ آب (أغسطس)، أي قبل الاحتلال مباشرة، كان زينوفييف وبوخارين ولينين قد أرسلوا رسالة الى الحزب الاشتراكي الايطالي تؤكد أن «هنالك في ايطاليا، وفي متناول اليد، كل الشروط الهامة الضرورية لثورة بروليتارية عظيمة ذات شعبية أصيلة». ونفى القادة الروس ان يكون باستطاعة «التحالف» ان «يرسل قواته ضد الطبقة العاملة الايطالية»، وهو التنبؤ المظلم الذي غالباً ما استخدمه الاصلاحيون للحد من هيجان الثوريين الايطاليين. وفيما حذرت الرسالة من «فتنة مصطنعة» أكدت ان الكومنترن «يعارض أيضاً، وبشكل مماثل، ان يحول الحزب البروليتاري نفسه الى فرقة نارية تشعل لهيب الثورة عندما يكون هذا اللهيب منتشراً في كل شقوق المجتمع الرأسمالي»[١١١]. وكان قد تم ابلاغ اقتناع القادة الروس بأن الوضع الايطالي هو وضع ثوري بوضوح تام. فماذا كان ينتظر منهم أن يقولوا أكثر من ذلك؟ ومع هذا، لم يكن في ذلك كبير عزاء للثوريين الايطاليين في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠.

في هذا الوقت، كان الاجتماع المشترك الذي عقد في ١٠ و١١ أيلول (سبتمبر) قد أوضح طريق اعادة فتح باب التفاوض، وهو ما بدأ في ١٥ أيلول (سبتمبر) في تورينو واستكمل يوم ١٩ من الشهر نفسه في روما. وقد حضر هذه المفاوضات كل من جوليتّي نفسه، وحاكما ميلانو وتورينو وممثلون عن الصناعيين وعن «الاتحاد العام للعمل» وعن «اتحاد موظفي وعمال المعادن». وسرعان ما تم الاتفاق على الجوانب المتعلقة بالخبز والزبدة* إذ كان الصناعيون يتلهفون على استعادة سيطرتهم على المصانع. وتلقى كل العمال أربع ليرات اضافية على أجورهم يومياً، وهي زيادة تبلغ نسبتها ما يتراوح بين ١٠ و١٢ بالمئة، وتحسينات في معدلات أجور الساعات

* تعبير يعني الاتفاق على الجوانب الاقتصادية والمالية التي تؤمن لقمة العيش (المعرب).

الاضافية، وفي أجور العمل المنجز خلال أيام الاحتلال (ولكن كان للصناعيين ان يحددوا قيمة ذلك الانتاج). وكذلك ضمن العمال لأنفسهم ستة أيام عطلة مدفوعة في السنة وتصحيحات دورية للأجور حسب غلاء المعيشة. ووافقت الادارة على عدم طرد اي عامل له ثلاث سنوات من الأقدمية وعلى عدم اتخاذ اية اجراءات انتقامية ضد قادة الاحتلال[١١٢].

ولكن، ظهر ان مسألة سيطرة العمال على الصناعة أكثر صعوبة ـ وكان الصناعيون في البداية غير راغبين حتى في بحث هذه المسألة، وهو ما دعا جوليتّي الى التهديد بتقديم مشروع قانون الى البرلمان يشمل هذا المبدأ*. ووافق المالكون «من ناحية المبدأ» على سيطرة العمال تاركين تحديد معنى وحدود هذه السيطرة للجنة ثلاثية تضم الصناعيين وقادة العمال والمسؤولين الحكوميين.

وتمت المصادقة على العقد بكامله في المجلس الوطني لـ « اتحاد موظفي وعمال المعادن» الذي عقد جلسته يومي ٢١ و٢٢ أيلول (سبتمبر)، بالرغم من ان مندوبي فرع تورينو للحزب الاشتراكي صوتوا ضده[١١٣]. وأجري يوم ٢٤ أيلول (سبتمبر) استفتاء للعمال الذين شاركوا في الاحتلال فتمت الموافقة على العقد بأكثرية ساحقة. وحتى عمال تورينو وافقوا على الاستفتاء نظراً لأن عدم موافقتهم كانت تعني العزلة الكاملة والأكبر من تلك التي حصلت ايام إضراب نيسان (أبريل) العام[١١٤]. وبين ٢٥ و٣٠ أيلول (سبتمبر) أعيدت المصانع الى مالكيها.

ولا شك ان نصوص العقد كانت كريمة جداً. الواقع ان معظم الايطاليين تصوروا ان «اتحاد موظفي وعمال المعادن» حقق نصراً كبيراً. ومع ذلك، وخلال سنة واحدة، تم القضاء على كل هذه المكاسب. فبالنسبة لمبدأ «سيطرة العمال»، قدم مشروع القانون أخيراً الى البرلمان (ووضع على الرف سريعاً) وكان لا يحتوي في الواقع أكثر من مشروع لاقامة لجنة للصناعيين والعمال مكلفة بجمع المعلومات الاقتصادية.

---

* وتوضيحاً، قال جوليتي فيما بعد «بصراحته اللطيفة والمندهشة» ان ليس هناك من سبب للخوف من كلمة «سيطرة». فهذه الكلمة تعني في البلاد الأنغلو ـ ساكسونية «الملكية الفعلية» دون شك، أما في ايطاليا فقد كانت تعني تقليدياً «المراقبة» أو «التأكد من صحة سير الأمور» !

(Luigi Einaudi, p. 334)

وفي نهاية عام ١٩٢١ لم تعد المسألة مسألة «سيطرة» بل مسألة تتعلق بالتحري لتحديد «ما إذا كانت أوضاع الصناعة تتطلب حقاً خفض الأجور، وهو ما أعلن الصناعيون أنه أمر ضروري»[١١٥].

وانتهى احتلال المصانع بهزيمة العمال لأن هدف الحركة بقي غير واضح حتى النهاية، ولأن توقيت الحدث الذي جاء عشية أزمة اقتصادية كان الأكثر ملاءمة للصناعيين أنفسهم. واستناداً الى ايناودي فإن الكثير من الصناعيين رحبوا بالحركة كوسيلة لتصفية موجوداتهم وكوسيلة، في الوقت نفسه، لالقاء تبعة أمراض البلاد الاقتصادية على الأعمال غير المسؤولة التي يقوم بها العمال[١١٦]. وبالنسبة لاشتراكيي تورينو، الذين لم يبدأوا الحركة في الواقع، كان التوقيت غاية في السوء نظراً لأن تنظيمهم لم يكن قد شفي بعد من أحداث نيسان (أبريل) العنيفة.

وساهم «حياد» الحكومة في تحقيق الهزيمة نظراً لأنه جعل تردد «اتحاد موظفي وعمال المعادن» والحزب الاشتراكي الايطالي أكثر سوءاً وضرراً مما كان يمكنه ان يكون. وقد ركز قادة «اتحاد موظفي وعمال المعادن» آمالهم على نجاح التدخل الحكومي دون ان يأخذوا في اعتبارهم أي مخرج آخر. وكانت إدارة الحزب غير راغبة في اتباع أي من السبيلين اللذين قد يفتحا الطريق أمام النصر وهما: الالتحاق بحكومة جوليتّي او بدء الثورة الاشتراكية.

ولم تكن نتيجة احتلال المصانع هزيمة أخرى للعمال فحسب. فالبورجوازيون الايطاليون خرجوا من هذا النزاع وهم يشعرون بالمرارة، ليس فقط لأن العمال سيطروا على مصانعهم بل لأنهم اقتنعوا أيضاً بأن الحكومة لم تعد تستطيع حماية مصالحهم. وكان الصناعيون قد فقدوا ثقتهم بـ « الدولة الليبرالية» وأصبحوا يتقبلون الوسائل السياسية التي هي من طبيعة مختلفة كلياً[١١٧]. وكانت الحكومة أيضاً مصرة على اتخاذ إجراءات، وإن «مؤقتة»، لإجبار العمال على العودة الى صيغ أكثر تقليدية للنضال. وكانت ساعة الفاشية قد أصبحت على مدى قبضة اليد. وحركة موسوليني التي كانت ضعيفة وقابلة للتجاهل قبل أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠ نمت بسرعة مدهشة خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من السنة[١١٨].

وبالرغم من ان غرامشي كان مسروراً بالنجاح النسبي لمجالس المصانع خلال الاحتلال فإنه لم تكن لديه أية اوهام حول الهزيمة الساحقة للاحتلال نفسه: «ان انتقادنا للحزب والنقابات، اللذين شلتهما اللفظية الديماغوجية وتصلب الشرايين البيروقراطي، تأكد للأسف مرة أخرى من خلال الأحداث»(١١٩).

واستناداً الى غرامشي فإن الاشتراكيين لم يحاولوا الاستيلاء على السلطة لأنه لم يكن لدى الحزب فهم واضح لدوره كطليعة ثورية بالنسبة للجماهير. وكان استخدام الحزب للاستفتاء مثالاً تقليدياً على هذا الجهل، وبالتالي فإن غرامشي انتقد هذه الخطوة بأكثر التعابير اللينينية تطرفاً:

«ان القادة [الحاليين] للحركة البروليتارية يعتمدون على « الجماهير » ، وهذا يعني انهم يطلبون الموافقة المسبقة للجماهير باللجوء الى استشارتها بالأشكال وفي الوقت الذي اختاروه . ولكن الحركة الثورية لا يمكنها أن تقوم الا اعتماداً على الطليعة البروليتارية ويجب ان تقاد بلا استشارة مسبقة وبدون جهاز للجمعيات العامة التمثيلية . الثورة كالحرب ، على هيئة الأركان العامة للعمال ان تحضرها بدقة ، تماماً كما تحضر هيئة أركان الجيش للحرب . ويمكن للجمعيات العامة ان تصادق فقط على ما يكون قد حصل فعلاً ، إما بالاشادة بالنجاحات او بالمعاقبة الشديدة على حالات الفشل . إن مهمة الطليعة البروليتارية هي المحافظة على يقظة روح الثورة لدى الجماهير ، وخلق الشروط التي تستجيب فيها الجماهير فوراً للشعارات الثورية . وبالطريقة نفسها ، يحاول القوميون والامبرياليون . . . خلق الشروط التي توافق فيها العامة على حرب مقررة فعلاً لدى هيئة الأركان العامة والدبلوماسية . وبالطريقة نفسها ، فإن ما من حركة ثورية تتقرر في اجتماع جمعية عامة وطنية للعمال ، فجمع مثل هذه الجمعية يعني الاعتراف بفقدان المرء الثقة بالنفس »(١٢٠) .

في هذا القول يكمن التناقض الأساسي بين غرامشي وجماعة «النظام الجديد» من جهة والاشتراكية الايطالية التقليدية من جهة ثانية. وقال غرامشي بأن المهمة الفورية للحزب لم تكن إقامة ديموقراطية أخرى حسب النماذج القائمة، بل إيجاد طليعة ثورية ذات كفاءة تقنية عالية وحرية كبيرة في المبادرة، وإلا فإن حالات الخلل الراهنة سوف تشل تقدم الثورة.

٦ ـ باتجاه الحزب الشيوعي : الانشقاق النهائي لغرامشي عن القصوويين

«الحقيقة هي أن الحزب الاشتراكي لم يكن تجمعاً «حضرياً» بل كان حشداً «قبلياً»، لم يكن جسماً متكاملاً بل تجمع أشخاص».

غرامشي ـ ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠

إن فهم غرامشي لدور مجلس المصنع ونظرته اللينينية الى الحزب كطليعة للبروليتاريا أبعداه عن الاشتراكية الايطالية التقليدية. وقد منحته تجاربه في ساردينيا وتورينو ـ وخصوصاً تدريبه في التأريخ الكروتشي ـ نظرة أكثر دقة وتطوراً الى دور قوى مثل الفوضوية، والليبرالية، والديموقراطية المسيحية، وحركة الفلاحين، من النظرة التي لدى زملائه الاشتراكيين. وكان الكثيرون من رفاق غرامشي يهتمون بجدية بالعلاقات الوثيقة التي كانت لغرامشي بين الحين والحين مع تلك الحركات غير الاشتراكية، بالرغم من انه كان للفحص الأدق لهذه العلاقات ان يبين انها لم تكن لتقود غرامشي الى اية اعادة نظر في مذهبه الماركسي، بل كان لها فقط ان تؤدي به الى فهم أفضل لهذه الحركات كقوى تاريخية.

وعلى العموم، فقد لعبت نظرة غرامشي الى هذه الموضوعات دوراً في الانشقاق النهائي الذي وقع بينه وبين القصويين الايطاليين في أواخر ١٩٢٠. هذه النظرة، الى جانب هزيمتي الحركة العمالية التورينية في نيسان (أبريل) وأيلول (سبتمبر)، ونتائج المؤتمر الثاني للكومنترن في تموز ـ آب (يوليو ـ أغسطس)، أوجدت الخلفية اللازمة

لفهم الجدل الطويل بين غرامشي وسيرّاتي، وهو الجدل الذي دمّر وحدة الحزب الاشتراكي الايطالي وأدى الى تأسيس الحزب الشيوعي الايطالي.

غرامشي والفوضويون

إن فكرة المجالس كقوى لتحرير الطبقة العاملة جذبت العديد من الفوضويين الى حركة غرامشي، مما أزعج كثيراً بعض القادة الاشتراكيين. وفي منتصف صيف ١٩٢٠، أعلنت المنظمتان الفوضويتان ـ النقابويتان وقوفهما الى جانب التعاون مع حركة «النظام الجديد». وألقت اينيا ماتّا، وهي مناضلة قديمة، خطاباً لقي ترحاباً حول المجالس في مؤتمر بارما لـ « الاتحاد النقابي الايطالي»[١]. وفي تموز (يوليو)، تبنى مؤتمر بولونيا لـ « الاتحاد الفوضوي» بياناً يدعم المجالس باعتبارها «التنظيمات الملائمة لتضم كل المنتجين اليدويين والفكريين، في أماكن عملهم، استعداداً للثورة. فالمجالس، استناداً الى أهداف المبادىء الفوضوية الشيوعية، هي أجهزة مضادة للدولة بالمطلق، وهي أنوية محتملة لادارة الانتاج الصناعي والزراعي في المستقبل»[٢].

واشترك عدد من الفوضويين في حركة مجالس تورينو، ومن أبرز هؤلاء ماوريتزيو غارينو وبيترو فيرّيرو، مدير فرع «اتحاد موظفي وعمال المعادن» في المدينة. وبالرغم من ان مجموع الفوضويين في تورينو ربما لم يكن كبيراً[٣]، فإن مساهمات رجال مثل غارينو وفيرّيرو في الحركة العمالية كانت ملحوظة. ولفترة من الزمن، وصل الحد بصحيفة «النظام الجديد» الى تعيين فوضوي يدعى كارلو بيتري في هيئة تحريرها[٤].

وكان غرامشي متأثراً بشكل خاص بغارينو الذي قام، خلافاً لتاسكا، بالدفاع عن نظرية «النظام الجديد» القائلة بأن الوظيفة الرئيسية للنقابة هي تمثيل مصالح العامل على أساس كونه كاسب أجر وليس على أساس كونه منتجاً. بالنسبة لغرامشي، كان عمل غارينو دلالة على أنه «في العملية الثورية الحقيقية تجد الطبقة العاملة، وبشكل عفوي، وحدتها العملية والنظرية، وأن كل عامل، بقدر ما يكون ثورياً مخلصاً، سيتعاون في النهاية مع الطبقة بأكملها لتنفيذ مهمة هي من ضمن المجتمع الرأسمالي وليست على الاطلاق هدفاً يقترحه الوجدان والرغبة الفردية»[٥].

ولاحظ غرامشي انه لا يهمه إلا قليلاً ما اذا كان غارينو وفيرّيرو فوضويين، والى الحد الذي يبقى فيه نشاطهما «حقيقياً وملموساً».

وكان أهم دعم تلقاه غرامشي من الميدان الفوضوي ـ النقابوي قد جاءه من جورج سوريل، منظّر النقابوية الثورية. وفي ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٩، تساءل سوريل في مقابلة نشرت له في صحيفة «إل رستو ديل كارلينو»، قائلاً:

«بدلاً من ان يطلب [العمال] من كاوتسكي وأمثاله وضع مشروع لمدينة المستقبل، على هؤلاء ان يقوموا بتثقيف أنفسهم بالاستيلاء على سلطات أكبر داخل المصانع. وهذا يجب ان يكون عمل الشيوعيين! إن التجربة التي يمرون بها في مصانع «فيات» أكثر أهمية من كل المقالات التي تنشرها صحيفة «نوي زايت»»[٦].

وفي تعليقه على هذا الرأي أعلن غرامشي أيضاً تقييمه العام لسوريل. وكان مما يثير الدهشة أن يكون التقييم إيجابياً بالرغم من ان غرامشي أوضح ان الكثير من مذهب سوريل لم يكن مقبولاً لديه. وأكثر من ذلك، كان من الضروري بشكل خاص التفريق بين عمل سوريل وعمل تلامذته ومقلديه في فرنسا وايطاليا، الذين لم يكن غرامشي يكنّ لهم غير الازدراء. أما بالنسبة لسوريل فإنه «في أفضل صفاته يبدو وكأنه يعكس في نفسه بعض فضائل أستاذيه: منطق ماركس القاسي وفصاحة برودون العامية الرقيقة». وكان الأهم بالنسبة لغرامشي هو إصرار سوريل على «أن الحركة البروليتارية تعبر عن نفسها بصيغها الخاصة، وهي التي تعطي الحياة لمؤسساتها». مثل هذا الاعتقاد جعل من الممكن لسوريل ان يبدي إعجابه بحركة السوفييتات في روسيا وفي أوروبا الغربية. ولهذا السبب، شعر غرامشي أن «جورج سوريل بقي كما صنعه برودون، أي صديقاً للبروليتاريا غير ذي مصلحة»[٧].

ومع ذلك، فإن اعتراضات غرامشي الأساسية على الفوضوية كانت عديدة، خصوصاً وأنه كان يخشى ان تؤدي لا كفاءة الاشتراكيين الى دفع عمال كثيرين الى الميدان الليبرتاري[٨]. وصحيح انه نظراً لكون الفوضوية حركة سياسية انعكاسية تختلف قوتها بنسبة عكسية* بالمقارنة مع درجة التصنيع في بلد ما، فإن جاذبيتها كانت آخذة في الضعف تدريجياً[٩]. وفي الوقت نفسه، كان غرامشي ينظر الى بعض

المذاهب الفوضوية على أنها شديدة الخطورة، وخصوصاً منها خوف الفـوضويـين من الدولة كدولة.

وكان موقف غرامشي من الدولة غاية في البساطة، فقد كان يرى ان كل من يقول بأن ليس من الضروري لدولة عمالية، في ظل الشروط الراهنة، ان تقـوم بالثـورة، فإنه ـ على المستوى السياسي ـ يماثـل «مشعوذاً يقـدم جرعـة من الماء القـراح لمصاب بمرض التيفوس»(١٠). ولاثبات هذا يعتمد غرامشي على مقولتين، الأولى مأخوذة من النظرة الهيغلية الى الدولة والثانية مأخوذة من لينين.

ويلاحظ غرامشي أنه صحيح ان الشيوعية هي نظرة أممية، وبالتالي فإنها لا قومية اقتصاديا وسياسيا. ولكن، إذا كانت الدولة القومية مكبوتة داخل الشيوعية الأمميـة، فإن الدولة كـ « صيغة» ملموسة للمجتمع او للجماعية الانسانية ليست كذلك. لقد كان المجتمع موجوداً دوماً كنظام وتـوازن للدول، أي لمؤسسـات ملموسـة يكتسب المجتمع فيها وعياً بوجوده وتطوره. «وكل تقدم للحضارة يصبح دائـماً تاريخـاً حقيقياً وليس حدثاً عارضاً سريع الزوال وسطحياً، نظراً لأنـه يتجسد في مؤسسـة ويجد لـه صيغة في الدولة»(١١).

ثم يطبق غرامشي هذه النظرية على الحركة الاشتراكية:

«الفكرة الاشتراكية تبقى أمراً خيالياً، ووهماً زائلاً، وعملاً انتقائياً لخيال الانسان الفرد حتى تصبح مجسدة بالحـركات الاشتـراكية والبـروليتاريـة، وبمؤسسات تنـظيم البروليتاريا المنظمة والدفاع عنها. وبهـذه التنظيمـات ومن خلالهـا تتخذ الاشتـراكية شكلاً تاريخياً وتتقدم. ومن هذه التنظيمات فإنها تولّد الدولة الاشتراكية الوطنية المعدّة والمنظمة لتكون قادرة على التداخل والتشابك مع دول اشتراكية أخرى شرط ان تكون قادرة على ان تعيش وتنمو فقط باعتبـارها منضمـة الى دول اشتراكيـة أخرى لتحقيق الشيوعية الأممية التي يتحقق فيها، لكل دولة ولكل مؤسسة ولكل فرد، اكتمال الحياة والحرية»(١٢).

من وجهة النظر الماركسية تبدو هذه المقولة أحياناً وكأنها قريبة من ان تكون دفاعاً ايجابياً عن الدولة كظاهرة لا يمكن تجنبهـا. وعلى العمـوم، فإن حقيقـة عدم مـوافقة

غـرامشي على طـروحات الفـوضويـين تصبح واضحـة عنـدمـا ينـاقش دكتـاتـوريـة البروليتاريا. فبالرغم من ان حدود التنافس الطبقي والصراع الطبقي تكون قد تغيرت في دكتاتورية البروليتاريا، فإن التنافس يبقى وكذلك الطبقات. وعلى دولة العمال ان تحل المشاكل نفسها التي تحلها الدولة البورجوازية، وهي تحـديداً: الـدفاع الـداخلي والخارجي. وسيكون من الأمور الكارثية بالنسبة للطبقة العاملة ان تتصرف وكأن هذه المشاكل قد حلت فعلاً.

وفي الواقع، فإن التفكك السريع للدولة البورجوازية يجعل من الأمور الأساسية القضاء على بعض الأحكام المسبقة «ضد كل أشكال السيطرة البـورجوازيـة»، وهي الفكرة التي كان قد زرعها كل من الاشتراكيين والفوضويين. إن هـزيمة الـرأسماليـة ستترك بقايا من المشاعر المضادة للدولة، وسيسعى الأفراد والجماعات الى اعفائهم من الخدمة والنظام اللذين لا بد منهما لنجاح الثورة. ولكن، خنق الدولة يحتاج الى دولة جديدة، وخنق الاتجاهات العسكرية يحتاج الى اتجاهات عسكريـة جديـدة. وخلافـاً للدولة البورجوازية، فإن الدولة الاشتراكية تطلب المشاركة الناشطة والدائمة لشعبها في حياة مؤسساتها[١٣].

وبعد الدفاع عن دولة العمال، يهاجم غرامشي مباشرة الفوضوية. فالفوضويون هم جماعة «ماسونية» أو «دينية» تتحدث عن «الحرية» وعن «الحقيقة» كما لو كانا أمرين مطلقين، كما لو كانا أمرين «ملهمين» أكثر منهما محدودان تاريخيا. ومثل هذه الأفكار جعلت الفوضويين يتجاهلون النظام الذي هو من حياة الأحـزاب السياسيـة، «وهو النظام المولود من مناقشة للقضايا السياسية الملموسة بالعلاقة مـع المذهب السيـاسي الأساسي». وبدلاً من ذلك فإنهم يستخدمون روابط غير ذات علاقة وتقود الى الخطأ للتوصل الى التجانس السياسي، مثل الصداقات الشخصية او التقـدير الشخصي، وامتياز الاسم الكبير، والخوف العام من حمل اسم الخائن[١٤].

إن إيمان الفوضويين بالحقيقة المطلقة يتضمن أن تكون هذه الحقيقة « عفوية » في الطبقة العاملة ، وبالتالي ، فإنهم يشكّون بمحاولات حكم و« إدارة » هذه الطبقـة ، وعلى هذا يرد غرامشي قائلاً :

«نظراً لأننا أكثر حرية روحية [بالمعنى الماركسي لفهم حدود الوضع التاريخي]. . . من الليبرتاريين، فإننا نفهم الحقائق نفسها بوضوح أكبر، ولا نحكم على أعمال العامة التي استحقت الى خطب الفوضويين بأنها عفوية (ليبرتارية، إرادية، واعية)، بل نحن نقول: هذه العامة محكومة أيضاً، هي أيضاً واقعة تحت تأثير سلطة، وهي محكومة بشكل سيء لأن هذه السلطة تمارس بشكل فوضوي»[١٥].

ويتساءل غرامشي أيضاً: إذا كان الفوضويون يمتلكون « إلهام الحقيقة الثورية » ، فلماذا لم ينجحوا أبداً في جر الجماهير اليهم ؟ لقد تجمدت الحركة الفوضوية لأنها لم تفهم أن حقيقة معينة ، وليس الحقيقة المطلقة ، ضرورية لتحريك الجماهير إلى العمل : « ولأغراض تاريخ الانسانية ، فإن الحقيقة لا توجد إلا في العمل . . وهي لا تترجم إلا إلى تحركات في العمق وإلى مكتسبات واقعية تحققها الجماهير بأنفسها » ، وبمعرفة هذا ، كبر الحزب الاشتراكي الايطالي ونما باعتباره حزب الطبقة العاملة الايطالية . وأخطاؤه ونواقصه المعروفة هي أخطاء ونواقص الطبقة العاملة الايطالية نفسها[١٦] .

إن المذهب الفوضوي (وأساسه : فكرة الحرية) ليس محدداً بما فيه الكفاية . ولا يمكن انزاله إلى مرتبة البرنامج ، في حين أن الماركسيين يفسرون الحرية بأنها تنظيم للشروط التي يمكن للحرية أن تتحقق من خلالها . وهذا يعني ، في الوقت الراهن ، منع البورجوازية من تخريب العمل الابداعي للبروليتاريا ، وتنظيم كل الانتاج الوطني والأممي على أساس نموذج الصناعة الكبيرة ، فقط يجعل طريقة الحياة البروليتارية طريقة كونية شاملة يمكن للعلاقة بين الأفراد أن تقوم على أساس العلاقات الصناعية للانتاج وليس على أساس العلاقات السياسية للطبقة »[١٧] .

وأنكر غرامشي ان تكون الفوضوية ايديولوجية مقتصرة على البروليتاريا . وكان غرامشي قد طرح هذه الفكرة بشكل جزئي في « الدولة والاشتراكية » (حزيران ـ يونيو ١٩١٩) . وبعد اعلانه أن الفوضوية ، كحركة سياسية ، كان مقدر لها أن تنطفىء مع تقدم التصنيع ، فإنه اعترف مع ذلك بأنها ستعيش لبعض الوقت كـ « هيجان مثالي » . وفي الواقع ، فإن الفوضوية « سوف تتابع التقليد الليبرالي

[المعادي للدولة] من حيث أن هذا التقليد فرض وحقق القيم الانسانية التي ليس لها أن تموت مع الرأسمالية »[١٨] . وعلى العموم ، بحلول ربيع ١٩٢٠ ، كان غرامشي قد ذهب الى أبعد من ذلك في انكاره للدور الايجابي للفوضوية في التطور المستقبلي للطبقة العاملة :

«ليست الفوضوية مفهوماً ملائماً للطبقة العاملة، ولها فقط . . . ان الفوضوية هي الشعور التخريبي البدائي الموجود عند كل طبقة مضطهدة وهي الميل المنتشر في كل طبقة مسيطرة . ولأن كل اضطهاد طبقي يتخذ له شكلاً في دولة ، فإن الفوضوية هي المفهوم التخريبي البدائي الذي يجعل الدولة ، بذاتها ومن خلال ذاتها ، سبباً لكل بؤس وشقاء يحل بالطبقة المضطهدة . وكل طبقة ، عندما تصبح مسيطرة ، تكون قد حققت مفهومها الفوضوي ، لأنها تكون قد حققت حريتها الخاصة بها »[١٩] .

وهكذا فإن البورجوازية ، بمعارضتها للدولة الاستبدادية والدولة الارستقراطية ، كانت دولة فوضوية . وقد بقيت الدولة البورجوازية دولة فوضوية بمعنى ما بعد انتصارها لأنها حصلت على الحرية الفعلية وكانت تعيش في ظل قوانينها هي . وعندما تستولي البروليتاريا على السلطة سوف تخشى البورجوازية الدولة ثانية وتعود الى فوضويتها السابقة . وبشكل مماثل ، فإن البروليتاريا تميل إلى الفوضوية نتيجة كراهيتها للبورجوازية ، وقد كانت الفوضوية ايديولوجية « هامشية » لكل طبقة مضطهدة . ولكن ليس للبروليتاريا ولا للبورجوازية موقف معاد لـ « الدولة » كمفهوم ، بل هما تعارضان حالات معينة فحسب . لقد كانت الايديولوجيتان المحددتان للبورجوازية وللبروليتاريا ، على التوالي ، الليبرالية والاشتراكية الماركسية . وخلافاً للفوضوية ، فإن الماركسية تصبح بلا معنى إذا فصلت عن البروليتاريا[٢٠] .

غرامشي وبييرو غوبيتي

كان لغرامشي تأثير ملحوظ على ليبراليي تورينو الأصغر سناً والأكثر التزاماً نضالياً ، مثل بييرو غوبيتي ، الذي كان لغرامشي به علاقة واضحة . وفي شباط (فبراير) ١٩١٨ ، بدأ غوبيتي ، وهو ما زال طالباً في الثانوية ، بنشر مجلة شهرية هي

« قوى جديدة » (اينيرجيي نووفي) ساهم غرامشي في تحرير بعضها من حين إلى آخر . وفيما بعد ، في شباط (فبراير) ١٩٢٢ ، أدار غوبيتي ورأس تحرير « الثورة الليبرالية » (لا ريفولوسيوني ليبرالي) التي أصبحت مركز المقاومة الليبرالية للفاشية .

وفي آذار (مارس) ١٩٢٤ ، أعطى موسوليني أوامره إلى حاكم تورينو « بجعل الحياة صعبة » بالنسبة لغوبيتي[٢١] . ونتيجة لذلك ، قامت عصابات القمصان السوداء (الفاشية) بضرب غوبيتي مرتين ضرباً مبرحاً . وأخيراً ، وبعد منع صدور « الثورة الليبرالية » في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ ، توجه غوبيتي إلى باريس ليبرأ من جراحه وللاستمرار في تجميع الليبراليين المعادين للفاشية حول مطبوعاته . ولكن بنيته الجسدية ، كانت مدمرة كلياً ، وتوفي في شباط (فبراير) التالي وهو في سن السادسة والعشرين .

ومهما قيل في أهمية غوبيتي في المرحلة الأولى لما بعد الحرب لا يمكن ان تكون هناك مبالغة . فباعتباره صاحب فكرة الليبرالية « الثورية » ، أو « الثورة الليبرالية » ، كان قد أوحى للكثير من غير الماركسيين بمعارضة عميقة وقوية للفاشية . وحتى اليوم ، ما زال اسمه يذكر على شفاه أولئك الذين يرغبون برؤية تجديد معنوي وسياسي لايطاليا . واستيحاء غوبيتي للّبيرالية الأصيلة العالية جاء عن طريق بينيديتو كروتشي ، وحركات جوستينو فورتوناتو وغايتانو الفيميني « الجنوبوية » ، وغرامشي .

عن كروتشي ، تعلم غرامشي أن « الليبرالية كمذهب تفسر وتبرر كل الأحزاب ديالكتيكياً ، دون أن تتماثل معها ، ولا حتى مع ما يسمى « الحزب الليبرالي »[٢٢] . وبهذا ، فإن الليبرالية هي شكل من اشكال التاريخية التي تقرل بأن مجرد وجود القوة السياسية يثبت ان لها وظيفة حقيقية ، وأنها ذات مغزى . ومع ذلك ، وخلافاً للكثير من اتباع كروتشي ، فإن غوبيتي لم يكن راضياً بمعرفة الدور التاريخي للحزب فحسب ، بل كان راغباً في قيادته إلى الصراع السياسي العملي ، الذي سماه « الالتحام الابداعي مع التاريخ »[٢٣] .

وعن فورتوناتو وسالفيميني ومحافظين وليبراليين آخرين مهتمين بفشل الديموقراطية الايطالية أخذ غوبيتي نظرته السلبية الى الطبقة الايطالية الحاكمة ، واعتقاده الصميم

بأن « النهضة » كانت « نهضة بلا أبطال » ، وأنها لا بد أن تستكمل في القرن الحالي إذا كان للأمة أن تبقى على قيد الحياة .

وعلى العموم ، فإن تأثير غرامشي هو الذي غـزا تفكير غـوبيتي . وكان ارتبـاط غوبيتي الوثيق بجماعة « النظام الجديد » قد أقنعه بقوة وحيوية هذه الحركة ، وقادة الى أن يكتب مقالاً مطولاً بعنوان « تاريخ الشيوعيين التورينيين مكتوبـاً بقلم ليبرالي » ، وهو احدى أهم الوثائق التي كتبت عن غرامشي في هذه الفترة . والذي لا شك فيه هو أن ما جذب غوبيتي إلى « النظام الجديد » لم يكن اشتراكيـة هذه الجمـاعة ، بـل أصالتها الابداعية . واعتقد غوبيتي أن « النظام الجديـد » ، كحركـة ، قادرة عـلى تجديد الحياة الايطالية من خلال وكالة الطبقة العاملة . وكذلك فقد جذب غرامشي اليه ، باهتمامه بفلاحي الجنوب ، غوبيتي الذي عـرف أن الجماهـير الريفيـة كانت ضرورية لخلق ايطاليا افضـل . وأخيراً ، فـإن تصلب غرامشي المـطلق في مواجهـة الفاشية وفر مثالاً يحتذى بالنسبة لغوبيتي . وخلافاً للكثير من الليبراليين ، فإن غوبيتي لم يفتر أبداً في معاداته للفاشية ، بالرغم من أن تصلبه قادة في النهاية الى الموت[٢٤] .

وكان غرامشي ، من ناحيته ، يكن احتراماً لغوبيتي بسبب « اخلاصـه الفكري وتحرره الكامل من أي غرور وأيـة خسة من مستـوى أدنى »[٢٥] . ومع ذلـك ، فقد لاحظ غرامشي ان غوبيتي « ليس شيوعياً وربما لن يصبح كذلك أبداً »[٢٦] . وشعر غرامشي ان تجربة غوبيتي المباشرة مع الطبقة العاملة ، والتي حصل عليها من خلال صحيفة « النظام الجديد » (حيث كان قد أصبح محرراً ناقداً للمسرح بشكل منتظم) قد وسعت من رؤ يته . وكانت اهمية غوبيتي الحقيقية بالنسبة لغرامشي هي في كونـه « منظماً للثقافة » ، وفي كونـه مفكراً « وضـع خطّاً لا تـراجع عنـه لتلك الفئات من المفكرين الشرفـاء والمخلصين الـذين شعروا في ١٩١٩ ـ ١٩٢١ بـأن البروليتـاريا ، كطبقة حاكمة ، ستكون أفضل من البورجوازيـة »[٢٧] . وكان غـوبيتي يمثل مـرحلة جديدة في تطور المفكرين الايطاليين . وكرس غرامشي فيها بعد الكثير من فكره لهذا التطور ، واستمد قسماً جيداً من أهم انتاجه النظري من تأملاته .

غرامشي والديموقراطية المسيحية

لا يمكن لتفوق نظرة غرامشي ، ولتميزه عن معظم الاشتراكيين الايطاليين في هذه الفترة ، أن يكون أكثر وضوحاً مما في آرائه في العمل السياسي الكاثوليكي . وكان لهذا الموضوع أهمية كبيرة بالنسبة للاشتراكية الايطالية نظراً لأن الحزب الكاثوليكي « الحزب الشعبي الايطالي » أثبت كونه منافسها الوحيد على دعم الجماهير في انتخابات عام ١٩١٩ .

وكان غرامشي في البداية قد أنكر أهمية تشكيل « الحزب الشعبي الايطالي » باعتباره ناجماً عن مجرد الحاجة إلى « حزب للنظام » ليس كثير التورط في الحرب ، لكي يتوسط بين البروليتاريا والطبقات التي هي في السلطة[٢٨] . ولكن تراجع الاحزاب البورجوازية الليبرالية استدعى بروز « الحزب الشعبي الايطالي » . وفي خريف ١٩١٩ ، اتضح لغرامشي أن الحزب الجديد سيصبح قوة سياسية هامة . وكانت النتيجة ظهور مقال له عنوانه « الشعبيون »[٢٩] .

ويقول غرامشي أن مجرد تأسيس الحزب يشير إلى « تجديد روحي للشعب الايطالي » لأنه يثبت أن الهرمية الكنسية ، ومعها جماهير الفلاحين راحت تنتقل من ميدان الخرافة الدينية الى عامل العمل التاريخي المبني على دوافع انسانية[٣٠] . طبعاً ، كان الحزب الشعبي مجرد تتويج لعملية طويلة الأمد . ولعقود زمنية عديدة كانت قد ظهرت في ايطاليا مؤسسات كاثوليكية ذات طابع « أرضي » (لا سماوي) ، تحمل اهدافاً « أرضية » ، ولم تكن جمعيات المعونة المتبادلة ، والتعاونيات ، ووكالات الاقراض الزراعي ، ونقابات التجار القديمة إلا امثلة بسيطة على هذه الظاهرة . وبعد أن طردت الدولة الايطالية الليبرالية الجديدة الكنيسة من حقل « الأمور العامة » اتخذت الكنيسة لها ملجأ في الريف ، في النشاطات الاجتماعية اليومية للجماهير الريفية المتخلفة . وبعد أن جردت الكنيسة من أي نفوذ مباشر لها على ادارة الدولة ، أصبحت هي التي تهدد الدولة بسيطرتها على المصالح الاقتصادية والاجتماعية المحلية للفلاحين ، وهي مصالح كانت الدولة الليبرالية قد تجاهلتها إلى حد بعيد .

وهكذا عادت الكثلكة إلى الظهور في عملية التاريخ ، ولكن بصيغة

مختلفة . « وتحولت الروح إلى لحم ، وإلى لحم قابل للفساد ، مثل كل الأشكال البشرية ، تسيطر عليه نفس القوانين التاريخية للنمو والانحطاط التي تتحكم في كل المؤسسات البشرية » . وانتقلت الكنيسة من تراتبية هرمية ضيقة باطنية ومن كونها الحاكم المطلق لنجماهير المؤمنة الى موقع تمثيل تلك الجماهير ومصالحها المادية . وصار مصير الكنيسة يعتمد الآن على « النتائج الحسنة أو السيئة للعمل الاقتصادي والسياسي للرجال الذين يعدون بطيبات الأرض، والذين يقدمون السعادة الأرضية بالاضافة إلى ، أو بدلاً من ، مدينة الرب » . وهكذا ، فإن الكنيسة لا تنافس الليبرالية والدولة العلمانية ، بل هي تنافس الاشتراكية التي تعد بالاهداف نفسها. ولكن هذا التنافس يجب الا يثير الحذر ، فالحزب الشعبي مرحلة ضرورية في تطور البروليتاريا الايطالية نحو الشيوعية . انه يوجد « المشاركة » والتضامن حيث لا تتمكن الاشتراكية من ذلك ، وحيث لا تتوفر الشروط الموضوعية لاقتصاد رأسمالي . وبالرغم من أن مشاعر الارتباك والضياع لفترة ما بعد الحرب تؤثر أيضاً على الريف ، فإنه ليس لدى الفلاحين نموذج المصنع الحديث الكبير ليقودهم إلى طريق جديدة .

ولم يكن باستطاعة غير « الكاثوليكية الديموقراطية » أن تؤمن اللحمة لهذه الفئة الاجتماعية . ولكن الكنيسة ، بعملها هذا ، كانت تنتحر ، إذ ما أن ينتظم الفلاحون حتى يصبح باستطاعة الاشتراكية أن تؤثر فيهم . وعندما يعي الفلاحون قوتهم الحقيقية لن يريدوا أن يتكلم الكهنة باسمهم ، بل أن يفعل ذلك رفاقهم الفلاحون .

بعد أشهر قليلة من كتابة هذه المقالة بدأ غرامشي يناقش دور الكنيسة في الدولة الاشتراكية مع « رفيق بولوني » (من مدينة بولونيا في شمال ايطاليا) . وقالت « النظام الجديد » أن الكهنة والرهبان والراهبات يجب ان يعاملوا في الدولة الاشتراكية كالعمال طالما انهم يقومون بعمل فعلاً . وروع هذا القول الرفيق البولوني ، وكان واضحاً انه يخشى قيام طائفة جديدة من رجال الكنيسة « الاشتراكيين » . ورد غرامشي بأن بعض الاشتراكيين رفضوا بالطريقة ذاتها دعم اقامة السوفييتات في ايطاليا لأنهم خافوا ان يسقط سوفييت برغامو (مدينة معقل للحزب الشعبي الايطالي) في أيدي الكهنة . وسأل غرامشي البولوني ما الذي سيفعله في هذه الحال : « هل نسلط على برغامو النار

والسيف ؟ هل نستأصل من الأرض الايطالية أولئك العمال والفلاحين الذين يتبعون سياسياً الجناح اليساري للحزب الشعبي » ؟ وأكد غرامشي أنه سيكون للاشتراكية الايطالية ما يكفيها من الحرب الأهلية ضد الرجعية حتى دون أن تبدأ حرباً دينية ، وعلى الاشتراكيين أن يعرفوا أن الفاتيكان موجود في ايطاليا ، وأن الكاثوليكية هي قوة سياسية حقيقية . إن دولة العمال ، كالدولة الليبرالية ، ستكون مجبرة على أن تجد نظاماً للتوازن مع القوة الروحية للكنيسة(٣١) .

غرامشي والحزب الاشتراكي الايطالي والمسألة الفلاحية

كان النقص الاكبر عند الحزب الاشتراكي ، في رأي غرامشي ، هو ضعفه بين الفلاحين . وإلى حد ما ، كان هذا النقص خللاً تنظيمياً . فالاتصال الوحيد مع الفلاحين جاء من خلال « الاتحاد الايطالي للعاملين في الأرض » ، وهو تنظيم نقابي يضم كل العمال الزراعيين ، سواء منهم من يملك الأرض أم العاملين بالمياومة . ونظراً لتضارب مصالح هذه الجماعة ، فإن الكثير من صغار الملاكين ومستأجري الأراضي والعاملين بالمشاركة فضلوا الانضمام الى المنظمات الزراعية الكاثوليكية التابعة لـ « الحزب الشعبي الايطالي »(٣٢) .

أما السبب الأهم لعجز الاشتراكية الايطالية في الريف فكان جهل الكثير من الاداريين الاشتراكيين بالمشاكل الفلاحية. وأكثر من ذلك ، فإن نوعاً من عدم الثقة تجاه الفلاحين منع الاشتراكيين من تصحيح جهلهم . وهذا الموقف يتضح بشكل جيد في رد الفعل الاشتراكي الرسمي على استيلاء العمال الزراعيين على الأراضي بالقوة ، وهي ظاهرة كثيراً ما ترددت في الفترة الأولى لما بعد الحرب . وكما جاء على لسان تاسكا فإن « الحزب الاشتراكي تعامل مع [احتلال الأراضي] متأخراً جداً ، وبشك ونية سيئة بشكل عام »(٣٣) . وعلى سبيل المثال ، فإنه ما من نائب اشتراكي ذهب ليساعد الفلاحين المعذبين في محافظة تراباني والبالغ عددهم ١٥٠ ألفاً ، حيث كانت هذه الاحتلالات كثيرة التردد . وكان موقف القصوويين من هذه المسألة ظاهراً بوضوح عندما قال سيراتي ان « الكل يعرف أن حركة احتلال الأراضي التي تمت بشكل خاص في صقلية على أيدي المحاربين القدماء والشعبويين ، كانت حركة

ديماغوجية وبورجوازية صغيرة تهدف إلى اجتذاب الجماهير الزراعية »[٣٤] .

سوء الفهم هذا أغضب غرامشي الذي رأى ان مثل هذا الجهل خطر بشكل خاص نظراً للمحاولات المتكررة لليبرالي جوليتي تشجيع التعاون بين رأس المال الشمالي و« أرستقراطيات » الطبقة العاملة في الشمال الصناعي على حساب فلاحي الجنوب[٣٥] . وشعر أتباع جوليتي ان تحالف ما بعد الحرب بين العمال والفلاحين إذا كان هذا التحالف قد وجد أبداً ، قد ينفك نتيجة لخوف الفلاحين من أن تعيد الاشتراكية الاستيلاء على مكتسباتهم الأخيرة في الأرض والتجهيزات والمواشي[٣٦] .

واعترف غرامشي بحرية أن الاشتراكيين لم ينظروا إلى اعادة توزيع الأراضي كحل ملائم لأوضاع الفلاحين . وقال ان شعار « الأرض للفلاحين » يجب ان يفسر على أنه سيطرة العمال الزراعيين على المؤسسات الزراعية : العمال الزراعيون المنظمون في مجالس للفلاحين الفقراء الذين لن يجمعوا أبداً رأسمالاً كافياً لتطوير حيازات فردية ولتحسين اوضاع وأرباح انتاجهم الزراعي ورفعه إلى مستوى الانتاج الصناعي . فقد كانت الفردية في الأرض بسوء الفردية في المصنع : « إن البروليتاريا الصناعية ، التي هي أساس دولة العمال ، تذهب إلى أبعد من المركزة البلوتوقراطية (حكم الاثرياء) بدلاً من تدميرها »[٣٧] .

واعتقد غرامشي أن كسب الفلاحين إلى جانب الاشتراكية كان ضرورياً جداً ، نظراً لأن الفلاحين وحدهم يملكون القوة العددية للاطاحة بالدولة البورجوازية . ولا يمكن للجماهير أن تثور إلا عندما ينفصل الفلاحون الفقراء وصغار الملاكين « بقوة عن الاحزاب السياسية للتحالف الفلاحي » ، وخصوصاً عندما ينفصل هؤلاء عن « الحزب الشعبي الايطالي »[٣٨] . ويجب ان يثبت للفلاحين ان العمال الصناعيين هم الطبقة الوحيدة المهتمة بزيادة الانتاج الزراعي ، والطبقة الوحيدة المهتمة في النهاية بتحقيق المساوة بين مستويات الانتاج المديني والريفي . ومرة أخرى ، أشار غرامشي إلى المجالس باعتبارها وسائل للتثقيف ، وأكد في الواقع أن المهمة الفورية لحركة المجالس يجب ان تكون نشر الدعاية في الريف .

وكانت مرارة غرامشي المتزايدة تجاه اداريي الحزب الاشتراكي الايطالي تقوم إلى

حد ما على إيمانه بأن هؤلاء لا يفعلون شيئاً في الواقع لدفع مثل هـذا التحالف بـين العمال والفلاحين إلى الأمام . وبعد ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠ ، ومع تصاعد الهجمة المضادة التي شنها الصناعيون والفاشيون ، أصبح واضحاً أن الفرصة الأفضل لاقامة التحالف بين العمال والفلاحين كانت قد مرت وانقضت .

تفكك الحزب الاشتراكي الايطالي

أدى اضـراب تورينـو العام ، والمؤتمـر الثـاني للكـومنتـرن ، ونتـائـج احتـلال المصانع ، الى تفريق الحزب الاشتراكي الايطالي إلى عـدد من الاجنحة المتعـادية إلى درجة اصبح معها تجنب الانشقاق مستحيـلاً . واستكملت عملية التحلل هـذه بين شهـري ايلول (سبتمبر) وكـانون الأول (ديسمبـر) ١٩٢٠ بالجـدل حول امكـانية تكييف « النقاط الاحدى والعشرين » مع الأوضاع الايطالية .

والنقاط الاحدى والعشرون ، أو شروط الانتماء إلى « الأممية الشيوعية » ، كانت قـد صدرت عن المؤتمـر الثاني لـلأممية ، ولكنهـا لم تنشر في ايـطاليـا حتى ٢١ ايلول (سبتمبر)[٤٠] . وفي ٢٨ ايلول (سبتمبر) صـوتت ادارة الحزب بـأكثريـة ٧ إلى ٥ بقبول هذه الشروط دون تحفظ[٤١] .

ولم يكن سيرّاتي راغباً في قبول هذا القرار ، وكان واثقاً من أن القرار لا يمثل رأي الاكثرية داخل الحزب ككل ، ومقتنعاً بأن حياة الحزب نفسها تعتمد على استمرارية قبوله بوجود الاصلاحيين . وهكذا اضطر سيرّاتي إلى معارضـة « الكومنترن » علناً ، وبدأ جدلاً طويلاً ومعقـداً مع لينـين وغرامشي . ومـوقف سيرّاتي هـذا شق جماعـة القصوويين إلى جناحين: الجناح اليساري الذي يقوده ايجيديو جينّاري ونيكولا بومباتشي ، والجنـاح اليميني الذي يقـوده سيرّاتي وأديلكي بـاراتونـو . وهكذا أدت محاولة سيرّاتي للمحافظة على وحدة الحزب إلى انشقاق جديد فيه . وبعض مظاهر هذه المحاولة مهمة لفهم أصول « الحزب الشيوعي الايطالي »[٤٢] .

في عام ١٩٢٠ كان لينين يعتقد أن الأحزاب الاشتراكية الأوروبية لا يمكنهـا أن تنجح في مهماتها الثورية إلا اذا طهرت صفوفها من الاصلاحيين . وفي حثه للأحزاب

على اتخاذ هذا الاجراء ، اتهم لينين الاصلاحيين بالخيانة ، بالرغم من اعترافه أحياناً بأنهم كانوا خونة « دون معرفة ذلك »[٤٣] . ولكن سيرّاتي دافع عن الاصلاحيين الايطاليين (مثل توراتي وموديلياني وآراغونا) نافياً عنهم مثل هذه الاتهامات . وأبرز سيرّاتي - عن حق - أن هؤلاء الرجال ، خلافاً لأمثالهم في بلدان أخرى ، قبلوا بالتأكيد انتماء ملتزماً بالنضال الطبقي ، وبالضرورة التاريخية لاستخدام العنف ، وبدكتاتورية البروليتاريا ، وبنظام السوفييتات كبديل للبرلمان[٤٤] . وبرر سيرّاتي استمرار وجود الاصلاحيين في الحزب بحجج مختلفة . وكان يرى مساهماتهم ضرورية لانتصار الثورة في ايطاليا ، إذ كان معظم مسؤولي العمال الاشتراكيين والحكومات المحلية (البلديات) التي يسيطر عليها الحزب من الاصلاحيين ، وكذلك كثير من النواب . وقال سيرّاتي ان سياسة « الأممية » غير عادلة ومتناقضة وخطرة في مطالبتها بطرد الاصلاحيين بينما تسمح ، بل هي تشجع ، انتماء أولئك الذين اتخذوا موقفاً « اشتراكياً - قومياً » ، مثل مارسيل كاشان في فرنسا ، أيام الحرب العالمية . وأخيراً ، كان سيرّاتي يرى أن الاصلاحيين ، كممثلين للوضع الراهن للكثير من العمال الايطاليين ، يستحقون مكاناً لهم داخل حزب الطبقة العاملة[٤٥] .

لم يكن الاصلاحيون خونة ، وحتى ايجيديو جينّاري وجد نفسه مدفوعاً إلى الدفاع عنهم ضد اتهام لينين لهم بالخيانة ، وفضل وصف سلوكهم بأنه « فهم ناقص للوظائف الجديدة » للحزب[٤٦] . ولكن سيرّاتي كان مخطئاً في افتراضه كون الاصلاحيين الايطاليين مختلفين أساساً عن رفاقهم في البلدان الأخرى . فبالرغم من أن الاصلاحيين الايطاليين اتخذوا مواقف يسارية نسبياً في موضوعات عديدة ، فانهم كانوا مدفوعين إلى هذه المواقف بقوة الظروف وليس المبادىء . وكانت « اللاشرعية البورجوازية »، أو كان « عدم النضج السياسي » لرفاقهم الذين يشكلون الأكثرية ، هو ما دفعهم باتجاه اليسار . وأساساً ، كان الاصلاحيون اشتراكيين ديموقراطيين ، وبالتالي فانهم لم يكونوا يرون غير الطريق « الديموقراطي » وسيلة ملائمة للوصول إلى السلطة . وبالنسبة لهم ، فإن الثورة الوحيدة التي تستحق النجاح هي تلك التي يتم فيها الانتصار كلياً على الجماهير والتي يمكن انجازها بالقدرات التقنية للجماهير نفسها . وكان على سيرّاتي إما أن يقبل الاصلاحيين ويعترف ، في الوقت نفسه ، بهذا

المبدأ ، أو أن يعترف بعدم وجود مكان لهم داخل الحزب الاشتراكي الايطالي . وكان سيرّاتي راغباً عن اتخاذ أي من الموقفين[٤٧] .

وأخيراً ، كان سيرّاتي قد دفع الى القول بأن « الأممية » كانت هي المسؤولة الوحيدة عن طلب طرد الاصلاحيين ، لأنها لم تفهم الأوضاع الايطالية . وفي رأيه أن أياً من أعضاء الحزب الاشتراكي الايطالي لم يطلب جدياً طرد الاصلاحيين حتى انعقاد المؤتمر الثاني للـ « كومنترن »[٤٨] . وفي هذا كان سيرّاتي مغرقاً في الخطأ ، إذ أن بورديغا وجماعته طالبوا باتخاذ مثل هذا الاجراء منذ عام ١٩١٨[٤٩] . وقبل صيف ١٩٢٠ بمدة طويلة كان غرامشي قد حث أيضاً على اتخاذ هذا الاجراء . والواقع أن بورديغا اعتبر غرامشي مبالغاً في حذره لأنه قبل باستمرار وحدة الحزب حتى شباط (فبراير) ١٩٢٠[٥٠] .

وكانت نقطة الضعف الرئيسية في موقف سيرّاتي هي انه لم يرسم اي خط سياسي ايجابي في معارضته للينين . والواقع انه وافق كلياً على معظم الموضوعات التي طرحها لينين . وكان لينين قد قال أنه يمكن زيادة فرص نجاح الثورة البروليتارية الى حد كبير إذا اصبح الحزب الاشتراكي الايطالي أكثر انضباطاً وأكثر مركزية في المبادىء . وكان رد سيرّاتي الضعيف هو أن نجاح الثورة لا يعتمد على بقاء حفنة من الاصلاحيين في الحزب أو خارجه .

« ليست الثورة عملاً سحرياً يقوم به هذا « الزعيم » أو ذاك ، وإن كان للتأثيرات الشخصية قيمتها بحد ذاتها . إن الثورة هي نتاج جملة من الظروف المتعددة والمختلفة ، ونتاج جملة عناصر كثيرة تجتمع فتقود إلى الحل ، في لحظة تاريخية معينة ، لأزمة لها أسباب اقتصادية عميقة ومستعصية . والاعتقاد بأن « صفوة » الشيوعيين في ايطاليا سيقومون بالثورة عندما يتحررون من موديلياني وتوراتي . . . يعني انكار أهمية ومغزى الثورة »[٥١] .

هذا الفهم للثورة ، مهما كانت مزاياه الأخرى ، كان يعني أن ليس باستطاعة الحزب أن يفعل إلا القليل غير انتظار نضج الأوضاع ، وهذا في وقت بدت فيه الرجعية وكأنها القوة الوحيدة القادرة على « النضج » .

كـان مـوقف سيـراتي غـايـة في الصعـوبـة لأنـه شخصيـاً عـارض سيـاسـات الاصلاحيين ، وكان موالياً كلياً لأفكار « الكومنترن » ، وكان ، في الواقع ، « ينـظر إلى موسكو وكأنها المنارة الهـادية »[٥٢] . ومـع ذلك ، لم يكن بـوسعه خـرق تقاليـد الاشتراكية الايطالية ، وتجاهل التضحيات والمساهمات التي قدمها للحزب رجال مثل توراتي وموديلياني . وربما كان باستطاعة سيرّاتي أن ينجح في الابقاء على الاصلاحيين داخل الحزب ، ولكن هذا كان سيؤدي الى خروج جماعة أكبر مؤلفـة من « صفوة » الشيوعيين منه . وبالتالي ، فقد حافظ الحزب الاشتراكي الايطالي على وجود انفصامي له ، فكان حزباً ثورياً بالاسم ، بالرغم من أن قوته تراجعت .

الفضـل الكبير في هـذا الانتصار كـان يعود إلى نفـوذ سيرّاتي الشخصي داخـل الحزب ، وفي الواقع ، فإن التاريخ التالي للحزب الاشتراكي الايطالي ، وهو الحزب الاشتراكي الأوروبي الوحيد الكبير الذي بقي ماركسياً أساساً بالرغم من وجود حزب شيوعي كبير وديناميكي في البلد نفسه ، لا يمكن فهمـه الا في ضوء مـوقف سيرّاتي خلال هذه الاشهر . ومن التناقضات المثيرة للسخرية ان سيرّاتي نفسه اعترف في عام ١٩٢٢ بالخطأ الـذي ارتكبه في تلك الأيـام ، وعاد فـطلب طرد الاصـلاحيين ، ثم انضم بعد ذلك بسنتين ، هو نفسه ، إلى الحزب الشيوعي .

ويتضـح سبب معارضـة غرامشي للخط السيـاسي لسيرّاتي في مقـاله « القـدرة السياسية » (انظر الصفحات ٣١٥ ـ ٣١٧) ، والـذي دعا فيـه غرامشي إلى اقـامة « هيئة أركان » بروليتارية . وكان غرامشي أكثر عداء للاصـلاحيين من لينـين ، مما جعله يؤيد كلياً الزعيم الروسي في هذا النزاع . وأصر غرامشي بشكل خاص عـلى رفع مستوى انضباط الحزب و« الأممية » لأنه شعر ان الثورة الايطالية ستحتاج إلى دعم بروليتاريا العالم ، فالثورة ستؤدي حتماً إلى مقاطعة الرأسماليين لايطاليا ، وأكـثر من ذلك ، فإنه لا بد لـلاقتصاد الايـطالي المحدود من الانـدماج في اقتصـادات البلدان الاشتراكية الأخرى[٥٣] . ولهذا ، فإن انشقاق سيرّاتي عن « الأممية » زاد من غضب غرامشي اكثر وأكثر . وبالنسبة لغرامشي ، كان طرد الاصـلاحيين مبـرراً اذا امكن الاثبـات أنهم لا يقبلون ، بلا قيـد أو شرط ، النقـاط الاحدى والعشـرين ، أو إذا اظهروا ريبة أو شكاً بروسيا السوفييتية[٥٤] . ومنذ أن طالب الاصلاحيون ، في بداية

تشرين الأول (اكتوبر) بـ « استقلال تعبيري في تطبيق النقاط الاحدى والعشرين حسب أوضاع كل بلد » ، أكّد غرامشي أنهم لم يعودوا أعضاء في الحزب(٥٥) .

في نهاية تشرين الأول (اكتوبر) اجتمع في ميلانو ممثلون عن كافة المجموعات « الشيوعية » التي وافقت غرامشي على وجوب طرد الاصلاحيين من الحزب ، وذلك لوضع بيان ـ برنامج لتقديمه إلى المؤتمر المقبل للحزب . وحملت هذه الوثيقة تواقيع غرامشي وتيراشيني وبومباتشي وبورديغا وبرونو فورتيكياري وفرانشيسكو ميزيانو ولويجي بولانو ولويجي ريبوسّي . وطالبت الوثيقة بتحويل الحزب الاشتراكي الايطالي الى حزب جديد عالي المركزية ، وإلى تسميته « الحزب الشيوعي لايطاليا (فرع الاممية الشيوعية) » . وكان على خط الحزب ان يلتزم كلياً بتوجيهات « الكومنترن » . وأمرت « المجموعات الشيوعية » بأن تبدأ عملاً دعائياً في « كل النقابات والعصبات والتعاونيات والمصانع والمزارع . . الخ » ، بهدف كسب الاكثريات إلى جانب الحزب الجديد . هذا البرنامج ، الذي صادق عليه مؤتمر عقد في ايمولا في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ ، كان الوثيقة الأولى للشيوعية الايطالية . ووافق على هذا البرنامج في وقت لاحق الكثيرون من « اليسار » القصووي ، بمن فيهم ايجيديو جينّاري وانطونيو غراتزيادي وآنسيلمو مارابيني(٥٦) .

بالرغم من هذه الاضطرابات بين الأجنحة كان الحزب الاشتراكي الايطالي ما زال يتمتع بدعم الطبقة العاملة والكثير من فلاحي الشمال ، وهو ما ظهر في الانتخابات البلدية التي أجريت في ٥ تشرين الأول (اكتوبر) وفي ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ، وهي الانتخابات المحلية الأولى التي أجريت منذ عام ١٩١٤ . وضاعف الحزب الاشتراكي الايطالي انتصاره الذي كان حققه في الانتخابات الوطنية (البرلمانية) عام ١٩١٩ ، مما كان يعني أن يلعب الحزب دوراً متزايد الحجم في الحكومات البلدية والاقليمية في ايطاليا . وبينما كان الحزب الاشتراكي يسيطر على ٣٠٠ بلدية قبل هذه الانتخابات ، صار بعدها يسيطر على ٢١٦٢ بلدية (من أصل ٨٠٥٩) ، وحصل على الاكثرية في ٢٥ من أصل ٦٩ محافظة . ولكن الاشتراكيين واجهوا خسائر هامة في تورينو وجنوة وفلورنس ، ناجمة إلى حد ما عن صراع الأجنحة والى حد آخر عن أن الأحزاب المعارضة تكاتفت ضدهم(٥٧) . وفي تورينو ، كان فرع

الحزب قد أعلن ترشيح أعضاء « شيوعيين » فقط . هذا القرار استبعد أليأً جوليو كازاليني ، وهو اصلاحي كان قد حصل في الانتخابات السابقة على أصوات كثيرة من الطبقة الوسطى . وأدت المرارة التي نجمت عن هذا القرار ، مضافة إلى الادعاء بالاحتيال ، وإلى التحالف بين جماعة جوليتيّ والكاثوليك ، إلى هزيمة الاشتراكيين (رغم ان هذه الهزيمة جاءت بفارق ٣٠٠ صوت من أصل أكثر من ١٠٠ ألف صوت)[٥٨] .

هذه الحملة الانتخابية كانت آخر عمل سياسي قام به فرع تورينو الاشتراكي ضمن اطار الحزب . ففي ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) أعلنت **طبعة** بييمونتي من صحيفة « آفانتي » استقلالها التام عن طبعة ميلانو ، وأعربت عن نيتها التحرك على المستوى الوطني باعتبارها الناطقة بلسان « الحركة الأكثر تقدماً »[٥٩] . بعد ذلك بوقت قصير ، ظهرت لدى منظمة الجناح الشيوعي في ايمولا ، الذي انضم اليه اشتراكيو تورينو كتلة واحدة ، الحاجة إلى صحيفة تعبر عن رأي المنظمة . لهذا ، صوتت اللجنة التنفيذية لفرع تورينو بالاجماع (مع استنكاف صوت واحد) على دمج « آفانتي » و« النظام الجديد » في صحيفة يومية جديدة تحمل اسم « النظام الجديد » (أورديني نووفو) . وكان للعدد الأول من هذه الصحيفة أن يصدر في أول كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ . ووصف غرامشي الذي عين رئيساً للتحرير موقف الصحيفة بأنه « شيوعي ملتزم بالخط الذي رسمه مؤتمر الاممية (الثاني) واجتماع الشيوعيين الايطاليين (في ايمولا) ، وبتقاليد الطبقة العاملة التورينية واكثرية الفرع الاشتراكي »[٦٠] .

سمعة غرامشي في نهاية ١٩٢٠

لقد كان تطور غرامشي كبيراً حقاً منذ عام ١٩١٧ . كان قد بدأ بشيء من الاهتمام « المثالي » بخلق ثقافة « اشتراكية » مستقلة لتحل محل الثقافة الانتقائية الفضلى ، ذات الأصول البورجوازية ، والتي كثيراً ما لمسها بين رفاقه . بعد ذلك ، وفي مرحلة « النظام الجديد » حاول غرامشي أن يجمع بين هذه الحاجة الى التجديد الثقافي والحركة السياسيّة الحقيقية . وكانت الحصيلة هي الحملة لتنظيم مجالس

المصانع في تورينو .

ولم تلاق الحركة المجالسية خارج تورينو غير نجاح ضئيل ، ومع ذلك فانها ركزت انتباه اليسار الأوروبي على غرامشي ، كما تؤكد تعليقات لينين وسوريل المحملة بالاشادة . وكذلك ، تلقت جماعة « النظام الجديد » مديح هنري باربوس الذي ساعد الصحيفة في تسديد التزاماتها المالية بالقاء محاضرة لجمع التبرعات[٦١] . وهنأت « لومانيتيه » ، صحيفة الحزب الاشتراكي الفرنسي ، « النظام الجديد » على مستواها الثقافي العالي وعلى نجاحاتها التعليمية بين عمال تورينو[٦٢] . وكذلك تركت صحيفة « النظام الجديد » انطباعاً مؤثراً لدى الكثير من المثقفين الايطاليين غير الماركسيين . وإلى جانب غوبيتي ، كان هنالك بينيديتّو كروتشي ، الذي قام ذات يوم بزيارة الصحيفة ، وجوزيبي برتيزوليني ، رئيس تحرير « لا فوتشي » (الصوت) ، الذي حث غرامشي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ على نشر مجموعة من افتتاحياته التي ظهرت في الاسبوعية التورينية[٦٣] . وكان الاكثر اثارة للاهتمام ـ وللتشاؤم ـ هو استشهاد موسوليني بكلام غرامشي في خطاب ألقاه في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢١ . وقال دكتاتور المستقبل : « هذا السارديني المحدودب الظهر ، والاستاذ في الاقتصاد والفلسفة يتمتع بقوة عقلية لا جدال فيها »[٦٤] .

طبعاً ، غرامشي لم يكن قد وصل بعد داخل اليسار الايطالي إلى حجم يوازي حجم سيرّاتي ، أو حتى حجم بورديغا . خارج تورينو ، لم يكن معروفاً إلا لجماعة صغيرة من المثقفين والعمال[٦٥] . وعلى العموم ، ففي عام ١٩٢١ ، ومع تأسيس الحزب الشيوعي الايطالي ، كان لغرامشي أن يواجه فرصته الأولى لأن يصبح زعيماً وطنياً للبروليتاريا الايطالية .

القسم الثالث

غرامشي والشيوعية الايطالية

٧ ـ ليفورنو ، كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ : تأسيس الحزب الشيوعي الايطالي

« إن الحزب الشيوعي هو أداة الصيغة التاريخية لعملية التحرر الداخلي التي يتحول بها العامل من منفذ إلى مبادر ، ويتحول من جمهور الى رئيس وموجه ، ومن ذراع الى دماغ وارادة . وبتشكيل الحزب الشيوعي يتم التقاط بذرة الحرية التي لن تنمو وتستكمل تطورها الا بعد ان تكون الدولة العمالية قد نظمت الشروط المادية الضرورية » .

غرامشي ـ ٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠

مؤتمر ليفورنو

العدد الأول من صحيفة « النظام الجديد » ، الصحيفة « الشيوعية » اليومية الجديدة للحركة العمالية التورينية افتتح العام ١٩٢١ . ومع ذلك ، لم يكن لدى محرريها الوقت اللازم لتهنئة بعضهم بعضاً نظراً لأن الاستعدادات لعقد مؤتمر الحزب كانت ستبدأ فوراً[١] . وكان المؤتمر السابع عشر للحزب الاشتراكي الايطالي سيعقد في فلورنس خلال شهر كانون الأول (ديسمبر) ، ولكن تزايد قوة الفاشية في تلك المدينة أجبر ادارة الحزب على الانتقال بالمؤتمر إلى ليفورنو وتأجيله إلى ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ . والغريب أنه لم يشر إلى مسألة نقل موقع المؤتمر هذه إلا نادراً خلال انعقاد المؤتمر ، ومع ذلك فإنه لا بد للتهديد الفاشي من أن يؤخذ في الاعتبار عند تقييم نتائج مؤتمر ليفورنو .

قبل المؤتمر ، كانت قد نظمت خمسة أجنحة مختلفة داخل الحزب ، وكان كل من هـذه الأجنحة ينـوي تقديم اطـروحته حـول الخط السياسي للحـزب[٢] . وكـانت المشكلة الرئيسية امام كل من هذه الاجنحة هي الدفاع عن موقفه تجاه « الكومنترن » والنقاط الاحدى والعشـرين ، التي تتطلب طـرد الاصلاحيـين من الحزب . ونـظم الاصلاحيون أنفسهم ، بقيادة توراتي وتريفيز وموديلياني وداراغونا والعديد من القادة البرلمانيين والنقابيين الآخرين ، في جناح سمي « التمركز الاشتراكي » . وكان برنامج هذا الجناح بغموض اسمه . فبينما كان البرنامج يصر على أن تعايش الافكار المختلفة داخل الحزب هو مصدر قوة ، كان ينكر وجود اختلافات هامة بـين الأجنحة « عـلى المبادىء الأساسية للاشتراكية » . واعترف هذا الجناح بأن دكتاتورية البروليتاريا قـد تكون ضرورية في ظروف معينـة ، ولكنه كـان يقول بـوجوب عـدم النظر إلى هـذه الدكتاتورية كأمر ملزم « برنامجياً » . وأضافت اطروحة الاصلاحيين إلى هذا قولهم بأن « الشعوب الأكثر تقدماً ديموقراطياً » لا تستطيع أن تقلّد النموذج الروسي لمثل هـذه الدكتاتورية . وأخيراً ، فإن « التمركز الاشتراكي » ، في محاولة لارضاء كل الاجنحة الأخرى ، وافق على عضوية الحـزب في « الأممية الثـالثة » بينـما أكد عـلى « الوحـدة التعبيرية [؟] في تطبيق النقاط الاحدى والعشرين استناداً إلى أوضاع كـل بلد » . وكما ذكر سابقاً ، فإن الاصلاحيين كانوا ، أساساً ، اشتراكيـين ديموقـراطيين ، وقـد نجم غموض برنامجهم عن رفضهم الاعلان عن هذا الموقف غير الشعبي .

من ناحية أخرى ، كان الجناح المسمى « الثوريون المتصلبون » على ارتباط وثيق بتقاليد الاشتراكية الايطالية بالرغم من أن هؤلاء ، خلافاً للاصلاحيين ، كانوا يمثلون موقعاً يسارياً . تقليدياً ، كان الثوريون المتصلبون يعـارضون الاصـلاحية ، ولكنهم تصـرفوا في ليفـورنو كـوسطاء بـين « التمركـز الاشتراكي » وجنـاح سيـرّاتي المسمى « الشيوعيون الوحدويون » ، ولم تكن تلك مهمة كثيـرة الصعوبـة . وكان قـادة هذا الجنـاح هم : كوستـانتينو لاتـزاري ، سكرتـير الحزب بـين عامي ١٩١٢ و١٩١٩ ، وآنجيلو فيليبيتي ، عمدة ميلانو ، وفينشينزو فاشيركا . وكان هؤلاء عـلى عداء مـع اليسار المتطرف ، وخصوصاً مع جماعة « النظام الجـديد »، وكـانوا يتهمـونها بأنها لا تحترم بما فيه الكفايـة التاريـخ « المجيد » للحـزب . وبالاضـافة إلى اعتـراضهم على

« ارادية » و« انتهازية » اليسار المتطرف (وميل مزعوم الى انزال مرتبة مسألة الثورة الى كونها مسألة « سياسية » فحسب) ، كان هؤلاء يعترضون على « الحتمية الاقتصادية » وعلى الايمان بـ « القوانين الاقتصادية العنيدة » .

القسم الأكبر من الحزب كان يؤيد « الشيوعيين الوحدويين » بقيادة سيرّاتي وأديلكي باراتونو . وكما ورد سابقاً ، كان سيرّاتي شديد الارتباط بـ « الأممية الثالثة » ، ولكنه كان يعتقد ان الحزب الاشتراكي سوف يعاني اذا ما طرد الاصلاحيين . وكان هذان الشعوران كلاهما مخلصين ، ولكن أحدهما كان يتعارض مع الآخر ، وكلما كان سيراتي يقترب من المحافظة على الاصلاحيين ، كانت علاقاته مع « الاممية » تزداد تأزماً . وحاول سيراتي تجنب هذا الموضوع بتسميته الاصلاحيين « وسطيين » ، ولكن هذا لم يكن أكثر من حل لفظي[٣] .

جماعة « الوحدة الشيوعية » ، التي كان يقودها انطونيو غراتزيادي وآنسيلمو مارابيني ، حاولت التوفيق بين جماعة سيراتي والجناح الشيوعي . ولم يدع هؤلاء لأنفسهم أي تمايز أو قيادية ، ولكنهم كانوا راغبين في تجنب الانشقاق بين العناصر الشيوعية أساساً والمهددة بالاختلاف حول مسألة الاصلاحيين . وافترض هذا الجناح ان ليست هناك غير اختلافات أساسية قليلة بين وحدويي سيراتي والجناح الشيوعي ، وهو افتراض أثبتت أحداث المؤتمر عدم صحته .

وأخيراً ، كانت هنالك جماعة الشيوعيين « الاتقياء » ، الذين كثيراً ما أطلق عليهم هذا الاسم لتفريقهم عن الشيوعيين الوحدويين من جماعة سيراتي (والذين سيشار اليهم فيما يلي باسم « الوحدويين ») . وكانت العناصر الرئيسية في هذه الجماعة ثلاثة : امتناعيو بورديغا ، بمن فيهم برونو فورتيكياري ولويجي ريبوسي ولويجي بولانو ، وجماعة « النظام الجديد» الغرامشية، ومن ضمنها تيراشيني وتولياتي الذي بقي في تورينو خلال المؤتمر لادارة الصحيفة ، وجماعة القصوويين اليساريين، بمن فيهم نيكولا بومباتشي وفرانشيسكو ميسيانو . بالاضافة إلى هذا ، كانت أكثرية ادارة الحزب الاشتراكي الايطالي قد قررت ان تصوت الى جانب الشيوعيين ، وعلى الأغلب بعيداً عن الاخلاص لـ « الأممية الثالثة » . ولم يكن لهذه الاكثرية يد في صياغة

البرنامج الشيوعي ، والواقع أنه لم يكن باستطاعتها الموافقة عليه كلياً نظراً لأنه يتضمن الكثير من النقد للادارة نفسها . ومع ذلك ، فقد شعرت الادارة أن طرد الاصلاحيين كان أمراً أساسياً . وكان الرجال الأبرز في هذه الجماعة هم : ايجيديو جيناري ، سكرتير الحزب قبل مؤتمر ليفورنو ، وأمبروجوبيلوني ، نائب برلماني ، وجوزيبي تونتار ، زعيم اليسار في تريسته[41] .

مساء الرابع من كانون الثاني (يناير) اجتمع فرع الحزب الاشتراكي في تورينو لانتخاب مندوبيه إلى المؤتمر[5] . وبعد شجار بين الوحدويين والشيوعيين حاول التوسط فيه جناح الوحدة الشيوعية ، قرر الفرع أن يرسل ثلاثة مندوبين شيوعيين وواحد وحدوي ، باعتماد نسبة الأصوات التي تلقتها الاجنحة في الاقتراع . وكان المندوبون الشيوعيون هم : غرامشي وباروداوفوتا . أما الأجنحة الأخرى فلم تحصل على اصوات كافية لتقديم اقتراحات ، وبالتالي لم تمثل في الوفد .

بعد حوالي أسبوع ، وقبل يومين من انعقاد المؤتمر هزت صحيفة غرامشي الاشتراكيين الايطاليين بنشرها برقية واردة من اللجنة التنفيذية للكومنترن . وكانت البرقية بتوقيع زينوفييف وبوخارين وتعلن ان الاصلاحيين والوسطيين في ايطاليا يبدون « أكثر يسارية من أمثالهم في بلدان أخرى » ، فقط لأن ايطاليا كانت تمر بمرحلة ثورية . ومع ذلك ، كان يتزايد وضوح ان جماعة سيراتي هم عملياً « جناح وسط » ، وانتهت البرقية بالتحذير من ان قرارات المؤتمر الثاني للكومنترن تتطلب من كل حزب ان يقطع علاقته مع الاصلاحيين . . « ومن يرفض تطبيق هذا الانشقاق يخرق أحد المراسيم الاساسية للأممية الشيوعية ، ويضع نفسه ، بهذا العمل وحده ، خارج صفوف الأممية »[6] . عندئذ ، صار الوحدويون يجدون من الأصعب والأصعب عليهم الاصرار على ولائهم لـ « الأممية الثالثة » في حين أنهم يدافعون عن حق الاصلاحيين بمكان لهم في الحزب . وتبنى سيراتي الخط الوحيد الذي بقي صالحاً أمامه ، فأعلن ان « الأممية » لديها معلومات خاطئة ، وأن اليمين الايطالي لم يكن اصلاحياً بل « وسطياً » . بالاضافة إلى هذا ، فإن البرقية دفعت فوراً ببعض يسار الوحدويين الى الاقتراب من موقع جناح غراتزيادي ، مما جعل الانشقاق حتمياً[7] .

وهكذا افتتح المؤتمر في جو شديد التوتر السياسي . وكان هنالك أيضاً الكثير من الاضطراب بسبب نقل مكان انعقاد المؤتمر الى ليفورنو . وبالرغم من اعادة ترتيب مسرح « غولدوني » لكي يستقبل اكثر من ٢٠٠٠ مندوب وضيف ، فقد عجز كثيرون عن العثور على مكان للاقامة في المدينة وكان عليهم الانتقال ذهاباً وإياباً إلى « بيزا » كل يوم . هذه المشكلة وتأخر وصول العديد من المندوبين أخرا افتتاح المؤتمر الى الساعة الثالثة بعد الظهر .

بعد كلمات الافتتاح ، صعد إلى المنبر بول ليفي ، ممثل الحزب الشيوعي الالماني الموحد ، لكي يفتتح النقاش . وأكد ليفي أنه « في تاريخ البروليتاريا تصل اوقات لا بد لنا فيها من الاعتراف بأن شقيق البارحة لم يعد كذلك اليوم ، ولن يكون غداً »[٨] . هذا الطلب المرن نسبياً لطرد الاصلاحيين اتبع بقراءة برقية « الكومنترن » وبيانات أخرى بالرأي صادرة عن أحزاب شيوعية أجنبية مختلفة ، حثت كلها على قطع العلاقة باليمين . وذهب بيان الشيوعيين الاسبان الى حد وصف جماعة سيراتي بأنهم « مفسدين » . وعند هذه النقطة تفجر الصخب والضجيج ، ونادراً ما ضبط النظام داخل المؤتمر خلال الاسبوع التالي .

وبعد أن أعلن سيكونديتو ترانكويلي (المعروف أكثر باسم اينياتزيو سيلوني) ، وهو رئيس تحرير « آفانغوارديا » (الطليعة) أن « اتحاد الشباب الاشتراكي » سيصوت إلى جانب الشيوعيين ، طالب ميسيانو بتحديد الخط السياسي للحزب قبل مناقشة أي شيء آخر . لاتزاري وحده اعترض ، متصوراً ، بتفاؤل عاطفي ، أن المناقشة المسبقة للمشاكل « الحقيقية » للاشتراكية ستؤدي إلى التوفيق بين الاختلافات المبدئية بين الاجنحة .

وسئل غراتزيادي أن يلقي أولى الكلمات الرئيسية ، ولا شك في أن ذلك كان ناجماً عن اعتقاد الاكاديمي الرومانولي (من مقاطعة رومانيا الايطالية) أن مهمته تتركز بشدة على المصالحة بين الجماعات « الشيوعية » . ومع ذلك ، فإن خطابه السلس لم يؤد إلا إلى التشديد على التناقض في موقف سيراتي . وقد أبرز بصورة مقنعة كيف ان المادة ١٦ من النقاط الأحدى والعشرين (انظر الصفحات ٢٧٠ ـ ٢٧٤) كانت قد

وضعت بنية السماح بالاستقلالية في تطبيق النقاط ، وليس لايجاد مبرر للتهرب منها جميعاً . واعترف غراتزيادي بأهمية وحدة الحزب ، ولكن الوحدة الشيوعية كانت ، في رأيه ، هي الأهم ، وإذا كان على الوحدويين أن يختاروا بين الاصلاحيين والشيوعيين فان من الأفضل لهم اختيار الشيوعيين . وقبل كل شيء ، فان الوحدة الاممية مفضلة على الوحدة الوطنية . وحول القول بأن « الكومنترن » كان خاضعاً لسيطرة النفوذ الروسي رد غراتزيادي بأن هذه السيطرة لا بد منها لأن روسيا هي البلد الاشتراكي الوحيد (وصاح سيراتي نفسه : « هذا صحيح تماماً ») . ولكن غراتزيادي اختلف عن الجناح الشيوعي في رفضه لاستبعاد الاصلاحيين أوتوماتيكياً ، وقال : « كل أولئك الذين يقبلون بارادتهم اطروحات « الأممية الثالثة » ويدعون الى اتباعها فوراً يمكنهم أن يبقوا في الحزب »[٩] . وشعر الشيوعيون أن مثل هذا التأهيل لن يؤدي إلا إلى تكرار الأحداث التي تلت مؤتمر بولونيا ، حيث انضم الاصلاحيون الى الاكثرية في القبول الرسمي لـ « الأممية الثالثة » . وأخيراً ، أعلن غراتزيادي أن جماعته ستنضم الى الشيوعيين في حال حدوث الانشقاق .

واحتلت كلمتا باراتونو وكريستو كاباكشييف اليوم الثاني للمؤتمر بكامله تقريباً[١٠] . وكان الشيوعي البلغاري كاباكشييف هو الممثل الرسمي للأممية الثالثة ، وبالتالي فقد انتظر الجميع كلمته باهتمام كبير[١١] . وبالرغم من أن موقف كاباكشييف كان معروفاً تماماً ، فإن العديدين صدموا بعنف هجومه على سيراتي . وأعلن كاباكشييف بشكل فظ وجارح أن « الحقيقة آذت أشخاصاً كثيرين ، ومشاعر كثيرة ، ومصالح كثيرة ! »[١٢] . وبالنسبة لكاباكشييف ، كان سيراتي في الأساس اصلاحياً في انكاره الصفة الثورية لاحتلال المصانع وللوضع الايطالي بشكل عام ، وفي رفضه الاعتراف بأهمية الصراع الاستعماري العالمي . وكانت تتبع كل تهمة يوجهها الشيوعي البلغاري صيحات للوحدويين تقول : « ليس صحيحاً » ، وصيحات للشيوعيين تقول : « جيد جداً » ، حتى أصبح المسرح مجرد مكان للهرج والمرج . وعند نقطة معينة وجد كاباكشييف نفسه مضطراً إلى أن يسأل المؤتمرين ما إذا كانوا يريدون سماع آراء « الأممية الثالثة » أم لا . وأصر على طلب عدم مقاطعته من أي من الجهتين ، وهو طلب سارع سيراتي الى تأييده . ومع ذلك ، لم تهدأ القاعة إلا بعد

عزف النشيد الأممي . وظهر بعد ذلك أنه كان للنشيد دوره الكبير في انهاء الخلاف ، إذ أن الجميع كانوا متشوقين الى اظهار ولائهم للكومنترن .

وتحدث أديلكي باراتونو باسم الوحدويين محاولاً انكار وجود أية اختلافات جدية بين الأجنحة ، وهي مهمة ورطت ابن فلورنس في جملة من الصعوبات المنطقية . وبالرغم من افتراض وجود باراتونو في الجناح اليساري لجماعة الوحدويين ، كان عليه ان يدافع عن الزعماء الاصلاحيين لـ « الاتحاد العام للعمل » ضد اتهام الشيوعيين لهم بالخيانة اثناء احتلال المصانع . واستناداً إلى باراتونو ، فإن خطتي ادارة الحزب و« الاتحاد العام للعمل » كحل الاحتلال كانتا « شريفتين ، ولكن احداهما كانت ثورية والاخرى نقابوية »[١٣] . وسرعان ما أبرز الشيوعيون ان باراتونو نفسه كان قد اثبت لتوه عجز الحزب الحالي عن أن يعمل كحزب واحد في وضع معين . وبعد التلميح عن بعد إلى امكانية طرد الاصلاحيين ، قدم باراتونو ادعاء معتاداً ، وهو أن اليمين الايطالي ليس اصلاحياً حقاً ، وأن عليه أن يوقع اتفاقاً يقبل فيه النقاط الاحدى والعشرين . وكان الوحدويون والشيوعيون متماثلون أساساً في نظرتهم ، باستثناء بعض « الموضوعيين المتطرفين » بين الشيوعيين . هذه الكلمة لم تبد لترضي مطالبة الشيوعيين بطرد الاصلاحيين وبانضباط حزبي أكبر . وفي اجتماع عقد بعد جلسة المؤتمر كاد الجناح الشيوعي أن يقرر مغادرة المؤتمر فوراً ، ولكنهم وافقوا أخيراً على انتظار التصويت على مقترحات مختلفة[١٤] .

خلافاً للنقاشات السابقة والتالية ، تميز نقاش اليوم الثالث ، يوم ١٧ كانون الثاني (يناير) ، بهدوء نسبي ، وكان سبب ذلك الى حد كبير هو ان المتكلمين الرئيسيين كانا لاتزاري وتيراشيني . وكانت خدمة لاتزاري لمدة أربعين سنة في الحركة العمالية الايطالية قد جنبته الاعتراضات العنيفة على أفكاره . أما تيراشيني فقد تجنب بعناية الهجمات الغوغائية وغير المسؤولة ، في حين اوضح للوحدويين النتائج الحتمية لموقفهم الذي يشوبه الالتباس والغموض .

وأعلن لاتزاري ببلاغة معارضته لأي انشقاق ، ومعارضته للاستخدام

« الرسمي » للعنف ، ومعارضته لتغيير اسم الحزب(*) . وعبر عن نوع من المشاعر القومية الضمنية التي شاركه فيها العديد من أولئك المندوبين « الاشتراكيين » بالقول ان « الكومنترن » كان يحابي الحزبين الفرنسي والبريطاني في داخله ، وكان الأمر كذلك لأن الروس لديهم معلومات مشوهة عن الأمور الايطالية . ومع اطلاق هذه الملاحظة ، عاد لاتزاري الى توجيه النار الى اعضاء جماعة « النظام الجديد » ، مؤكداً أنهم مسؤولين عن اعطاء المعلومات المشوهة للروس . وقال انهم في « اراديتهم » يماثلون مؤامرات الفوضويين ـ النقابويين ، الذين قام هو ورفاق آخرون باخراجهم من الحزب في عامي ١٨٩٢ و١٩٠٨ ، وأضاف لاتزاري أن مثقفي تورينو الشباب ، بكل حكمتهم ، يفتقرون الى الشعور ، وإلى « ما نسميه أخوة ومساواة » ، ومن الواضح انهم لم يفهموا الكلمات الأخيرة في « البيان الشيوعي » : « يا عمال العالم : اتحدوا ! » (صيحات من القاعة : « إذاً ، لماذا طردت الفوضويين ؟ »)[١٥] . وبعد أن أخذ على سيراتي اقناعه مؤتمر بولونيا باحلال الايمان بالعنف محل « الثورية المتصلبة » ، اختتم لاتزاري بتحذير جماعة « النظام الجديد » من أن الانشقاق ليس السبيل الى اصلاح حالات الخلل في الحزب . وقوبلت كلمة لاتزاري بتصفيق كثير ، ولكن كان واضحاً ان جماعته ستعزل في اللحظة الحاسمة ، كما حصل في مؤتمر بولونيا .

تيراشيني بدأ كلمته باعلان نية الجناح الشيوعي متابعة العمل السابق للحزب الاشتراكي الايطالي ، لا تدميره[١٦] . وكانت الاكثرية التي انتخبت لادارة الحزب في المؤتمر الأخير قد عادت ، في الواقع ، الى الشيوعيين . فأما ان يستمر العمل (بمقررات مؤتمر) بولونيا ، أو انكار نتائج المؤتمر الأخير ، وفي هذه الحالة فان الحزب سيطرد من « الأممية » . ولم تكن هناك طريقة لتفادي الانشقاق ، فمؤتمر بولونيا وأحداث جرت أخيراً دلت على كون الاصلاحيين غير راغبين في التخلي عن أفكارهم اكراماً للانضباط الحزبي . إذاً ، لنتركهم يبحثون عن التأييد لمذاهبهم ، ولكن ليس

---

* لاحظت صحيفة « النظام الجديد » ان لاتزاري « بعاطفيته الكريهة المعتادة » كثيراً ما وظف طرقاً بعيدة عن المنطق للاقناع ، مثل ان يعرض فجأة كل بطاقات عضويته السابقة في الحزب (حوالي أربعين بطاقة ، بما فيها بطاقات « الحزب العمالي » ، سلف الحزب الاشتراكي الايطالي) .

داخل الحزب ، الذي لا يمكن ضبطه إلا إذا كان منسجماً ومتلاحماً . أما بشأن استخدام العنف ، المثير لاشمئزاز لاتزاري والاصلاحيين ، فإن على الحزب أن يعترف بأنه لم يكن يمكن تجنب العنف أحياناً ، وأن الطريقة الوحيدة لجعله أقل وحشية هي منحه التنظيم والانضباط . وهنا ، اتهم تيراشيني قادة النقابات خلال احتلال المصانع بأنهم رموا بالطبقة العاملة في وضع رهيب دون توفير الاسلحة لهم .

ثم انتقل تيراشيني الى مسألة السياسة الزراعية . وكان الاصلاحيون قد اتهموا الخط الشيوعي في هذا الميدان بأنه خط « الحزب الشعبي الايطالي » نفسه . ولم ينكر تيراشيني التهمة كلياً ، فالحزب الشعبي - في رأيه - كان يقوم « بمهمة على الحزب الشيوعي ان يكون شاكراً له قيامه بها » ، نظراً لأنها أيقظت جماهير لم يستطع الشيوعيون بعد الوصول اليها(١٧) . هذه الفكرة ، التي كانت معروفة عند الذين اعتادوا آراء غرامشي في « الحزب الشعبي الايطالي » ، اجتذبت تصفيق الشيوعيين ، ولكنها أثارت عاصفة من الاحتجاجات في صفوف اليمين .

وأنهى تيراشيني كلمته التي استغرقت ساعتين ونصف الساعة باعلان ان « الأممية الثالثة » قررت فعلاً مهمة المؤتمر ، وأن على الوحدويين أن يتخذوا قرارهم : فإن هم طبقوا النقاط الاحدى والعشرين بلا تحفظ سيكون الشيوعيون سعداء ببقائهم في الحزب . وأنصت المؤتمرون إلى هذه الخاتمة بصمت مطلق قطعه فجأة انفجار التهليل من قبل الشيوعيين . وسارع باراتونو ، الذي جرفته الحماسة ، إلى الوقوف واعلان ان كل من يرفض النقاط الاحدى والعشرين لا بد ان يطرد ، ولكنه اضطر في ذلك المساء نفسه الى « لحس كلماته » عندما أعلن ان ملاحظاته الاخيرة لا تغير شيئاً مما أعلنه جناحه سابقاً(١٨) .

أعمال اليوم الرابع للمؤتمر فاقت بعنفها كل الأيام الأخرى . وربما كانت كلمة جينو بالديزي ، وهو من قادة النقابات المغرقين في اصلاحيتهم ، على مستوى أعلى من مستوى بقية الكلمات . وقد أصر بالديزي ، بالرغم من تصريحات باراتونو ، على الاختلاف بين الوحدويين والاصلاحيين ! وأشاد بالديزي بالتشريع باعتباره الطريقة الوحيدة للسيطرة على الانتاج في ظل الرأسمالية . وقال ان

الديموقراطية السياسية يمكنها ان تؤمن انتصار الاشتراكية عندما يصل الجنوب(*) إلى مستوى الوعي السياسي للشمال . وسمعت أصوات من الصالة تصيح قائلة ان البورجوازية سوف تصد الاشتراكية بالقوة ، فرد بالديزي بأن الدكتاتورية ستكون مبررة أخلاقياً في هذه الحالة ، لأنها ستكون دكتاتورية الأكثرية . وطالب الشيوعيون بالديزي بأن يوضح كيف سيعد الاصلاحيون العمال لممارسة هذه الدكتاتورية . فأجاب بأن دكتاتورية الحزب على العمال ، التي يبدو أن الشيوعيون يطالبون بها ، لن تلائم غير البلدان المتخلفة ، وليس البلدان ذات التقاليد الديموقراطية العريقة . وقال ان الاصلاحيين سيتنازلون عن بعض نقاطهم في سبيل وحدة الحزب ، ولكنه أصر على اعادة النظر بالنقاط الاحدى والعشرين « لملاءمتها مع أوضاع ايطاليا » .

فينشينزو فاشيركا، الذي تحدث باسم الثوريين المتصلبين، كان قد نشر لتوه رسالة في صحيفة «آفانتي» اتهم فيها بومباتشي بهجر بولونيا بينما كان الفاشيون يرتعون مسعورين فيها. وشدد فاشيركا في كلمته في المؤتمر على أن «الايمان بالعنف» الذي تبناه الحزب الاشتراكي الايطالي في مؤتمر بولونيا فجّر العنف الفاشي الحالي، فانفجر المؤتمرون بالضجيج، وسارع انيو نيودي، المنتخب حديثاً عمدة لبولونيا، بالتوجه الى المنبر وحاول الرد على فاشيركا الذي توجه الى بومباتشي صائحاً: «يا ثوري النصل!» وأخرج من جيبه مطواة بهدف التشديد على قوله. وكان ما يعنيه فاشيركا في الواقع هو ان بومباتشي، بإيمانه بالعنف، كان يشجع الثورة الدموية بديلاً لحركة سياسية حقيقية. ورد بومباتشي على التهجم بأن استل مسدساً. وبالرغم من انه يبدو انه لم يوجهه فعلاً الى فاشيركا، فقد كاد المؤتمرون يقذفون به الى خارج الجلسة[١٩].

بعد بضع ملاحظات أوردها ارنستو سكيافيلّو (من «الوحدة الشيوعية») وبييترو آبّو، وهو «نائب فلاحي» وجه دعوة حزينة وعاطفية للابقاء على وحدة الحزب، انتهت هذه الجلسة العاصفة.

---

* الجنوب الايطالي كان دوماً زراعياً متخلفاً بينما كان الشمال صناعياً متقدماً (المعرّب) .

حتى هذه النقطة كانت كل الموضوعات الرئيسية قد عـرضت، وكان انشقـاق الحزب قد أصبح حتمياً، ولم يبق إلا التصويت. ومع ذلك، تقرر السماح بجولـة أخـرى من المتكلمين، ربما بـأمل يـائس في تغيير جـو المؤتمر، وربمـا لافساح المجال أمام عدد أكبر من الأعضاء القادة في الحزب، وربما لأن «الرب منح ايطاليا نعمة الثرثرة»، كما قال سيلوني. وعلى العموم، فقد تعاقب على الكلام في اليوم الخامس للمؤتمر ثلاثة إصلاحيين، ووحدوي واحـد، واثنان من جمـاعة الـوحدة الشيوعية، وثلاثة شيوعيين[٢٠].

وكان بورديغا اول المتكلمين، وشدد على الطابع الاشتـراكي ـ الديمـوقراطي لـلاصلاحيـة الايطاليـة. وقال ان الثـورة بالنسبـة للاصـلاحيين لم تكن حتمية في الواقع. والواقع ان الحقائق الوحيدة هي المشكلات اليـومية لـلاشتراكيـة. وكانت الحركة هي كل شيء، والهدف لا شيء. وكان باستطاعة الاصلاحيين ان يثبتوا دوماً ان ساعة الثورة لم تحن بعد: قبل الحرب قالوا ان البورجوازية كانت قـوية جـداً، وهم يقولون اليوم ان ضعف البورجوازية خلق مأزقاً يجب ألا يكون الحزب مسؤولاً عنه. إن رفض الاصلاحيين الايطاليين التعاون مع البورجوازية يجب الا يستخـدم للبرهان على تصلبهم. ربما كان هـذا ما يعنيـه «التصلب» قبل الحـرب، ولكنه لا يعني اليوم أقل من استيلاء البروليتاريا على السلطة[٢١]. وقد اعترف الـوحدويـون بكون الثورة مستحيلة لأن البـروليتاريـا ليست مستعدة لهـا. ولكن الهدف الـوحيد للبـرنامـج الشيوعي هـو التوصـل الى مثـل هـذا الاعـداد. وفي رأي بـورديغـا ان التعاونيات والنقابات والبلديات الاشتراكية. . الخ، لم تكن أجهزة إعداد، كما يبدو ان سيرّاتي كان يعتقد. ولم يكن لكل هـذه الأجهزة من معنى إلا اذا قـرر الحزب تدمير سلطة البورجوازية القائمة. ولم يكن الحزب الاشتراكي الايطالي حزباً يتخذ مثل هذا القرار. ورداً على سؤال باراتونو: «ماذا ستفعل»، أجاب بورديغا ببلاغة:

«الجـواب سـريـع. لقـد أجبـرتنـا «الأمميـة الثـالثـة» على الانفصـال عن الاصلاحيين، والوحدويون يفتحون أمامهم الـطريق للبقاء في الحـزب. . . إننا لا نستطيع ان نسير مع الوّحدويين في هذا الأمر. ولهذا فإننا سنترك.

«ولكنك تقول لنا أننا سننتهي نهاية الآخرين الذين تركوا الحزب [الفوضويون في ١٨٩ -١ ، والنقابويون في عام ١٩٠٨ . . الخ.] . ولن يكون الأمر كذلك، نظراً لأن صفتين تميزانا عن الذين تركوا الحزب قبلاً: نحن الورثة الحقيقيون لليسار الماركسي الايطالي، ونحن نشعر بأننا كذلك. واذا كان علينا ان نذهب فسنأخذ معنا شرف ماضيكم. ثم هناك سبب آخر: اننا نتبع باخلاص الأممية الثالثة الشيوعية»[٢٢].

ساد المؤتمر صمت مدهش بعد كلمة بورديغا، ولكن كلمة سيرّاتي التي تلتها أدت الى الفوضى. ونظراً للتناقضات في موقفه، فقد اقتصر سيرّاتي على موضوعين اثنين: الأول هو أن «الكومنترن» كان يمارس تمييزاً ضد الحزب الاشتراكي الايطالي ومحاباة للأحزاب الاشتراكية والشيوعية الأخرى، والثاني هو أن الجناح الشيوعي تجتاحه منذ الآن الخلافات الداخلية بالرغم من نيته المعلنة خلق حزب منضبط[٢٣]. وكان إعلان سيرّاتي ان «هناك اختلاف عميق بين غرامشي وجينّاري، وبين غرامشي وبورديغا» صحيح في الأساس، وقد تنبأ سيرّاتي بشكل مدهش بالتطورات المستقبلية للشيوعية الايطالية. وعلى العموم، فإن سيرّاتي استخدم هذا الموضوع في ليفورنو فقط بهدف تجنب طرد الاصلاحيين[٢٤].

وكان المتكلم التالي هو فيليبو توراتي، زعيم الاصلاحية الايطالية. ولأن توراتي لم يحاول ان يخفي اختلافاته الصريحة مع اليسار المتطرف، فإن المؤتمر بأجمعه شعر بصراحته، بل ان الجناح الشيوعي نفسه هتف له بعض الأحيان. وقال توراتي: «عندما تكون الأسطورية الروسية قد انقضت فإن مفهومنا الكلاسيكي للاشتراكية سيتقدم ثانية. ان السوفييتات لن تحل أبداً محل البرلمان البروليتاري للتقنيين». وأعلن توراتي ملاءمة «الثورة الروسية» للشعوب الأكثر تخلفاً وأنكر صلاحيتها كنموذج للغرب: «إن الثورة الروسية ستحمل كل الشعوب الجديدة في الشرق الى مرحلة التاريخ، ولكن عليها الا تعرقل وحدة البروليتاريا في البلدان الأكثر تقدماً». ومع ذلك، فإن توراتي كان أيضاً قلقاً على استمرار العضوية في «الأممية الثالثة»، من أجل الوحدة الوطنية والأممية[٢٥].

وتبعت توراتي ثلاث كلمات قصيرة. فأعلن نينو ماتزي ان قرارات موسكو حول المسألة الزراعية كانت «غاية في الاصلاحية» («لا يمكن للرب ولا للينين ان يفصلنا عن الاشتراكية»!)[٢٦]. وأكد بومباتشي ان الوجود المزعوم للانتهازيين في الحزب الفرنسي لا يوفر مبرراً لوجود الانتهازيين في الحزب الاشتراكي الايطالي. وأعلن آنسيلمو مارابيني ان جماعة الوحدة الشيوعية ستصوت الى جانب الشيوعيين لأنه كان من الواضح ان الوحدويين سيتابعون برنامجهم الخاص المعادي أساساً للكومنترن. وعلى العموم، فإن فريق أقلية في جماعة غراتزيادي ـ مارابيني، يقوده المنظم النقابي التوسكاني جوليو كافينا، أعلن وقوفه الى جانب الوحدويين.

وأخيراً، أوضح ايجيديو جينّاري سبب دعم أكثرية ادارة الحزب للشيوعيين. وقال ان مقالات تشيكوني التي تحرض علناً على التعاون مع البورجوازية، وكتاب نوفري الافترائي عن روسيا، وهجمات توراتي على السوفييتات، ومشروع موديلياني للجمهورية الاشتراكية الديموقراطية.. كلها أمور تبين ان الحزب الاشتراكي الايطالي كان يواجه باستمرار خطر فساد الاشتراكية الديموقراطية طالما بقي الاصلاحيون في الحزب. ولم يكن الاصلاحيون يرغبون البقاء في الحزب الا للحفاظ على اتصالهم بالجماهير، كما أعلن توراتي نفسه. وكان هؤلاء سيفقدون كل نفوذهم خارج الحزب. وكان احتلال المصانع مثالاً جيداً عن عجز الحزب عن العمل طالما بقي منقسماً حول المبادىء[٢٧]. وبعد ان أعطي موديلياني فرصة الدفاع عن نفسه ضد اتهامات جينّاري، انتهى نقاش اليوم الخامس والأخير في الساعة العاشرة مساء.

صباح اليوم التالي، وبعد ان اعلن لاتزاري ان جناحه سيسحب اقتراحه[٢٨] ويصوت الى جانب الوحدويين، لم يبق إلا كلمة كاباكشييف الختامية واجراء عملية التصويت. في البداية دافع كاباكشييف عن «الكومنترن» ضد اتهامات سيرّاتي، ثم انتقل الى الحديث عن طرد الوحدويين والاصلاحيين من «الأممية».

«بعد مد يد الأخوةِ الى الرفيق سيرّاتي والسعي الى فصله عن الاصلاحية، ونظراً لأنه يصر على رفض «الأممية» وعلى الابقاء على الاصلاحيين باسم وحدة

الحزب، اني أعلن، باسم «الأممية»، ان علينا البقاء متصلبين. ولذلك، فان كل الأجنحة التي لا تقبل كلياً طروحات «الأممية الشيوعية» سوف تستبعد عنها»[٢٩].

وكان الحزب الاشتراكي الايطالي سيطرد بكامله من «الأممية» اذا بقي الاصلاحيون في صفوفه. واتبع كاباكشييف تصريحه هذا ببيان طويل للمبادىء تسبب في اعتراضات عنيفة من جانب الوحدويين وهتافات متحمسة من جانب الشيوعيين.

وبالرغم من ان التصويت جرى بعد ظهر يوم الثلاثاء، فإن النتائج النهائية لم تظهر إلا في منتصف الليل. وجاءت النتيجة الى حد كبير كما هو متوقع، فمن أصل ١٧٢٤٨٧ صوتاً حصل الوحدويون على ٩٨٠٢٨، والشيوعيّون على ٥٨٧٨٣، والاصلاحيون على ١٤٦٩٥[٣٠]. ولم يكن الشيوعيون يسيطرون على الأكثرية إلا في ١٥ محافظة هي محافظات: تورينو (أقوى المحافظات الشيوعية) وكونيو في مقاطعة بييمونتي، ومانتوفا وسوندريو في مقاطعة لومبارديا، وفورلي في مقاطعة ايمليا ـ رومانيا، وآريتزو وفلورنس وماسّا في مقاطعة توسكانا، وماشيراتا وأنكونا وبيزارو في مقاطعة ماركه، وتريسته في مقاطعة فينيسيا جوليا، وكامبو باسّو في مقاطعة موليزي، وليتشي في مقاطعة بوليا، وساساري في مقاطعة ساردينيا. وحصل الشيوعيون أيضاً على الأكثرية بين الاشتراكيين المقيمين في الخارج. وأصبحوا قريبين جداً من الوحدويين في محافظات: أليسّاندريا (بييمونتي)، وبولونيا (ايمليا ـ رومانيا)، وتريفيزو (فينيسيا اوغانيا)، ونابولي (كامبانيا)، وجيرجنتي وكاتانيا (صقلية). وحقق الوحدويون انتصارات قوية في المحافظات الـ ٤٨ الباقية[٣١].

صباح اليوم التالي، ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١، عقد الاجتماع الأخير للحزب الاشتراكي الايطالي الموحد[٣٢]، وسرعان ما انتهى. وأعلن بورديغا ان «أكثرية المؤتمر، بتصويتها هذا، وضعت نفسها خارج «الأممية الثالثة»، وعلى المندوبين الذين صوتوا الى جانب الاقتراح الشيوعي ان يغادروا القاعة ليجتمعوا في الساعة الحادية عشرة في مسرح سان ماركو لصياغة تأسيس الحزب الشيوعي، الفرع الايطالي للأممية الثالثة»[٣٣]. ومع الهتاف «عاشت الأممية» غادر المندوبون

الشيوعيون مسرح غولدوني. وبالرغم من ان كل ممثلي «الأممية» ومندوبي الأحزاب الشيوعية الأجنبية غادروا القاعة مع المنشقين، فإن الكثيرين من المندوبين الذين بقوا في القاعة لم يصدقوا ان الانفصال عن «الأممية» قد تم فعلاً. ورأى موديلياني ان ملاحظات كاباكشييف ليست أكثر من ملاحظات «كتبت في ليفورنو». وكان هذا صحيحا بالطبع، ولكن سيرّاتي، الذي كان عضواً في اللجنة التنفيذية للأممية اوضح أن «الكومنترن» لن يتنكر أبداً لممثله. وفي محاولة أخيرة لدفع الاصلاحيين الى اليسار ألقى باراتونو عظة صغيرة على توراتي، الذي رفضها مواربة ولكن بقوة. وتم انتخاب لجنة مركزية جديدة، وانفرط عقد المؤتمر.

في الوقت نفسه، وفي مسرح سان ماركو، جرى تنظيم الحزب الشيوعي الايطالي[٣٤]. وبعد كلمات الثناء التي ألقاها كاباكشييف وشيوعيون أجانب آخرون، وبعد تلاوة عدة برقيات تهنئة (أعلنت غرفة العمل في تورينو انضمامها الى الحزب الشيوعي الايطالي)، ناقش الشيوعيون برنامجهم. وتقرر خط عمل النواب الشيوعيين والشيوعيين الأعضاء في الحكومات المحلية، وكذلك إجراءات تشكيل فروع الحزب. وتقرر ان يكون المقر الرئيسي للحزب في ميلانو، ربما بهدف كسب جزء من الأكثرية الوحدوية الكبيرة هناك. ولأن صحيفة «النظام الجديد» كانت تنشر في تورينو، لم يكن يمكن الاعتراف بها كصيحفة رسمية ناطقة بلسان الحزب، ولكن تقرر، على العموم، ان يقوم الحزب «بتوزيعها وحمايتها». والى هذا، تقرر إصدار صحيفة رسمية نصف شهرية تنشر في ميلانو باسم «إل كومونيستا» (الشيوعي). وأخيراً، اختار الحزب لجنته المركزية، وكانت تتألف من أولئك الذين وقعوا «بيان ايمولا» يضاف اليهم بعض القياديين الذين كسبهم الحزب أثناء المؤتمر، وتألفت اللجنة المركزية من: غرامشي، فورتيكياري، بورديغا، ريبوسّي، ميسيانو، بومباتشي، بولانو، تيراشيني، جينّاري، مارابيني، بارودي، لودوفيكو تارسيا، أمبروجو بيلّوني، روجييرو غريكو، شيزاري سيسّا[٣٥].

وانتهى المؤتمر (الشيوعي) في الساعة السادسة مساء. واجتمعت اللجنة المركزية مساء اليوم نفسه وانتخبت اللجنة التنفيذية (المؤلفة من: بورديغا، فورتكياري، تيراشينيّ، غريكو، ريبوسّي) على ان تعمل هذه اللجنة في

ميلانو[٣٦]. وانتخب جينّاري ممثلاً للحزب لدى « الأممية الثالثة»، وأعلن بورديغا حل الجناح الامتناعي، بعد ان أنجز المؤتمز مهمة الجناح الأساسية، ألا وهي تأسيس حزب جديد[٣٧]. وهكذا، تم تنفيذ الانشقاق، وأصبح الحزب الشيوعي الايطالي أمراً واقعاً.

مغزى المؤتمر

يعتبر مؤتمر ليفورنو وتفرع الاشتراكية الايطاليّة رديفين، وبالتالي، فإن تقييم المرء للمؤتمر يعتمد على حكمه على الانشقاق. معظم الكتب التي تتحدث عن ايطاليا تلك الفترة تعتبر ان شق الوحدة الاشتراكية في ذلك الوقت كان خطأ. وهي تصور جدلاً أكاديمياً، ولكنه جدل جامح، حول مسائل مذهبية غامضة وغير ذات أهمية، في حين تم تجاهل المشكلة الحقيقية لتلك اللحظة، ألا وهي مشكلة نهوض الفاشية التي هددت نفس وجود الحركة العمالية الايطالية. وكان المعقول لـ « مؤتمر» اشتراكي ان ينفق وقتاً أكثر لمناقشة الأوضاع السياسية المحددة القائمة في بلاده. ولكن مؤتمر ليفورنو لم يكن «مؤتمراً» حقيقياً. كان الهدف الوحيد منه معرفة مدى الانشقاق والطرق التي سينشق بها الحزب الاشتراكي، ولم تكن الأوضاع السياسية القائمة أكثر من واحد من العناصر التي يجب ان تؤخذ في الاعتبار. كان الكثير من المندوبين قد عانى شخصياً من العنف الفاشي، ولذلك كان هؤلاء واعين لخطره. ومع ذلك، فقد كانوا مقتنعين ان ليس باستطاعة الاشتراكيين محاربة هذا التهديد الجديد بشكل ملائم حتى يكون الخط السياسي العام للحزب (او الأحزاب) قد اتضح.

ومع ذلك، فإن الحكم التاريخي المعتاد يصر على أن أي انشقاق في ذلك الوقت كان خطأ، وانه كان على الحزب الاشتراكي الايطالي ان يبقى موحداً لمحاربة الفاشية بفاعلية أكبر. ولكن إحدى الحقائق التي برزت بوضوح أكبر في ليفورنو ـ ليس لدى الشيوعيين فقط بل أيضاً لدى باراتونو والوحدويين وإن بشكل حاقد ـ كانت ان الحزب الاشتراكي الايطالي لم يكن يتمتع بوحدة العمل في أي مجال باستثناء المجال الانتخابي خلال الأشهر الخمسة عشر التي تلت مؤتمر

بولونيا. وكانت للسنوات الخمس التالية ان تثبت انه كان هناك أمام الاشتراكيين طرق متعددة للتعامل مع الفاشية بتعدد الطرق التي كانت أمامهم للتعامل مع إضراب تورينو العام واحتلال المصانع. وبالتالي، فإن الانضباط ووحدة العمل، وإن على مستوى أضيق، لم يكن يمكن تحقيقهما إلا من خلال الانشقاق. لقد كان الشيوعيون مخطئين حتماً، وربما غير مسؤولين، في إتهام رجال مثل توراتي بالخيانة، بالرغم من الاختلاف العميق بين الشيوعيين والاصلاحيين. وربما كان الشيوعيون مخطئين في افتراض ان الاوضاع الايطالية في كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ كانت ما زالت «ثورية». وقد أثبت المؤرخون بسهولة، وان بإدراك متأخر، خطأ الشيوعيين حول هذه النقطة. ومع ذلك، وحتى في ليفورنو، أصر شيوعيون عديدون على أن حزباً منسجماً ومنضبطاً كان ضرورياً، بغض النظر عن الظروف الراهنة. ومن الواضح ان المبدأ الأساسي للينينية لم يكن مفهوماً بوضوح لدى أكثرية المندوبين، مهما كانت حماسة هتافاتهم للزعيم الروسي(٣٨).

وبالرغم من انه يبدو ان الوقائع سوغت انشقاق الحزب، فإن الانشقاق الذي حصل في ليفورنو بالذات كان كارثياً. وبفضل ذلك المؤتمر - وموسوليني - ألغي اليسار الايطالي من الحياة السياسية للسنوات الاثنتين والعشرين التالية. وبينما كان اعضاء الحزب الاشتراكي الايطالي يعدون ٢١٦ ألفاً في عام ١٩٢٠، فإن أقل من ١٠٠ ألف من هؤلاء جددوا بطاقات عضويتهم — سواء في الحزب الاشتراكي ام في الحزب الشيوعي - عام ١٩٢١، وشهد الحزب الاشتراكي الايطالي انشقاقات أخرى في سنتي ١٩٢٢ و١٩٢٤(٣٩). ولم تكن نتائج مؤتمر ليفورنو تتحمل مسؤولية قليلة عن هذه الفوضى.

واعلان بييترو نيّني ان مؤتمر ليفورنو تسبب في «انشقاق المتفقين واتفاق المختلفين» يفترض الكثير. وعلى العموم، فإنه يشير مباشرة الى نقاط ضعف مأساوية في صفوف اليسار الايطالي، مما جعل الانشقاق في ليفورنو أمراً لا يمكن تجنبه. وقد انتهى الوحدويون من المؤتمر من دون ان تكون لديهم فكرة واضحة عن الاتجاه الذي يقودون فيه الحزب الاشتراكي الايطالي. كانوا مصرين على عدم وجود نقاط اختلاف أساسية بينهم والشيوعيين. والواقع انهم كرسوا معظم طاقاتهم

لوقت ما لاستعادة مكانهم في «**الأممية**». وكان الاصلاحيون أكثر عجزاً، نظراً لأن الوحدويين قيدوهم بموقف سياسي كان يتعارض بشدة مع مبادىء الاصلاحية. وفي عام **١٩٢١** هوجم سيرّاتي بقوة من ناحية الشيوعيين، ولكنه رفض بالمطلق ان يقود معركة ضدهم. والخلافات القليلة بين الحزبين الاشتراكي والشيوعي، التي كان سيرّاتي يعترف بها، كان ينظر اليها بمنظار عاطفي مطلق. وكانت النتيجة توقفاً كاملاً لأي نشاط سياسي للاشتراكيين الايطاليين.

وكانت النتيجة التي لا مفر منها هي انتقال معظم الاشتراكيين الوحدويين، إن لم يكن كلهم، الى صفوف شيوعيي ليفورنو، خصوصاً وان سيرّاتي وجماعته طردوا الاصلاحيين فعلاً عام **١٩٢٢**. وكان كاباكشييف على حق تماماً عندما أوضح ان هنالك «مدرستين رئيسيتين للاشتراكية» تتصارعان في ليفورنو. هاتان المدرستان هما: الاصلاحية والشيوعية. وقد طرح الناطقون بلسان هاتين المدرستين كل النقاط العملية والمبدئية ذات المغزى خلال المؤتمر. وكان على الوحدويين الذين هم في الواقع «شيوعيين» ـ وكثيرون كانوا كذلك مثل سيرّاتي نفسه ـ ان يقبلوا بانضباط «الأممية» وان يلتحقوا بالحزب الشيوعي الايطالي. اما الذين كانوا اصلاحيين في الأساس فكان يجب ان يفسح لهم المجال لقيادة الحزب الاشتراكي الايطالي ومنحه ادارة سياسية تؤمن بديلاً له مغزى بالنسبة لليساريين الذين ليسوا شيوعيين.

وكان لمأساة الانشقاق في ليفورنو تأثير عميق على الحزب الشيوعي. وكانت جماعة «النظام الجديد»، وهي الجماعة الوحيدة في الحزب القادرة على تقديم مساهمات اصيلة في الميدانين النظري والعملي، معزولة بين غوغائية بومباتشي والفئوية العقيمة التي أصبح عليها بورديغا. ووقع الحزب الشيوعي الايطالي الصغير نسبياً، ولفترة من الزمن، تحت سيطرة الامتناعيين السابقين، الذين كانوا يشكلون الجناح الأكبر عدداً والأفضل تنظيماً داخل الحزب الجديد. صحيح ان وجهة نظر غرامشي كانت كثيراً ما تسود داخل معظم الحزب اليشوعي، ولكن وقتاً ثميناً كان يضيع في ذلك الحين، ومن المستحيل معرفة مدى معاناة مرونة غرامشي وثراءه الفكري بسبب هذه العملية.

ولم يلعب غرامشي نفسه غير دور ضئيل في مؤتمر ليفورنو. فهو لم يلق اية كلمة ولم يشارك إلا نادراً في النقاش[٤٠]. ويمكن تفسير هذه السلبية باغراقه في التواضع الشخصي ، وبظروفه الصحية، التي كانت أسوأ منها في أي وقت مضى، وبالهجمات المتتالية التي شنها معارضوه داخل الحزب الاشتراكي الايطالي على ما اتهم به من «تدخلية» و«إرادية».

ومرت سنة أخرى قبل ان يتجاوز غرامشي حذره من الكلام أمام الجمهور. في هذا الوقت، كان تيراشيني هو الذي يعبر عادة عن أفكار غرامشي في الأماكن العامة، كما فعل في ليفورنو، نظراً لأن الشاب ابن جنوة (تيراشيني) كان خطيباً مفوهاً. والشيء الأكيد هو ان جماعة «النظام الجديد»، التي كان غرامشي مؤسسها وزعيمها، لقيت الاعتراف بها في ليفورنو على أساس انها المركز الثقافي للشيوعية الايطالية. وبهذا المعنى، فان الهجمات المتكررة التي شنها توراتي ولاتزاري وسيرّاتي شكلت خدمة لصالح جماعة «النظام الجديد».

وتم انتخاب تيراشيني، وليس غرامشي ، لعضوية اللجنة التنفيذية للحزب الجديد. وكان بعض السبب هو ان غرامشي، بصفته رئيس تحرير الصحيفة الصادرة في تورينو لم يكن يستطيع الاقامة قرب المركز الرئيسي للحزب الشيوعي في ميلانو. ولكن غرامشي كان يسيطر بقوة على صحافة الحزب بمشاركة مؤيديه التورينيين. وبعد أشهر قليلة من مؤتمر ليفورنو صارت هنالك ثلاث صحف يومية شيوعية: «أورديني نووفو» (النظام الجديد) التي تصدر في تورينو ويرأس تحريرها غرامشي، و«إل كومونيستا» (الشيوعي) التي تصدر في روما ويرأس تحريرها تولياتي، و«إل لافوراتوري» (العامل) التي تصدر في تريسته ويرأس تحريرها اوتّافيو باستوري[٤١]. ومن المؤكد ان هذه السيطرة على الصحافة، اضافة الى دعم « الأممية »، ساعدا الأعضاء السابقين في جماعة «النظام الجديد» في السيطرة على الحزب الشيوعي الايطالي.

بعد كانون الثاني (يناير) **١٩٢١**، انتهى وجود حركة «النظام الجديد» كجناح منفصل واندمجت كلياً بالشيوعية الايطالية. وبالطريقة نفسها، وافقت حركة تورينو

العمالية، الجامحة سابقاً، على الانضباط داخل صفوف الحزب الشيوعي. وبذلك انتهت احدى المراحل التاريخية، وفي المرحلة التالية ارتفع غرامشي ومؤيدوه الى مرتبة القيادة التي لا نزاع فيها للحزب الشيوعي الايطالي. وكان أعضاء جماعة «النظام الجديد» قد فقدوا بالضرورة الكثير من حماسة الشباب المثالية عند تحقيقهم لهذا الانتصار، وكان هنالك ـ على العموم، خط مباشر هابط يمتد بين حركة تورينو المبكرة، و«دفاتر السجن» لغرامشي، وافتتاحيات تولياتي في «ريناشيتا» (البعث) بين عامي ١٩٤٥ و١٩٦٤. والتحركات من أجل تنظيم الجماهير الفلاحية في الجنوب، ولايجاد ثقافة اشتراكية محددة تقوم على أساس كرامة العامل كانسان منتج، ولتحقيق انضباط مماثل لانضباط الطبقة العاملة التورينية. . كلها أمور دخلت لتصبح جزءاً من التراث الدائم للحزب الشيوعي الايطالي.

٨ ـ غرامشي والحزب الشيوعي الايطالي والأممية الثالثة

«استلم هذه الأيام رسائل كثيرة من رفاق ايطاليين ينشدون فيها الايمان والحماسة والارادة والقوة. انهم يعتقدون أني نبع لا ينضب. . انهم يطالبوني بالكثير، وينتظرون مني الكثير، وهذا ما يؤثر فيّ بشكل صعب».

غرامشي ـ ٦ آذار (مارس) ١٩٢٤.

إن التقييم النهائي لدور غرامشي كزعيم للشيوعية الايطالية يتطلب استعادة وافية لتاريخ الحزب الشيوعي الايطالي في سنواته المبكرة. ومثل هذا التاريخ ليس مكتوباً، ولم يكن من الممكن كتابة واحد حتى الفترة الأخيرة. قبلاً، كانت هنالك وثائق كثيرة غير متوفرة، وكانت المصالح الآنية للشيوعيين ولغير الشيوعيين وللمعادين للشيوعيين من الأكاديميين تمنع الحد الأدنى من الحياد الضروري للكتابة التاريخية الجيدة.

أما الآن، فقد بدأت الوثائق تظهر على الأقل. والأهم من بينها هو مجموعة بالميرو تولياتي المعنونة «التكوّن» (لا فورماتسيوني)، وهي مجموعة من الرسائل الشخصية، والتي تفترض فيها السرية، المتبادلة بين غرامشي وأصدقائه، وعلى الخصوص الرسائل المتبادلة بين غرامشي وتولياتي وتيراشيني وماورو سكوتشيمارّو، وهي تكشف الحياة الداخلية للحزب الشيوعي الايطالي والعملية التي أصبح غرامشي بواسطتها زعيماً[1].

وأحد المصادر الجديدة لتاريخ الحزب في تلك السنوات المبكرة هو مراسلات غرامشي بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٦ مع جوليا شوخت، زوجته الروسية. ففي عام ١٩٦٥ نشرت صحيفة «ريناشيتا»، وهي الأسبوعية الرسمية للحزب الشيوعي الايطالي، حوالي ٥٥ من هذه الرسائل. هذه الرسائل شخصية الى حد كبير، وهي تعبر عن أفكار ومشاعر غرامشي بالطريقة الأكثر صدقاً وصراحة، وكثيراً ما توفر مادة ذات أهمية تاريخية عامة. ونلاحظ في هذه الرسائل، مثلاً، الذعر الذي أصاب غرامشي عندما اكتشف ان رفاقه الايطاليين ينتظرون منه بالذات ان ينقذ الحزب وينقذهم: «أستلم هذه الأيام رسائل كثيرة من رفاق ايطاليين ينشدون فيها الايمان والحماسة والارادة والقوة. انهم يعتقدون أني نبع لا ينضب، وأن لدي كل هذه الصفات بما يكفي للتوزيع منها. . انهم يطالبوني بالكثير، وينتظرون مني الكثير، وهذا ما يؤثر فيّ بشكل صعب»[٢].

حتى مقالات غرامشي بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٦ يمكن اعتبارها، بطريقة ما، اكتشافاً جديداً. ولأن غرامشي كان متواضعاً ومنكراً للذات فانه نادراً ما وقّع هذه المقالات. وكان على المؤرخين ان يقوموا بمحاولات لفصل كتابات غرامشي عن كتابات رفاقه على أساس الأسلوب او دلالات الموضوعات. والآن صارت هنالك مجموعة معلق عليها بحواشي تضم أهم مقالات غرامشي في تلك السنوات[٣]. وكذلك فقد نشرت صحيفتان وثائق عديدة عن التاريخ المبكر للحزب الشيوعي الايطالي*. وهاتان الصحيفتان هما: «ريناشيتا» (البعث) التي رأس تولياتي تحريرها حتى وفاته في آب (أغسطس) ١٩٦٤، و«ريفيستا ستوريكا ديل سوشاليزمو» (المجلة التاريخية للاشتراكية)[٤] والتي تعكس محتوياتها مواقف سياسية متعددة.

---

* في حين ان تاريخاً مرضياً للحزب الشيوعي الايطالي لم يكتب حتى الآن، فإن الباحثين الايطاليين لا يتفردون على ما يبدو في هذا الفشل. وكما لاحظ إ. هـ. كار مؤخراً فإن «تاريخ حزبين شيوعيين فقط كتب حتى الآن بشكل معقول، أولهما الذي كتبه ج. روتشيلد عن تاريخ الحزب البلغاري، والثاني الذي كتبه تيودور درابر عن تاريخ الحزب الأميركي، والحزبان لم يكونا حزبين كبيري الأهمية» (Carr, pp. v—vi). والتواريخ القليلة التي كتبت عن الحزب الشيوعي الايطالي كانت، في الواقع، شديدة التحيز. انظر البيبليوغرافيا التي تم نشرها مع حواشيها حول الحزب الشيوعي الايطالي في مجلة «العلاقات الخارجية السوفيتية»، ص ٥٢٠ ـ ٥٣٩.

Soviet Foreign Relations, pp. 520—539.

غرامشي وبورديغا والكومنترن ١٩٢١ ـ ١٩٢٦

كانت سنتا ١٩٢١ ـ ١٩٢٢، وبمظاهر عديدة، من السنوات الأصعب في حياة غرامشي. وفي الواقع، فانها تستعيد مراحل صباه من الكآبة والتردد في كالياري ثم في جامعة تورينو. وكانت الجهود الكبيرة التي بذلها غرامشي خلال نضالات عمال تورينو الكبرى في عام ١٩٢٠ قد دفعته الى حافة الانهيار العصبي، وهو ما حصل في عام ١٩٢٢. وكانت هنالك أسباب سياسية ايضا للانحطاط الذي اصابه، اذ كان الحزب الشيوعي الايطالي قد أسس في وقت غير ملائم. كان العنف الفاشي والعدوانية الفاشية ضد مؤسسات الطبقة العاملة قد قاربا الاقتراب من ذورتهما. وكذلك، فقد أثبت مؤتمر ليفورنو ان الشيوعيين هم، بلا شك، أقلية داخل الاشتراكية الايطالية*. كانت جماعة «النظام الجديد» قد أصبحت أقلية داخل الحزب الشيوعي الايطالي، وحتى غرامشي نفسه لم يكن عضواً في اللجنة التنفيذية. وكذلك، فان عداء بورديغا اضطر غرامشي الى وقف العمل في مجالس المصانع. ولكن غرامشي لم يبق ساكناً تماماً، إذ كان يتحمل كرئيس لتحرير صحيفة «النظام الجديد» اليومية مسؤوليات كبيرة، وقد كتب مقالات كثيرة في هذه الفترة.

كان شهرا نيسان (أبريل) وأيار (مايو) ١٩٢١ شهرين تعيسين بشكل خاص بالنسبة لغرامشي. ففي ٢٥ نيسان (أبريل) أحرق الفاشيون «بيت الشعب» في تورينو. وفي انتخابات أيار (مايو) هزم غرامشي كمرشح لمجلس النواب، بالرغم من ان شيوعيين آخرين، هما ميسيانو ورابيتزانا انتخبا عن مقاطعة بييمونتي. ومرة أخرى أثير موضوع «تدخلية» غرامشي، وهذه المرة أثاره بعض الامتناعيين في فرع تورينو(٥). وفي وقت سابق من الشهر نفسه كان عمال شركة «فيات» قد عانوا من هزيمة أخرى عندما ردت الادارة على احتجاج العمال على تسريح ١٠ بالمئة من القوة العاملة في الشركة بإغلاق المصانع. ويظهر مقال غرامشي حول هذه الحادثة

---

* في انتخابات أيار (مايو) ١٩٢١ حصل الحزب الاشتراكي على ١,٦ مليون صوت ولم يحصل الحزب الشيوعي الا على ٣٠٠ الف صوت (وأصبح للحزب الاشتراكي ١٢٣ نائباً في البرلمان وللحزب الشيوعي ١٥ نائباً فقط).

عاطفة عميقة تجاه مأزق العمال[٦].

في الوقت نفسه تقريباً حاول غرامشي، لسبب ما، ان يقيم اتصالاً مع غابرييلي دانّونزيو. وكان القائد السابق لمعركة فيومي قد أقام في السابق روابط غامضة مع الراديكاليين الأوروبيين، وفي عام ١٩٢١ اعتقد لينين ايضا انه قد يصبح «ثورياً». وفي مقال نشره في ١١ كانون الثاني (يناير) كان غرامشي فد عبّر عن رغبته في ان يدرس الحزب سياسات «أعضاء فيلق» فيومي بدقة أكبر[٧]. وفي نيسان (أبريل) ١٩٢١ توجه غرامشي يرافقه أحد أعضاء هذا الفيلق من مدينة تورينو الى غاردوني حيث كان يأمل بمقابلة دانّونزيو. ولأسباب مختلفة، فشلت خطة اللقاء. وربما كانت النتيجة الأبقى لتلك الحادثة هي الصورة التي رسمت لغرامشي في الفقرة التالية:

«غرامشي رجل طيب يكاد يكون جذاباً بوجهه العريض الذكي القائم فوق جسد مشوه الى درجة كبيرة، سريع الابتسام وكل كلمة من كلماته تحمل فكراً، لقد ولد ليكون محدثاً مسهباً بالرغم من ان طول الكلام يتعبه. . لقد كان رائعاً منذ البداية، بالرغم من مظهره الوحشي. كان يرتدي ثياباً لا ذوق فيها، وواضح انه لم يكن يولي أهمية كبيرة للنظافة الشخصية»[٨].

خلال ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ كان اهتمام غرامشي منصباً على علاقات الاشتراكيين والفاشيين مع الأحزاب القديمة الحاكمة. وكان قاسياً، مثله مثل بقية الشيوعيين، في النزاعات المستمرة مع الحزب الاشتراكي الايطالي حول هذه المسألة. وعلى العموم، فانه أشار مرات عدة الى اعتقاده بأن الحزب الاشتراكي سرعان ما سيدخل الحكومة، «لأن هذه هي رغبتهم الوحيدة حالياً». وكان ذلك يعني ان الحزب الاشتراكي لم يعد حزباً ثورياً. ولا يمكنه إلا ان يكون «إصلاحياً». وباعلانه هذا كان غرامشي ينوي كشف موقف الاشتراكيين من جهة، وطرح طريقة مقترحة لعزل الفاشيين من جهة أخرى. وربما كان هذا هو معنى الملاحظة التي أوردها موديلياني في شباط (فبراير) ١٩٢٢ بقوله: «ان الشيوعيين، الذين هم خارج [مجلس النواب] يصرون كثيراً على ان يتحمل الحزب الاشتراكي مسؤولياته»[٩]. على العموم، في عام ١٩٢٢، لم يكن الاشتراكيون ولا الأحزاب «الديموقراطية» الأخرى على

استعداد «للانفتاح على اليسار» كما حصل في الستينات من القرن الحالي ..

ولم يكن غرامشي، ولا أي شيوعي آخر في تلك الأيام، يفكر باستيلاء الفاشية وحيدة على السلطة، ولا فعل ذلك جوليتّي، الذي استمر في استخدام الفاشية كأداة مزعجة، ولكنها ملائمة، للسيطرة على الحركة العمالية وأحزابها[١٠]. ولكن غرامشي لم يستثن بشكل من الأشكال احتمال قيام ائتلاف بين الفاشيين وجماعات أخرى للقيام بانقلاب رجعي. وكان غرامشي قد تنبأ بعودة الرجعية منذ الوقت المبكر الذي يعود الى صيف ١٩٢٠. وكتب ليون تروتسكي في عام ١٩٣٢ يقول ان أياً من الشيوعيين الايطاليين «باستثناء غرامشي» لم يتوقع احتمال قيام دكتاتورية فاشية[١١].

حول هذه النقطة، كما حول مسائل سياسية أخرى، كانت آراء بورديغا تختلف عن آراء غرامشي. ولسنوات طويلة (تقريباً بين عامي ١٩٣٠ و١٩٦٠) كانت قضية بورديغا من الأمثلة الايطالية القائمة على إنزال الستالينية للقادة غير الموالين الى مرتبة «اللاوجود». والطبعات الأخيرة من كتاب جوفانّي جيرمانيتّو «مذكرات حلاق» ألغت بشكل منظم أي ذكر لاسم بورديغا. وعندما كان اسم بورديغا يذكر في الأدبيات الرسمية، فانه نادراً ما ظهر إلا على أساس كونه «متعصباً» أو في أحسن الأحوال «إنساناً عادياً». وفي الوثائق الأحدث، وخصوصاً في الرسائل التي نشرها تولياتي، يبدو بورديغا شخصية مختلفة تماماً. وكان تولياتي قد كتب الى غرامشي في الأول من أيار (مايو) ١٩٢٣ يقول ان الارادة الشخصية لـ «آماديو (بورديغا) وقوة طباعه يشكلان ثروة للحزب يجب عدم التفريط فيها»[١٢]. وأكد غرامشي بعد ذلك بسنة ان استبدال بورديغا بأي انسان مفرد لن يكون سهلاً نظراً لأنه «بقدرته العامة وقدرته على العمل يساوي ثلاثة أشخاص على الأقل»[١٣]. أما كارل راديك فقد وصف بورديغا بأنه «واحد من القلائل القادرين على تسلم قيادة الأممية»[١٤]. وكان بورديغا ما زال محترماً في شباط (فبراير) ١٩٢٦ عندما عقدت الدورة السادسة للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، حتى بعد ان كان غرامشي قد دمر موقعه السياسي كلياً. وقد وصفه بيسّو لومينادزي، الذي كان يزدري شيوعية «الجناح اليساري» بأنه «معارض يساري صريح ومستقيم ومقتنع وشريف»[١٥]. وكان المديح الأكثر ندرة هو مديح ستالين له،

نظراً لأن بورديغا كان في ذلك الوقت مثل البابا في الحرب العالمية الثانية «ليست وراءه اية ألوية مسلحة. . .». وقال الزعيم البلشفي: «اني أحترم بورديغا وأصدقه. . لأنه يقول ما يعتقد»(١٦).

على العموم، ان صفة الاستقامة عند بورديغا قادته الى رفض اية اعادة نظر في آرائه الأساسية. وكان غرامشي «مقتنعاً بأنه لا يقتنع ولن يغير رأيه. . ان طبيعته اللامرنة وعناده الى درجة غير معقولة تجبرنا على التفكير ببناء الحزب ومركزه بدونه»(١٧). وكان خوف بورديغا الأكبر هو ان تصاب الحركة الشيوعية «بعدوى» قيم «الليبرالية البورجوازية» والديموقراطية، سواء جاء التعبير عن هذه القيم من خلال «الديموقراطيين» التقليديين ام من خلال الاشتراكيين الايطاليين(١٨). وكان بورديغا يرى وجوب عدم قيام أي تعاون مع أي من هذه الأفكار. والواقع، ان كسب أكثرية الطبقة العاملة كان بالنسبة له أقل أهمية من المحافظة على «نقاء» الحزب الجديد. وكان الشرط الرئيسي عنده للقيام بثورة ناجحة هو إيجاد نخبة ثورية حقيقية («قلائل ولكن جيدين») تطبق النظام التكتيكي المتصلب الذي استقاه بورديغا من النصوص الماركسية. وفي هذا الميدان لم يكن بورديغا يرى أي مجال للنقاش الداخلي او للمدارس الحزبية. وكان للأوامر ان تنزل من اللجنة التنفيذية الى الأسفل على طريقة «حزب الثكنات»(١٩).

غرامشي عارض آراء بورديغا لفترة من الزمن، وتوترت العلاقات بينهما. ولكن عندما صاغ «الكومنترن» سياسته لـ « الجبهة المتحدة» (في المؤتمر الثالث لـ « الأممية»، حزيران/يونيو- تموز/يوليو ١٩٢١)، طرح بشكل مكشوف كل مسألة التطور المستقبلي للحزب الشيوعي الايطالي وقيادته. وهذه السياسة التي جاءت غامضة في البداية جرى تفصيلها أكثر في تعميم اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية الصادر في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢١(٢٠).

كانت سياسة «الجبهة المتحدة» تدعو الى التعاون في مواضيع معينة مع أحزاب البروليتاريا الأخرى. وبذل راديك وزينوفييف وآخرون جهداً كبيراً لايضاح ان البرنامج الجديد لا يتعارض مع سياسة الانشقاق التي دعي اليها في المؤتمر الثاني

لـ « الأممية». منطقياً، كان هؤلاء على حق، ذلك انه صار باستطاعة الأحزاب الشيوعية الآن ان تعقد اتفاقات «جدية» مع أحزاب أخرى انطلاقاً من قاعدة مستقلة. عملياً، كانت الصعوبات هائلة، وخصوصاً في ايطاليا، حيث كان التنافس بين الحزب الشيوعي الايطالي والحزب الاشتراكي الايطالي على أشده لأن الانشقاق كان حديثاً ولأن ضغينة كثيرة كانت ما تزال تملأ قلوب قادة الحزبين[٢١]. ولكن قادة «الكومنترن» أصروا على ان لا خيار في هذا الموضوع:

«لو أن الجيش الأحمر احتل وارسو عام ١٩٢٠ لكانت تكتيكات الأممية الشيوعية مختلفة اليوم عما هي عليه... لقد تبع التراجع الاستراتيجي تراجع سياسي لكل الحركة العمالية. لقد كان حزب البروليتاريا الروسية مدعواً الى تقديم تنازلات كبيرة، وهو ما أبطأ ايقاع الثورة البروليتارية. ولكن العكس أيضاً كان صحيحاً، إذ أن التراجع الذي عانت منه البروليتاريا في بلدان أوروبا الغربية بين عامي ١٩١٩ و١٩٢١ أثر في سياسة الدولة الاشتراكية الأولى وأبطأ الايقاع في روسيا»[٢٢].

في المؤتمر الثالث لـ « الأممية» رفضت الأحزاب (الشيوعية) في ايطاليا وألمانيا والنمسا ان تصوت الى جانب اقتراحات الوفد الروسي حول «الجبهة المتحدة» إلا اذا أضيفت اليه تعديلات عدة. وأكد تيراشيني، الذي كان يعمل بقيادة بورديغا، فضائل الحزب الصغير وشجب بعنف التشديد السوفييتي على كسب الأكثريات. وربما كان رد لينين على كلمة تيراشيني هو أحد أفضل الدفاعات التي قيلت عن تكتيكات «الجبهة المتحدة»: «من الضروري كسب تعاطف الجماهير، أما الأكثرية المطلقة فليست ضرورية دوماً. ولكن، كي ننتصر، ولكي نبقى في السلطة، ليس علينا ان نكسب أكثرية الطبقة العاملة [البروليتاريا الصناعية] فحسب... بل ان نكسب أيضاً أكثرية العمال الزراعيين المستغَلين»[٢٣]. وفي الجلسة الأولى الكاملة للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية (٢١ شباط/فبراير - ٤ آذار/مارس ١٩٢٢)، التي ضمت ١٠٥ مندوبين من ٣٦ حزباً، عارض المندوبون الايطاليون والفرنسيون والاسبان اطروحات «الجبهة المتحدة»، التي تم تبنيها مع ذلك بأكثرية ٤٦ صوتاً ضد ١٠ أصوات[٢٤].

مباشرة بعد الدورة الأولى للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، عقد الحزب

الشيوعي الايطالي مؤتمره الثاني (في روما، في الفترة بين ٢٠ ـ ٢٤ آذار/مارس ١٩٢٢). وكانت المهمة الرئيسية للمؤتمر هي تحديد موقف الحزب من تكتيك «الجبهة المتحدة». ولهذا، فقد صاغ بورديغا سلسلة من مشاريع القرارات التي عرفت في تاريخ الحزب بـ « أطروحات روما»، والتي تشكل هجوماً مباشراً على تكتيك «الجبهة المتحدة»:

«من الخطأ الافتراض بأن باستطاعة المرء، بالخداع والمناورة، توسيع قاعدة الحزب بين الجماهير في أي وقت كان، نظراً لأن العلاقات بين الحزب والجماهير تعتمد الى حد كبير على الشروط الموضوعية للأوضاع. إن الخلاف بيننا نحن اليساريين والأجنحة الأخرى يكمن في ايماننا بأن التحولات في الوضع يجب ألا تؤدي الى تغيير في البرنامج الأساسي للحزب وتكتيكاته وتنظيمه. وكما نرى الأمور، فإن نفوذ الحزب بين الجماهير سوف ينمو عندما يصبح الوضع أكثر ثورية، شرط ان يقف الحزب بصلابة عند تنظيمه وتكتيكاته المسبقة الصياغة. ويبدو ان الأجنحة الأخرى تنظر الى مسألة «اكتساب» الجماهير على انها مسألة ارادة، ولكن الواقع ان هذه الأجنحة تنحدر الى الانتهازية في تكييف انفسها باستمرار مع أوضاع معينة. وبهذا فانها تشوه طبيعة ووظيفة الحزب العاجز عن كسب الجماهير او عن القيام بمهمته المقدسة عندما لا تتحقق الأوضاع الصحيحة لكي يفعل ذلك»[٢٥].

وأعلن بورديغا اعتراضه على اي تعامل مباشر مع الحزب الاشتراكي الايطالي وعلى أي اتفاق سياسي مع قادته، وأكد ان «الجبهة المتحدة» يجب ان تقصر على المستوى النقابي. وهكذا، فان «أطروحات روما» تحدت مباشرة مفهوم «الكومنترن» لـ « الجبهة المتحدة». وبالرغم من ان غرامشي نجح في تقديم «أطروحات روما» الى المؤتمر على أساس ان تكون «قاعدة لمناقشات مقبلة» في المؤتمر التالي لـ « الأممية»، ونجح في تعديل مادتين من هذه الأطروحات، فقد تمت الموافقة عليها في روما بـ ٣١٠٨٩ صوتاً ضد ٤١٥١[٢٦].

وادعى بورديغا ان غرامشي قبِل في البداية الأفكار الأساسية لـ « أطروحات روما» بكل قلبه، ولكنه عاد فرفضها لأسباب انتهازية. وقد تبنى بيليني وغالّي، في مؤلفهما التروتسكي التوجه، وجهة النظر هذه. ولكن تولياتي وتاسكا (بالرغم من

بعض تحفظات تاسكا) اعتبرا ان غرامشي وافق على الأطروحات لأسباب عارضة، هي ضعف جماعته بالمقارنة مع جماعة بورديغا وخطر اعطاء «أقلية» الجناح اليميني فرصة شق الحزب. ورسائل غرامشي التي نشرت أخيراً تدعم وجهة النظر الثانية، ولكنها تبين أيضاً ان غرامشي لم يقم بأي نشاط فعال لمحاربة الأطروحات حتى أواخر عام ١٩٢٣. وهناك رسالة وجهها غرامشي الى تولياتي وتيراشيني في ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٤ تشير الى انه كان يعارض الأطروحات منذ البداية. وعلى العموم، فإننا نضطر الى الوثوق بذاكرة غرامشي، نظراً لأنه يبدو ان الوثائق المعززة بالأدلة غير متوفرة.

«قبل مؤتمر روما بوقت ما قلت في كلمة ألقيتها في فرع تورينو، وبوضوح، أني **أقبل أطروحات روما حول التكتيك فقط بسبب الأسباب العارضة التي يواجهها تنظيم** الحزب، ولكني قلت ايضا اني أقف الى جانب الجبهة المتحدة لكي تصل الى الذروة بإقامة حكومة العمال. وأكثر من ذلك، فإن الأطروحات ككل لم تناقش أبداً بعمق داخل الحزب. وفي مؤتمر روما كانت المسألة غاية في الوضوح، فإذا لم تتفق اللجنة التنفيذية [للحزب الشيوعي الايطالي] مع مندوبي «الكومنترن» على تقديم الأطروحات فقط كقاعدة للنقاش ولتعديلها بعد المؤتمر الرابع [لـ « الأممية»] فإن من غير المحتمل كثيراً أن تقف أكثرية المندوبين الى جانب القيادة. والمؤكد انني [لم] أفعل هذا، وهو ما لن يفعله وفد بييمونتي الذي التقيت معه بعد كلمة كولاروف [ممثل «الأممية»] والذي توصلت الى اتفاق معه يقضي بمنع الأقلية من السيطرة فجأة على الحزب، وعدم إعطاء اي مغزى غير ذلك التنظيمي للتصويت»[٢٧].

كانت أطروحة روما الثانية تقول بأنه لا يمكن للأفراد أن يظهروا «وعياً وارادة» **لأن هاتين الصفتين لا تتحققان إلا باندماج أفراد عديدين في جهاز جماعي واحد. وفي الرسالة نفسها هاجم غرامشي هذه الفكرة قائلاً :**

«ان هذا المفهوم، الصحيح فيما يتعلق بالطبقة العاملة، مخطىء وغاية في الخطر عندما يطبق على الحزب. فقبل (مؤتمر) ليفورنو، كان سيرّاتي يدعي أن الحزب ككل كان ثورياً، وان كان الحزب يضم اشتراكيين من ألوان كثيرة مختلفة يتعايشون في داخله. وفي المؤتمر الذي شهد انشقاق الاشتراكية ـ الديموقراطية الروسية تمسك

المناشفة بهذا المفهوم قائلين ان الحزب نفسه هو المهم وليس الأعضاء المفردين» .

هذا الموقف سفّه كل عمل يقوم به الأفراد، وكانت جماهير الحزب سلبية. وتابعت القاعدة الاعتقاد بأن الثورة كانت تعتمد على هيكل كالحزب فقط، بل انها ظنت ان مجرد وجود الحزب يشكل ضمانة لاندلاع الثورة[٢٨] .

وتم اختيار غرامشي كمندوب للحزب الشيوعي الايطالي الى اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية في موسكو، ربما بسبب قدرته على العمل مع فاسيلي كولاروف، ممثل «**الأممية**» في مؤتمر روما. وبين ممثلي «**الأممية**» العديدين في ايطاليا في مطلع العشرينات برز ثلاثة: ديمتري مانويلسكي، وماتياس راكوتشي، وجول همبرت ـ دروز. وكان الايطاليون اعتادوا ان يطلقوا على كل من الممثلين اسم طير ما. وهكذا أصبح مانويلسكي هو «البيليكان»، استناداً الى الأسطورة التي تقول بأن طير البيليكان يجرح نفسه ليطعم أولاده. وكان مانويلسكي قد تسبب لنفسه بصعوبات في موسكو نتيجة دفاعه عن الحزب الايطالي المتهم بنظرات فئوية تسوده. اما راكوتشي فلقّب «البينغوين»، ربما لأن سلوكه بدا ذكياً ورقيقاً كسلوك «البينغوين». وأصبح اسم همبرت ـ دروز هو «كوليبري»، أو «عصفور موسكو»، والاسمان هما للطير الطنان. ويقول تولياتي ان همبرت ـ دروز ربما أعطي هذا الاسم «نظراً لنشاطه السياسي الأكثر تهذيباً وصقلاً»[٢٩] .

ولكن الاتصال المهم الأول لغرامشي مع ممثل لـ «الأممية» لم يكن مع أي من هؤلاء، بل مع واحد اسمه كياريني، وهو روسي بالرغم من اسمه الايطالي. في خريف ١٩٢١، نصح كياريني غرامشي ان يدخل اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية ليحل محل بورديغا. وقال ان ضعف تيراشيني وعدم قدرة ريبوسّي وفورتيكياري جعلا آراء بورديغا هي السائدة، وكان «الكومنترن» يرغب في تسليم جماعة تورينو قيادة الحزب[٣٠]. ورد غرامشي بحرارة: «لم أكن أريد ان أدخل أمثال تلك المؤامرات، واذا كانوا يريدون قيادة أخرى فيجب ان يجعلوا المسألة قضية سياسية»[٣١] .

وتوجه غرامشي الى موسكو في أيار (مايو) ١٩٢٢ . وبالرغم من أنه كان مريضاً جداً فقد شارك في الدورة الثانية للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية (٧ ـ ١١

حزيران/يونيو). وبعد الدورة ذهب ليستريح في مصح في سيريبرانيي بور في ضواحي موسكو، حيث بقي حوالي ستة أشهر. ويبدو انه كان يعاني من انهيار تام، فقد كانت حرارته مرتفعة باستمرار وكانت ذراعاه وساقاه ترتجف باستمرار. وحتى بعد شفائه «استمر الارهاق» لفترة من الزمن، ولم يكن يستطيع ان يعمل «بسبب فقدان الذاكرة والأرق»[٣٢]. ومع ذلك، فربما كانت تلك الأشهر والأشهر التي تلتها مباشرة هي الفترة الوحيدة السعيدة في حياة غرامشي. ففي سيريبرانيي بور قابل جوليا شوخت التي ولدت له فيما بعد ولدين هما ديليو وجوليانو[٣٣]. وتأثر غرامشي كثيراً بتعلقه بجوليا، كما عرفنا من رسائله اليها التي نشرت مؤخراً[٣٤].

بحلول تشرين الثاني (نوفمبر) **١٩٢٢**، كان غرامشي قد أبلّ الى درجة تمكنه من حضور المؤتمر الرابع للكومنترن. وكانت موسكو قد علمت لتوها بالمسيرة الى روما* وبمؤتمر روما للحزب الاشتراكي الايطالي (تشرين الأول/اكتوبر **١٩٢٢**)، وهو المؤتمر الذي طرد الاصلاحيين أخيراً. وذهب المؤتمر الرابع (للكومنترن) الى أبعد من أطروحات «الجبهة المتحدة» التي أعلنت في كانون الأول (ديسمبر) **١٩٢١** ورفع شعار «حكومة العمال» (أو «حكومة العمال والفلاحين») كتكتيك جديد للأممية. وفي البلدان حيث يمكن تطبيق هذا الشعار (أي حيث كانت امام القوى الشعبية فرصة الوصول الى سلطة الدولة) كان «على الشيوعيين ان يتابعوا استعدادهم لتشكيل حكومة عمال بمشاركة أحزاب العمال ومنظماتهم غير الشيوعية»[٣٥]. وكان ينظر الى ايطاليا باعتبارها واحدة من هذه البلدان. وكان بورديغا، طبعاً، أكثر معارضة لهذا الشعار منه للجبهة المتحدة. وكانت معارضته الصريحة والواضحة داخل المؤتمر هي البداية الحقيقية لانشقاقه عن «الكومنترن».

وكان قادة «الكومنترن» يرون ان قبول الحزب الاشتراكي الايطالي، ولو متأخراً، بالنقاط الاحدى والعشرين يدعو الى العودة الى «دمج» الاشتراكيين والشيوعيين الايطاليين. وعارض بورديغا بقوة أي اندماج من أي نوع كان، وكان الأمر في رأيه مرتبطاً بما سماه «التحريفية الشيوعية» في «الأممية». ووافق تاسكا وجناح الأقلية

---

* هي المسيرة التي نظمها الفاشيون واحتلوا فيها روما بشكل رمزي (المعرب) .

اليميني عى الخطة. اما غرامشي نفسه فوقف موقفاً وسطاً، وقال في البداية بدمج جناح «الأممية الثالثة» في الحزب الاشتراكي الايطالي لوحده فقط مع الحزب الشيوعي. ولكنه عاد هو أيضاً فوافق على خطة «الكومنترن»، وتم اختياره للانضمام الى اللجنة المكلفة التحضير لعملية الدمج[٣٦]. وأصرّ غرامشي في ما بعد على ان المنظورات الكئيبة التي كانت متوقعة للحزب الشيوعي الايطالي في بداية عام ١٩٢٣ لم تترك امامه خياراً غير التذبذب والمساومة، إذ ان الدعم الكامل لـ « الأممية» كان أمراً أساسياً. ولم تكن القطيعة مع بورديغا ممكنة يومها لأن غرامشي كان يعتقد ان هذا الزعيم ابن مدينة نابولي (بورديغا) هو الوحيد القادر على الحفاظ على وحدة الحزب[٣٧]. هذه الطريق الملتوية التي سار فيها غرامشي، كما وصفها هو نفسه، لم تعجب أحداً فيما يبدو. وقد اشتكى زينوفييف من ان غرامشي يعطي وعوداً مبهمة، وعندما ينفذ وعوده هذه يكون لها مفعول مناقض لما كان متوقعاً[٣٨].

وربما يكون غرامشي قد فشل في الجهود التي بذلها، ولكن المعتقد انه كان مخلصاً فيها. وخلال المؤتمر، كان ماتياس راكوتسي قد اقترب من غرامشي وحادثه. ويصف غرامشي اللقاء قائلاً ان «البنغوين» (أي راكوتسي) «انقض علي بلطفه الدبلوماسي المعهود وعرض علي قيادة الحزب، على حساب آماديو (بورديغا)»[٣٩]. ورد غرامشي بأنه نظراً لشعبية بورديغا وموقعه فإنه يستحيل استبداله من دون تحضيرات طويلة مسبقة. وقد ارتاع غرامشي للفوضى السياسية التي كانت تحكم الوفد الايطالي (وكان هو نفسه بعيداً عن ايطاليا منذ أيار/مايو)، وكذلك لقوة أقلية تاسكا... «ولو لم يكن البنغوين غبياً، ولو كانت لديه ذرة من الذكاء، لكان الحزب رسم لنفسه صورة بائسة»[٤٠]. وهذا معناه انه لو كان راكوتسي أكثر مهارة لاستطاع غرامشي السيطرة على معظم أعضاء الوفد الايطالي، ولكن تلك الطريقة كانت ستدمر الحزب.

على كل حال، فان اقتراح دمج الحزبين الاشتراكي والشيوعي لم يؤد الى أية نتيجة، إذ كان بييترو نينّي قد شكل «لجنة الدفاع عن الحزب» (الاشتراكي)، وسيطر على صحيفة «آفانتي» وكسب الى جانبه أكثرية قيادة الحزب ببرنامج يعارض الاندماج. وكان سيرّاتي قد اعتقل فور عودته من موسكو، ولم يكن باستطاعته ان يفعل الكثير للوقوف في وجه أعمال نينّي. وعندما سمع زينوفييف بهذه الأحداث دعا الى «تجميد»

الحزبين بدلاً من دمجهما، ولكن ظهـر ان هذا الاقتـراح أكثر إثـارة لاشمئزاز معـظم الحزب الشيوعي الايطالي(٤١).

وفي ٣ شباط (فبراير) ١٩٢٣، تم اعتقال بورديغا وغريكو، وهما الأكثر معارضة داخل الحزب الشيوعي الايطالي لخط «الأممية الثالثة». وقام تيراشيني فوراً، وبصفتـه عضواً في اللجنة التنفيذية، بتعيين سكوتشيمارّو وكاميلا رافيرا وتاسكا وغـراتزيـادي اعضاء في اللجنة المركزية، واختار تولياتي وسكوتشيمارّو لعضوية اللجنة التنفيذيـة. وكما قال تولياتي، فان هذه الخطوة لم تكن محاولة اختيارية لتغيير خط الحزب، ولكنها «خلقت شروطاً أدت فيما بعد الى جعل البدء بالتجديد ضرورياً وممكناً»(٤٢).

وفي نيسان (أبريل) ١٩٢٣، قرر بورديغا ان يأخذ المبادرة بالهجوم على بـرنامـج «الأممية» الخاص بالحزب الشيوعي الايطالي. وبـالرغم من وجـوده في السجن، فقد كتب «نداء الى الرفاق في الحزب الشيوعي الايطالي» هاجم فيه بشكل مكشوف آراء المؤتمر الرابع (للأممية) حول «الجبهة المتحدة» و«حكومة العمال» و«الدمج». وشكلت النقاط الأخيرة في النداء تحدياً واضحاً للأممية، إذ دعا قادة الحزب الى مناقشة مجمل «الاتجاه البرنامجي والتكتيكي» للحزب ودعا «الأجهزة المختصة في الأممية» الى مناقشة «أوضاع النضال البروليتاري في ايطاليا». وقال إنه اذا لم يؤد النقـاش داخل الحـزب الشيوعي الايطالي الى «إجماع كبير» فإن على القيادة الحالية، مع بقائها في الحزب، ان «لا تلعب دوراً في الأجهزة القيادية لادارة الحزب». وأضاف بورديغـا معلناً اهتمـامه الكبير بتوزيع هذا البيان في بلدان أخرى: «وسنكـون شاكـرين لمن يفعل ذلـك عن طريق الترجمة»(٤٣).

في الأول من أيـار (مايـو)، أرسل تـولياتي، الـذي كان عـارض آراء بـورديغـا بالدمج، رسالة الى غرامشي حثه فيها على توقيع البيان، ولكن غرامشي رفض قبول الوثيقة(٤٤). وهذا الرفض فتح نقاشاً بين الأعضاء السابقين لجماعة «النظام الجديد»، واستمـر النقاش حتى شبـاط (فبرايـر) وآذار (مارس) ١٩٢٤، عنـدما وافق تـولياتي وسكوتشيمارّو وتيراشيني على وجهة نظر غرامشي.

الدورة الثالثة لـ «اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية» (١٢ ـ ٢٣ حزيران/يـونيو

١٩٢٣) اختارت لجنة تنفيذية جديدة كلياً للحزب الشيوعي الايطالي تضم تولياتي وسكوتشيمارّو وتاسكا وفوتا وفورتيكياري الذي استقال وحل محله جينّاري. وقررت الدورة كذلك ان تجعل تيراشيني ممثلا للحزب لدى «الكومنترن». وكان على غرامشي ان ينتقل الى فيينا، لكي يرأس مكتب «الكومنترن» الجديد فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى لتسهيل استلامه للقيادة الفعلية للحزب الايطالي من خلال اقترابه أكثر من مسرح العمل.

قبيل مغادرته موسكو، اتصل غرامشي باللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الايطالي عارضاً خططه لاصدار صحيفة يومية جديدة تصدر مشتركة بين الحزب وجماعة «الأممية الثالثة» التي طردت من الحزب الاشتراكي الايطالي. وكانت هذه الرسالة هي خطوة غرامشي العملية الأولى باتجاه تطبيق تلك التكتيكات الواسعة والمرنة التي أصبحت في ما بعد طريقة معالجته السياسية، وطريقة المعالجة التي اتبعها الحزب الشيوعي الايطالي كله في الواقع. وقال غرامشي في رسالته تلك ان الصحيفة «يجب ان تصدر بشكل تضمن فيه وجودها القانوني والشرعي لأطول فترة ممكنة». وهو ما كان يعني ألا تكون ناطقة رسمياً بلسان الحزب. واقترح غرامشي ان يكون اسم الصحيفة هو «أونيتا» (الوحدة) «مما سيكون له مغزى عند العمال، ومغزى أوسع ايضا». وعندئذ اقترح غرامشي، وللمرة الأولى، ان يركز الحزب الشيوعي اهمية خاصة على «المسألة الجنوبية». ولم يكن طلبه هذا ناجماً فقط عن أهمية التحالف بين العمال والفلاحين، وهي قضية مركزية بالنسبة لبرنامج «الأممية»، بل لأن هذه المسألة كانت ـ في رأيه ـ «أيضاً وخصوصاً، مشكلة تخص أحد أقاليم البلاد، اي انها تشكل مظهراً من مظاهر المسألة الوطنية»[٤٥]. وصدر العدد الأول من صحيفة «أونيتا» في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٢٤، واستمر صدورها المنتظم حتى تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٦، عندما اعلنت كل الأحزاب المضادة للفاشية أحزاباً غير شرعية وخارجة على القانون. ولكن الصحيفة بقيت تصدر سراً بين الحين والآخر خلال سنوات الدكتاتورية الفاشية. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت صحيفة «أونيتا» هي الناطقة رسمياً بلسان الحزب الشيوعي الايطالي.

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٣ توجه غرامشي الى فيينا[٤٦]. وما أن وصلها

حتى بدأ عملاً غاية في الكثافة. وخطط غرامشي لاصدار صحيفة حزبية نظرية جديدة، هي «كريتيكا بروليتاريا» (النقد البروليتاري)، لكي تكون ميداناً لكل عناصر الحزب، وحتى بورديغا، الذي كان قد أفرج عنه أخيراً. ولكن هذه الصحيفة لم تصدر أبداً، في حين أن غرامشي نجح في إصدار سلسلة جديدة من صحيفة «النظام الجديد» تظهر أعدادها مرة كل أسبوعين في روما. وظهر العدد الأول من هذه السلسلة في الأول من آذار (مارس) ١٩٢٤، فباع ٦٥٠٠ نسخة في اليوم الأول لصدوره. واستناداً الى غرامشي، فان هذا الرقم يزيد ١٥٠٠ نسخة عما كانت تبيعه صحيفة «النظام الجديد» عادة في عام ١٩٢٠[٤٧].

قبل أي شيء آخر، زاد غرامشي من كثافةمراسلاته مع تولياتي وتيراشيني وسكوتشيمارّو وليونيتّي لكي يغذيهم بفهم جديد وأكثر مرونة للحزب. وبدأ غرامشي هذه المهمة وهو يتمتع بهيبة كبيرة بين هؤلاء. وأسرّ ليونيتّي لغرامشي في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ قائلا: «أنت هو الشخص الوحيد الذي يستطيع، وعليه، ان يأخذ المبادرة في إنقاذ الحزب من الانشقاق عن الأممية من ناحية، ومن السقوط في الفوضى والعطالة المذلة من ناحية أخرى»[٤٨]. واعترف تيراشيني من جهته انه وسكوتشيمارّو وتولياتي لم يكونوا خلال «الفترة الماضية من حياة الحزب كلها» أكثر من «جسر بين آماديو (بورديغا) وماشي (غرامشي)»[٤٩]. ولم يكن غرامشي كثير السرور بهذه الصورة: «أنت نيغري (سكوتشيمارّو) وبالمي (تولياتي) عليكما ايضا ان تقررا الوقوف الى جانب الوضوح والى جانب موقف أقرب الى قناعاتكم الداخلية، وليس الى جانب كونكم «جسراً»»[٥٠].

وكانت ميزة غرامشي الأخرى في هذا النقاش هي أنه كان يؤمن فعلاً ببرنامج «الأممية»، بالرغم من انه كان له تفسيره الخاص للبرنامج. وكانت سياسات «الأممية الثالثة» من ١٩٢١ وحتى ١٩٢٤ ـ والى حد ما حتى ١٩٢٨ ـ تفترض ان الموجة الثورية قد انحسرت وان الطبقة العاملة أصبحت مرة أخرى في موقع دفاعي. صحيح ان هذا المبدأ المبسط كثيراً ما وجد ما يعيقه، او حتى يناقضه، لدى العديد من قادة «الكومنترن»، ولكنه بقي يشكل أساس سياسات تلك السنوات. ولذلك، فإن تروتسكي اقترح في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٣٢ سياسة مناورة وتدعيم لأحزاب

«الأممية» غير الروسية. وذهب غرامشي الى أبعد مما ذهب اليه «الكومنترن» في تقييمه الأوضاع، اذ كتب في ١٨ أيار (مايو) ١٩٢٣ يقول:

«إن تجربة ثلاث سنوات جعلتنا نعرف مدى عمق التقاليد الاشتراكية - الديموقراطية ومدى صعوبة تدمير بقايا الماضي بالجدل الأيديولوجي فقط، وهذا لا ينطبق على ايطاليا وحدها. ولا بد من القيام بعمل سياسي واسع ومفصل لتفكيك هذه التقاليد من خلال تفكيك الأجهزة التي تجسدها. وسياسة «الأممية» ملائمة لهذا الغرض»(٥١).

وفي السنة التالية، اندفع غرامشي بنظرياته الى مستوى مختلف تماماً (ونبوئي). وقال في ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٤ أن بورديغا:

«يعتقد ان تكتيكات الأممية تعكس الوضع الروسي، وأنها ناجمة عن الحضارة الرأسمالية المتخلفة والبدائية. وهذه التكتيكات، في رأيه، إرادوية ومسرحية، لأنه لا يمكن تحريك الجماهير الروسية باتجاه الثورة إلا بجهد وارادة هائلتين عندما تكون الشروط التاريخية لا تفرض هذه الحركة. إنه يعتقد ان هذا البرنامج [الجبهة المتحدة وحكومة العمال] غير ملائم، او هو بلا فائدة، بالنسبة للبلدان المتقدمة في وسط وغرب أوروبا. ففي هذه البلدان تعمل آلية التاريخ استناداً الى كل قدسيات الماركسية، وفيها حتمية كانت روسيا تفتقر إليها، وبالتالي فإن المهمة المسيطرة حالياً يجب ان تكون تنظيم الحزب بذاته ولذاته.

«إني أعتقد أن الوضع صعب جداً: أولا، ان المفاهيم السياسية للشيوعيين الروس كانت قد تشكلت في إطار أممي وليس في إطار وطني قومي. ثانياً، ان تطور الرأسمالية في وسط وغرب أوروبا لم يؤد الى تشكل شريحة بروليتارية واسعة فحسب، بل أدى ايضا الى إيجاد شريحة عليا هي ارستقراطية الطبقة العاملة وما يلحق بها من بيروقراطية نقابية وجماعات اشتراكية - ديموقراطية. إن الحتمية المباشرة التي اتجهت بالجماهير الروسية في الشوارع الى الانقضاض الثوري عقدتها في وسط وغرب أوروبا كل البنى السياسية العليا التي خلقها التطور الأكثر تقدماً للرأسمالية، وهي البنى التي أبطأت عمل الجماهير وجعلته أكثر حذراً. وهو ما يتطلب من الحزب الثوري نظاماً

للاستراتيجية والتكتيك أكثر تعقيداً وامتداداً زمنياً أطول مما احتاجه البلاشفة بين آذار (مارس) وتشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ »[٥٢] .

ولم يكن لتحليل غرامشي لأوضاع العالم إلا أن يقود إلى خط حزبي للمناورة باتجاه التحالفات الطبقية . وخلال هذه العملية ، كان لا بد لايديولوجية الحزب من أن تواجه عدة مخاطر لـ « العدوى » . ولكن الاشتراكية ـ الديموقراطية كانت واقعاً قائماً في أوروبا الغربية ، ولم يكن لمجرد التصلب أن يهزمها . وبالتالي ، فقد كان غرامشي مقتنعاً ، وبقوة ، بأن تكتيكات « الأممية » هي تكتيكات صحيحة بشكل عام . وككل الشيوعيين في العشرينات ـ بمن فيهم بورديغا ـ آمن غرامشي ، وفي قرارة قلبه ، بالطبيعة الأممية للحركة[٥٣] . ولكنه آمن كذلك بأنه لا يمكن للأحزاب المفردة أن تكون فاعلة إلا من خلال استقلاليتها وقوتها . وكانت المشكلة مشكلة توفيق بين التقاليد الوطنية والاطار الأممي . وكان أحد الأسباب في ضآلة النتائج التي حققتها حملات الجبهة المتحدة وحكومة العمال « هو الطريقة التي فهم بها ما سمي بمركزية الكومنترن ، فحتى الآن لم ينجح أحد في بناء أحزاب مستقلة ومبدعة تكون أحزاباً ممركزة آلياً بفعل الخطط العامة للعمل التي يتم التوصل اليها في مؤتمرات (الكومنترن)»[٥٤] .

كان غرامشي يريد للحزب الشيوعي الايطالي أن يستعيد ثقة الجماهير قبل المؤتمر الخامس للكومنترن (حزيرن / يونيو ـ تموز ـ يوليو ١٩٢٤) بحيث « نستطيع اتخاذ موقف مستقل ، وان نسمح لأنفسنا بترف الانتقاد . في الوقت الراهن ، يبدو لي أن علينا الاستمرار في الالتحاق بالآخرين لمدة من الزمن لكي نتجنب تزايد الفوضى ونتجنب أزمة ثقة وهيبة أصبحت منذ الآن كبيرة » . وأدى الانشقاق بين تروتسكي من جهة وزينوفييف ـ ستالين من جهة أخرى الى موقف له مغزاه الخاص عند غرامشي : « علينا ان نعمل لبناء حزب ايطالي قوي ، منظم سياسياً بدقة ، تكون مبادئه القائدة محفورة بعمله في ذهن كل عضو فيه ، بحيث لا تؤدي أمثال هذه الأمور الى تشتيت الحزب »[٥٥] .

وفي رسالة مؤرخة في ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٤ ، أوضح غرامشي آراءه السابقة

وخططه لمستقبل الحزب . كان افتراضه الاساسي هو أن على الحزب الشيوعي الايطالي أن يصبح حزباً جماهيرياً ، ولكن هذا لم يكن ممكناً في مستقبل قريب . وحتى في جو انبعاث سياسي في ايطاليا « سيبقى حزبنا حزب اقلية . . . أما أكثرية الطبقة العاملة فسوف تذهب مع الاصلاحيين و . . . سيبقى للديموقراطيين البورجوازيين الكثير مما يقولونه »(٥٦) . وهذا الوضع كان يستدعي تكتيكات كتلك التي اقترحتها « الأممية » ، وسياسة تجعل من « المسألة الجنوبية » مسألة مركزية في نشاطات الحزب . وفي ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٢٤ ، تخلى تولياتي عن تحفظاته وانضم الى غرامشي ، وسرعان ما تبعه تيراشيني في ٢٦ شباط (فبراير) . وعادت جماعة « النظام الجديد » القديمة فتوحدت .

وفي ١٢ أيار (مايو) ١٩٢٤ ، وبعد انتخابه عضواً في البرلمان الايطالي ، عاد غرامشي إلى ايطاليا واستلم مهماته كقائد للحزب الشيوعي الايطالي(٥٧) . وبعد أيام قليلة عقد المؤتمر الوطني الأول للحزب سراً في موقع قرب مدينة وبحيرة كومو . وهناك اكتشف غرامشي أن معظم أطر الحزب كانت ما زالت بورديغية ، وبقوة ، بالرغم من أن موقعه كقائد للحزب لم يكن مهدداً . ولم تتراجع وجهة النظر البورديغية لتصبح في موقع هامشي إلا في أواخر ١٩٢٥ . بل ان بورديغا انتخب حتى في المؤتمر الخامس لـ « الأممية » (١٧ حزيران / يونيو - ٨ تموز / يوليو ١٩٢٤) لعضوية « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية » ، وإن كان قد رفض المنصب كما كان رفض كل المناصب الأخرى منذ عام ١٩٢٣ .

بعد كومو ، انتقل غرامشي الى روما حيث ترأس الكتلة الشيوعية البرلمانية . وبدأ بتحويل الحزب الى تنظيم شبه سري لكي يستطيع الاستمرار في نشاطه في حالات الكبت الشامل* . وحاول كذلك ان ينظم جبهة ديموقراطية متحدة ضد

---

* نشر رنزو دي فيليتشي أخيراً تقريراً كانت قد وضعته شرطة الدولة الفاشية في خريف ١٩٢٦ ويتعلق « بوضع الاحزاب المعادية للفاشية عشية كبتها » . واستناداً الى دي فيليتشي ، الذي ليس شيوعيا بتاتاً ، فإن التقرير يقول بوجود أزمة في كل الأحزاب باستثناء الحزب الشيوعي الايطالي . « وبشكل عام ، فإن (الحزب الشيوعي) لم يفلح بأفضل من الاحزاب الأخرى في المحافظة على روابطه مع الجماهير فحسب ، بل انه أنقذ أيضاً جزءاً من البنية الاساسية لتنظيمه بأن اصبح شبه سري » . وكان لقيادة غرامشي فضل نجاح هذا التحول الى منظمة سرية . انظر : De Felice, ed., La Situazione dei partiti anti Fascisti alla vigilia =

الدكتاتورية الفاشية ، بل وشارك ، وبالرغم من اعتراضات بـورديغا ، في معـارضة آفنتينـو التي تلت اغتيال مـاتيوتي في حـزيران (يـونيـو) ١٩٢٤ ، وحتى أصبـح من الواضح لـه أن الأحزاب الليبـرالية والاشتـراكية كـانت تنوي قصـر معارضتهـا على « الاحتجاج الاخلاقي » . عندئذ عاد غرامشي بالحزب الى البرلمان حيث كان يأمل ، من خلال المواجهة المباشرة مع الفاشية ، أن يكسب إلى جانبه الـرأي العام الـوطني الذي لا يمكن لغير الجسم التشريعي الوطني أن يؤمنه .

كانت سياسة غرامشي للجبهة المتحدة بعيدة عن النجاح الكامل . كان قد نجح في دمج جناح « الأممية الثالثة » داخل الحزب الاشتراكي ، الـذي يتزعمـه سيرّاتي ، بالحزب الشيوعي الايطالي في عام ١٩٢٤ ، ولكنه كان غير قادر عموماً على التغلب على عدم ثقة الجماعات اليسارية الأخرى تجاه الشيوعيين . وكان تطرف الحزب الشيوعي الايطالي في ظل قيادة بورديغا قد جعـل كل تقـارب مع الأحـزاب الأخرى غـاية في الصعوبة . وأكثر من ذلك ، فإن الأحزاب الأخرى كانت غير راغبة في اللجـوء إلى الاضرابات العامة والمقاومة المسلحـة الـتي كـان الحزب الشيـوعي يصر عـلى كونها ضرورية للاطاحة بالدكتاتورية الفاشية .

ومع ذلك ، إذا كانت سياسات غرامشي قد أعطت نتائج ضئيلة خـلال قيادتـه الفعليـة للحزب ، فـإن هذه السيـاسات حولت الحزب، في المـدى الـطويـل ، من « طائفة » إلى حزب جماهيري . وكانت مساهمات غرامشي نظرية وغالباً ما ذهبت الى أبعـد من المشكلات الآنيـة للحـزب . وعـلى سبيـل المثـال ، فـإن مقـالتـه « بعض المـوضوعـات » (١٩٢٦) كانت قـد شكلت الدراسـة التفصيلية الأولى لـ « المسـألـة الجنوبية » وطـرحت العديـد من الأفكار التي شغلت غـرامشي في « دفاتـر السجن » اللاحقة ، مثل : مشكلة الجنوب باعتبارها المشكلة الأساسية للثورة الايطالية ، وأهمية المفكرين ـ وخصوصاً كروتشي ـ في المحافظة على الوضع القائم في الجنوب ، والحاجة التالية إلى تحويل المفكرين باتجاه اليسار . ومع ذلك ، فإن هذه المقالة الهامة لم تنشر إلا في عام ١٩٣٠ ، بعد وقت طويل من زج غرامشي في سجون الفاشية[٥٨] .

---

della loro soppressione secomdo la polizia facista, Rivista storica del socialismo, VIII, 25-26 = (May-Dec. 1965), 79-80.

وعلى العموم ، فإن مقالة « بعض الموضوعات » كانت مساهمة أقل أهمية بكثير بالنسبة للشيوعية الايطالية من « اطروحات ليون » التي قدمها غرامشي الى المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الايطالي (كانون الثاني / يناير ١٩٢٦) . وبهذه « الاطروحات » أوجد غرامشي للشيوعيين موقفاً « وطنياً » إلى جانب الموقف الطبقي . ومنذئذ ، صار الحزب الشيوعي الايطالي يرى نفسه القوة الوحيدة القادرة على اتمام مهمة « النهضة »* في بناء ايطاليا ديموقراطية وقوية .

اطروحات ليون

إن الاسم الحقيقي لواضع « اطروحات ليون » ليس مؤكداً . وفي مؤلف « رسمي » إلى حد ما ، يقول فيرّارا وفيرّارا : « جاء غرامشي سراً في الليل إلى منزل تولياتي ، وبقي لديه يومين تحدثا خلالهما واتفقا على النقاط الرئيسية ووضعا الخطوط العريضة . ثم كتب تولياتي الاطروحات »[٥٩] . وكان مفهوم ضمناً (من هذا النص) أن تولياتي يريد رفع مقامه[٦٠] ، ولكنه أعلن صراحة في مؤلف صدر عام ١٩٥٨ أن الوثيقة كتبت « تحت اشراف غرامشي »[٦١] . وعلى كل حال ، فإن الوثيقة النهائية ، كما يقول س.ف. رومانو ، « تحمل الطابع الواضح لشخصية غرامشي »[٦٢] .

وقد نظر الشيوعيون الايطاليون دوماً الى « الاطروحات » كنقطة علّام هامة في تاريخ حزبهم . وبالنسبة لفيليو سبانو شكلت اطروحات ليون « الانبعاث الجديد لحزبنا » . وفي عام ١٩٥٦ ، قال سبانو ان على « كل أطرنا الحزبية ، وخصوصاً اليوم ، وبعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي » ، أن تكرس « دراسة جدية » لهذه الاطروحات[٦٣] . وشدد تولياتي فيما بعد على أن أهمية وحداثة الاطروحات تكمن في « التحليل العلمي والتاريخي الدقيق » للبنية الاجتماعية الايطالية ولتطور الحركة العمالية ولطبيعة الرأسمالية الايطالية[٦٤] . وكذلك أعجب غير الشيوعيين أيضاً ببعض مظاهر الوثيقة ، التي كتب غرامشي يقول أنها تحتوي

---

* « النهضة » Risorgimento هو اسم المرحلة التي شهدت توحيد ايطاليا في عام ١٨٦٠ (المعرب) .

« على نظرات مثيرة بشكل خاص للتاريخ الايطالي ترتبط ارتباطاً وثيقاً فيما بينها »[٦٥] . وأكد س. ف. رومانو أن « الاطروحات » ، وكذلك « بعض الموضوعات » ، كانتا وثيقتين أكثر فاعلية من التنظيم السري للحزب في اجتذاب المثقفين الشباب خلال سنوات الفاشية[٦٦] .

وغيرت الأطروحات كلياً الخط الثقافي والفكري للحزب . فقبل ليون ، كان تطرف الحزب قد أصابه بعدوى القبول القدري لحتمية التاريخ ، وكان أعضاء الحزب يقولون بأن « التاريخ سيثبت أننا على حق » . ولكن تأكيدات غرامشي المتكررة (في الاطروحة ١٤) على أن اليسار هزم في عام ١٩٢٢ نتيجة الخلل في سياساته جعلت قواعد الحزب تفهم « ان التاريخ سيثبت أننا على حق بقدر ما نستحق ذلك ! »[٦٧] . وعمل غرامشي على اعطاء الحزب نظرة تاريخية ناشطة ، وأقسام الاطروحات المكرسة لتحليل التاريخ والمجتمع الايطالي الحديث ما زالت مثيرة في عمقها واتساع مفاهيمها .

وعلى العموم ، فان الفقرات الأولى من الأطروحات، وكذلك الأطروحة رقم ١٩ وما يليها، تبقى بعيدة جداً عن هذه الاعتبارات. وكان للمؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الايطالي ـ المعروف بمؤتمر ليون ـ مهمة محددة تتلخص في دحر وعزل جماعة بورديغا، وكانت مهمته الأوسع هي «بلشفة» الحزب بما يتفق مع القرارات السابقة المتخذة في الدورة الخامسة لـ « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية» (آذار/مارس ـ نيسان/أبريل ١٩٢٥)[٦٨]. وفي تحليل الأطروحات يبقى من المهم الفصل بين الأفكار ذات الطابع الأكثر غرامشية (الأطروحات ٣ ـ ١٨) عن تلك التي سنبحثها أولاً والتي ليست أكثر من «ترجمة» بتعابير ايطالية لأعمال الدورة الخامسة للجنة التنفيذية للأممية.

وتبدأ الأطروحات باعلان أن «تحويل الأحزاب الشيوعية. . . الى أحزاب بلشفية» هو «المهمة الأساسية للأممية الشيوعية»[٦٩]. ولا بد من محاربة الهجمات التي يشنها اليسار المتطرف على «الكومنترن» باعتباره «جهازاً من أجهزة الدولة الروسية»، وذلك بتوضيح المبرر التاريخي لقيام الحزب الروسي «بلعب دور قيادي في بناء الأممية الشيوعية»[٧٠]. والبلشفة تعني توحيد الحزب ومركزته على المستويين الايديولوجي

والتنظيمي. إيديولوجياً، من الضروري القبول التام بالشكل اللينيني للماركسية. وبرر غرامشي هذا الالتحاق باللينينية بأن الحزب الشيوعي الايطالي «لم يجد في تاريخ الحركة العمالية الايطالية تياراً قوياً ومستمراً من الفكر الماركسي يمكن الاحتكام اليه»(٧١). تنظيمياً، كانت البلشفة تحتاج الى حزب «تقوده لجنة مركزية لا بالقول فحسب بل بالفعل ايضا»(٧٢). وكانت الديموقراطية الداخلية في الحزب ما زالت محدودة بالأعمال القمعية التي تمارسها الفاشية وبـ « القدرة السياسية للأجهزة المحيطية وللرفاق المفردين العاملين في المحيط»، أي: بدرجة البورديغية الموروثة لدى أطر الحزب. وكان لعمل قيادة الحزب على زيادة هذه القدرة السياسية ان تجعل «من الممكن توسيع الأنظمة الديموقراطية والتراجع تدريجياً عن نظام التعيين والتدخل من الأعلى لضبط مسائل التنظيمات المحلية»*. ولكن عملية المركزة هذه لا تستبعد «تباينات في الاتجاهات» ساهمت في التطور الجدلي للحزب، اما «الجماعات المنظمة والتي تحمل طابع الأجنحة» فيجب ان تمنع من الآن فصاعداً.

وكانت آراء غرامشي حول التكوين الاجتماعي للحزب أقرب الى أفكاره المميزة وطريقته في التعبير. كان البورديغيون يقولون بأن الحزب «جهاز» للطبقة العاملة، بمعنى كونه مؤسسة تمثل العمال لأنها عرفت مصالحهم ووقفت الى جانبهم. ومع ذلك، فإن الحزب ليس هو الطبقة. وكان هذا هو التطور الطبيعي للنظرة البورديغية القائلة بأن على الحزب ان يضع المبادىء الاستراتيجية والتكتيكية وأن يبقى مخلصاً لها، ويجب عدم «تلويث» هذه المبادىء بتكييفها حسب الأوضاع المؤقتة. وحزب كهذا يمكن إيجاده بجمع الأفراد الذين تعرفوا الى هذه المبادىء وقبلوا بها. وهناك ارتباط مباشر بين الحزب والطبقة العاملة نظراً لأنه يفترض بمبادىء الحزب ان تعكس المصالح الحقيقية والدائمة للعمال، اما الحزب نفسه فقد يتألف من أفراد «متنافرين». بالنسبة

---

* من أية وجهة نظر «ديموقراطية» حقا كان غرامشي يقف هنا على أرضية خطرة. وقد برر في وقت لاحق الحاجة الى المركزة بالاشارة الى الاوضاع غير الطبيعية التي اوجدتها الفاشية وبالقول ان «الحزب الشيوعي الايطالي ليس حزباً ديموقراطياً، على الأقل بالمعنى السائد للكلمة. فهو حزب مركزي، وطنياً وأممياً. وفي الميدان الأممي ليس حزبنا إلا فرعاً من حزب أكبر هو حزب عالمي».

(Ferrata and Gallo [12], 1, 747).

وكان غرامشي نفسه يؤمن بذلك وإن «ببعض المرارة» أحياناً (انظرالهامش رقم ٥٥) ولكن السؤال هو ما اذا كانت قواعد الحزب الشيوعي الايطالي، او الشعب الايطالي، تعتقد بالشيء نفسه.

لغرامشي، كانت هذه النظرة نظرة لا تاريخية، الى أقصى الحدود، الى دور الحزب السياسي، او الى أية مؤسسة انسانية مشابهة. وكما قال فيما بعد في «دفاتر السجن» فان الأحزاب السياسية هي «رموز» للطبقات الاجتماعية(٧٣). وفي الأطروحتين ٢٧ و٢٩ يؤكد غرامشي ان الحزب يجب ان يكون «جزءاً» من الطبقة العاملة. وكان هذا يعني، كما قال غرامشي نفسه بعد انقضاء أسابيع قليلة على تقديم تقريره في مؤتمر ليون، ان الحزب الشيوعي الايطالي كان حزب طبقة «لا بشكل تجريدي فحسب»، بل «فلسفياً» أيضاً، إذ ان الأكثرية العظمى من أعضائه يجب ان تكون من البروليتاريين(٧٤). وكان في البنية الاجتماعية الايطالية الكثير جداً من العناصر المحرومة اقتصادياً والعناصر المعادية للرأسمالية، وهي عناصر غير بروليتارية، ويمكنها أن تغرق الحزب وتميّع برنامجه بايديولوجيات غير ماركسية تمنع حوار حزب الطبقة، وهو الحوار الضروري لجعل الطبقة العاملة طبقة حاكمة فعلياً. ولكن «الحزب الشيوعي لا يمكنه ان يكون حزب عمال فقط، فالطبقة العاملة لا يمكنها الاستغناء عن المثقفين، كما لا يمكنها تجاهل مشكلة ان تجمع حول نفسها كل تلك العناصر المدفوعة، بطريقة أو بأخرى، الى الثورة على الرأسمالية»(٧٥). وكان من الواضح ان «طبيعة» الحزب مشكلة صعبة من الناحيتين النظرية والعملية، ولكن غرامشي اعتقد بإمكانية حلها فقط «إذا ضمنت للبروليتاريا «وظيفة» قيادية داخل الحزب».

ولم يكن غرامشي قد فقد شيئاً من روحية صحيفته «النظام الجديد» فيما يخص العلاقات بين الحزب والطبقة العاملة. وكان للحزب ان يقود العمال، ولكن «ليس بالغرض السلطوي الخارجي»، لا قبل ولا بعد الاستيلاء على السلطة(٧٦). ولم يكن للحزب ان يقود الطبقة العاملة «باعلان نفسه» جهازاً ثورياً، بل عليه ان يجعل من نفسه جزءاً من الطبقة العاملة، وأن يوحد نفسه مع كل أقسام الطبقة: «وفقط نتيجة لعمله بين الجماهير يمكن للحزب ان يحصل على الاعتراف بكونه حزب هذه الجماهير»(٧٧)

وكان عمل الحزب في الحركة العمالية، وهو جزء أساسي واضح من هذا «العمل بين الجماهير»، عمل شاق وصعب في عام ١٩٢٦. كان «الاتحاد العام للعمل» شبه ميت(٧٨) وبالرغم من ان الشيوعيين كانوا يصرون على ان هذا الاتحاد «عبّر تاريخياً»

عن تقاليد الحركة العمالية الايطالية بفاعلية أكثر من التنظيمات الأخرى، فإن العمل فيه كان يصعب ان يشكل «عملاً بين الجماهير»[79]. وأعلنت الأطروحة ٣٧ انه يجب عدم هجر أي تنظيم يمكن للحزب من خلاله ان يتصل بالعمال[80]. ومع ذلك، لا الأطروحة ولا تقرير غرامشي الى المؤتمر اقترح على الحزب الشيوعي الايطالي، الدخول الى النقابات الفاشية، حيث كانت «الجماهير المنظمة» في تلك الأيام، بالرغم من ان الدورة الخامسة لـ « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية» دعت بالتحديد الى العمل في هذه النقابات[81]. وفي مؤتمر ليون، عارض اليسار أي اهتمام بأي من النقابات القائمة. ولم يبال غرامشي على ما يبدو بالمخاطرة بدخول معركة البورديغيين حول موضوع «العمل مع الفاشيين»، خصوصاً وأن اليسار هاجمه في ليون باعتباره «برودونياني» و«كروتشياني»[82].

واذا كان العمل الناشط في النقابات يعتبر مشكلة في عام ١٩٢٦، فقد كانت هناك طريقة أخرى للوصول الى الطبقة العاملة، ألا وهي إيجاد أجسام تمثيلية «تنتمي الى نظام الانتاج»[83]. وكان هذا يعني إحياء اللجان الداخلية التي وجدت في السنوات الأولى التي تلت الحرب العالمية الأولى. وفي الأطروحة ٣٠، التي عالجت إعادة تنظيم الحزب على أساس مراكز الانتاج («خلايا») بدلاً من المناطق الجغرافية («فروع») استعاد غرامشي تجاربه السابقة في تورينو:

«إن حركة المصانع في عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ دلت على أن تنظيماً يرتبط بمكان ونظام الانتاج هو الوحيد الذي يسمح بالاتصال بين الشرعية الأعلى وتلك الأدنى من العمال [عمال مهرة، وغير مهرة، وعمال يدويون] ويمنع قيام أية «أرستقراطية عمالية». ان التنظيم على أساس الخلايا يوفر للحزب عناصر كثيرة [أمناء خلايا، أعضاء في لجان الخلايا، . . الخ] هي جزء من الجماهير، وبالرغم من ان هؤلاء يمارسون وظائف قيادية فإنهم يبقون جزءاً من الجماهير، خلافاً لسكرتيريات الفروع الاقليمية التي كانت بالضرورة منفصلة عن العمال. ان على الحزب ان يوجه اهتماماً خاصاً الى تثقيف هؤلاء الرفاق الذين يشكلون نسيج اللحمة للحزب ويوحدونه مع الجماهير»[84].

هـذه الأطروحـة تذكـر بمحتوى وروحيـة صحيفة «النـظام الجديـد» القـديمـة، وخصوصاً بخطة غرامشي في صيف ١٩٢٠ لتنظيم «المجموعـات الشيوعيـة» للعمل التثقيفي داخل المصانع*. والفكرة الرابطة، الواردة في كل مـرحلة من مراحـل فكر غرامشي هي الأهمية العظمى للاتصال المستمر بين القاعدة والعناصر القائـدة، وبين الجماهير والمثقفين.

بالنسبة للحركة الشيوعية سنة ١٩٢٦، كان للعمل بين الجماهير مبرر واحد، هو «إيقاظ القوى المحركة للثورة الايطالية»[٨٥]. وهذه القوى كانت: الطبقة العـاملة، و«البروليتاريا الزراعية» (العمال الزراعيون المياومون في حوض نهر «البو» الذين كانت لهم أهميتهم العددية دوماً بالنسبة لليسار الأيطالي)، و«فلاحو الجنوب والجـزر وأجزاء أخرى من ايطاليا». وكان على البروليتاريا الصناعية وتلك الـزراعية ان تتـوصلا الى «درجة عالية من التنظيم والاستعداد للقتال». اما الفلاحون **فيشكلون** عنصراً أساسياً من عناصر الثورة في بلد كايطاليا، ولكن ليس إلا بعد **التحالف مع البروليتاريا**. ولعدد من الأسباب، كان غرامشي يعتبر فلاحي الجنوب والجزر غاية في الأهمية[٨٦].

ولكن، في تلك الفترة، لم تكن تلك القوى الثورية تتعدى كونها إمكانية. كـان على الحزب ان يعبىء هذه القوى، ثم كان عليه ان يشـارك في كل نضـال من أجل المطالب الآنية «الجزئية» غير الثورية[٨٧]. ويعود غرامشي الى هذه الفكـرة مرة بعـد أخرى في الأطروحات، وبشكل أكثر فرادة، ربما، في الأطروحتين ٣٩ و٤٠ :

«يقود (الحزب) الطبقة العاملة ويوحدها من خلال المشاركـة في كل النضـالات ذات الطابع المحدود، ومن خلال صياغة وترويج بـرنامـج للمصالـح الآنية للطبقـة

---

* من المثير للانتباه ان كلمة «مجلس» لا تظهر أبداً في الأطروحة ولا في تقرير غرامشي حيث بذل جهداً خاصاً لكي يبرر تاريخياً المنظمات العمالية داخل المصانع. وعندما كان غرامشي يأتي على ذكر هذه المجموعات (كما في)

«La Relazione [32], p. 522)

كان يشير اليها باسم «اللجـان الداخليـة». وربما كـانت الهجمات السـابقة لبـورديغا والاخـرين قد علمت غرامشي انه يمكن للماضي«ان يكون «رفيقاً غادراً». انظر:

Ferrata and Gallo [12], I, 703).

العاملة. ان المطالب المحدودة والجزئية تعتبر فرصة ضرورية للتوصل الى تعبئة وتوحيد تدريجيين لكل قوى الطبقة العاملة»[88].

ثم يذهب غرامشي الى أبعد من إطار الدورة الخامسة لـ « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية»: «كل القوانين والتشريعات التي خنق الفاشيون في ايطاليا بواسطتها الحريات الأكثر بدائية للطبقة العاملة يجب ان توفر للحزب الشيوعي المادة اللازمة لاستثارة وتعبئة الجماهير». وأتى عرض غرامشي أكثر إيجابية تجاه النضالات المحدودة من موقف بورديغا الحذر. وكما قال سبانو، فان اطروحات ليون وجهت ضربة قوية الى الحتمية الموروثة عن الأيام المبكرة للحزب الشيوعي الايطالي، وجعلت الحزب جزءاً ثابتاً ودائماً من الحياة السياسية الايطالية.

ويصف غرامشي تعبئة الجماهير وتوحيد الطبقة العاملة بأنهما من المظاهر «الايجابية» لتكتيك الجبهة الموحدة[89]. وكان النضال من أجل المطالب الجزئية يتضمن مظهراً «سلبياً» الهدف منه إقناع الجماهير بأن ما من تغييرات هامة ممكنة في حالة هي دون حالة الثورة. ولا بد من القول بأنه لم يكن أمام غرامشي غير مجال ضيق للمناورة في هذه المسألة لأن «الأممية» فرضت حدوداً ضيقة جداً للامكانات القصوى للنضالات المحدودة:

«... لقد استخدم البلاشفة كل مطلب جزئي لكي يوضحوا للجماهير أهمية الثورة والحاجة اليها، ولكي يجعلوا الجماهير ترى، عبر الوقائع الملموسة، استحالة إجراء أي تحسين جدي ودائم، ولو كان معتدلاً، ناهيك عن الأساسي، في أوضاعهم طالما استمرت المحافظة على سلطة رأس المال.

«في الوقت نفسه، أثبت الشيوعيون للجماهير، في ضوء التجربة، ان الاصلاحيين بالذات هم الذين نسفوا كل نضال جاد من اجل المطالب الجزئية، في حين ان الحزب الشيوعي هو وحده القادر على قيادة نضال ثابت من أجل المصالح اليومية للجماهير العاملة وفي سبيل صد الهجمات على مستوى معيشة هذه الجماهير.

«لقد وضع البلاشفة كل مطلب جدي يتجمع العمال حوله في إطار النضال من أجل الثورة»[90].

ولقد ملأ غرامشي «أطروحات ليون» بما يقي من غدر أية تحالفات سياسية محتملة في النضال ضد الفاشية. وافترض وجود «سلسلة من القوى الرجعيـة» التي تمتد من الفاشية الى القصوويين الاشتراكيين:

«بدءاً بالفـاشية، فهي تضم جمـاعات معـادية للفـاشية ولكنهـا لا تملك قواعـد جماهيرية واسعة (الليبراليون)، وأولئك الذين لهم قواعد بين الفلاحين والبورجوازية الصغيرة (الديموقراطيون والمحاربون القدماء والكاثوليكيون والجمهوريون) والى حد ما بين العمال (الحزب الاصلاحي)، وأولئك الذين لهم قاعدة بروليتارية ولكنهم يميلون الى المحافظة على الجماهير في وضع سلبي ويقودونها الى اتباع سياسات طبقات أخرى (الحزب القصووي)»[٩١].

طبعـاً، لقد هـوجم غرامشي وحـزبه بـالعنف نفسه من قبـل جماعـات اليسـار الأخرى. وأكثر من ذلك، فإنه نظراً لطريقة غرامشي في التفكير، يحتمل انه لم يكن يعني هنا أكثر من ان القصـوويين كـانوا «رجعيـين» بسبب عجزهم عن تـطوير خط طبقي «مستقـل»، مما أدى الى وضـع جماهـير ذلك الحـزب تحت «هيمنة» الـطبقـات الحاكمة.

وعـلى العمـوم، فـإن غـرامشي يصف في الأطـروحـة رقم ٢٠ كـل المعـارضـة «الديموقراطية» لموسوليني بأنها معارضة زائفة. وتجربته مع مجموعات «آفينتينو» أقنعتـه بأن «وظيفة المعارضة الديموقراطية» كانت «التعاون مع الفاشية لمنع إعادة تنظيم الطبقة العاملة»[٩٢]. وهذه المعارضة الديموقراطية ستعود الى السلطة عندما تصبح الوسائـل الفاشية عاجزة عن منع «تفجر النزاعات الطبقية». وليست الفـاشية والـديموقـراطية البورجوازية غير ردّين للطبقة الحاكمة نفسها على التهديـد البروليتـاري. وقد يكـون صحيحاً ان «الطبقة الحاكمة» ذات العلاقة تقف هذا الموقف، ولكن الأمر الـذي لا شك فيه هو أن القوى الجماهيرية التي تقف خلفـ كل من الردّين تختلف بالضـرورة عن تلك التي تقف خلف الرد الآخر.

ولهذا، فإن المظهر «السلبي» لتكتيك الجبهة المتحدة كان يتلخص، ببسـاطة، في كشفه لكل العناصر غير الشيوعية باعتبارها قـوى رجعية. وهكـذا صار عـلى الحزب

الشيوعي الايطالي ان يدخل في نضالات جزئية لكي يثبت «استحالة تحسين أوضاع العمال في مرحلة امبريالية»، ولاثبات ان طبيعة النظام الفاشي لا تسمح بإجراء تغييرات جذرية حتى يبدأ النضال الواسع المعادي للفاشية «وهو ما سيتحول حتماً الى حرب أهلية»[٩٣].

وكما قال فيليو سبانو في عام ١٩٥٦، «فاننا ـ بأطروحات ليون ـ لم نقدم للآخرين، كبرنامج للعمل الموحد، قاعدة كانت عادية فعلاً، بل برنامجاً وهدفاً هما في الواقع من صنع ذاتنا»[٩٤]. ولكن سبانو لم يشر الى ان البرنامج وحدوده كان قد وضع في وقت سابق من قبل «الكومنترن». وكانت مساهمة غرامشي الأصيلة قد جاءت في الأطروحات من ٣ الى ١٨، وهذه الأطروحات تتضمن مادة أكثر أهمية وذات قيمة عامة أكبر بكثير. وكان غرامشي يريد لهذه الاطروحات ان تكون كمقدمة للأطروحات المستوحاة من «الكومنترن» والتي تعالج طبيعة ودور الحزب الشيوعي الايطالي. ولكن «المقدمة» تحولت الى تاريخ موسع، او تحليل «اجتماعي»، للبنية الاجتماعية وللحركات العمالية وللسياسات البورجوازية وللفاشية في ايطاليا.

وفي مناقشته للبنية الطبقية الايطالية كان غرامشي ينوي التشديد على بعض السمات غير العادية للمجتمع الايطالي ـ مثل «الخصوصية» الايطالية ـ والتي يمكنها ان تدفع الحزب الشيوعي الايطالي الى العمل. وثلاث من هذه السمات ما زالت لها أهميتها كمشكلات تاريخية، وهي: الضعف النسبي للرأسمالية الايطالية والنتائج السياسية والاقتصادية لهذا الضعف، ثم المظاهر الاقليمية للعلاقات بين الصناعة والزراعة في ايطاليا، وأخيراً الأهمية الثورية الأكبر للبروليتاريا الايطالية مقارنة بالطبقة نفسها في بلدان اوروبية أخرى.

وبالرغم من ان الرأسمالية كانت قد أصبحت العنصر المسيطر في المجتمع الايطالي، فإن القاعدة الصناعية للبلاد كانت غاية في الضعف، وكانت الزراعة ما زالت توظف أيد عاملة اكثر بكثير من الصناعة. وللسيطرة على الدولة وعلى الاقتصاد كان على الصناعيين ان يقبلوا بتسويات اقتصادية مع كبار ملاك الأراضي. ولهذا، فان «الصراع الاقتصادي التقليدي بين المصالح الصناعية وتلك الزراعية» لم يحصل في

ايطاليا، ولا حصل كذلـك ما هو معتاد من «استبدال للفئات الحاكمة». وكان لهذه التسـويات نتـائجهـا السلبيـة عـلى الاقتصـاد كله، والتي تمثلت بمعـدل أبـطأ للنمـو الاقتصادي وعجز مزمن في الميزانية وبطالة مستوطنة أدت الى هجرة واسعـة. وكانت الدولة نفسها عبارة عن تسوية أيضاً. ولتقويتها والدفاع عنها، اضطر الصناعيون الى ان يضمنوا مناصب هـامة ونفـوذاً لتلك المجموعـات والفئات التي كـانت لهم عليها «هيمنة محدودة»، مثل الفئات الممثلة للمصالح الزراعية والبورجوازية الصغيرة[٩٥].

وكانت العلاقات الصناعية ـ الزراعيـة في ايطاليـا تقوم عـلى «أساس اقليمي». وكانت الصناعة تتركز في الشمال فحسب تقريباً، حيث وصل العمال الزراعيون ايضا الى مرحلة بروليتـارية متقـدمة. وكـان على البـورجوازيـة، لكي تقوي مـوقعها، ان تتحالف مع العناصر القائدة في الجنوب. ونتيجة لذلك، أصبح عمال الجنوب عبارة عن سكان «مستعمرات». واتخذت صناعـة الشمال لنفسهـا دور «المدن المتـروبوليـة الرأسمالية». وكان لكبار ملاك الأراضي وللبورجوازية المتوسطة في الجنوب الـوظيفة نفسها التي لتلك الفئات الكولونيالية (العنـاصر الاقـطاعية و«الكـومبرادوريـة») التي «تتحالف مع المتروبوليات للمحافظة على سيطرتها على جماهير العاملين»[٩٦]. وشبّـه غرامشي أيضاً الوظائف المخصصة لكل من الجنوب والشمال بريف واسع جداً مرتبط بمدينة واسعة جداً[٩٧]. وبالنسبة لـه، كان من الآثـار الرئيسيـة لهذه العـلاقة جعـل فلاحي الجنوب يشكلون إمكـانية رئيسيـة للتحالف مـع البروليتـاريا، واعـطاء صفة «وطنية» للثورة الاشتراكية في ايطاليا لأن مثل هذه الثورة فقط تستطيع توحيـد البلاد بانهاء الاخضاع «الكولونيالي» للجنوب.

إن للصورة الغرامشية للجنوب «الكـولونيـالي» كريف واحـد واسع، وللشمـال كمدينة صناعية كبرى واحدة، شبه مثير للانتباه مع الأفكار التي عبّر عنها أخيراً الحزب الشيوعي الصيني*. وفي مقال نشر في ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥، قام لين بياو، نائب

---

* إن نظريات العمل لدى الشيوعية الصينية، كما طرحها ماوتسي تونغ، تحمل في الواقـع صفة الغـرامشية في بعض الأحيان. وفي أواخر العشرينات وفي الثلاثينات لم يكن غرامشي ولا ماو شخصيتان بارزتان في الحركة الشيوعية، إذ كان غرامشي شخصية هامشية نظراً لسجنه، وكان ماو كذلك بسبب موقعه الجغرافي والعمـل الذي أسند اليه في السياسة الخارجية السوفيتية. والمشكلة الرئيسية في المقارنة بين أفكار الرجلين هي آراؤهما=

رئيس الوزراء ووزير الدفاع في جمهورية الصين الشعبية، بتطبيق فكرة المناطق الريفية والمدينية على العالم بأسره.

«إذا أخذنا العالم كله، نجد انه اذا كان يمكن تسمية أميركا الشمالية وأوروبا الغربية «مدن العالم»، فإن آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية تشكل «المناطق الريفية في العالم». ومنذ الحرب العالمية الثانية، لجمت مؤقتاً الحركة الثورية البروليتارية - ولأسباب متعددة - في بلدان أميركا الشمالية وأوروبا الغربية الرأسمالية، في حين تنامت الحركة الشعبية الثورية بقوة في آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية. وبشكل ما، فإن الثورة العالمية المعاصرة تمثل أيضاً صورة لاحاطة المناطق الريفية بالمدن»[٩٨].

في هذه النظرية يصبح العالم المتخلف بأسره «جنوياً» واسعاً. والاختلاف الرئيسي، عند المنظّر الايطالي عام ١٩٢٦، أنه كان يرى ان الدفع الثوري يولد في المدينة، وإن كان نجاحه يعتمد على دعم المناطق الريفية. اما المنظّر الصيني عام ١٩٦٥، فيرى ان المركز الأساسي للثورة هو الريف، وان دعم المدن قد لا يكون حتى ضرورياً.

ان المصالح «المتنافرة» والمتناقضة للطبقات الايطالية الحاكمة أعطت البروليتاريا «أهمية أكبر مما لها في بلدان أوروبية أخرى، وحتى تلك الأكثر تقدماً رأسمالياً»[٩٩]. والبروليتاريا فقط تستطيع توحيد وتنسيق المجتمع بكامله، وبرنامجها وحده «لا يعمق التناقضات بين مختلف عناصر الاقتصاد والمجتمع». وقد أكدت ايطاليا الأطروحة القائلة بأن الشروط الأفضل للثورة البروليتارية لا تتوفر دوماً في البلدان الأكثر تطوراً رأسمالياً وصناعياً، بل يمكن للثورة ان تندلع حيث تكون للنظام الرأسمالي قدرة أقل

= في العملية الثورية، وموقع الفلاحين والمثقفين والبورجوازية «الوطنية» في تلك العملية. وبعض المواد الأساسية لدراسة هذه النقاط موجودة في المؤلف المعروف لستيوارت شرام:

Schram Stuart: Political Thought of Mao Tse—tung (New York: Praeger, 1963).

وفي مساهمتين للباحثة الماركسية الايطالية انريكا كولّوتي بيسكيل:

Callotti Pischel Enrica: La Cina rivolusionaria: Esperienze e sviluppi della « rivoluzione ininterrotta» (Torino, Einaudi, 1965).

«Su alcune interpretazioni della figura di Mao—Tse—tung», Studi storici, VI, 4 (Oct. — Dec. 1965), 749—84.

على مقاومة الثورة نتيجة لحالات الضعف البنيوية فيه. [١٠٠].

في الأطروحات من ١٠ الى ١٤ عرض غرامشي آراءه حول سياسات البورجوازية الايطالية من عام ١٨٧٠ وحتى الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى مباشرة. وفي تكرار ملاحظته للتسويات المختلفة التي لجأت اليها البورجوازية لتحافظ على سيطرتها على الدولة، يحلل غرامشي الطرق التي استخدمتها الطبقة الحاكمة للسيطرة على الجماهير، إما بالقمع المباشر (كما في أيام «كريسبي») أو بالـ « الطرق الديموقراطية المظهر» و«الافسادالسياسي» لتأمين تعاون «الارستقراطية العمالية». والأهم بشكل خاص عند غرامشي هو الدور الذي لعبته الكنيسة في كل مرحلة من مراحل التطور[١٠١].

وأخيراً، حاول غرامشي تحليل طبيعة الفاشية الايطالية: كحركة «رجعية مسلحة»، وحصلت الفاشية في البداية على تأييد كل الفئات الحاكمة القديمة، وخصوصاً من يمثل المصالح الزراعية. وعلى العموم، كانت القاعدة الاجتماعية للفاشية موجودة في البورجوازية الصغيرة المدينية وفي «البورجوازية الزراعية الجديدة» التي أوجدها تبدل العلاقات في ملكية الأراضي الريفية خلال الحرب. هذه القاعدة الاجتماعية الجديدة و«الوحدة الايديولوجية» التي وفرها الأرث العسكري للحرب الكبرى، مكّنتا الفاشية من الاستيلاء على الدولة من موقع معارض للطبقات الحاكمة السابقة. وبالرغم من ان المزاعم «الثورية» للفاشية كانت بلا معنى، فان الفئات التي تجمعت حول الفاشية كانت تتمتع بـ « التجانس» وبالسمات الجسدية المميزة لـ « رأسمالية وليدة» ميزت الحركة عن كل ما سبقها في التاريخ الايطالي. وقد فهم غرامشي، خلافاً للعديد من شيوعيي تلك الأيام، المظاهر الجديدة للفاشية، وأن التكوين الاجتماعي لهذه الحركة مكنها من التصدي للسياسيين القدامى ومن تطوير ايديولوجية مخالفة للنظريات البورجوازية التقليدية حول الدولة. وفي الوقت نفسه، كان باستطاعة الفاشية ان توفر طاقاتها لمحاربة العدو المشترك نفسه: البروليتاريا المنظمة[١٠٢].

وأكد غرامشي ان الفاشيين وضعوا برنامجاً جديداً للمحافظة على تفوق

البورجوازية، فقد استعاضت الفاشية عن الاتفاقات والتسويات القديمة بين عناصر الطبقات الحاكمة باقتراح لتوحيد البورجوازيـة في «جسم سياسي واحـد تحت سلطة مـركزيـة واحد تقـود، في الوقت نفسـه، الحزب والحكـومة والـدولة». وكـان لهـذا البرنامج، باعتباره برنامجاً للمقاومة الشـاملة للثـورة، أن يجـذب الى الفاشيـة «الجزء الأكثر رجعية من البورجوازية الصناعية ومن أصحاب المصالح الزراعية»(١٠٣).

وكان يمكن للفاشيـة ان تؤدي الى ضغوط اكبـر على البنيـة الاجتماعيـة، اذ ان الفاشيين كانوا، في سعيهم الى «الوحدة العضـوية» للبـورجوازيـة، قد قـدموا فعـلاً تنازلات للصناعيين ولملاك الأراضي، مما أثار «استياء البورجوازية الصغيرة التي ظنت ان عصر سيطرتها قد وصل بوصول الفاشية». في هذا الوقت، في عام ١٩٢٦، كانت الفاشية لم تتمكن بعد من تحقيق «الوحدة العضويـة»، إذ بقيت فئتان بـورجوازيتـان خارج النظام: جماعة جوفانّي جوليتّي (بما فيها صحيفة «لاستامبا» وبعض البورجوازية الصناعية) مخلصة لبرنامج للاصلاح يقوم على أساس دعم الشرائح العليا للطبقة العاملة وأجزاء من البورجوازية الصغيرة، وجماعـة ف. س. نيتي (بما فيهـا صحيفة ميـلانو «كوربيري ديلاّ سيرا» وبعض آخر من الصناعيين) التي كانت تقول بأن الدولة يجب ان تبنى على «الديموقراطية الريفية في الجنوب والجـزء «الصحيح الجسم» من صنـاعة الشمال».

وفي التعليق على هذا الصراع بين أجنحة البورجوازية وضـع غرامشي يـده على نقطة نادراً ما أثارها شيوعيو تلك الأيام، وربما كان بـإمكاننـا ان نرى فيهـا الأصول المترددة للسياسة التالية للجبهة الشعبية. «هذا الصراع، الذي يشير، شئنا أم أبينا، الى شرخ في كتلة القوى المحافظة والمعادية للبروليتاريا، يمكنه ان يسـاعد في ظـروف معينة على تنمية ودعم البروليتاريا كعامل ثالث وتقريري في الوضع السياسي»(١٠٤).

وأشـار غرامشي الى ان «المجـد التتويجي» للفـاشية سيكـون بالميـل الى الاتجـاه الامبـريالي، اذ ستحـاول الفاشيـة ان تحل «أزمـة المجتمع الايـطالي خـارج الميـدان الوطني». وانتهى غرامشي الى القـول محذراً: «وفي هـذا تكمن جراثيم الحـرب التي ستُقاتَل في الظاهر من أجل التوسع الايطالي، ولكن ايطاليا الفاشية ستكـون في هذه

الحرب أداة في أيدي إحدى المجموعات الامبريالية المتصارعة من أجل السيطرة على العالم»[١٠٥].

غرامشي والكومنترن ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦

بطريقة ما، يمكن النظر الى «أطروحات ليون» المعتمدة في الكثير من محتوياتها على قرارات الدورة الخامسة لـ « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية»، كمظهر من مظاهر علاقة غرامشي مع «الأممية الشيوعية». وبالرغم من انه حضر الدورة الخامسة فان علاقاته مع الأممية لم تكن دوماً سهلة خلال الفترة الأخيرة من حياته السياسية الفعلية. كان غرامشي يعتقد ان للحزب الشيوعي الايطالي مسؤولياته تجاه «الكومنترن»، ولكن العكس صحيح ايضاً. ولهذا، فهو لم يتردد في الكلام عندما كان يجد نفسه مقتنعاً بأن موسكو تخون مسؤولياتها هذه.

في مطلع ١٩٢٥، كان ديميتري مانويلسكي، «البيليكان»، قد كتب كراساً (هو «بلشفة الأحزاب الشيوعية») فيه انتقاد موجه الى الحزب الشيوعي الايطالي بسبب ما اتهم به من ميل الى الاعتماد على الطرق غير المشروعة بدلاً من الاعتماد على النشاط السياسي المكشوف والعلني. «البيليكان»، وبروح «البلشفة» الحقيقية، حث الايطاليين على ان يأخذوا درساً من الحزب البلشفي الروسي الذي «نجح عشية ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٥ في اقتحام حواجز الشرطة التي كانت تخنقه»[١٠٦]. ورد غرامشي برسالة حادة وقاسية موجهة الى «اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية» أبرز فيها ان الحزب الشيوعي الايطالي ضاعف مرات ثلاث عدد أعضائه بين نيسان (أبريل) ١٩٢٤ ونيسان (أبريل) ١٩٢٥، وانه الحزب الوحيد بين الأحزاب البروليتارية الذي حافظ على أصواته في انتخابات ١٩٢٤ في مستويات قريبة من مستويات ١٩٢١. وتجرأ غرامشي ايضا على القول ان الحزب الشيوعي الايطالي، الذي ووجه بالهياج الرجعي، واجه مشكلات لم يكن الحزب البلشفي الروسي أبداً مضطراً الى حلها:

«لهذا، ندعو الرفيق مانويلسكي الى قدر أكبر من الحذر والدقة عند إصدار أحكام على حزبنا كتلك الأحكام التي نشرها. انه لأمر لا مغزى له ان يقوم رفاق مسؤولون، مثل مانويلسكي، باطلاق تأكيدات بهذا البعد عن الصحة في مقال

يفترض فيه ان يساعد في تكوين الرأي عند المنتدبين الى مؤتمر أممي [ربما كان اجتماع الدورة الخامسة لـ « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية » التي عقدت في آذار (مارس) - نيسان (أبريل) ١٩٢٥]»(١٠٧).

في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٦، عندما واجه ستالين وحلفاؤه الجدد المعارضة المشتركة لتروتسكي وزينوفييف وكامينيف، أرسل غرامشي باسم «المكتب السياسي» للحزب الشيوعي الايطالي رسالة مطولة الى قادة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي(١٠٨). وهي رسالة غنية تحتوي على بذرة نظرية العلاقات بين الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي والأحزاب « الشقيقة » . وكانت لهجة الرسالة تجمع بين الالتزام والقلق لأن غرامشي كان يخشى ان يؤدي الصراع بين القادة الروس الى تمزيق الأممية والحزب الايطالي :

«أيها الرفاق، خلال هذه السنوات التسع من تاريخ العالم، كنتم أنتم العنصر المنظم والمحرك للقوى الثورية في كافة البلدان. وليس هناك في تاريخ البشرية سابقة بمثل هدف وتعقيدات عملكم. ولكنكم اليوم تقومون بتدمير ما فعلتم. انكم تحطون من منزلة الوظيفة القيادية التي احتلها الحزب الشيوعي لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية من خلال عمل لينين، وتكادون تواجهون خطر الغاء هذه الوظيفة. بالنسبة لنا، يبدو ان حدة المسائل الروسية تجعلكم تغفلون المظاهر الأممية للمسائل الروسية نفسها، وتنسون كذلك ان عليكم، كمناضلين روس، واجبات يمكنكم، ويجب عليكم، أن تؤدوها في إطار مصالح الأممية البروليتارية فحسب وليس في أي إطار آخر»(١٠٩).

ولم يدافع غرامشي عن تروتسكي ورفاقه، بل هو وصف معارضتهم بأنها هجوم على «الهيمنة البروليتارية» في روسيا. ومع ذلك، كان له أن يدافع عنهم بطريقته الخاصة:

«لقد قدم الرفاق زينوفييف وتروتسكي وكامينيف مساهمات قوية في سبيل تثقيفنا من أجل الثورة. وأحياناً كانوا يصححون خطنا بحيوية وبشدة، لقد كانوا معلمينا. واليهم بشكل خاص نتجه اليوم، باعتبارهم الأكثر مسؤولية عن التسبب في الوضع

الراهن، لأننا نريد التأكد من ان أكثرية اللجنة المركزية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لا تنوي المبالغة في استغلال انتصارها في الصراع، وأنها على استعداد لتجنب الاجراءات المبالغ بها»[110].

ويخبرنا تولياتي انه سلم الرسالة فوراً الى نيكولاي بوخارين، ثم الى سكرتارية «الأممية» التي رفعتها بدورها الى «المكتب السياسي»، فجرى انتداب همبرت - دروز، «الطائر الطنان»، للذهاب الى ايطاليا وشرح الوضع للجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الايطالي.

هذه الرسالة التي وجهها غرمشي الى الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي كانت آخر عمل سياسي هام قام به كرجل حر. فبعد محاولة اغتيال موسوليني في ٣١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٦، أصدر الفاشيون «القوانين الاستثنائية» التي أمرت بالحل الفوري لكل أحزاب المعارضة. وأقاموا «محكمة خاصة» من أجل «الدفاع عن الدولة» وبدأوا حملة اعتقالات جماعية واسعة. وكان غرامشي، بالرغم من كونه عضواً في البرلمان الايطالي، بين أول من وقفوا امام هذه المحكمة. وبناء على طلب المدعي العام الذي قال «علينا ان نوقف هذا الدماغ عن العمل لمدة عشرين سنة» حكم على غرامشي بالسجن عشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام، على اسا س ست تهم مختلفة بالخيانة. وسجن غرامشي عملياً أكثر من عشر سنوات قضى معظمها في «بيت القصاص» في توري، قرب مدينة باري.

توري باري ١٩٣٠

في نهاية عام ١٩٦٤، نشرت صحيفة «ريناشيتا» وثيقة هامة أعطتنا للمرة الأولى بعض المعرفة المباشرة بآراء غرامشي حول السياسات القائمة خلال فترة سجنه، والوثيقة عبارة عن تقرير أرسله آتوس ليزا في الأصل الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي في آذار (مارس) ١٩٣٣. ويجمل هذا التقرير عدداً من المناقشات السياسية التي أجراها غرامشي مع رفاقه المساجين في توري في أواخر عام ١٩٣٠. وكان ليزا، وهو شيوعي توسكاني له بعض الأهمية، بين الذين حضروا هذه المناقشات ثم كتب تقريره بعد وقت قصير من الافراج عنه. ومنذ ذلك الحين أضاف سجناء سابقون بينهم

جوفانّي لاي وغوستافو ترومبيتّي ذكرياتهم الى ذكريات ليزا[١١١]. واستناداً الى فرانكو فيرّي، الذي وضع مقدمة هامة لتقرير ليزا، فإن الآخرين الذين ساهموا في النقاش كانوا: انريكو تولّي، الذي كان قبلاً محرراً في الـ «أونيتا»، وجوفانّي لاي، وهو شيوعي من ساردينيا، وفرانشيسكو لو ساردو، الذي كان قبلاً نائباً للحزب الشيوعي الايطالي عن مسينا في مجلس النواب، وشيوعيان آخران هما برونو سبادوني وآنجيلو سكوكيا، وفوضويان هما بياشينتيني وشيريزيا، كانا «مقربين جداً الى غرامشي»[١١٢].

واستمر النقاش بضعة أسابيع. ويذكر لاي ان كل شيء كان يبدو وكأنه يسير على ما يرام حتى قرر غرامشي فجأة وقف المناقشة لمدة ستة أشهر. وكان غرامشي مقتنعاً، واستناداً الى «معلومات زائفة» كما يقول ليزا، بأن هذا العمل لم يكن يؤدي إلا الى تحيز جناحي بين السجناء السياسيين[١١٣]. ولكن لاي يصر على ان معلومات غرامشي لم تكن زائفة: «كثيراً، وكثيراً جداً في رأيي، كان (رفاق السجن) ينحدرون الى مستوى الثرثرة المسيئة، وحتى الى الافتراء، على الآراء الشخصية لغرامشي، وهو ما وصل أحياناً حد تشويه السمعة»[١١٤]. اما آنجيلو سكوكيا ـ وهو الأكثر استحقاقاً للوم في رأي لاي ـ فقد زعم أن آراء غرامشي أصبحت «اشتراكية ديموقراطية» وان غرامشي «لم يعد شيوعياً»، وأنه «أصبح كروتشيانياً في انتهازيته» وأنه «لا بد من إعلام الحزب بعمله التخريبي». وقال انه حتى يتم ذلك «يجب إبعاده عن ميدان العمل»[١١٥]. وعندما علم غرامشي بهذه الاتهامات أوقف الأحاديث فوراً.

بعض أصل هذه الخلافات الحادة كان يعود الى شخصية غرامشي، او بالأحرى الى انعكاس شخصيته في تلك الأيام. فانكبابه الكلي على عمله، وآماله في كتابة ما يمكن أن يكون له أهمية دائمة ومستمرة، ومحاولته اليائسة لتجنب الانهيار المعنوي الذي يرافق الاعتقال الطويل الأمد عادة.. كلها أمور جعلته يسلك السلوك الذي شبهه هو نفسه في كثير من الحالات بسلوك «الدب في المغارة». وقبل وصوله الى توري كان لاي قد عرف بأن «غرامشي ليست له طباع سهلة، وأنه كان سريع الغضب ولا يعترف بالضعف ولا يترك مجالاً للمشاعر، وأنه كان دماغاً سياسياً عظيماً وقائداً سياسياً عظيماً يصعب إقامة اية علاقات غير سياسية معه»[١١٦].

ومـا من شك أنـه كانت هنـالك الغيـرة أيضاً، إذ أن غـرامشي ، بعد طلبـات متواصلة كانت تصل الى «رئيس الحكومة» (موسوليني)، تلقى أخيراً مـوافقة رسميـة على السماح لـه بالحصـول على كتب معينـة وبامتـلاك قلم وحبر وورق في زنـزانته. وكانت لغرامشي متاعب دائمة في محاولته المحـافظة عـلى هذا الامتيـاز. والواقـع ان فترات السماح له بالكتابة خفضت في العـام ۱۹۳۳ الى ساعتـين يوميـاً(١١٧). ومع ذلك، فإن بعض رفاق غرامشي الذين كانوا غير راغبين أو غير قادرين على استخدام الاجراءات القانونية المعقدة والتي لا تكاد تنتهي للحصول على مثل هذه الحقوق كانوا يشعرون بالاستياء. والواقع ان هؤلاء وجدوا كل معالجته «الشرعية» لهذه المسألة مثيرة للغضب الشـديد. وكـان الكثير منهم عـلى استعداد لتحـدي قوانـين السجن في أية مناسبة، وكان هؤلاء يقومـون بأعمـال انفعاليـة من الطبيعي ان تؤدي الى عـزلهم، وتقـديم وجبات الخبـز والماء فقط لهم، والى حـرمانهم من «امتيـازات» مثـل فتـرات استـنشـاق الهـواء اليـوميـة. وكـان غـرامشـي يشـعـر بـالاشـمئـزاز دوماً من هذه «البطولات الفارغة» اما في ظروف الاعتقال فكان يراها مسيئة عملياً. وكان سراح العديد من السجناء المحكومين أقل منه سيطلق خلال سنوات قليلة، وما زالت حياة كل من هؤلاء وصحته - في رأي غرامشي - مهمة للحزب(١١٨).

ولكن كانت هنالك أسباب أهم من المشاعر الشخصية للخلاف بين الشيوعيين في معتقل توري . فقد كانت أفكار غرامشي ، كما وردت في تقرير ليزا ، لا تتوافق موضوعياً مع خط الحزب في تلك السنوات ، وكان ينتقد عن وعي أفكـاراً عديـدة ميـزت البرنـامج الـذي صدر عن الـدورة التاسعـة لـ « اللجنة التنفيـذية لـلأمميـة الشيوعية » (شباط / فبراير ١٩٢٨) والمؤتمر السادس للكومنترن (تموز / يوليو - ايلول / سبتمبر ١٩٢٨) والدورة العاشرة لـ « اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعيـة » (تموز / يوليو ١٩٢٩) . وكانت سياسات الحزب الشيوعي الايطالي متفقة مع هذا البرنامج(١١٩) . كانت هذه هي « المرحلة الثالثة » من تاريخ « الكومنترن » ، وهي المرحلة التي تم التمسـك خلالها بالفكرة القائلة بأن الأزمة الاقتصادية للرأسماليـة سوف تؤدي إلى تحرك سريع للجماهير بـاتجاه اليسـار . في مثل هـذا الوضـع ، أصبحت الاشتراكية الديموقراطية ، أو « الفـاشية الاجتمـاعية » طليعـة الرجعيـة ،

وصار من الواجب التخلي عن كل « الأحلام الديموقراطية » أو « المراحل الوسيطة » بين حكم البورجوازية ودكتاتورية البروليتاريا .

وكـان غرامشي في أحـاديثـه في السجن قـد هـاجم تكـراراً بعض المـواقف « القصووية » المستمرة الوجود داخل الحزب :

« إننا كثيراً ما نخاف تلك المعاني التي لا تشكل جزءاً من القاموس القصووي القديم . اننا نفكر بالثورة البروليتارية كشيء مكتمل كلياً يحصل في لحظة معينة ، وبأن أي عمل تكتيكي لا يتوافق مع ذاتانية الحالمين يعتبر تحريفـاً عاماً لتكتيكات واستراتيجية الثورة »(١٢٠) .

ثم ارتكب غرامشي تهور اقتـراح تشكيل « مجلس تـأسيسي ايطالي » كهـدف سياسي آني ، أو على الاقل كشعار ، للحزب الشيوعي الايطالي (وقال غرامشـي أنه يرى ان فكرة « المجلس التأسيسي » كانت بالنسبة للقصوويين « كلكمة في العين ») . هذا الهدف كان قد بحث أولاً وقبل كل شيء كتكتيك لكسب « حلفاء للبروليتاريا » . وفي عام ١٩٣٠ ، كان الحزب نفسه قد أبيد تقريباً في ايطاليا بالرغم من أن النشاط المصمم (والبعض قال : المهمـل) الذي قـام به تـولياتي ولـونغو وكاميلاّ ريفيرا وبييترو سيكيا سرعـان ما أدى إلى اعـادة بناء هيكله التنـظيمي وإلى اعـادة حضوره . ولكن غـرامشي كان يقـول أنه نـظراً لأن الحزب فقـد في الوقت الراهن تنظيمه ، ولأنه لا يستـطيع القيـام بنشاط شـرعي ، فإن الانجـاز « السريـع نسبياً » لسيطرة الـطبقة العـاملة لم يعد ممكنـاً . وبالتـالي ، فقد أصبـح التحالف الـطبقي غايـة في الأهمية ، ومـع ذلك ، فـإن أوضاعـاً ايطاليـة معينة تجعـل هذا التحالف « غاية في الحساسية والصعوبة » بالنسبة للبروليتاريا إذا ما أرادت اقامته . فايطاليا بلد زراعي بالدرجة الأولى ، ولكنـه يضم نواة صنـاعية في مثلث تـورينو - ميلانو - جنوة . وبالاضافة إلى هذا ، فإن الاختلافات الاقليمية الكبيرة ، وخصوصاً مشكلة الشمال والجنوب ، خلقت فوارق غير طبيعية « حتى بين الشرائح الاجتماعية للطبقة العاملة » . لهذا ، كان من الصعب العثور على حلفاء طبقيين في ايطاليا ، ولكنه كان أمراً ملحاً جداً ، فبدون هؤلاء الحلفاء « يستحيل أي تحرك ثوري جدي

للبروليتاريا » .

في ظل الظروف السائدة ، لم يكن الفلاحون ولا البورجوازية الريفية الصغيرة على استعداد للقبول بالحزب الشيوعي ، ببرنامجه الكامل ، باعتباره حزبهم . ولم يكن من الممكن كسب هؤلاء إلى جانب البرنامج إلا « على مراحل » . وباثارة « المشكلة الدستورية والمؤسساتية » أولاً كان باستطاعة الحزب الشيوعي الايطالي أن يخلق قضية مشتركة تهم كافة الاحزاب الايطالية المعادية للفاشية . وكان على الحزب أن يسير في هذه الخطوة فوراً إذا كان يرغب في قيادة مثل هذا الائتلاف[١٢١] .

كان غرامشي ، كأي شيوعي آنذاك ، يقبل كلياً فكرة دكتاتورية البروليتاريا ، ولكن الانجاز النهائي لهذه الدكتاتورية كان يعتمد على الاستخدام الصحيح للتكتيكات الفورية . . « فعلى مهارة الحزب في المناورة في مراحل النضال هذه ، وعلى مستوى قدرته السياسية ، ستعتمد امكانية الذهاب إلى أبعد من الشعارات الوسيطة التي تمثل مراحل تذويب الجليد في الشرائح الاجتماعية التي يجب كسبها » . وحتى إن كانت الأوضاع الحالية قد أضعفت قوة الفاشية في ايطاليا (وهو رأي طرحه كل من الحزب الشيوعي الايطالي و« الكومنترن ») فإن صعوبات كبيرة ما زالت ستواجه الحزب . وأقصى ما يمكن للحزب أن يعتمد عليه هو حوالي ستة آلاف قيادي تنظيمي على مستوى المحافظات[١٢٢] . وفي ظل هذه الظروف فإن النتيجة الافضل التي يمكن للحزب توقعها هي « فترة انتقالية » بدلاً من الاستيلاء الفوري على سلطة الدولة . لهذا ، فإن على الحزب الشيوعي أن يتبنى شعار « المجلس التأسيسي » وان يستخدمه « كأساس للاتفاق مع الأحزاب المعادية للفاشية ». وكان للتطورات السياسية المقبلة ان تمنح الحزب الوقت والفرصة لاثبات عجز البرامج الاصلاحية عن تحقيق الاحتياجات الأساسية للطبقة العاملة وحلفائها .

وشدد غرامشي بشكل خاص على أن الأزمة الاقتصادية العالمية ، وبالأحرى الشكل الذي اتخذته هذه الأزمة في ايطاليا ، لم يكن يشكل تحريضاً كافياً لاطلاق مرحلة ثورية شبيهة بتلك التي كانت قائمة في السنوات ١٩١٧ ـ ١٩٢١ . ولم يكن

الحزب في وضع يمكنه من الضغط على الأحداث بالرغم من أنه كان بامكان الأزمة أن توفر ظروفاً مثالية لشن حملة من أجل المطالبة بانشاء مجلس تأسيسي . وبالشكل الذي تميز به غرامشي ، فإنه لم يركز إلا قليلاً من الاهتمام على « الشروط الموضوعية » للثورة ، مثل الكساد الاقتصادي الكبير . وعلى كل حال ، فإن « الشروط الموضوعية للثورة البروليتارية كانت متوفرة في أوروبا لأكثر من خمسين سنة »[١٢٣] . وكان الشرط الرئيسي هو أن نكون « أكثر سياسية ، وأن نعرف كيف نستخدم العنصر السياسي لنكون أقل خوفاً في ممارسة السياسة » .

وهكذا ، كان غرامشي يؤكد على أهمية « الأهداف الديموقراطية الآنية » بشكل مباشر حتى أكثر مما فعل في مؤتمر ليون . وكما يقول فيرّي ، فإن غرامشي آمن بضرورة مثل هذا البرنامج لاقامة « علاقات سياسية جديدة يمكن للحزب من خلالها أن يوسع نفوذه وأن يدعم برنامجه النضالي ويواجه برامج الاحزاب الأخرى ، ويكسب نفوذ الجماهير ، ويمارس وظيفته القيادية الوطنية »[١٢٤] . وكان من الواضح ايضاً أن غرامشي اعتقد بأن هذا البرنامج كان ضرورياً للثورة الايطالية ، مهما كانت الآراء السائدة آنئذٍ داخل « الكومنترن » . في عام ١٩٣٠ ، لم تكن الحركة الشيوعية مستعدة لمثل هذا التغيير ، ولكن ، بعد سنوات قليلة ، وافقت كل قيادة الحزب الشيوعي الايطالي على هذا الخط ، الذي توِّج في آب (اغسطس) ١٩٣٤ بحلف العمل الموحد بين الحزب الشيوعي الايطالي والحزب الاشتراكي الايطالي ، وبعد سنة واحدة تم وضع برنامج « الجبهة الشعبية » خلال المؤتمر السابع لـ « الكومنترن »[١٢٥] .

وكان لويجي كورتيزي قد لاحظ أخيراً أن تقرير ليزا يوفر حلقة كانت مفقودة في تاريخ الحزب الشيوعي الايطالي[١٢٦] . وهناك بالفعل حاجة للاستمرارية بين مرحلة جماعة « النظام الجديد » وحتى الرسائل السياسية للمرحلة ١٩٢٣ - ١٩٢٤ ، وبين « اطروحات ليون » وحتى « الجبهة الشعبية » . وكان المعارضون لهذا النوع من الشيوعية قد اتهموه بكونه « انتهازياً » و« اصلاحياً » ، في حين فسره آخرون على أنه الرد « الواقعي » للحركة الشيوعية على الشروط الاقتصادية والسياسية والثقافية القائمة في الدول الرأسمالية الحديثة .

القسم الرابع

« دفاتر السجن »

٩ ـ طبيعة ومهمة الحزب السياسي

« لا يعتقدن أحد أني لا أتابع دراستي ، أو أني مستاء لأني لا أستطيع ، عند نقطة معينة ، متابعة أبحاثي . أني لم أفقد بعد قدرة ابداعية معينة بمعنى أن كل مهم أقرأه يدفعني الى التفكير : كيف يمكنني أن أكتب مقالة حول هذا الموضوع ؟ »

غرامشي ـ ٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٣١

« السجن مكان بائس للدراسة » ، كما يقول غرامشي . ومع ذلك ، فإنه ، ومنذ بداية اعتقاله تقريباً ، حاول تنظيم حياته بحيث يمكن له أن يدرس ويكتب . وبحلول آذار (مارس) ١٩٢٧ ، كان غرامشي قد اختار موضوعات عديدة للبحث ، على رأسها : « دراسة عن المثقفين الايطاليين وتجمعاتهم حسب التيارات الثقافية . . الخ » . وكتب غرامشي إلى زوجة أخيه يقول أن هذا الاهتمام نبع من مقالته « العجولة والسطحية جداً عن جنوب ايطاليا وأهمية بينيديتو كروتشي » . وكان غرامشي يرغب الآن في التعمق كلياً بهذا الموضوع ، ولكن « من وجهة نظر محايدة »[1] .

كانت شروط البحث الجدي في السجن ذات صعوبات تكاد تكون مستحيلة التجاوز ، وكانت الرقابة هي المشكلة الأسوأ . وهذا يتضح من أن واحداً وعشرين من دفاتر غرامشي تحمل خاتم سلطات السجن . ولكي يستمر في الكتابة كان عليه

أن يتخلى تقريباً كلياً عن التعابير الماركسية التقليدية وأن يغير أسماء معظم القادة الشيوعيين في العالم ، أما الماركسية نفسها فأصبح اسمها « الفلسفة التطبيقية » ، وصار اسم دكتاتورية البروليتاريا « قوة الدولة » ، ولينين « أعظم المنظرين الحديثين للفلسفة التطبيقية » أو ببساطة « ايليتش » ، وستالين « جوزيبي بيساريوني » . والندرة الناجمة (عن هذا الوضع) في الاستشهاد بأحداث معينة وبالاشخاص أحياناً تعطي « الدفاتر » جواً تجريدياً غريباً كلياً عن طبيعة غرامشي . وأكثر من ذلك ، فإن المواد المرجعية ، وحتى الكتب والدوريات التي كان يسمح لغرامشي باستلامها، كانت تمنع عنه أحياناً بصورة انتقائية . وكان لا بد لهذه الشروط من أن تنتج مجموعة من « دفاتر السجن » وليس بحوثاً شاملة . ومع ذلك ، فقد أكد إوجينيو غارين أن حتى الكتابات الأكثر بعثرة في « الدافتر » لها « متانة الموضوعات الشاملة » النابعة من « اطار موحد عميق » لأعمال غرامشي[٢] .

« دفاتر السجن » نشرت بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥١ ، وحتى عام ١٩٥٧ بيع منها ٤٠٠ ألف نسخة ، وهو رقم خيالي بالنسبة للمستوى الايطالي[٣] . ويكاد يكون من المؤكد أن « الدفاتر » كانت السبب في جزء كبير من النجاح الذي حققته الشيوعية الايطالية بعد الحرب ، وخصوصاً بين المثقفين . وكانت التعليقات التي صدرت على « الدفاتر » كثيرة ، وكان يبدو من المؤكد أن عمل غرامشي هذا سيؤدي ، على مدى السنوات العشر التالية ، إلى ظهور مجموعة كاملة من الأدبيات كحواش للنص الأصلي* . ومع أن « دفاتر السجن » ما زالت في معظمها غير متوفرة إلا باللغة الايطالية ، فإنه قد يمكن اعتبارها احدى روائع الفكر السياسي في القرن العشرين ، وحجم هذا العمل هائل (٢٨٤٨ صفحة مخطوطة) ، ومحتواه مثير للاعجاب ، ولموضوعاته الرئيسية أهمية خاصة عند مثقفي اليوم . وقال لويجي روسو ، الناقد الأدبي الكروتشياني :

---

* بعد بضع سنوات أكد الكاتب البريطاني غين وليامز Gwynn Williams أن « الدفاتر » جعلت من غرامشي « المفكر الأهم في التقليد المبهم لـ « الشيوعية الليبرالية » وأوجدت فعلا ما يمكن تسميته « مدرسة غرامشي » في وطنه نفسه (Williams p.586) . ومثال جيد عن نوعية رد الفعل على « الدفاتر » في ايطاليا اليوم راجع الملحق في هذا الكتاب .

« يجب ان يعتبر غرامشي اليوم من أبرز المفكرين في أوروبا المعـاصرة . . . أنه لا ينتمي الى الحزب الشيوعي فحسب ، بل أيضاً الى الفكر الأوروبي . . . ان فكر غرامشي ينضح كلية بروح الغرب على الرغم من اتصاله بعالم الشرق . وعلينا أيضاً أن نقول أنه فكر متجذر أساساً في التقاليد الايطالية »[٤] .

ويشير روسو بوضوح إلى ما جعل لأعمـال غرامشي تـأثير كبيـر على المثقفين الايطاليين . لقد اعتمد ماركس ، ومعظم قادة الحركة الماركسية في العالم ، على تجارب انكلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا ، أما غرامشي فكان أول ايطالي يعتمد جداً التفسير الماركسي لكل مظاهر التاريخ الايطالي والثقافة الايـطالية . وجـاء كل من الشكـل والمحتـوى في فكـره أكثـر قـربـاً إلى المثقفين « الغــربيين » من أعمـال الماركسيين الآخرين . وإلى حـد كبير فـإن السبب في هذا يعـود إلى أن غرامشي تعامل بالدرجـة الأولى مع « البنيـة الفوقيـة » Superstructure (أي جملة الأنماط والأفكـار السياسيـة والاجتمـاعيـة والثقـافيـة) بـدلاً من التعـامـل مـع « أسـاسهـا الاقتصادي » . وهذا الاختيـار كان انتقـائياً ، فقـد اعتقد غـرامشي ان المشكلات « الثقافية » هي مشكلات ذات أهمية خاصة في مراحل تتلو النشاط الثوري ، كما في أوروبا بعد ١٨١٥ ، ثم ثانية بعـد ١٩٢١ . ويقول غـرامشي أنه في مثـل هذه الأوقات لا تكون هنالك معارك مباشرة بين الطبقات ، ويتحول الصراع الطبقي الى « حرب مواقع » ، وتصبح « الجبهة الثقافية » هي الميدان الرئيسي للنزاع .

ولكن المعركة « الثقافية » لم تكن سهلة ، فـالماركسيـة تحتوي على عنـاصر كثيرة من المادية والحتمية والاقتصادية . و« في الصيغة الأكثر انتشاراً ، وهي صيغة التطير الاقتصادي ، تفقد الفلسفة التطبيقية امتدادها الثقافي في الأوساط الأعلى من الجماعة الثقافية مهما كانت مكاسبها بين الجماهير وبين المثقفين العاديين الذين لا يريدون انهاك أدمغتهم بل يريدون الظهور بمظهر الأذكياء جداً »[٥] .

كانت ماركسية غرامشي تاريخية جذرية تختلف كثيـراً عن ماركسيـة المدارس « الارثوذكسية » . وكان غرامشي يعتقد ان اعمال بوخارين تعاني بشكل خاص من الحتمية والميكانيكية والمادية « الفجة »[٦] . ولم يكن يمكن للماركسية أن تصبح

فلسفة قائمة بذاتها إلا بالتشديد على مظهريها الجدلي والتاريخي ، وذلك « بصقل فلسفة كروتشي بالطريقة نفسها التي صقل بها أول منظري الفلسفة التطبيقية فلسفة هيغل »[٧] . ومن خلال عمل جاد من هذا النوع فقط يمكن للماركسيين أن يتعلموا كيفية تجنب المحاولات التبسيطية لحل المشاكل المعقدة . والمثال الأكثر تردداً عن الفكر الماركسي السائد كان القول المشوش بأن « استقلالية المجتمع تتحدد باقتصاده »[٨] .

وبالرغم من اعلان غرامشي ان كارل ماركس ، « مؤلف الأعمال التاريخية الجدية » ، ليس مسؤولاً عن مثل هذه السذاجة ، فإن عدم موافقة غرامشي على الحتمية الاقتصادية تذهب الى أبعد مما ذهب اليه ماركس بكثير . إن القوى المادية « كمحتوى » والايديولوجيات « كشكل » هي « كتلة تاريخية » ، إذ لا يمكن فهم القوى المادية بلا شكل ، ولا الايديولوجيات كمجرد لهو فردي بلا قوى مادية[٩] . إن ايديولوجية كالماركسية ، واعية للعلاقة العضوية بين « البنية » و« البنية الفوقية » ، يمكنها ان تتوصل الى الحالة التبادلية بين الاثنتين . ان المثقف الماركسي يعالج المبادىء والمشكلات الناجمة عن النشاط العملي للجماهير ، ثم تستخدم الاستنتاجات التي تنجم عن هذا النشاط النظري عندئذ لتغيير الميدان العملي . ويؤدي التغيير الى تطبيق جديد أعلى مرتبة ، يخلق بدوره مشكلات جديدة يجب بحثها نظرياً[١٠] .

إن معالجة غرامشي « الارادوية » للمشاكل الماركسية الأساسية (والملتصقة دوماً بفكره سواء في مرحلة « النظام الجديد » أم في المرحلة **١٩٢٣ ـ ١٩٢٦**) تجعل أعماله جذابة بشكل خاص للمثقفين ، الذين اعتقد الكثيرون منهم أن الماركسية حتمية كلياً . وإلى هذا ، فإن غرامشي يستطيع التعبير عن فكره الماركسي بكلمات فلسفات أخرى ، وكثيراً ما يكشف نقاط ضعف تلك الانظمة بمقارنة بعضها بالبعض الآخر ، مستخدماً كلماتها نفسها ، مع المفاهيم الماركسية المقابلة[١١] .

هناك عند البعض ميل لتصنيف عمل غرامشي ، الموصوف بأنه « مثالية

يسارية » ، في نقطة عند منتصف المسافة بين كروتشي وماركس ، أو بين التوتاليتارية والتاريخية[١٢] . ومما لا شك فيه أن تطرف غرامشي التاريخي قاده أحياناً بعيداً عن الآراء المقبولة عند الماركسيين عموماً . وهكذا فإنه يلمح إلى أن القوانين الاقتصادية ليست حقاً قوانين « بالمعنى الطبيعي » ، بل هي « قوانين غرضية » بالمعنى التاريخي ، معترف بها لأن البورجوازية شكلت سوقاً عالمية أكثر « كثافة » من أن يمكن فيها عزل الأغراض الاقتصادية ودراساتها[١٣] . وشكك غرامشي كذلك بحكمة « ميكانيكية » التأكيد على الواقع الموضوعي للعالم الخارجي ، لكأن العالم يمكن أن يفهم بعيداً عن تاريخ الإنسان[١٤] .

ومع ذلك ، لم يكن غرامشي ينوي تنقيح ماركس ، ونادراً ما اختلفت استنتاجاته النهائية عن استنتاجات المفكرين الماركسيين الآخرين . وكان غرامشي قد اتهم بـ « الارادية » و« المثالية » منذ أيام نشره « المدينة المستقبلية » ، وعلى العموم ، فإن هذه الاتهامات لم تمنعه من الارتقاء إلى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي ، بموافقة صريحة من لينين و« الكومنترن » . وكان غرامشي يعتقد أنه يتابع عمل لينين في الاستمرار بتنقية الفلسفة من العناصر الحتمية ، ويتابع عمل ماركس بربط نفسه بكروتشي بالطريقة التي ربط فيها ماركس نفسه بهيغل .

لقد كتب غرامشي « الدفاتر » بالخطوط العريضة المشار اليها أعلاه . ولأنه شدد على أهمية « الجبهة الثقافية » فقد كرس الكثير من ملاحظاته لتحاليل مسهبة لمشكلات فلسفية وأدبية . وحتى لو أريد وضع موجز قصير لـ « الدفاتر » فإن الأمر سيحتاج إلى كتاب كامل . ولأن اهتمامنا الرئيسي هنا ينصب على حياة غرامشي السياسية والثقافية ، فإننا سنقتصر على بحث مفهومين رئيسيين وردا في « الدفاتر » ، وهما مفهومان يعتبر غرامشي نفسه أنهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بنشاطه السياسي الفعلي . وما تبقى من هذا الفصل سيعالج آراءه في الحزب السياسي ، أما الفصل العاشر فسيحدد مفهومه للدور التاريخي للمثقفين الايطاليين .

طبيعة ومهمات الحزب السياسي :

قبل سنوات ، لاحظ بالميرو تولياتي أن « غرامشي كان منظراً سياسياً ، ولكنه

كان قبل كل شيء سياسياً عملياً »(١٥) . هذه الملاحظة قد تفاجىء القارىء ، نظراً للكثافة الفكرية التي تميز كتابات غرامشي . ومع ذلك، فإن أياً من كتاباته الأكثر أهمية ـ بما فيها تلك التي تبدو مجردة وموضوعية ـ لا يمكن فهمها خارج اطار الصراع السياسي في ايطاليا خلال الربع الأول من هذا القرن ، وهو ما يبرز بصفة خاصة في تحليله للأحزاب السياسية ، التي تشكل ، في رأيه ، العناصر الأساسية والتي لا غنى عنها في حصول أي تغيير اجتماعي* .

وكان غرامشي قد بدأ تحليله للأحزاب السياسية بطريقة ماركسية ارثوذكسية إلى حد بعيد : « إن المبدأ الأول هو وجود حكام ومحكومين ورعاة ورعية »(١٦) . ولم تكن هذه النقطة البسيطة مقبولة دوماً ، ولا حتى لدى جيل غرامشي . وأصر بعض النقاد على أن الاكثريات الكمية في الديموقراطية الحديثة تسيطر على اتجاه السياسات . إن تأثير الاقتراع في السلوك الفعلي لهيكل الدولة ، وخصوصاً في أوروبا ، ليس مسألة بسيطة نظراً للانفصال القائم بين البيروقراطية والادارة من جهة والتشريع من جهة اخرى . وكما قال غرامشي ، فإن « عد الأصوات هو المظهر الأخير في عملية طويلة يعود فيها النفوذ الأكبر إلى اولئك الذين « يفرضون على الدولة وعلى الأمة قواهم الأفضل » ، وبكلمات أخرى ، فإن هؤلاء هم الذين هم في السلطة(١٧) . وفي الحالات العادية يكون من المدهش حقاً « أن لا تتمتع هذه الفئة من المتميزين ، التي تمتلك قوة مادية لا محدودة ، بدعم الأكثرية » . وإذا لم تفعل ، فإما أن تكون عاجزة أو أنها لا تمثل بتاتاً أية مصالح « وطنية »(١٨) .

إن الطبقات هي وقائع تاريخية ، والأحزاب السياسية المختلفة هي « رموزها »(١٩) . ومع ذلك ، فإن الاحزاب السياسية نادراً ما تمثل ـ ان فعلت أبداً ـ طبقة واحدة بمجموعها ولوحدها . والحزب يمثل طبقته في ظل « شروط معينة » فقط . وهكذا فإن تقدم جماعته يكون عادة مترافقاً « بموافقة ومساعدة الجماعات

---

* الكثير من تعليقات غرامشي حول طبيعة الأحزاب السياسية جمع في الجزء الخامس من أعماله : Note sul Machiavelli, sulla politica, e sullo stato moderno. وبالنسبة لغرامشي ، فإن الحزب السياسي هو « الأمير الحديث » . وكان غرامشي قد نظر الى ماكيافيلي باعتباره الشخصية الرئيسية في الفكر السياسي الايطالي التقليدي ، انظر الصفحات : ٢٠٩ ـ ٢١٢ من المؤلف المذكور .

المتحالفة (معه) ، إن لم يكن حتى بموافقة ومساعدة الجماعات المعارضة (له) تماماً »[٢٠] . لهذا ، فإن على الحزب أن ينخرط بنشاط في « الساحة العامة » وان يدير عالماً حقيقياً لكي يصل إلى غالم « مثالي » .

ومع ذلك ، فإن ما يبدو أحياناً وكأنه حزب سياسي كثيراً ما يكون أقل من ذلك . وفي بلدان عديدة تنشق الأحزاب الأساسية ، نتيجة للصراعات أو لأسباب أخرى ، إلى أجنحة كل منها يسمي نفسه « حزباً » وكثيراً ما يتحول إلى حزب مستقل[٢١] . وهنا يستذكر غرامشي بوضوح تفتت الأحزاب اليسارية الايطالية في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهو ما حصل أيضاً لأحزاب أخرى . وغالباً ما لا تنتمي « هيئة الأركان الفكرية » إلى أي من الأجنحة ، بل هي « تعمل وكأنها قوة حاكمة بذاتها ، فوق الأطراف ، وأحياناً يعتقد العامة أيضاً أنها كذلك »[٢٢] . وأحياناً تلعب صحيفة كبرى هذا الدور ، ويشير غرامشي ، في هذا المجال ، إلى صحيفة « التايمز » اللندنية وإلى صحيفة « كوريبري ديلا سيرا » التي تصدر في ميلانو ، كمثالين على ذلك[٢٣] . .

وفي النظام التسلطي (التوتاليتاري) يكون دور أحزاب المعارضة ملغى بالتعريف نفسه . ومع ذلك ، فإن النشاط السياسي لا يغيب في مثل هذه الظروف ، ولكنه يصبح « غير مباشر » : « إذا كانت احزاب المعارضة غير موجودة فإن أحزاب الواقع الفعلي والاتجاهات غيرّ القابلة لأن تقمع شرعياً تكون موجودة دوماً » . وفي « أحزاب » من هذا النوع - على العموم - تصبح « الوظائف الثقافية هي المسيطرة ، وتموّه المسائل السياسية بمسائل ثقافية » ، وهي طريقة ضعيفة لتعاطي السياسة ، ولكن لا بد منها في ظل الظروف . لهذا ، فإن الحزب التوتاليتاري نفسه ليس حزباً سياسياً في الواقع . وقد تكون له وظائف تقنية ودعاوية وأمنية أو ثقافية ، ولكنه لا يمثل بشكل مفتوح قيم جماعته أو جماعاته الاجتماعية في الصراع السياسي .

وهكذا ، فإن نوعين من الأحزاب يتجنبان العمل السياسي المباشر : نوع النخبة المؤلفة من مفكرين يصوغون ، من مواقع « مستقلة » ، الايديولوجية العامة للأحزاب المرتبطة بها والتي غالباً ما تكون أجزاء من الحزب الأساسي نفسه . .

ونوع الحزب التوتاليتاري الجماهيري الأكثر حداثة ، الـذي لا يبدي أعضـاؤه إلا ولاء عاماً من نوع عسكري لمـركز حـزبهم . و« الجماهيـر » في هذه الحـالة هي للدعم فقط ، ويتم استرضاؤ ها بطقوس احتفالية وجدانية وبأساطير رسولية تشير إلى عصر ذهبي(٢٤) .

وقد خص غرامشي الحزب السياسي بقيمة كبرى في حيـاة الدول الحـديثة . وليس في هذه النظرة شيء من التآمر أو من الفئوية ، فالحزب فوق كل شيء كأداة للتثقيف والتحضر :

« إذا كانت الدولة تشكل الذراع الاكراهي والعقابي للحكم الشرعي القـانوني للبلد ، فـإن الأحزاب ، التي تمثـل الانتماء العفـوي لنخبـة مـا إلى ذلـك الحكم (والمعتبر كتنظيم جماعي يجب ان تثقف كل الجماهير بموجبه) ، عليها أن تظهر في حياتها الداخلية أنها قد تشربت القواعد التي هي في الدولة التزامات قانونية ، على اعتبار أنها مبادىء للسلوك الاخلاقي والوجداني . وفي الأحـزاب ، أصبحت الضرورة حرية ، وهذا هو منطلق القيمة السياسية الكبرى . . . للانضباط الحـزبي الـداخلي . . . ومن وجهة النـظر هـذه يمكن اعتبـار الاحـزاب كمـدارس لحيـاة الدولة »(٢٥) .

إن الاحزاب هي جزء لا يتجزأ من البنية القانونية والسياسية والاجتماعية لبلد ما في فترة زمنية معينة . ولهذا فإن على الأحزاب ـ بين أمور أخرى ـ أن تقبل « قواعد اللعبة » . وحتى إذا كان حزب ما ـ كالشيوعيين ـ يعمـل من أجل تحقيق « هـدف أعلى » فإن مهمته تبدأ داخل « الحكم القانوني الراهن » للدولة ، وهـذا الحكم ، مثله مثل أية مؤسسة بشرية ، ليس أبدياً » ، ولكن هذا لا يمنع وجوب تثقيف قواعد الحزب به . وعندما استخدم غرامشي الجملة القائلة « في الأحزاب ، أصبحت الضرورة حرية » كان يعني أنه فقط من خلال التنظيم والانضباط الحزبي يمكن لطبقة « تابعة » أن تحقق أهدافها .

والانضباط الحزبي مهم عند غرامشي . والانضباط :

« ليس ، بالتأكيد ، قبولاً سلبياً وكسولاً للأوامر ، وليس تنفيذاً آلياً للمهمات (بالرغم من أن هذا قد يكون ضرورياً ، على سبيل المثال ، في مرحلة يكون فيها قد تقرر وبدىء بتنفيذ عمل معين) ، ولكن فهماً واعياً وواضحاً للأهداف التي يجب تنفيذها . والانضباط ، بهذا المعنى ، لا ينفي الشخصية الفردية . . . بل يحد فقط من الاندفاعات المرتبطة بالرغبات والاندفاعات غير المسؤولة »[٢٦] .

وفي تقييم دور الانضباط الحزبي ، يبقى كل شيء يعتمد على « أصول السلطة التي تدعم الانضباط » :

« إذا كانت السلطة وظيفة تقنية متخصصة وليست قوة « اختيارية » أو فرضاً خارجياً ، يكون الانضباط عنصراً ضرورياً من عناصر النظام والحرية الديموقراطيين . وتوجد الوظيفة التقنية المتخصصة عندما تجري ممارسة السلطة داخل جماعة اجتماعية (أو وطنية) واحدة متجانسة . وعندما تمارس السلطة من قبل جماعة على جماعة أخرى ، يصبح الانضباط مستقلاً وحراً بالنسبة للأولى وليس بالنسبة للثانية »[٢٧] .

وبطريقة ما ، فإن نظرة غرامشي إلى الانضباط (أو المركزية الديموقراطية) لا تختلف كثيراً عن نظرة الكنيسة الى « الانقاذ » . وهو نفسه ينقل عن مؤلِّف الكاثوليكي أليساندرو مانزوني « بينتيكوستي » القول : « إن الفرد يقبل « بارادته » الارادة الالهية »[٢٨] .

وكان لأحد المظاهر الأخرى للحزب السياسي أهمية مطلقة عند غرامشي ، نظراً للظروف التي كتب في ظلها « دفاتره » ، وهذا المظهر هو ضمان استمرار بقاء حزبه . وبصورة أكثر عمومية ، فإن المسألة يمكن أن تكون : « ما هي الشروط التي تبرر تاريخياً وجود أي حزب سياسي ؟» . أولاً ، يجب على الحزب أن يتمتع بقاعدة صلبة في جماعة اجتماعية معينة (أحزاب كـ « تسمية » للطبقات) . واضافة ، يجب أن يكون للتنظيم تقليد سياسي ، أي نوع من الاستمرارية التاريخية شبيهة بالنوع من الديمومة التي تتصف بها الدولة نفسها (روح الدولة) . ويجب على كل عضو في الحزب أن يعي وجود القوى الدقيقة التي تكاد تكون غير ملموسة

« والتي يمكن الشعور، مع ذلك ، بعملها ونشاطها ، وأن يحسب حسابها كما لـو كانت ، « مادياً » وجسدياً ، ظاهرة الحضور » . أن تماسك حركة ما وصلابتها يعتمدان على ادراك استمراريتها التاريخية : « علينا ان نشعر بالتضامن مع مسنّي اليوم ، الذين يمثلون تاريخاً ما زال حياً بين ظهرانينا علينا أن نتعايش معه ، وكذلك أن نشعر بالتضامن مع الأطفال والأجيال الصاعدة التي نشعر بالمسؤولية عنها وتجاهها » (٢٩) .

ويبرر الحزب وجوده التاريخي عندما يقوم بتنمية ثلاثة عناصر أساسية : ١) القاعدة ، المؤلفة من « عناصر واسعة الانتشار من الرجال العاديين الذين تتسم مشاركتهم بالانضباط والايمان وليس بروح ابداعيةأو تنظيمية » ، ٢) القيادة ، التي هي « عامل التلاحم الرئيسي المركز في الميدان الوطني والذي ينمّي الفاعلية والقوة في مجموعة من القوى غير ذات القيمة افرادياً » ، ٣) الأطر الحزبية (الكادرات) ، التي تشكل « العنصر المتوسط الذي يمفصل العنصر الأول مع العنصر الثاني باقامة الاتصال « الجسدي » بينهما ، وجدانياً وفكرياً »(٣٠) .

ويشدد غرامشي على أنه ليس باستطاعة الحزب ان يقوم بالقاعدة والأطر وحدهما ، إذ تشكل القيادة عنصراً ذا أهمية أساسية : « اننا نتحدث عن قادة بلا جيش ، ولكن الواقع أنه من الاسهل ان تشكل جيشاً من أن تجد له قادة . ومن المؤكد ان جيشاً موجوداً يمكنه أن يدمر اذا كان يفتقر الى القادة ، في حين أن مجموعة من القادة المتعاونين والمتفقين على الأهداف المشتركة لن تكون بطيئة في تشكيل جيش حتى إن لم يكن موجوداً »(٣١) . وهكذا ، فإن وجود القيادة يضمن وجود بنية حزب كاملة . ولا بد للقادة القادرين من أن يتمكنوا من البرهان على « وجود الشروط الضرورية والكافية التي يمكن لها ، وبالتالي يجب ، ان تحل مشكلات معينة تاريخياً (يجب . . لأن أي فشل في أداء الواجب التاريخي يزيد الفوضى والاعداد لكوارث أكبر خطراً) »(٣٢) . وينكر غرامشي أنه يمكن للأزمات الاقتصادية الآنية أن تؤدي مباشرة الى الثورة . ولكن يمكن لهذه الأزمات ان تخلق محيطاً أكثر ملاءمة « لنشر طرق معينة في التفكير »(٣٣) . والقيادة القادرة مسؤولة عن استغلال هذا المحيط الأكثر ملاءمة .

وهنا نجدنا أمام أمثلة نموذجية للوحدة الديالكتيكية للعوامل الموضوعية والذاتية في تحليل غرامشي التاريخي . إن العديد من معاصري غرامشي نظروا اليه باعتباره زعيم المثالية أو « الارادية » ، بعكس التقليد الماركسي الأقدم الذي كان يفترض به أن يكون صيغة من « الحتمية التاريخية » . أما غرامشي نفسه فاقتصر على الاعتقاد بأنه إنما كان يقوم بتنمية افكار لينين « المعادية للاقتصادية »(٣٤) . وكان غرامشي لينينياً حتماً ، ولكنه شدد على « الارادية » في تحليله للحزب السياسي بثبات أكثر من لينين . وإلى ذلك ، فإن اسلوب غرامشي ومعالجته لهذه المسألة كان بالطبع أكثر اتساماً مع التقاليد الفكرية الغربية :

« إذا كان صحيحاً أنه لا يمكن فهم الانسان إلا كانسان محدد تاريخياً ، أي أنه تطور وعاش ضمن شروط معينة ، في اطار اجتماعي محدد أو مجموعة من العلاقات الاجتماعية المحددة ، فهل يمكن فهم علم الاجتماع على أنه يقتصر على دراسة هذه الشروط والقوانين التي تحكم تطورها ؟ نظراً لأنه لا يمكن استبعاد ارادة ومبادرة الرجال أنفسهم ، فإنه لا يمكن لهذا المفهوم إلا أن يكون خاطئاً . لنأخذ مشكلة « العلم » مثلاً : أليس العلم نفسه « نشاطا سياسياً » وتفكيراً سياسياً من حيث أنه يقوم بتغيير الناس ويجعلهم مختلفين عما كانوا عليه قبلاً ؟ »(٣٥) .

لقد أصر غرامشي على اتباع تفسير غير آلي بتاتاً لمبدأ الحزب : فالايديولوجية أو المبدأ يجب ألا تعتبر شيئاً مفروضاً من الأعلى بشكل مصطنع (« كرداء وليس كبشرة تنتج عضوياً ») بل شيئاً تاريخياً يتطور من خلال صراع لا يتوقف . إن على الحزب أن يجمع ثلاثة عناصر : مبدأه ، والطبيعة التاريخية المحددة لأعضائه ، و « الحركة التاريخية الحقيقية » أو ديناميكيات الثقافة الخاصة التي يعمل الحزب من خلالها . « والعنصران الأول والثاني يمكن السيطرة عليهما بالارادة المشتركة والمدروسة (الحزب) ، اما العنصر الثالث فيتفاعل باستمرار مع العنصرين الآخرين ويسبب صراعاً ، نظرياً وعملياً ، لا يتوقف ، لرفع الجهاز (الحزب) الى وعي جماعي أكثر ارتفاعاً ودقة في مستواه »(٣٦) .

ولكن، إذا كان للمبدأ ان يتطور باستمرار في ظروف دائمة التغير فإنه يمكننا ان نتوقع ان يكون لأي «فهم محدد للحياة والعالم» قدرة داخلية أعلى للادراك المسبق(٣٧) .

هـذا القول يبـدو اعترافـاً مذهـلاً بالـلاجدوى يصـدر عن المنظّر المـاركسي والزعيم السياسي الشيوعي، انه إنكار لوجهة نظر غرامشي نفسها حول أهمية الارادة الابداعية في التاريخ. وعلى العموم، فإن تفسير غرامشي لـلادراك المسبق بعيد عن اللاجدوى وعن الحتمية:

«الادراك المسبق لا يعني غير الرؤ ية الواضحة للحاضر والماضي كحركة، وهو ما يعني التعرف الدقيق الى المظاهر الأساسية والدائمة للعملية. ولكن من غير المعقـول تصـور إدراك مسبق «موضـوعي» بالمـطلق. فالانسـان ذو الادراك المسبق عنـده ـ في الحقيقة ـ برنامج محدد في ذهنه، والادراك المسبق يساعده في الوصول الى هذا الهدف. وهذا لا يعني ان الادراك المسبقَ يجب ان يكون دوماً اختيارياً ومجانياً، أو دوماً متحيزاً. في الواقع يمكن القول ان المظاهر الموضوعية للادراك المسبق هي موضوعية حقـاً فقط من حيث ارتبـاطها بهـدف: ١) لأن الشغف وحده يشحـذ الفكر ويسـاهم في جعل الحدس اكثر وضوحاً، ٢) لأن الواقع ينبع من تطبيق الارادة البشرية على مجموعة من الأشياء (مثل مشغّل الآلة وآلته). وتجاهل أي عنصر إرادي او الاكتفاء بحساب ارادة الآخرين فقط كعنصر موضوعي في العمليـة، يشوه الـواقع نفسـه. وفقط من لديـه الارادة القوية يستطيع التعرف على العناصر الضرورية لتحقيق ارادته»[٣٨].

هذا الحكم قاد غرامشي الى إدانة الفكرة الشائعة عن السياسي «الواقعي» والتي ترى فيه سياسياً يتعامل فقط مـع «الواقـع القائم»، وليس مـع الواقـع كما «يجب ان يكـون». إن لرجـل الدولـة الحقيقي برنـامجـا، وهو يـرغب في خلق علاقـات قـوى جديدة، وبالتالي فأنه يأخذ في اعتباره ما «يجب ان يكون». إنه يبني نفسه على الواقع القائم، ولكن، ما هو الواقع القائم؟ إنه ليس شيئا ساكنا لا يتحرك، بل هو نموذج لقوى تتحرك باستمرار وتغير من توازنها. وعلى الرجل ان يطبق إرادته ليخلق توازنـاً جديداً للقوى الحقيقية، مختاراً القوة التي يراها تقدمية وعاملاً على تقويتهـا، إذاً فهو يتعامل مع الواقع القائم، ولكنه قادر على السيطرة عليه[٣٩].

لم تكن أفكار غرامشي السياسية تـأملات تجـريديـة، بل هي نـابعة من تجـربته السياسية قبل اعتقاله، وكان التعارض مع وجهة النظر الاصلاحية موقفاً ثابتاً في حياته

السياسية والفكرية. ويؤكد غرامشي ان الاصلاحيين لا يفهمون الحركة الاشتراكية كحركة مستقلة بل كجزء من حركة أكبر، هي الديموقراطية البورجوازية، وظيفتها فيها هي اصلاح «شرور معينة مفترضة او حقيقية»(٤٠). وهم يفترضون، في الواقع، ان النظام السياسي «الطبيعي» موجود، وأن ما يحتاجه ليس أكثر من التصحيح او اضافة بعض اللمسات اليه. وفي حالة الأزمة، كما في عامي ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ في إيطاليا، يعود القادة الاصلاحيون الى حزبهم «الحقيقي» (الحزب الذي يمثل النظام «الطبيعي») ويتركون الجماهير، التي لها مصالح سياسية مختلفة كلياً، ، حائرة وغير فاعلة. لهذا فإن غرامشي يصر (في ضوء «حقيقته النظرية» القائلة بأن لكل طبقة حزبها الوحيد) ان الحزب يجب ان يبنى على أساس «مونوليثي»، وليس على المسائل الثانوية، «على أساس فهم مستقل للعالم ولدور الطبقة الممثلة في التاريخ». وفي أمكنة أخرى، يحلل غرامشي «هامشية» الاصلاحية بقسوة أكبر. ويروي قصة قندس لاحقه صياد كان يرغب في استئصال خصيتيه لكي يستخرج منها عقاقير معينة. فماذا فعل القندس لحل هذا المأزق ؟ قطع القندس خصيتيه بنفسه لكي ينقذ حياته!(٤١).

وهنا يذكر غرامشي السبب في عدم وجود دفاع ملائم ضد الفاشية. فالقادة الاصلاحيون كانوا مشلولين «بفهمهم القدري والآلي للتاريخ»، ولم يعترفوا بالمصالح المستقلة للطبقة التي يفترض بهم تمثيلها. في الواقع، لم يكن لدى الاصلاحيين «استيعاب للحاجات الأساسية (لهذه الطبقة) ولطموحاتها ولطاقاتها الكامنة»(٤٢). ومنذ عام ١٩١٧ (الذي انعقد فيه مؤتمر فلورنس) كان الاصلاحيون قد اتهموا غرامشي بالارادية، بما يتعارض تماماً مع حتميتهم المعلنة. وعلى العموم، فقد لاحظ غرامشي انه اذا كانت الاصلاحية تعارض الارادية فانها يجب ان تعجب بالعفوية، أي بعمل الجماهير غير المرسوم مسبقاً. وبدلاً من ذلك، فإن القادة الاصلاحيين نظروا الى «العفوية» كشيء منحط لا يستحق أخذه في الاعتبار، «ولا يستحق حتى تحليله». أما بالنسبة لغرامشي فان الأحداث «العفوية»، وخصوصاً تلك التي وقعت عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠، أثبتت بوضوح عجز الحزب الاشتراكي الايطالي في تلك الأيام. والعفوية الكبيرة لتلك الأحداث، وطردها لقيادة الحزب، أدت الى جو «الذعر» الذي مكّن الطبقات الحاكمة من التوحد في إطار أكثر فاعلية قمعية لتلك وغيرها من

الأحداث(٤٣).

وأكد غرامشي ان العفوية «المطلقة» غير موجودة في الواقع. وفي الأحداث «الأكثر عفوية» تكون «عناصر «القيادة الواعية» غير مرئية، لأنها لم تترك أية آثار يمكن تلمسها»(٤٤). ويستتبع ذلك أن الأكثر «محيطية» من الطبقات «التابعة» سوف تعبر عن نفسها تقليدياً بصورة «عفوية»، نظراً لأنها بلا قيادة فاعلة او وعي طبقي.(٤٥). وهنا يبدو ان غرامشي يستخدم تعبير «العفوية» بمعناه السلبي. اما في أمكنة أخرى فإنه يستخدمه في الاشارة الى الأفكار والقيم الفعلية التي تحملها الطبقة العاملة التي لم تتثقف بعد ولم تنضبط. ومهما كانت هذه المفاهيم فجة ومتعارضة فإنه لا يمكن لقيادة مسؤولة ان تتجاهلها. ولهذا السبب، فإن حركة مجالس المصانع التورينية عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ وقفت في وجه الرفض المزدري للعفوية الذي تبناه القادة الاصلاحيون. حركة تورينو «ألزمت نفسها برجال حقيقيين»:

«ولم يتم تجاهل «العفوية»، ولا ازدراؤها، بل جرى تثقيفها وتوجيهها وتصفيتها من كل ما عرقل تكتلها ـ بطريقة حية وفاعلة تاريخياً ـ مع النظرية الحديثة [أي الماركسية]. والقادة أنفسهم تحدثوا أحياناً عن «عفوية» الحركة، وكان صحيحاً ان يتحدثوا عنها: «.. لقد منحت الجماهير وعياً «نظرياً» بخلق التاريخ وبالقيم المؤسساتية وبكونها مؤسسة الدول. ان الاتحاد بين «العفوية» و«القيادة الواعية» او «الانضباط» هو العمل السياسي الحقيقي للطبقات التابعة نظراً لأنها سياسات الجماهير وليست، ببساطة، مغامرة مجموعات تتوجه الى الجماهير»(٤٦).

صراع غرامشي الطويل مع بورديغا قاده ايضا الى بحث تأثيرات «التطرف» (أو «الفئوية») على الأحزاب السياسية. والكثير من ملاحظاته على الاصلاحية ينطبق ايضا على التطرف. على العموم، ان التطرف يعارض التسوية بقوة نظراً «لايمانه الحديدي بوجود قوانين تاريخية موضوعية شبيهة بالقوانين الطبيعية»، وهو ما يترافق بما يكاد يصل حد القدرية الدينية(٤٧). واذا كان الانسان يعتقد بأن الشروط الملائمة لا بد ان تتحقق يصبح من الطبيعي بالنسبة له أن «أي مبادرة إرادية هادفة الى تنظيم هذه الأوضاع بموجب برنامج ما» هي أمر لا فائدة فيه، وقد يكون مجابهة للضرر. هذه

النظرة هي نوع من «الاقتصادية»، ومن الاعتقاد بأن الشروط الاقتصادية تحدد بالمطلق وضع الانسان. ومع ذلك، فقد كان هذا القول مخادعاً، تحديداً لأنه لم يأخذ في حسابه «الاقتصاد الحقيقي»، أي مجموعة الحقائق الايديولوجية التي تكمن دوماً خلف مجموعة الحقائق الاقتصادية. المبادرة السياسية كانت ضرورية دوماً «لتحرير الضغط الاقتصادي من اغلال السياسات التقليدية»، لتغيير الاتجاه السياسي لقوى معينة لا بد من امتصاصها لتشكيل «كتلة اقتصادية ـ سياسية، تاريخية، جديدة دون تشنجات داخلية»(٤٨). ويدين غرامشي «الاقتصادية»، التي هي شكل من أشكال الفئوية، بلهجة «اقتصادية»، واذا كان الوعي يتبع الوقائع الاقتصادية فإن على السياسي ان يردم الثغرة برفع مستوى الوعي!

الفئوي يخلط بين «التنظيم التقني» للحزب وحاجات الحركة التاريخية الحقيقية التي ليس الحزب غير أداة لها(٤٩). وهكذا فإن «الفئوي يمجد الأحداث الداخلية الصغيرة [في حياة الحزب]»، في حين ان التاريخي أو السياسي «يشدد على الفاعلية الحقيقية للحزب... بالمساهمة في الأحداث، أو حتى بمنع أحداث أخرى من الوقوع»(٥٠). وتجاهل الفئوي غير المسؤول للحالة الفعلية للطبقة الممثّلة يتسبب في تفاؤل غير مبرر إطلاقاً: «وينظر أحدهم الى «الرغبة في الايمان» كشرط للنصر، وهو ما قد لا يكون خطأ اذا لم يؤخذ بشكل آلي ولم يصبح خداعاً للذات (وهذا يعني خلط الجمهور والقادة والانخفاض بمستوى القادة الى مستوى الأتباع الأكثر تخلفاً)(٥١). ومما يميز خداع الذات هذا الميل الى «الاستهانة بالعدو». ولكن غرامشي يتساءل: اذا كان هذا العدو يسيطر عليك حالياً، بالرغم من كونك «متفوقاً» عليه، «فكيف نجح في السيطرة عليك؟»(٥٢).

وأخيراً، فإن السياسي الفئوي هو على استعداد تام للجوء الى السلاح، بالرغم من ان ميله قد يبدو متعارضاً مع النظرة الفئوية الحتمية. والجواب هو ان المتطرف يعتقد ان «تدخل الارادة مفيد للهدم، وليس للبناء». وبعض الدفع، مهما كان، سيسهل الانتصار النهائي للتيارات التاريخية الكامنة. وفي حين انه لا يمكن تجنب الاكراه حتماً في بعض الحالات، فإنه لم يكن ـ في رأي غرامشي ـ مرغوباً، حتى نظرياً، في خلق انصهار القوى ذات العلاقة: «إن الامكانية الحقيقية الوحيدة هي التسوية،

ويمكن استخدام القوة ضد الأعداء، وليس ضد جزء من الذات يريد الانسان استيعابه بسرعة ويطلب منه «حسن الارادة» والحماسة»[٥٣].

١٠ ـ الدور التاريخي للمثقفين الايطاليين

«الوعي الذاتي الناقد يعني، تـاريخياً وسيـاسياً، خلق نخبـة من المثقفين. فـالكتلة البشريـة لن «تتميز» ولن تصبـح مستقلة «بفعل ذاتهـا» من دون تنظيم (بالمعنى الشامل)، وليس هنالك من تنظيم بلا مثقفين».

غرامشي: «المادية التاريخية»

أنواع المثقفين

تحليل غرامشي للأحزاب قد يفيد كمـدخل الى اهتمـامه الـدائم بدور المثقفـين الذي هو ـ بالنسبة لـه كما بـالنسبة لآخـرين في يومنـا هذا ـ مفتـاح المسألـة الثقافيـة والسياسية. ولم يكن غرامشي راضياً عن معايير سابقة مستخدمة لتصنيف الفئات بين «مثقفة» و«غير مثقفة» لأنه اعتقد ان هذه المعايير كانت مبنية بشكل يكاد يكون مطلقاً على تقييمات مقارنة للنشاط الفكري الذي يحتويـه أي عمل. عـلى هذا الأسـاس، يكون كل انسان مثقفاً الى حد ما. فكل إنسان، بغض النظر عن مهنته، «يظهر بعض النشاط الفكري. . . ويشارك في نظرة الى العالم، لديه خط واع للسلوك الأخلاقي، وبالتالي فإنه يساهم في تثبيت او تعديل مفهوم العالم»[١]. اما الـطريقة الأكـثر دقة، وربما الأكثر إثماراً، لتصنيف المثقفين فيجب ان تصف «وظيفتهم الاجتماعية».

من وجهة النظر «الوظيفية» هـذه يعتبر غـرامشي مثقفاً كـل من يمارس طـاقات «تقنية» أو «توجيهية» في المجتمع، وعلى سبيل المثال هناك مديرو الصناعة والاداريون

والبيروقراطيون والسياسيون و«منظمو الثقافة» كالفنانين والباحثين[٢]. وبعض هذه الفئات لا يتكيف إلا مع النشاطات الأساسية لفئات اجتماعية معينة. وهكذا، فإن مديري الصناعة ورؤساء الورشات «مختصون» بتنظيم الصناعة لحساب الرأسماليين. ولكن المجتمع يحتاج أيضاً الى رجال ذوي نظرة أوسع وأشمل وأكثر «سياسية». . . وبكلمات مختصرة فإنه يحتاج الى «مديرين» ينظمون المجتمع بشكل عام «لخلق شروط أفضل لتوسع الطبقة» التي يخدمون مصالحها[٣].

الى جانب هذا التمييز «العمودي» بين الأنواع الثقافية (الاختصاصيون والمدراء) يلجأ غرامشي أيضاً الى تمييز «أفقي» بين المثقفين «التقليديين».و«العضويين»[٤]. وتضم فئة «التقليديين» مجموع الفنانين الابداعيين والرجال المتعلمين في المجتمع، أي أولئك الذين ينظر اليهم عادة على أنهم «مثقفين». وسمتهم المميزة هي الشعور بأنهم يمثلون «استمرارية تاريخية لا تقطعها حتى التغييرات الأكثر جذرية وتعقيداً في النظم الاجتماعية والسياسية»[٥]. ولهذا الالتصاق بمثقفي الماضي نتائجه السياسية الهامة، وعلى سبيل المثال، فإن المثقفين التقليديين يشعرون أنهم «مستقلون ومتحررون من الفئة الاجتماعية المسيطرة»[٦].

ولا يحاول غرامشي إقامة درجة فعلية من التنسيق بين المثقفين «التقليديين» والفئة الاجتماعية التي تسيطر على الانتاج الاقتصادي. وفي الواقع، كان يمكنه ان يرفض مثل هذا الأمر باعتباره التجريد الأكثر نقاء. ولكن غرامشي يؤكد ان هذه العلاقة، بشكل عام، ليست «مباشرة» بل «محدثة» بواسطة عناصر كثيرة في البنية العلوية للمجتمع[٧]. وعلى سبيل المثال، فإن المثقفين «التقليديين» للهرم الكنسي، كورثة واعين للتقليد الرسولي، لم يشاركوا أبداً في نظرة الطبقات المسيطرة اجتماعياً وسياسياً الى العالم. ولكن، وحتى كذلك، فقد توصل هؤلاء الى (أو هم منحوا) ما يقرب الاحتكار لنشاطات اجتماعية هامة، مثل التعليم والفلسفة والعلوم.

أما المثقف «العضوي» فهو على علاقة أكثر مباشرة بالبنية الاقتصادية لمجتمعه الخاص، والواقع ان فئات جديدة من هؤلاء المثقفين تخلق «لدى كل فئة اجتماعية تولد من إنجاز مهمة أساسية من مهمات الانتاج الاقتصادي»[٨]. «ويعطي المثقف

العضـوي طبقته انسجـاماً وإدراكـاً لوظيفتهـا، سواء في الحقـل الاقتصادي أم عـلى المستويين الاجتماعي والسياسي. فالمبادر الرأسمالي يدفع الى الأمام المديـر الصناعي والعالِم السياسي والمبدع الثقافي وقانوناً جديداً. . . وهكذا »[٩] .

من الواضح ان هـذين النوعـين من المثقفين ليسـا منفصلين أحدهمـا عن الآخر انفصالاً تاماً، بل ان لكل مثقف بعض العلاقة مع فئة اجتماعية أساسية بالرغم من ان مصالحة قد لا تكون مطابقة مع مصالح تلك الفئة. وعلى سبيل المثال، فإن الكنيسة اضطرت، في كل مراحل تاريخها، الى التوصل الى تفاهم مع الفئة المسيطرة اجتماعياً واقتصادياً، ومع ذلك، فإن مصالحها ليست متطابقة مع مصـالح تلك الفئـة. وعلى العموم، فإن مصالح المثقف العضوي أكثر تطابقاً مع مصالح الطبقة المسيطرة في حينه مما هي مصالح المثقف التقليدي. وبالاضافة الى هذا، عندما يكون هنالـك مثقفون تقليديون كثيرون معادون لمصالح الطبقة المسيطرة يصير على هذه الطبقة ان تشن حملة «لامتصاصهم وكسبهم إيديولوجياً»[١٠] .

في الـظروف العاديـة، يكون المثقفـون العضويـون «للطبقـة التقـدمية تـاريخيـاً (وواقعياً)» قادرين على السيطرة على مثقفي الطبقات الخاضعة. وتكون النتيجـة قيام تضامن بين كـل المثقفين، الـذين يتماسكـون فيما بينهم «بـروابط ذات طابـع نفسي (الخيلاء وما شابه)، وكثيراً ما تحمل صفة الجماعة المغلقة (التقنية ـ القانونية، التعاونية المهنية. . الخ)». وطالما بقيت الطبقة مسيطرة وتمثل حقيقة مصالح معظم المجتمـع، فإن «نظام التضامن» هذا يبقى قابلاً للاستمرار[١١] .

وتمثل الجغرافيا والأصول الطبقية، وخصوصاً في ايطاليا، أسـاساً ثـالثاً لتصنيف المثقفين، حيث تنبثق أنواع مختلفـة من البورجـوازيات المـدينية والـريفية. الـطبقات الوسطى في المحافظات «تتخصص» في انتاج موظفي الدولة وأعضاء المهن الحرة، في حين ان بورجـوازيات المـدن الكبرى تنتـج التقنيين للصنـاعة[١٢]. وتبعـاً لذلـك، فإن مثقفي المحافظات يكونون عادة تقليديين في حين ان المثقفين المدينيين غالباً ما يكونون عضويين. ومع ذلك، فإن للمجتمع التقليـدي لجنوب ايـطاليا أيضـاً بعض مثقفيه العضويين من «أصحاب قبعات القش»[١٣]. ويقوم هؤلاء بدور الوسطاء بين

الفلاحين من جهة وملاك الأراضي والحكومة من جهة أخرى[١٤].

وبالرغم من ان كل فئة اجتماعية تنتج مثقفيها العضويين، فان البروليتاريا الصناعية اعتمدت في معظم الأحيان على مثقفين تقليديين جرى «استيعابهم» للقيادة. وقد رأى غرامشي دوماً في هذا المشكلة الرئيسية التي تعاني منها الطبقة العاملة. وكان من الأهداف الأساسية لـ « النظام الجديد» إيجاد قادة من أصل بروليتاري. وقد عاد غرامشي الى هذه الفكرة في «الدفاتر». والمرحلة في تكوين هذا المثقف العضوي الجديد يجب ان تنطلق من التثقيف التقني والصناعي الذي يتم الحصول عليه مباشرة داخل الورشات. في الوقت نفسه يناضل العامل المختار للارتقاء الى أعلى مستواه: «ومن العمل التقني يصل العامل الى العلم التقني والى النظرات التاريخية الانسانية التي يبقى بدونها «أخصائياً» ولن يصبح مديراً (أي أخصائياً زائد كونه سياسياً)»[١٥].

في تصنيفه للمثقفين يفرق غرامشي بين منطقتين مختلفتين من البنية العليا للمجتمع، وهو يتبع في ذلك، الى حد ما، تمييزاً كان قد اتبعه كل من هيغل وجانّوني وفيكو: «المجتمع السياسي» مكوّن من مؤسسات عامة وأجهزة إكراه (الجيش، المحاكم، بيروقراطية الدولة)، أما «المجتمع المدني» فهو مجموع المؤسسات الخاصة (الكنيسة، المدارس، الأحزاب السياسية)[١٦]. وفي تحليله للأحزاب السياسية أبرز غرامشي كون هذه الأحزاب عناصر من المجتمع المدني، وخلافاً للعناصر «السياسية»، فقد حاولت الأحزاب الحصول على موافقة حرة بوضع اقتصادي معين. ويقدم المثقفون العضويون، الذين هم جزء من طبقة مسيطرة، الأشخاص اللازمين لأجهزة الاكراه في المجتمع السياسي. أما المثقفون التقليديون، والذين لهم أهميتهم في المجتمع المدني، فيبدون أكثر ميلاً للتفاهم مع الجماهير وللحصول على الموافقة «العفوية» على النظام الاجتماعي[١٧].

مفهوم الهيمنة

أفكار غرامشي حول المثقفين قادته الى التأمل في النظرة الماركسية الى الدولة. وكتب غرامشي الى تاتيانا شوخت في عام ١٩٣١ يقول ان الماركسيين يرون عادة في الدولة مجتمعاً «سياسياً» وليس توازناً بين مجتمع سياسي ومجتمع مدني، ويرون فيها

هيمنة لفئة اجتماعية واحدة على المجتمع بأكمله، وهي هيمنة «يمارسها ما يسمى بالمنظمات الخاصة مثل الكنيسة والنقابات والمدارس. . الخ»[١٨]. وقد قدم لنا دارس بريطاني لهذه المرحلة من فكر غرامشي تعريفاً مدخلياً مفيداً لهذه المشكلة: فالهيمنة هي «نظام تسيطر فيه طريقة معينة للحياة وللتفكير، وليس فيه إلا مفهوم واحد للحقيقة ينتشر في المجتمع بكافة مظاهره المؤسساتية والخاصة، يصوغ بروحيته كل الأذواق والأخلاق والعادات والمبادىء الدينية والسياسية، وكل العلاقات الاجتماعية، وخصوصاً في ملامحها الثقافية والأخلاقية»[١٩]. وبالتالي، فإن الهيمنة هي السيطرة التي يتم التوصل اليها، بالموافقة أكثر من القوة، من قبل طبقة أو فئة على بقية الطبقات. ولهذا، يتم التوصل الى الهيمنة عبر مؤسسات المجتمع المدني.

وبالمعنى العام، فإن الهيمنة تشير الى الولاء، «العفوي» الذي تحصل عليه أية فئة اجتماعية مسيطرة من الجماهير بفضل هيبتها الاجتماعية والثقافية وبفضل تفوقها المفترض وظيفياً في عالم الانتاج. وهكذا، فقد مارست البورجوازية الايطالية ما يكاد يكون هيمنة مطلقة على العمال والفلاحين منذ عام ١٨٧٠ وحتى ١٨٩٠، بعد تحقيقها الناجح للوحدة الايطالية وقبل ولادة الحزب الاشتراكي الايطالي، بواسطة ايديولوجية منافسة و«مستقلة»[٢٠]. وبمعنى أدق، فإن غرامشي يستخدم تعبير «الهيمنة» للاشارة اي تحالف محتمل بين الطبقة العاملة وعناصر اجتماعية أخرى «تابعة»، ولكنها «تقدمية»، وخصوصاً الفلاحين وأجزاء من البورجوازية الصغيرة والانتلجنسيا. وحتى في دولة اشتراكية، يبقى تعبير «الهيمنة» مفيداً للاشارة الى صيغة اجتماعية (أو مدنية) من دولة العمال القائمة على الموافقة، خلافاً لـ « دكتاتورية البروليتاريا» القائمة على القوة، التي تكون هي الشكل السياسي للدولة[٢١].

ويعتمد تطور الهيمنة على «مستوى الانسجام ووعي الذات والتنظيم» الذي تكون قد وصلت اليه طبقة اجتماعية ما. وليس مجرد إدراك المصالح الاقتصادية كافياً، إذ يجب الى الطبقة ان تقتنع «بمصالحها الاقتصادية، في تطورها الحاضر والمستقبلي، وأن تذهب الى أبعد من الدائرة الكوربوراتيفية لمجرد الفئة الاقتصادية. ويمكن ـ بل ويجب ـ ان تصبح هذه المصالح مصالح لفئات مضطهدة أخرى. هذه هي المرحلة السياسية البحتة التي تميز "الانتقال من البنية الى دائرة البنى الفوقية المعقدة». عند هذه

النقطة تكون الطبقة قد أصبحت حزباً بالفعل، ويصير عليها الآن ان تقاتل من أجل قيمها الثقافية والأخلاقية كقتالها من أجل أهدافها الاقتصادية والسياسية، ويجب على الطبقة القائدة كذلك ان تنسق مصالحها مع مصالح الطبقات « المتحالفة » معها. وفي هذا التوازن الجديد «تسود مصالح الفئة المسيطرة»، ولكن ليس الى الحد الذي يؤمن إنجاز مصالحها الاقتصادية «الفجة» فقط[٢٢].

إن الافتراض الأساسي الكامن وراء نظرة غرامشي الى الهيمنة هو أن الطبقة العاملة، قبل وصولها الى استلام سلطة الدولة، يجب ان تقيم إدعاءها بكونها طبقة حاكمة في الحقول السياسية والثقافية و«السلوكية الأخلاقية»[٢٣]. «إن إقامة طبقة حاكمة هو أمر مساوٍ لايجاد Weltanschauung»[٢٤]. هذه الفكرة العظيمة الأهمية في تطور الاشتراكية كانت أساسية في عمل غرامشي الذي يعودّ على الأقل الى أيام «النظام الجديد» وحركة مجالس المصانع. وكان غرامشي يرى ان الطبقة نادراً ما تستحق هذا الاسم قبل ان تصبح واعية لوجودها كطبقة. فهي لا تستطيع ان تلعب دوراً في التاريخ إلا بعد ان تطور نظرتها الشاملة الى العالم وبرنامجها السياسي[٢٥].

المدرسة «الأرثوذكسية» للماركسية كانت محشوة حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بـ« الاقتصادية » وبالمادية ، وهو جو لم يفسح مجالاً امام طرح مشكلة الهيمنة . وبالنسبة لغرامشي ، كان لينين هو الذي بعث الماركسية كفلسفة إبداعية . وكان لينين ،«خلافاً لاتجاهات « اقتصادية » مختلفة » ، قد أكد أهمية الهمينة في فهمه للدولة وأعطى « الجبهة » الثقافية أهمية مماثلة للجبهتين الاقتصادية والسياسية[٢٦] . وكان نضال لينين ضد « الاقتصادية » و « اللحقية » (أو « العفوية ») قد قاده الى الاصرار على ضرورة تثقيف الجماهير بالمعنى الثوري . واضافة الى ذلك ، فإن نظرية الحزب السياسي عند غرامشي كانت قد قامت على أساس الاقتناع بأن التنظيم الواعي هو أمر ضروري للانتصار . وربما كان الأهم هو إصراره على إقامة علاقة « هيمنة » بين الطبقة العاملة والفلاحين كشرط مسبق للثورة .

الى هذا كله، يبدو ان غرامشي كانت لديه شكوك حول شمولية لينين في دراسته لهيمنة الطبقة العاملة و«الجبهة الثقافية». وفي الواقع، فقد ذهب غرامشي الى أبعد مما

ذهب اليه لينين في رؤية الهيمنة كسيطرة سياسية وثقافية للطبقة العاملة وحزبها تهدف الى ضمان الانتماء «العفوي» لفئات أخرى[٢٧]. والهيمنة، أو الحكم بموافقة الآخرين، أي تشريع الثورة بثقافة أعلى وأشمل، هي الفكرة الموحِّدة في حياة غرامشي منذ أيام «المدنية المستقبلية» وحتى «دفاتر السجن».

وكان غرامشي، في كتاباته الأخيرة، قد ركز على مشكلة «المجتمع المدني» والهيمنة أهمية أكبر من تلك التي ركزها على مشكلة «المجتمع السياسي» التي هي ـ بالنسبة للماركسيين ـ دكتاتورية البروليتاريا. وهذا التحول في التركيز جاء نتيجة لادراك غرامشي المتزايد لأوجه الاختلاف بين روسيا الـ ١٩١٧ وأوروبا الغربية بعد ١٩٢٣. وقال غرامشي ان مشكلات الهيمنة أصبحت ذات أهمية خاصة في فترات تبعت مرحلة من النشاط الثوري. ورأى غرامشي ان النضال الطبقي تحول عندئذ من «حرب مناورة» الى «حرب مواقع» يجري قتالها بشكل رئيسي على الجبهة الثقافية[٢٨]. وقد كتبت «الدفاتر» في مثل هذه الفترة، وهذا بعض السبب في تشديدها على الهيمنة.

وقال غرامشي انه في مجال سياسة الجبهة المتحدة أشار لينين نفسه الى الحاجة الى الانتقال من حرب المناورة، التي نجحت في روسيا عام ١٩١٧، الى حرب المواقع، «وهي الحرب الوحيدة الممكنة في الغرب»[٢٩]. ولكن هذا التحول كان من مسؤولية القادة الشيوعيين الغربيين نظراً لاختلافات أساسية معينة بين روسيا وأوروبا الغربية. «في الشرق كانت الدولة هي كل شيء، وكان المجتمع المدني بدائياً وهلامياً، أما في الغرب فكانت هناك علاقة حميمة بين الدولة والمجتمع المدني». ومهما كانت الدولة تبدو غير مستقرة كانت تكمن وراءها «بنية متينة للمجتمع المدني»[٣٠]. في ظل هذه الأوضاع كان استلام طبقة جديدة للسلطة أمراً غير محتمل النجاح بدون انتصار سابق في ميدان المجتمع المدني، وبالتالي، فإن الصراع من أجل الهيمنة، ومن أجل السيطرة الثقافية والاخلاقية، هو المهمة الأساسية للماركسيين في بلدان الغرب المتقدمة.

ملاحظات حول تطور المثقفين الايطاليين

كانت لغرامشي أطروحة تخص المثقفين الايطاليين تقول بأنهم عالميون (كوزموبوليتانيون) و«فوق قوميون» و«غير شعبيين»[٣١]. وكانت هذه صفات سلبية

تـزداد أهميتها نـظراً للأهميـة الكبيرة التي كـان غرامشي يـوليها للمثقفـين في العملية الثـورية. ولـذلك، كـان من المهم تحديـد المراحـل التـاريخيـة والشـروط التي يمكن للانتلجنسيا الايطالية ان تصبح فيها منفصلة عن «الأمة» وعن الجماهير.

ورفض غرامشي أطروحة موسوليني حول «التقاليد الرومانيـة» باعتبـارها بـلاغة لغوية فحسب، ولكن، بالرغم من ان الفضائل الوطنية كانت غير ذات عـلاقة عـلى الاطلاق بشبيهتها في ايطاليا القديمة، فان انفصام المثقفين الايطاليين ربما يكون قد بدأ منذ القدم. ففي القدم كان المثقفون الايطاليون يتألفـون أصلاً من عنصـرين اثنين: رجال إغريق وشرقيون معتقون خدموا في بيروقراطية الامبراطوريـة، وعدد كبـير من الـرجال المـوهوبـين أغـرتهم عـروض منحهم المـواطنيـة التي تمكنهم من الاقـامـة في العاصمة[٣٢]. وهكذا أصبحت ايطاليا موطن الطبقات المثقفة في كل الامبراطورية. وبالتالي كان المثقفون هناك يحملون صفة العالمية أكثر من صفة القـومية. وحتى قبـل انهيار الامبراطورية كانت الكنيسة قد أمنت استمرار هـذا الانفصال العـالمي بضمها مثقفين عديدين في تراتبها الهرمي، وكان هؤلاء قد دربوا بالضرورة لخدمة كل العالم الكاثوليكي. وعـلى العموم، فـإن الدور المـزدوج للكاثـوليكية، كمؤسسـة مقدسـة وكسلطة علمانية، رسم معاداتها للروح القومية الايطالية.

وكان تاريخ اللغة الايـطالية المكتـوبة انعكـاساً ذا مغـزى لهذا الانفصـال[٣٣]. وكانت اللاتينية، كلغة كنسية وكلغة متعلمـة، منتشرة في كـل أنحاء أوروبـا، ولكن فجوة اللغة بين المثقفين والجماهير كانت أكبر في ايطاليا منها في أي مكان آخر. وعلى سبيل المثال، كان يطلب من رجال الكنيسة الفرنسية ان يرتلوا صلواتهم بلغة مفهومة لدى الجمهور منذ القرن التاسع، ولكن هذا لم يحصل في ايطاليا حتى القـرن الثالث عشر. ولم يكن للغة الايطالية الا علاقة ضئيلة بـالجماهـير نظراً لتـركيبها الـلاتيني، وخصوصاً في الكلمات والألفاظ الفلورنسية. وكان الدارسون الايطاليون، بـاستثناء جـزئي للشعراء، يكتبـون لأوروبا المسيحيـة وليس لايطاليـا. وبالتـالي، **فقد انتهى** غرامشي الى القول بأن حتى الأدوات التي استخدمها المثقفون ـ اللاتينية والايطالية ـ كانت لغات متعلمة، ولم يكن للانتصار الأخير للايطالية غير أهمية شعبية ضئيلة[٣٤].

وأكـد غرامشي ان بـورجوازيـة الدول ـ المـدن في العصور الـوسـطى أوجـدت

مجموعتها الخاصة بها من المثقفين العضويين والشعراء الشعبيين، مثل كافالكانتي، ومن الاداريين ذوي المعارف الانسانية، مثل سالوتاني. هؤلاء الرجال عبروا، بطرق متعددة، عن الطموحات الفعلية لطبقتهم. اما عامة سكان الدول ـ المدن فلم يتقبلوا المثقفين التقليديين، وخصوصاً رجال الكنيسة، ولا هم استطاعوا الهيمنة على فئات اجتماعية أخرى[٣٥]. وبخصوصيتهم، حاول هؤلاء تدمير ما كان قد تبقى من المؤسسات العالمية الطابع للكنيسة والامبراطورية دون ان يكونوا قادرين على اقامة وحدة أخرى من اي نوع كان.

ووجد غرامشي ان سبب هذا الفشل للبورجوازية المبكرة يكمن في مفهومها البدائي للدولة، والقائم على نظرة تقتصر فقط على التنظيم الاقتصادي للمجتمع، وهو ما سماه بـ «الاقتصاد الكوربوراتيفي» (اقتصاد الوحدات المهنية). وكل المؤسسات والسياسات في الدولة ـ المدينة كانت تقبل او ترفض على أساس اقتصادي بحت. ومن الواضح تماماً ان الطبقات التي كانت مصالحها تتناقض مع مصالح الطبقة الحاكمة كانت تحتاج الى بعض الاقناع الايديولوجي أو السياسي. وعلى العموم، وبدلاً من تطوير أدوات ايديولوجية للحصول على «موافقة المحكومين» كان حكام الدول ـ المدن يلجأون الى الصيغ المسبقة الوضع من قبل الكنيسة او الامبراطورية بالرغم من عداء هاتين المؤسستين الأساسي للدولة ـ المدينة. هذا الفقر الايديولوجي يفسر السبب الذي دعا كل مدينة في ايطاليا العصور الوسطى الى ان تسمي نفسها «غِلف» او «جيبيلاين»، أي بابوية او امبراطورية. وليس معنى هذا ان البورجوازية الايطالية المبكرة ومثقفيها كانت أقل قدرة سياسية من الطبقة المماثلة في فرنسا او انكلترا. ولكن البلدان التي كانت تحمل أعباء عالمية كوزموبوليتانية أقل، أكثر تأهيلاً لظهور الملكيات الوطنية كـ « بنى فوقية» تحقق بالشكل الملائم حاجات هذه البورجوازية المبكرة.

من الحقائق السياسية الثابتة ان عصر الانبعاث الايطالي تميز بالتدمير النهائي للدولة ـ المدينة ذات الخصوصية من قبل قوى ادعت تمثيلها لعالمية العصور الوسطى، كالكنيسة والامبراطورية. من وجهة النظر «الوطنية ـ الشعبية» كانت الحركة بأكملها رجعية. أولاً، لأن البورجوازية الايطالية، بإنهاك نفسها في محاولات مستحيلة لاقامة

دول مستقلة، فقدت أيضاً مبادرتها الاقتصادية. وثانياً، لأن الدمار لحق حتى بالشعبوية البدائية لمفكري الدولة ـ المدينة. ومنذئذ، اتجهت القدرات السياسية للمثقفين باتجاه الشؤون الشخصية وباتجاه تدبير معيشة العائلة واهتمامات أخرى للمجتمع المدني(٣٦). ولم يكن النشاط الفكري يرتبط بالمشاكل السياسية الايطالية، وكان ينظر اليه عموماً وكأنه مبرر بذاته،ولم يكن تشيلّيني او ليوناردو ليهتم في ما اذا كان يعمل عند أمير ايطالي او عند ملك فرنسا.

وفي مجال مناقشته للانسانوية، وهي الحركة الفكرية الأكبر في عصر الانبعاث، اتبع غرامشي اطروحة جوزيبي توفانيني القائلة بأن الانسانوية كانت تطوراً إجمالياً للكاثوليكية الأرثوذكسية(٣٧). ومن خلال إيمانها بعالمية الثقافة، كما هي مجسدة في الكلاسيكية القديمة وفي الكنيسة، لم تفعل الانسانوية إلا ان تزيد من كوزموبوليتانية المثقفين الايطاليين وانفصالهم عن الجماهير. وبهذا التفسير تصبح الانسانوية والاصلاحية على طرفي نقيض أكثر منهما متكاملتان. وسمى غرامشي الانسانوية «إصلاحية مضادة مسبقة. . . وحاجزاً في وجه الانقطاع في عالمية العصور الوسطى التي كانت ضمنية في الدولة ـ المدينة».

هذه الاصلاحية المضادة نفسها أكدت انعزالية المثقفين الايطاليين، وزادت الكنيسة في ذلك بطريقتين: بإجبار المثقفين الذين لم يرغبوا في الخضوع لنظامها على الهجرة، وباختيار أعداد متزايدة من المثقفين الايطاليين لمناصب في الهرم الكنسي، مما قاد هؤلاء إلى زيادة تعريف ذواتهم من خلال فوق قومية الكنيسة(٣٩). وكانت البابوية مجبرة على البدء بهذا التحول لحماية نفسها من سيطرة الملكيات «القومية» في اسبانيا وفرنسا. ولكن هذا «التوجه الوطني» الظاهري للكنيسة كان في الواقع يختلف تماماً عن حركة كالغاليكانية، وبالذات لأن هدفه كان المحافظة على عالمية الكنيسة. وساهمت «فوق قومية» المثقفين الايطالية أكثر وأكثر في تحقيق هذا الهدف.

ويرى غرامشي ان تقليد الكوزموبوليتانية «غير الشعبية» شكل حاجزاً رئيسياً في وجه توحيد ايطاليا وعرقل بشكل جدي قيام مثقفي ايطاليا القرن العشرين بدورهم في «الهيمنة». وعلى العموم، فقد كان نيكولّو ماكيافيلّي أحد المثقفين الايطاليين المبكرين

الـذين لخصوا الصفـات التي رآها غـرامشي ضروريـة لاقـامـة دولـة أكـثر اكتمـالاً وانسجاماً.

نيكولّو ماكيافيلّي: «اليعقوبي الايطالي الأول»

كان تحرير ايطاليا من «البرابرة»* هو الهدف الذي قاد ماكيافيلّي الى إيجاد مفهوم جديد كلياً للدولة. ومن خلال تأملاته، وضع ماكيافيلّي بـرنامجـاً محدداً لاقـامة دولـة ايطالية «حديثة» قادرة على الدفاع عن استقلالها. ويشير غرامشي الى نظرية ماكيافيلّي وبرنامجه السياسي المحدد على انه «يعقوبية مبكرة»(٤٠). واليعقوبية، كنظرية، عبارة عن معالجة «سياسية» بحتة لمشاكل المجتمع بهـدف تغييره جـذرياً. واليعقـوبي يضع نموذجاً للمجتمع ثم يوظف كل قواه لخلقه، إنه يعرف ما يريد وكيف يحصـل عليه. وكبرنامج سياسي محدد تهدف اليعقوبية الى ايجاد دولة قومية منسقة عن طريق تحالف الطبقات المدينية الرئيسية، مثل البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة، مـع الفلاحـين. وهـذا التحالف يمكن ان يبـدأ بإقـامة ميليشيـا وطنية تجتـذب اعضاء من كـل هـذه الـطبقات، ويتقـوى بسلسلة من الأساطـير (المبنية عـلى الواقـع) التي يتقبلها العـامة بحماسة.

هذا هو البرنامج التجريدي لـ «اليعقوبية». ولكن من المهم أيضاً بحث الـدور التاريخي الحقيقي لليعاقبة الفرنسيين، أولئك «الرجال الحيـويون والأقـوياء العـزم»، «خـالقو الأمـور الواقعـة التي لا يمكن الرجـوع عنها». الـذين «سيّروا البـورجوازيـة بضرباتهم على قفاها»(٤١). وقال غرامشي ان المهم في النجاح الأقصى لليعاقبة كـان التباين داخل «الطبقة الثالثة». فعناصرهـا الأساسيـة كانت متقـدمة اقتصـادياً، امـا سياسياً فكانت فئة معتدلة ونخبة ثقافية «يائسة»، وهكذا فان الطبقة عبرت عن مواقع سياسية مختلفة حسب الظروف العامة. وفي بداية الثورة، لم تطلب «الطبقة الثالثة» في الواقع سوى اصلاحات تهم «العناصر الفعلية» لفئتها الاجتماعية، أي اصلاحات ترضي المصالح «الكوربوراتيفية» المباشرة. ولكن هذه المرحلة انتهت بمقاومة القوى الاجتماعية القديمة وبالتهديدات الخارجية حتى لهذه المكاسب الثورية المحدودة.

---

* هذا التعبير يطلق في أيطاليا على كل الأجانب (المعرب).

عندئذ تقدم اليعاقبة، «النخبة الجديدة»، الى الأمام. كانوا يرون في البورجوازية «القيادة المنسجمة لكل القوى الشعبية». وبالتالي فقد عارض اليعاقبة اية تسويات يمكنها ان تعزل البورجوازية عن قاعدتها الشعبية. وهذا التصلب منحهم دوراً خاصاً في الثورة. وقد وقفوا الى جانب حاجات الحاضر والمستقبل «لكل الجماعات الوطنية التي كان يجب امتصاصها من قبل الجماعة الأساسية الموجودة» وكان من الأهمية بمكان بالنسبة لغرامشي، ونتيجة للبنية الطبقية في ايطاليا، قبول الفلاحين لحكم اليعاقبة، وربما كان الفلاحون قد فهموا ان «النظام القديم» لن يهزم إلا عبر تحالفهم مع «القوى الأكثر تقدماً للطبقة الثالثة» وليس مع «الجيرونديين المعتدلين». صحيح ان اليعاقبة شددوا قبضة الحركة الثورية، ولكنهم فعلوا ذلك على أساس تاريخي صلب بجعل البورجوازية هي الطبقةالمسيطرة (الطبقة التي تملك سلطة الدولة) والطبقة «المهيمنة».

وانتهى غرامشي الى ان «اليعقوبية كانت تجسيداً مطلقاً لـ « الأمير»»[٤٢]، أو العكس، أي ان ماكيافيلّي يجب ان يفسر، في أعماله السياسية والتاريخية، في ضوء ذلك. ومؤلّفا «الأمير» و«فن الحرب» هما الدلالة الأوضح[٤٣]. ان الكثير من سوء فهم ماكيافيلّي وكرهه كان ناجماً عن الفشل في رؤ يته كرجل في مثل سنه.[٤٤] وكثيراً ما يتهم ماكيافيلّي بتشجيع الاستبداد، ولكن، اذا ما أخذ في الاعتبار اللانضج السياسي للبورجوازية المبكرة والحدود الموروثة عن الدول ـ المدن ذات النظام الاقتصادي الكوربوراتيفي، كانت الملكية المطلقة في الحقيقة أداة تقدم ثوري وعنصراً أساسياً في تكوين بنية فوقية ترتبط عضوياً بالحياة الاقتصادية للدولة. والواقع أن «الأمير» لم يكن في البداية بحثاً منظماً في علم السياسة بل دعوة الى الانتظام في دولة ايطالية، مشكّلة بطريقة يعقوبية صحيحة[٤٥]. وفي القسم الرئيسي من النص يبرز ماكيافيلّي، وبحياد علمي، كل ما هو ضروري لتحقيق هذا الهدف. وفي خاتمة المؤلَّف وجه ماكيافيلّي نداء يتميز بالبلاغة والحماسة من أجل الدعم الشعبي لتنفيذ هذه الخطة.

ويرفض غرامشي كذلك الرأي الشائع القائل بأن ماكيافيلّي كان «حالماً» وليس «واقعياً»[٤٦]. ماكيافيلّي لم يكن واقعياً بمعنى انه قصر اهتمامه عن حقل السياسة الفعلية. على العكس من ذلك، كان ماكيافيلّي مهتماً بـ « ما يجب عمله» ـ واقعياً ـ

وبالتالي فإنه كرس فكره وإرادته للتخطيط لعلاقة جديدة للطبقات والمؤسسات في ايطاليا. ولكن هذه الطبقات والمؤسسات كانت هويات «حقيقية»، وماكيافيلّي حللها بطريقة «يعقوبية» بحتة: بادئاً بالبنية الاجتماعية القائمة، ووضع هدفاً يمكن التوصل اليه من خلال إدارة سياسية حازمة للقوى في هذه البنية. وانتهى غرامشي، في الواقع، إلى القول بأن هذا الموقف اليعقوبي هو موقف واقعي لأنه الوحيد الذي يمكنه التعامل مع الواقع التاريخي.

واذا كان « الأمير » قد أظهر موقف ماكيافيلّي اليعقوبي، فإن «فن الحرب» كان إثباتاً لبرنامجه اليعقوبي(٤٧). وفي هذا المؤلَّف أوضح ماكيافيلّي خططه لانشاء ميليشيا وطنية وجيش مواطن مؤلف من الطبقات المدينية والفلاحية. وشدد غرامشي على إدراك رجال الدولة الفلورنسيين انه لن يكون ممكناً انشاء ميليشيا فاعلة ولا دولة قوية من دون إدخال الفلاحين في الحياة السياسية . وكان التشابه بين هذا البرنامج وبرنامج اليعاقبة الذين جاؤوا فيما بعد دليلاً هاماً على ان ماكيافيلّي كان «يعقوبياً» من القرن السادس عشر*.

من المؤكد ان «قومية» ماكيافيلّي الثقافية ليست هي ما اجتذب غرامشي. لقد كان هذا حافزاً قديماً في الثقافة الايطالية، ولكن غرامشي لم يكن «قومياً» في أي من الأحوال. وعلى العموم، هناك ثلاثة أفكار في «الأمير» قريبة بشكل واضح من اليعقوبية. أولاً، كان الفصل الأخير من «الأمير» عبارة عن «تحريض على تحرير ايطاليا من البرابرة»، وقد توجه ماكيافيلّي مباشرة الى الجماهير، من فوق رؤوس الحكومات المختلفة للدولة الايطالية. وكان هذا أمرا فريدا بالنسبة للمثقفين الايطاليين في تلك الأيام(٤٨). ثانياً، كان ماكيافيلّي يعرف ان القوة وحدها لن تضمن نجاح برنامجه السياسي. وفي النهاية، «كان الحصن الأفضل [للأمير] هو محبة شعبه، لأنه وإن كان

---

* قد لا يكون من المهم مدى مطابقة الصورة التي يرسمها غرامشي لماكيافيلّي للواقع. والمؤكد ان ليس من أهداف هذا الكتاب بحث الأدبيات الكثيرة عن مغزى ماكيافيلّي. ولكن هنالك ملاحظات حول تفسير غرامشي لماكيافيلّي في المؤلفات التالية:

Chabod, «L'étà», I, 155.

Mattcucci, P. 63.

Garin, PP. 414—16.

للانسان أن يمتلك الحصون، فإن هذه لن تنقذه اذا ما كرهه الشعب»[٤٩]. وكان هذا إيذاناً مبكراً بالأهمية الكبرى للقيادة «الروحية» ـ الهيمنة ـ في الصراع السياسي، وهو ما لا يختلف عما مارسه اليعاقبة. وأخيراً، قد يكون من الصعب العثور على مثال أفضل على ميل اليعقوبي الى التعامل مع المشكلة بروح «سياسية بحتة» ـ و«بحيوية وحزم» ـ كما في مدخل ماكيافيلّي الى الفصل السابع عشر من «الأمير»:

«أقول ان على كل أمير ان يرغب في ان يعتبر رؤوفاً وغير قاس. وعليه، على العموم، ألا يسيء استخدام رأفته. تشيزاري بورجا كان يعتبر قاسياً، ولكن قسوته فرضت النظام في (مقاطعة) رومانيا ووحدتها، وجعلتها تعيش السلام والولاء. واذا كان هذا يعتبر حسناً يظهر انه كان أكثر رأفة بكثير من جماعة فلورنسا الذين سمحوا بتدمير بيستويا لكي لا يقال انهم قساة»[٥٠].

في هذا القول عالم سياسي جديد كلياً. وقد لا تكون هذه هي «اليعقوبية»، ولكنها، ولا شك، أبعد بكثير عن الانفصالية الكوزموبوليتانية للمثقفين المعاصرين لماكيافيلّي.

* * *

لقد قصرنا اهتمامنا على جوانب قليلة من «الدفاتر»، تلك الجوانب الأكثر ارتباطاً بالحياة السياسية الناشطة لغرامشي. وكان غرامشي قد غطى ميادين أخرى كثيرة من الفكر السياسي والفني والفلسفي في «دفاتره». وبالرغم من اتساع موضوعاته، فإن معالجته لها تفيها حقها.

لقد أفرج عن غرامشي في عام ١٩٣٧. لكن الانهاك الذي سببه له الحرمان في السجن كان أكثر مما تتحمله بنيته الهشة. ومات في ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٣٧ وهو في السادسة والأربعين، بعد أيام قليلة من اطلاق سراحه رسمياً وكنتيجة مباشرة لسجنه.

كان أنطونيو غرامشي رجلاً فذاً في تنوع اهتماماته وقدراته. ومع ذلك، فقد كان أفضل ما قدم من جهد ـ منذ أيام الدراسة الثانوية في كالياري وحتى أيام السجن في توري ـ قد كرس لفهم إنسان ما، او فكرة ما، او مؤسسة ما، او شعب ما... لا

كأمور تجريدية بل كوقائع حية في عملية التاريخ. وربما كان أفضل ما ينقش على شاهدة قبر غرامشي ملاحظة مأخوذة من رسالته الأخيرة الى ابنه ديليو:

«أعتقد انك ستحب التاريخ كما أحببته انا عندما كنت في مثل سنك، لأن التاريخ يتعامل مع الأحياء ومع كل المشاكل الانسانية. ولا يمكن لتأمل كل أناس العالم، الذين يتجمعون في مجتمع للعمل وللنضال ولتحسين أنفسهم، إلا ان يسرك أكثر من أي شيء آخر»[٥١].

ملحق : غرامشي و«النهضة» الايطالية

كان لأفكار غرامشي حول الحزب السياسي والدور التاريخي للمثقفين تأثير كبير على تفسيره لحركة «النهضة» الايطالية. وهذا التفسير خلق جدلاً واسعاً بين المؤرخين الليبراليين والماركسيين. وكان روزاريو روميو، الذي وضع كتاباً هاماً عن مرحلة النهضة في صقلية، قد بدأ الجدل بنشره مقالتين في صحيفة «نورد إي سود» (الشمال والجنوب) في عامي ١٩٥٦ و١٩٥٨[١]. وبالرغم من انه كان يفترض بالمقالة الأولى ان تكون استعراضاً عاماً لكتابة التاريخ الماركسي الايطالي، فإن الهدف الرئيسي (والهدف الوحيد للمقالة الثانية) كان دحض تفسير غرامشي للنهضة. وبرر روميو موقفه هذا بالتأكيد على ان الماركسية الايطالية تكاد «تقبل بشكل شامل أطروحات غرامشي حول مرحلة النهضة»[٢]. ودراسة هذه الأطروحات وآراء روميو وآخرين حول هذه الأطروحات يقدم مثالاً ممتازاً عن تأثير غرامشي على ثقافة ايطاليا اليوم.

واذا أخذت في الاعتبار وجهات نظر غرامشي في الأحزاب السياسية والمثقفين، فإن تفسيره لـ « النهضة» لا يثير الدهشة من ناحية تركيزه على القيادة السياسية لطبقاتها الاجتماعية وفئاتها «الثورية»[٣]. هذه القيادة قدمها حزبان فقط: «المعتدلون» الذين يقودهم رجال مثل كافور ودازيليو وبالبو، وكان هؤلاء يشكلون فريقاً منسجماً نسبياً يأتي من صفوف البورجوازية، ومن النبلاء ذوي النشاط الاقتصادي الرأسمالي، ومن الشريحة العليا من الانتلجنسيا. . . و«حزب العمل» الذي يقوده رجال مثل ماتزيني وغاريبالدي وبيزاكاني، وكان هذا الفريق أكثر تنوعاً، وكان مدعوماً من البورجوازية الصغيرة الراديكالية (الحرَفيون، صغار الصناعيين، وكثير من المثقفين) والبروليتاريا

المدينية القليلة العدد.

وعمل المعتدلون على فرض هيمنتهم على «حزب العمل» من خلال « الامتصاص التدريجي والثابت » لعناصر الحزب . هذه العملية جعلت من « النهضة » حركة « بلا ارهاب وثورة بلا ثورة » . وبينما كان المعتدلون يرتبطون « عضوياً » بالقوى البورجوازية ـ الارستقراطية (والواقع أنهم كانوا « المفكرين العضويين » لهذه الجماعة) ، لم يكن لقادة حزب العمل أية علاقة وثيقة مع الطبقات المتباينة التي يفترض بهم تمثيلها . وبالتالي ، فإن هؤلاء الأخيرين لم يضعوا أبداً « برنامجاً جدياً للحكم » . ولكي يقاوموا بفاعلية برنامج المعتدلين كان عليهم أن يوجدوا برنامجاً بديلاً يجذب اليه جماهير الفلاحين الذين يشكلون حوالي أربعة أخماس سكان البلاد . ولم يكن بامكان أي شيء آخر غير برنامج اقتصادي واجتماعي من النوع « اليعقوبي » أن يقدم بديلاً معقولاً لسياسات المعتدلين . وهدَفَ تحليل غرامشي لمرحلة « النهضة » إلى بيان السبب الذي منع حزب العمل من وضع برنامج « يعقوبي » ، أي السبب الذي منع الثورة الايطالية عام ١٨٥٩ من أن تصبح الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

إنطلاقاً ، كانت القاعدة الاجتماعية البورجوزاية الصغيرة لحزب العمل تحافظ على سمات شبه زراعية حدت من استقلاليتها في مواجهة طبقة ملاك الأراضي القديمة وجعلتها تخشى المطالب الاقتصادية المحتملة للفلاحين . وكانت المصالح السياسية للبروجوازية الأوروبية والايطالية في عام ١٨٥٩ تختلف عما كانت عليه في عام ١٧٨٩ ، و« شبح الشيوعية » جعل هذه البورجوازيات حذرة ، وكان يبدو أن البديل « البروليتاري » للحكم البورجوازي هو أمر ممكن على الأقل . وبالاضافة الى هذا ، فإن الضعف السياسي لايطاليا وافتقارها إلى « استقلال » وطني ، حدّ من العمل الفاعل للبورجوازية الايطالية . وكانت جرأة الروح « اليعقوبية » « ترتبط حتماً بالهيمنة الطويلة الأمد التي مارستها فرنسا في أوروبا » . وأخيراً ، فإن الطابع « القومي » لـ « النهضة » ، واستهدافها طرد النمساويين وانشاء دولة ايطالية ، جعل من السهل بالنسبة للمعتدلين ، وحتى لبعض حزب العمل ، اهمال الطابع الاجتماعي للثورة بهدف تأمين أوسع مستوى لوحدة العمل . ولا يعتقد غرامشي أن هذه الشروط شلت جماعة حزب العمل بالضرورة وكلياً . فغرامشي يصر على أنه بالرغم من هذه

الصعوبات « كان التحالف مع الفلاحين ممكناً دوماً بالتـأكيد » . ومـع ذلك ، فقـد كانت التعقيدات التاريخية هي السبب الرئيسي للطابع المحدود والمعتدل لـ « النهضة » وللضعف الموروث للجماعات الأكثر ديموقراطية التي شاركت في الحركة .

واستناداً إلى روميو ، فإن لب تفكير غرامشي حول « النهضة » هو انتقاد قادتها ، المعتـدلين والـديموقـراطيين ، لشغلهم في اثـارة ثـورة زراعيـة (ص ١٩ ـ ٢١)* . وانـطلاقاً من هـذا الافتراض ، يحـاول روميو أن يثبت : ١) استنتـاجات غـرامشي جاءت نتيجة لمـوقعه السيـاسي وليس لتحميص تاريخي « يتسم بـالتروي » ، ٢) ان عمله قـد أفسد بـاستخدام الثـورة الفـرنسيـة كنمـوذج لاثبـات عـدم أهليـة الثـورة الايطالية ، ٣) ان اعتقاده بامكـانية قيـام ثورة زراعيـة في القرن التـاسع عشـر كان خاطئاً ، ٤) أن الثورة ، في كل الأحوال ، كانت ستؤخر جدياً التطور الرأسمالي في ايطاليا ، وهي حالة كان غرامشي ، كماركسي ، سيدينها .

ويعتقـد روميو ان كـل الكتابـات التاريخيـة الماركسيـة الايطاليـة تقريبـاً ـ وليس غرامشي فقط ـ تظهر مواقف سياسية لا تاريخية . ويقول روميو أن « مؤرخين ايطاليين قلائل » وصلوا الى الماركسية لأسباب عديدة « من بينها العواطف السياسيـة الطارئـة والمواقف التي لعبت دوراً أساسياً » (ص ٩٤) . وتظهـر الكتابـة الماركسيـة التاريـخ الايـطالي انحرافـاً سياسيـاً نتيجة لقلة اهتمـامها بفتـرات سـابقـة للثـورة الفـرنسيـة و« النهضة » . وليس عمل غرامشي إلا جزء من النزعة « التحريفية » في كتابة التاريخ الايطالي ، وذلك بالتشديد على ما **لم تفعله** « النهضة » وليس على **ما فعلت** . ويلحق روميو ببينيديتو كروتشي وكارلو أنتوني وفيديريكو شـابود (ص ٢٠ و٤٦) في اتهـام غرامشي في أنه عكس بشكل « غير صحيح تاريخياً » مصالح الحزب الشيوعي الايطالي في القرن العشرين في تشديده على أهمية الحركة الفلاحية و« المسألة الجنوبية » خـلال « النهضة » ، وفي التقليل من أهمية تأثير القوى الأوروبية على « النهضة » ، وحتى في استخدام تعابير مثل تعبير « وطنية ـ شعبيـة » الذي يفتـرض انه مـأخوذ عن اللفـظة الروسية « نارود نوست » (ص ٢٥ ، رقم ١٢) .

---

* أرقام الصفحات هذه تشير الى كتاب روميو : Risorgimento e Capitalismo

ويظهر روميو استياء خاصاً من ميل غرامشي المزعوم الى استخدام الثورة الفرنسية كـ « نموذج » لتحليل التاريخ الايطالي ، لأن التطور الصناعي الأكبر كثيراً في فرنسا يجعل المقارنة بلا قيمة (ص ٢٦) . ولا يعترض روميو على الطريقة التي تعتمد المقارنة لدراسة العمليات الثورية بالرغم من أنه يميل الى النظر اليها كـ « اختيارية وغير كاملة » . ولكنه يعترض بشدة على « افتراض كون التطور التاريخي الفرنسي نموذجاً « قدوة » لبلد بورجوازي ورأسمالي حديث » (ص ٤٤) : ومن وجهة النظر الاقتصادية والاجتماعية فإن « الطريقة البروسية » هي « اكثر حيوية واتساعاً » . ويتبع روميو لينين في تعريف « الطريقة البروسية » بأنها « تسوية بين البورجوازية الرأسمالية والعناصر الاقطاعية » (ص ٣٩) ، وهو يعترف بأنها ، دون أدنى شك ، أقل ديموقراطية (ص ٤٠) من الطريقة الفرنسية . وينسب روميو ميل الماركسيين الايطاليين الى المبالغة في الاشادة بالتاريخ الفرنسي الى حد ما الى « التبعية الفرنسية في أفكارنا الديموقراطية » (ص ٤٤) . ويصل روميو درجة التأكيد بأنه كان من حسن حظ ايطاليا أنها لم تتبع نموذج الثورة الفرنسية ، وخصوصاً بين الفلاحين ، نظراً لأن التطور الصناعي والزراعي في فرنسا كان قد شهد عراقيل نجمت عن التغييرات التي أدخلتها الثورة على علاقات الانتاج في الريف .

وينكر روميو كلياً امكانية قيام ثورة زراعية ايطالية في القرن التاسع عشر (أو في الحقيقة « أي بديل للنهضة كما حصلت ») . وبالرغم من الانتفاضات الفلاحية التي لا تحصى ، والوجود المعترف به لفقر ريفي ساحق ، فإنه لا يمكن السماح بثورة زراعية من قبل القوى الكبرى (ص ٢٢) . ومع أن روميو أقر بأن غرامشي اعترف بهذه المشكلة ، فإنه يرى أن هناك تناقضاً في استمرار اصرار غرامشي على امكانية « التحالف مع الفلاحين »[٤] .

وأخيراً ، يعتقد روميو أن من حسن الحظ ان ثورة فلاحية لم تحصل في ايطاليا . وباستخدام المفهوم الماركسي لـ « التراكم البدائي لرأس المال » والنظريات الحديثة للتطور الاقتصادي ، يحاول روميو أن يبرهن أن الثورة الفلاحية كان يمكنها أن تزيد استهلاك الفلاحين ، الذين كانوا يشكلون آنئذ أكثر من ٨٠ بالمئة من سكان ايطاليا ، وكان يمكنها بالتالي أن تؤخر تراكم رأس المال . وقد زاد الانتاج الزراعي الايطالي

بنسبة كبيرة في الفترة ١٨٦١ ـ ١٨٨٠ ، ولكن الجماهير الفلاحية لم تمتص الفائض ، وبدلاً من ذلك تحولت قيمة الفائض الى ايجارات وأرباح ، مما وفر رأس مال للاستثمار ، وخصوصاً في « البنى التحتية » للمجتمع (مرافق عامة ، نقل ، اتصالات) . صحيح أن الضرائب المرتفعة والاستثمارات الخارجية ساهمت في بناء رأس المال الايطالي ، ولكن الجزء الأكبر من رأس المال هذا جاء نتيجة لانخفاض الاستهلاك في الريف المترافق بانتاج عالي . وفيما لو أجري اصلاح زراعي فإن الفلاحين كانوا سيستهلكون ، هم أنفسهم ، أي فائض ضئيل يكسبون من قطع الأراضي الصغيرة وغير الخصبة التي قد تكون أوجدتها الثورة .

وكانت الأزمة الزراعية في الثمانيات قد أنهت تدفق رأس المال من الريف الى المدينة . في ذلك الحين ، كانت الاستثمارات قد صارت تأتي بصورة أساسية من أرباح التجارة والصناعة (ص ١٧٤) . وينتهي روميو إلى القول بتفاؤ ل أن التطور الصناعي الايطالي في الثمانينات « ربما كان الاسرع في تاريخ الاقتصاد الصناعي الايطالي » قبل القرن العشرين (ص ١٨٨) . « ونظراً للتضحية المفروضة لعقود زمنية كثيرة على الريف والجنوب ، الفقيرين في الأراضي والموارد الطبيعية ، كانت ايطاليا هي البلد الوحيد في منطقة البحر الأبيض المتوسط الذي خلق مجموعة صناعية كبيرة وحضارة مدينية عالية التطور » (ص ١٩٧) .

إن لهجة كتابات روميو غالباً ما كانت خشنة ومتعالية في صيغة التواضع ، وهو ما يفسر الرد الذي لم يكن كثير اللباقة للماركسيين الايطاليين . وبالرغم من أن الخلاف لم ينته بعد ، من الممكن اليوم اجمال الانتقادات الماركسية الرئيسية لاطروحات روميو ، وكذلك بعض الملاحظات التي طرحها باحثون آخرون .

كان غرامشي بنفسه يعارض بقوة التفسيرات « الفورية والايديولوجية غير التاريخية » لمرحلة « النهضة »(٥) . ومع ذلك ، فإن من الصحيح أن أي تاريخ «للنهضة » يستثير الاهتمامات السياسية . وقد كتب جورجو كانديلورو ، حول النزاع بين الاتجاه إلى الاشادة بـ « النهضة » والاتجاه الى الحط منها ، يحث على تجنب كلا التطرفين ، ولكنه يوضح أكثر أن كلا هذين الاتجاهين :

« له قاعدة ايديولوجية تعود الى أيام « النهضة » نفسها والى الوضع السياسي ـ الاجتماعي النابع من أحداث مئة سنة مضت . تلك الأحداث حافظت على آنيتها التي استمرت في اثارة النقاش حولها بمضامين سياسية . . . وبشكل رئيسي لأنها ولدت مشاكل جديدة (أو وجهاً جديداً لمشاكل قديمة) مركزية بالنسبة إلى التاريخ الايطالي الحديث ، وهي مشاكل ما زالت مستمرة في يومنا هذا ، وان كانت قد تغيرت جزئياً في بعض نواحيها »[٦] .

وينتهي كانديلورو إلى القول بأن أية دراسة لـ « النهضة » يجب ان تضع نصب عينيها الصفات الأساسية سواء لـ « النهضة » أم « لايطاليا الموحدة وتطورها الاجتماعي والاقتصادي » .

القضية التي أثارها روميو حول « لا تاريخية » كتابات غرامشي حول « النهضة » تستند الى التأكيد على أن اهتمام غرامشي بـ « المسألة الزراعية » تعكس مشكلة سياسية تخص شيوعية القرن العشرين ، وأنه « لا معقولية تاريخية » عندما يطبق على « الواقع الملموس » (ص ٢٠) لـ « النهضة » . ولكن ، هل كانت الثورة الزراعية مشكلة غرامشي فقط أم أنها مشكلة قائمة في عامي ١٨٤٨ و١٨٦٠[٧] ؟

إدراك الحاجة إلى اجراء اصلاح زراعي ، مهما كان التعبير عنه غامضاً ، كان منتشراً بالتأكيد بين الراديكاليين منذ ما قبل « النهضة » . وعلى سبيل المثال ، فإن الجناح اليساري للـ « كاربوناري » (حوالي عام ١٩٢٠) كان يطلب من أعضائه الأكثر تقدماً أن يقسموا على « أن أساعد بكل قواي وحتى لو كانت حياتي هي الثمن ، اصدار وتنفيذ قانون زراعي ، بدونه لن تكون هناك حرية ، نظراً لأن الملكية الخاصة هي اعتداء على الحقوق الانسانية »[٨] . وكان هنالك أيضاً برنامج اجتماعي وضعه كارلو بيانكو من سان جوريوس يحث على أنه بالاكتمال الناجح لـ « حرب الانتفاضة الوطنية » يتلقى المقاتلون « الأراضي والممتلكات الخاصة للأمراء وأعداء الحرية »[٩] .

وبالرغم من أنه يمكن رفض هذه الأقوال باعتبارها تعبيرات بلا مغزى صادرة عن قلة حالمة ، فإن مؤلفين صدرا أخيراً عن الماركسيين الايطاليين أشارا الى مدى الأهمية

التي كانت لمسألة الثورة الزراعية في عام ١٨٦٠[١٠] . في الواقع ، إن أحد الأسباب الرئيسية للدعم الذي قدمه فلاحــو صقلية لغاريبالدي كان وعده « بتقسيم الملكيات الكبيرة وتوزيع الأراضي »[١١] . ولم يتحقق إلا القليل جداً من هذا الـوعد ، هـذا صحيح ، ولكن المهم هو أن مسألة « الثورة الزراعية » قد ولدت مع « النهضة » وليس في القرن العشرين . ومباشرة تقريباً بعـد تحقيق الوحـدة الايطاليـة أصبحت المسألـة الزراعية من المواضيع الأهم سواء بالنسبة للمعتدلين أم للديموقراطيين ، والدليل على ذلك التحقيق الشهير الذي أجراه البرلمان حول القضايـا الزراعيـة* . وجاء اهتمـام غرامشي بالمسألة الزراعية (التي لا يمكن فصلها عن مسألة الجنوب) تتـويجاً لتقليـد ايطالي بحث يعود في أصوله الى غايتانو سالفيميني وأنطونيو لابريولا وكارلو كاتانيو . وحتى فكـرة تحالف فـلاحي الجنوب مـع عمال الشمـال ليست فكرة « بلشفيـة » في الأصل ، إذ كان سالفيميني قد طـالب بهذا التحـالف منذ عـام ١٩٠٠[١٢] . وهذا التقليد توَّجه غرامشي ، لأنه بعد الحرب العالمية الأولى فقط بدا ان التحالف « ممكن جدياً بهدف تجاوز التناقضات الاشتراكية الموروثة عن النهضة »[١٣] .

وحسب روميو ، فإن الثورة الفرنسية أثرت بشكل مبالغ فيه بنظرة غرامشي الى « النهضة » ، ولكن نظراً لأن الشروط الاجتماعية والاقتصادية كانت مختلفة تمامـاً في البلدين فإن أية مقـارنة بـين تطوريهـا التاريخيـين تكون مقـارنة لا مسـوغ لها . وفي الواقع ، فقد شدد غرامشي على فشـل الثوريـين الايطاليـين في وضع بـرنامـج شبيه بـالبرنـامج اليعقـوبي خلال « النهضـة » يتعلق بتحالف البـورجـوازيـة المـدينيـة مـع الفلاحين** . واعتقد غرامشي أنه كان لغياب اليعقوبية أثر كبير على نتائج « النهضة » وعرض أسباباً كثيرة لتخلف اليعقوبية الايـطالية . وكـان نجاح المعتـدلين ، وفشـل جماعة حزب العمل في وضع برنامج يعقوبي ، هو ما أعطى السمة الأساسيـة للدولة

---

* الطريف أن روميو نفسه ، في مؤلف آخر له ، يصدر على المسألة الزراعية حكماً يكاد يكون ممـاثلاً تمـاماً لحكم غرامشي . وفي بحثه للدواعي التي منعت في القرن الثالث عشر لوردات ديلا توري في ميلانو من مهاجمة الاقطاع في المناطق الريفية ، ينتهي روميو الى القول ان « غياب الدعم الحقيقي في الريف ، الذي كانوا غير قادرين أو غير راغبين في العثور عليه عند الفلاحين ، جعل السيطرة الفاعلة على المنطقة أكثر صعوبة بالنسبة للمدينة القوية » . وهو ما ورد في : Studi Gramsciani, P.383, No1.

** أنظر الصفحتين ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

الايـطالية المـوحدة ، وهي عبـارة عن تسويـة بين القـديم (ارستقراطيـو الأراضي) والجديد (البورجوازية التجارية والصناعية) . وكان غرامشي يريـد أن يثبت أنه في ظل الحدود المفروضة على البورجوازية الايـطالية ، حيث كـانت المشكلات سيـاسية أصلاً كالاسقلال الوطني والوحدة ، كان يمكن قيام ثـورة بورجـوازية محـدودة بدون التعاون مع الفلاحين والجماهير ، ولكن بالتعاون مع الطبقة الحاكمة السابقة[١٤] .

هل استخدام غرامشي لفكرة اليعقوبية كـأداة للتحليل هـو استخدام في محله ؟ طبعاً لا اذا كان قصده من ذلك اعتماد الثورة الفرنسية كنموذج مطلق لكـل الثورات البورجوازية الأخرى . ولكن غرامشي لم يقصد ذلـك أبداً وهـو ما يـظهر من عـدم موافقته لجوزيبي فيراري (١٨١١ ـ ١٨٧٦) ، وهـو جمهوري اتحـادي حاول تـطبيق « الأطر الفرنسية » على المسألة الايطالية[١٥] . وكان قصد غرامشي هو انه لمعرفـة ما كانته « النهضة » كان يجب معرفة مـا لم تكنه . وكـان لـ « طريقـة المقارنـة » أن تبين السبب في الاختلاف بين التطورات الايطالية وتلك الفرنسية . والواقـع ان المقارنـة بحد ذاتها كانت تقليداً قديماً في أوروبا . وفي عام ١٨٠١ كـان فينشينزو كـووكو قـد وضـع فكرة « الثـورة السلبية » (أي الثـورة من فوق أو نتيجـة لضغوط خـارجيـة) كنقيض لـ « الثـورة الايجابيـة » التي حصلت في فرنسـا . وفي الستينـات من القـرن التاسع عشر كتب أليساندرو مانزوني مؤلفاً عنوانه « الثورة الفرنسية **١٧٨٩** والثـورة الايطالية **١٨٥٩** » دافـع فيه عن « النهضـة » باعتبـارها « مشـروعة » وهـاجم الثورة الفرنسية لعنفها . وتبدو المقارنة أكثر صحة اليوم كما يظهر من بحث البرت سوبـول الأخـير حول « النهضـة والثورة البـورجوازيـة »[١٦] . ويبدو جـوزيبي تالامـو ، هو أيضاً ، غير قادر على تجنب التفسير الغرامشي في بحثه لـ « النهضة » . وبالاشارة الى الوزارة الدستورية الأولى التي تشكلت في نابولي خلال الثورة في عام ١٨٤٨ ، يقول تالامو :

« في المناطق الريفية ، وفي كل المحافظات تقريباً ، كان مركز الوزارة الدستورية ضعيفاً جداً . والمسألة المزمنة لتوزيع الاملاك العامة ، التي كان يشغلهـا كبار مـلاك الأراضي اعتباطاً ، لم يجر بحثها بتاتاً . وكان هذا بـلا شك في صـالح الملك الـذي سيستطيع فيما بعد (كما كتب سبيلا نزون) الاستفادة من الاستياء الواسـع الانتشار

بين الجماهير الزراعية في معارضته للطموحات السياسية للبورجوازية »[١٧] .

وهكذا ، فإن القادة السياسيين الايطاليين في كل ميدان ، ومنذ « النهضة » وحتى اليوم ، استنكروا كلهم عدم حصول أي تغيير في الاقتصاد الزراعي . ولكن روميو يتهم غرامشي بأنه أكد امكانية قيام ثورة زراعية وجعل هذا الأمر مركزياً في « توجيه الاتهام » إلى « النهضة » . عملياً ، إن النقطة الرئيسية فيما كتبه غرامشي هي بيان السبب الذي منع الثورة من أن تحصل في ايطاليا ، وقد أبرز أسباب فشل حزب العمل ونجاح المعتدلين[١٨] . وربما جاءت الاشارة الجدية الوحيدة عند غرامشي الى امكانية حقيقية لتعبئة الفلاحين في الحركة الوطنية عندما اتهم رجال حزب العمل بالتخلف عن « التحالف مع الفلاحين ، وهو ما كان يمكن دوماً »[١٩] . ولكن هذا الاتهام غير المحدد جاء بعد مناقشة غرامشي لضعف الحزب نفسه . أما في امكنة أخرى ، فقد شرح غرامشي بوضوح تام لماذا لم تكن مثل هذه الحركة ممكنة تاريخياً : « هل كان هنالك في ايطاليا أي من الشروط لقيام حركة مثل حركة اليعاقبة الفرنسيين ؟ لقرون طويلة كانت فرنسا أمة هيمنة ، وكان استقلالها الدولي واسعاً . ولم يكن لايطاليا شيء من هذا ، إذ لم تكن تملك استقلالاً دولياً »[٢٠] . وكانت الثورة الزراعية مستحيلة نظراً لقوة المعتدلين ، وكافور وحزبه « كانا يمثلان السياسات الوحيدة الصحيحة في ذلك العصر لأنه لم يكن لهما منافسون أقوياء وأذكياء سياسياً »[٢١] . إن نظرة غير محرفة إلى كتابة غرامشي للتاريخ تمنع الانتزاع الانتقائي لأي من أفكارها من اطارها الذي وضعت فيه ، سواء فيما يتعلق باليعقوبية ام بالثورة الزراعية . وكما جاء على لسان غرامشي نفسه :

« النهضة عبارة عن حركة تاريخية معقدة ومتناقضة تستكمل ذاتها من كل عناصرها المتباينة : من أبطالها ومن أعدائها ، من صراعاتها ومن التعديلات التي أدخلتها هذه الصراعات ، ومن عمل القوى الكامنة والسلبية مثل الجماهير الزراعية الكبيرة ، ومن الاعتبارات المتفوقة للعلاقات الدولية »[٢٢] .

وتبرير غرامشي التاريخي للمعتدلين لم يمنعه من ابراز النتائج السيئة لانتصارهم على المدى الطويل . فالمعتدلون . . .

« قالوا انهم استهدفوا بناء دولة حديثة في ايطاليا ، ولكنهم أعطوا نوعاً من الهجين . اقترحوا تنمية طبقة حاكمة عديدة وحيوية ، ولم ينجحوا في ذلك . واقترحوا اشراك الشعب في حياة الدولة ، ولم ينجحوا . وكانت نتائج هذا الخلل حياة سياسية أصيبت بالفقر بين عامي ١٨٧٠ و١٩٠٠ ، واضطراب أساسي ومزمن لدى الطبقات الأدنى ، ووجود ضئيل وفج لطبقة حاكمة ذاتية وبليدة . احدى النتائج الأخرى كانت الموقع الدولي للدولة الجديدة التي حرمت من استقلال فاعل لأنها كانت مهددة من البابوية ومن السلبية العنيدة للجماهير الكبيرة ، إذاً ، كان يمينيو « النهضة » غوغائيون كبار حقاً . لقد جعلوا من الأمة الديموقراطية أداة وسلعة بالحط منها ، وهنا تكمن الغوغائية الأكبر والاكثر حسنة »[٢٣] .

وقد اعترف الليبرالي آلدو بيرزيلّي بأن آراء غرامشي لا يمكن أن تدمج بالفئة العامة لـ « تحريفية النهضة »[٢٤] . وبطريقة مشابهة ، هاجم آ.و. سالومون أخيراً الاتجاهات التحريفية في كتابة تاريخ « النهضة » ، ولكنه عامل كتابات غرامشي باحترام ملحوظ[٢٥] . إن اتهام روميو لغرامشي بـ « الذهنية المرتبطة بالحاضر » ينطبق أكثر على روميو نفسه . فهو يحاول أن يجعل الماضي « مثالياً » ، وأن يثبت أن ما حصل « في الواقع » كان الأفضل ، وأنه لم يكن يمكن أن يحصل إلا بهذه الطريقة . وهذا أبعد ما يكون عن الدراسة المحايدة للماضي . وكما قال آوريليو ماكيورو فإنه قد يكون من الأمور الخطرة افتراض بدائل ممكنة في التاريخ ، ولكن الأخطر من ذلك هو « جعل ما حدث في الماضي لا تاريخاً حقيقياً فحسب ـ وهو ما هو ـ بل تاريخاً مثالياً أيضاً »[٢٦] .

إن مناقشة غايتانو سالفيميني لتقييمه هو نفسه ، الذي يبدو متناقضاً ، لكافور ، يعبر عن نظرة غرامشية :

« علينا أن نفرق بين الحكم « التاريخي » والحكم « السياسي » . ويمكن للمرء أن يعترف « تاريخياً » بأن الأحزاب الديموقراطية الايطالية أعطت ثرثرات كثيرة لم تؤد إلى شيء ، وأن هذه الأحزاب ، نتيجة لعجزها وللشروط الموضوعية التي عملت من خلالها ، كانت ستواجه هزائم ليست حتمية فحسب بل مستحقة أيضاً . ولكن المرء

ليس مجبراً ، لهذا ، على ادانة أفكار هذه الأحزاب في كل زمان ومكان . يمكن للمرء أن يعترف بالقدرات السياسية الأكثر تفوقاً لدى المحافظين بالمقارنة مع الديموقراطيين من دون أن يقفز فوق كل شيء إلى موقع المؤرخين الرسميين للأحزاب المحافظة . . . كـ « مـؤرخ » ،علـيّ أن أرى الرجال كما كانوا ، أما كـ « رجل سياسة » ـ وهو ما يختلف عن « السياسي » ـ أو كـ « أخلاقي » (لاضافة مـلاحظة الى أفكـار كروتشي المخزية) فإني لن أرفع قبعتي أمام الأمور الواقعة ، بل إني قد أقف إلى جانب المهزوم أيضاً اذا كان ذلك ضرورياً »[٢٧] .

ولكن المسار الفعلي للتـاريخ الايـطالي كان بـالنسبة لـروميو « الـطريق التاريخي الأسرع والأقصر لوصول ايطاليا إلى بنية وسمات البلد الحديث »[٢٨] . صحيح أن روميو لا يمكنه تجـاهل استمـرار أمراض الجنـوب ، ولكنه ينـظر الى هذه الأمـراض كمظهر من مظاهر « تقوية المدينة على حساب الريف »[٢٩] . وهو يـرى أن « تخلف الجنوب هو وضع مؤقت (وان طال لعشرات السنوات) لا بد أن يصححه التـطور الداخلي للشمال الصناعي »[٣٠] . ويجب ان تستمـر الرأسمـالية لأنها قـد تؤمن كل شيء ، وأي عنف يـرتكب في هـذا السبيــل يكـون مبــرراً بعـد التقــاط القـطع المهشمـة[٣١] . ولكن الأرقام الاحصـائية الأخيـرة تشير إلى أن التبـاين الاقليمي في ايطاليا آخذ في التزايد بدلاً من التراجع . ويبدو أن روميو هو الذي يفـرض « الأطر التجريدية » على التطور التاريخي . أما معالجـة غرامشي فهي أكـثر حساسيـة ، وفي النهاية ، أكثر « تاريخية » :

« كان يمكن لهيمنة الشمال أن تكون « طبيعية » ومفيدة « تاريخياً » فيـما لو كـان التصنيع قادراً على توسيع حدوده بسرعة ليشمل مناطق اقتصادية جديدة . عندها كان يمكن لهذه الهيمنة أن تكون تعبيراً عن الصراع بين القديم والجديد، بين الأكثر انتاجاً والأقل انتاجاً . . . ولكن الأمر لم يكن كذلك . كـانت الهيمنة تعتبـر دائمة ، وكـان التباين يعتبر شرطاً تاريخياً ضرورياً لمدة غير محددة من الزمن ـ وبالتالي أبدياً في الظاهر ـ بالنسبة لوجود الصناعة الشمالية »[٣٢] .

النقطة الأخيرة عند روميو هي ان تطور الرأسمالية الحديثة في ايطاليا جاء بشكل

أساسي تقريباً لأنه لم تقم ثورة زراعية . وهذه النقطة لقيت الكثير من الاهتمام عند الباحثين ، مثل انتقاداته للمظاهر الأخرى لكتابة التاريخ الغرامشية . اجمالاً ، جاء انتقاد هذه الأطروحة على أساس نقاط أربع : ١) ان صيغة روميو لـ « التراكم البدائي » لرأس المال خاطئة ، ٢) ان افتراضه وجود علاقة مباشرة بين نمو الملكيات الفلاحية الصغيرة وازدياد الاستهلاك غير مبرر ، ٣) ان اعتقاده بأن الملكيات الكبيرة هي بالضرورة اكثر تقدمية من الملكيات الصغيرة هو ، على الأغلب ، غير صحيح بالنسبة للقرن التاسع عشر ، ٤) ان معلوماته حول أسباب النمو الاقتصادي ومدى هذا النمو في ايطاليا بالمقارنة مع البلدان الأخرى غالباً ما هي مضللة ومبالغ فيها[٣٣] .

إن الخلاف بأكمله دلّ عموماً على عدم صحة انتقادات روميو الموجهة الى الطريقة الغرامشية في كتابة التاريخ وعدم صحة نظرته إلى التكون الرأسمالي في ايطاليا . ومع ذلك فهو قد قدم ، عن غير قصد ، خدمة كبيرة للباحثين الماركسيين الايطاليين باجبارهم على تجنب الادانات اللاتاريخية للماضي ، واجبارهم على تطبيق الطريقة الغرامشية في دراسة أكثر جدية وابداعية للتاريخ الايطالي .

الهوامش

(الأرقام بين الأقواس تشير الى المؤلفات التي تحمل الأرقام نفسها في لائحة موجودة في آخر هذا الكتاب).

الفصل الأول

(١) *Passato e Presente* (8), P. 174

(٢) S.F. Romano, P. 8

(٣) هناك قرية في جنوب شرق ألبانيا اسمها «غرامشي». أنظر:

Lettere (2), P. 508, No. 4.

(٤) من أجل تفاصيل عن خلفية عائلة غرامشي، أنظر:

Lombardo Radice and Carbone, P. 9, S.F. Romano, PP. 9—10, and the Cronologia della vitta di Antonio Gramsci, in *Lettere* (2), P. xxi.

وانظر أيضاً رسالة غرامشي اى تاتيانا بتاريخ ١٢/١٠/١٩٣١:

Lettere (1), P. 150.

والكتاب الأهم عن السنوات المبكرة في حياة غرامشي نشر بعد الانتهاء من هذا الكتاب، وهو:

Giuseppe Fiori, *Vita di Antonio Gramsci* (Bari: Laterza, 1966).

(٥) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٣/١/١٩٣٠:

(*Lettere* (1), P. 86.

(٦) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٢٨/١٢/١٩٣١:

Ferrata and Gallo (12), II, 310

وانظر أيضاً رسالة غرامشي اى والدته بتاريخ ٢٥/٤/١٩٢٧:

Lettere (2), P. 80.

(٧) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٣١/٩/٧ :

Lettere (1), P. 136.

(٨) أنظر الاشارة غير المباشرة في رسالة غرامشي إلى يولكا بتاريخ ١٩٣٣/١/١٦ ، المصدر السابق، ص ١٩ .

(٩) رسالة غرامشي الى غرازييتا بتاريخ ١٩٣٢/١٠/٣١ :

Lettere (2), P. 686

(١٠) أخت غرامشي الكبرى، ايما، توفيت لاصابتها بالملاريا الخبيثة في كانون الأول (ديسمبر ١٩٢٠، أنظر مقدمة:

Lettre (1), P. vii.

وانظر أيضاً رسالة غرامشي الى والدته بتاريخ ١٩٣١/٨/٢٤ :

Lettere, P. 134.

(١١) S.F. Romano, PP. 13—14

(١٢) رسالة غرامشي الى غرازييتا بتاريخ ١٩٣٠/١٢/٢٩ :

Lettere (1), P. 108.

(١٣) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٢٤/٨/١٨ :

Ferrata and Gallo (12), II, 55.

(١٤) رسالة غرامشي الى والدته بتاريخ ١٩٢٧/٢/٢٨ :

Lettere (2), P. 53

(١٥) رسالة غرامشي الى والدته بتاريخ ١٩٣١/٦/١٥ :

Lettere (1), P. 128

(١٦) رسالة غرامشي الى غرازييتا بتاريخ ١٩٣٠/١٢/٢٩ ، المصدر السابق، ص ١٠٩ .

(١٧) رسالة غرامشي الى تيريزينا بتاريخ ١٩٣٠/١١/١٧ ، المصدر السابق، ص ١٠٥ .

(١٨) S.F. Romano, P. 17.

(١٩) في عام ١٩٠٠ ، كان التعليم الرسمي في ايطاليا يتألف من خمس سنوات من الدراسة الابتدائية وثماني سنوات من الدراسة الثانوية . وهذه المرحلة الأخيرة كانت تقسم الى خمس سنوات اعدادية (أعمار طلابها تتراوح بين ١٠ ـ ١١ سنة و١٥ ـ ١٦ سنة) وثلاث سنوات ثانوية (أعمار طلابها تتراوح بين ١٥ ـ ١٦ سنة و١٨ ـ ١٩ سنة) . وللاطلاع على تقييم شديد السلبية لنظام التعليم الايطالي في هذه المرحلة انظر :

Villari, PP. 237-59.

(٢٠) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٢٨ :

Lettere (1), P. 52.

(٢١) «La luce che si è spenta» (20.11.1915) in *Scritti giovanili* (9), P. 10.

(٢٢) رسالة غرامشي الى والدته بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٣٢ :

Lettere (1), P. 206.

وكان ايميليو سالغاري (١٨٦٣ ـ ١٩١٠) كاتباً شعبياً لروايات المغامرات للأطفال .

(٢٣) انظر مجموعة هذه القصص في مؤلف غرامشي : *L'Alberto del riccio* (14)
ويتضمن هذا المؤلف قصصاً لمؤلفين آخرين أشار اليهم غرامشي في رسائله.

(٢٤) Répaci, p. 41.

(٢٥) أنظر رسالة غرامشي الى ديليو بتاريخ ٢٢/٢/١٩٣٢ :
Lettere (1), PP. 167—68.

وانظر أيضاً : S.F. Romano, PP. 21—23.
الذي يحتوي على فقرات جميلة عن حب غرامشي لعالم الحيوان.

(٢٦) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٩ / ٤ / ١٩٢٨ :
Lettere , P.61.

(٢٧) للاطلاع على نسخة مصورة عن شهادة غرامشي باتمامه الامتحانات انظر :
S.F.Romano, P.49.

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢٩) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٣ / ١٠ / ١٩٣٢ :
Lettere (1), P. 207.

في أيام دراسة غرامشي كانت هنالك في ساردينيا عشر مدارس اعدادية وثلاث مدارس ثانوية :
(Thomas Ashby,«Sardinia», in *Encyclopedia Britanica,* 11 th ed.,1910).

(٣٠) رسالة غرامشي الى يولكا بتاريخ ١٦ / ١ / ١٩٣٣ :
Lettere (1), P. 220.

(٣١) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٩٣٢ ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٣٢) رسالة غرامشي الى تاتانيا بتاريخ ٣٠/١/١٩٣٣ . المصدر السابق ص ٢٢١ .

(٣٣) حول هذه الحادثة انظر رسالة غرامشي الى تانيا بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٣٢ ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٣٤) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٥ / ٣ / ١٩٢٨ ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٣٥) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٢٣ :
Ferrata and Gallo (12), P. 23

(٣٦) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ٦/٣/١٩٢٤ ، المصدر السابق، ص ٣٣ .

(٣٧) S.F. Romano, P. 33, and «Cronologia della vita di Antonio Gramsci», in *Lettere* (2), P. xxi.

(٣٨) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٢/٩/١٩٣٢ :
Lettere (1), P. 206.

(٣٩) انظر قصة لقائه مع عصابة من اللصوص في رسالة الى تانيا بتاريخ ٢٦ / ١٢ / ١٩٢٧ ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٤٠) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٣٢ ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٤١) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٩ / ٤ / ١٩٢٨ ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٤٢) «Oppressi e oppressori», Ferrata and Gallo (12), PP. 13—15.

(٤٣) المصدر السابق، ص ١٥ (والتشديد من المؤلف).

(٤٤): King and Okey, P. 112

«ما من مكان في ايطاليا تبلغ فيه الثغرة بين الأغنياء والفقراء (ما تبلغه في الجنوب الايطالي)... والمثقفون من أهل نابولي نادراً ما يتكلمون اللهجة المحلية مثل البيمونتي أو اللومباردي أو الصقلي». والتقليد الطويل الأمد، والذي ما زال مستمراً، لانفصالية صقلية هو السبب في استخدام اللهجة المحلية هناك.

(٤٥) رسالة غرامشي الى تيريزينا بتاريخ ١٩٢٧/٣/٢٦:

Ferrata and Gallo (12), P. 114.

وأنظر أيضاً:

Togliatti, «Gramsci Sardo», P. 1088.

(٤٦) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٢٤/٣/٦:

Ferrata and Gallo (12), P. 33.

(٤٧) Gramsci, «Gli Scopritori» (24.v.16) in *Sotto la mole* (11), PP. 148—50.

في هذه المقالة يسخر غرامشي بحدة من بييترو ماسكانيي أكثر مما يتبنى انطباعاته عن رحلة أخيرة له الى ساردينيا.

(٤٨) كما ورد في: S.F. Romano, P. 46.

(٤٩) أنظر:

Gramsci, «Lettere al'Grido'» (4.iii.16) in *Scritti giovanili* (9), P. 28, For a description of Il *Viandante*, see Spriano, *Torino operaia*, P. 20.

(٥٠) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٢٤/٣/٦:

Ferrata and Gallo (12), P. 32.

(٥١) Gramsci, *Intellettuali* (4), P. 52.

(٥٢) *Annuario statistico italiano* (1912), II, 96.

(٥٣) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٥٤) المصدر السابق، ص ٢٢٢. و«غرفة العمل» هي عبارة عن مؤسسة محلية تشبه الى حد ما «المجلس النقابي» الانكليزي، ولكن بسلطات أوسع وأهمية أكبر نسبياً. أنظر:

Rigola, PP. 157—62, and Spriano *Socialismo e classe operaia*, P. 40.

وانظر أيضاً الصفحتين ٤٣ و٤٤ من الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٥٥) Michels, P. 174. حتى وقت متأخر يصل الى عام ١٩٠٤ لم يكن هناك في المنظمات الاشتراكية في الجزيرة كلها غير ١٢٧ عضواً. وهذا الرقم أقل من رقم أي اقليم كان في ايطاليا، حتى لو أخذ كنسبة الى عدد السكان.

(٥٦) Corsi, P. 39.

حتى عام ١٩١٤ كان اتحاد عمال المناجم (الجمعية العامة لعمال المناجم في ساردينيا) يشكل جزءاً من «غرفة العمل» في كالياري (المصدر السابق، ص ٢٣٢)، وربما كان هذا هو السبب

في أن غرامشي كان يملك معلومات جيدة عن نشاطات الاتحاد في تلك الفترة المبكرة .

(٥٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ . وهذا المؤلَّف يتضمن صورة طبق الأصل عن رسالة غرامشي التي تحمل في صدرها شعار طبعة تورينو من صحيفة « آفانتي » .

(٥٨) *Passato e presente* (8), P. 3.

(٥٩) رسالة غرامشي إلى جوليا . . . ١٩٢٣ :

Ferrata and Gallo (12) P. 24.

(٦٠) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٢٤/٣/٥ ، المصدر السابق، ص ٣٢. وانظر أيضاً الصفحات ٢٣ و٢٤ و٥٤٦ ، وكذلك :

Lettere (1), P. 43.

(٦١) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٢٣/٢/١٣ :

Ferrata and Gallo (12), P. 23.

وانظر ايضا الصفحة ٢٤ .

(٦٢) رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٣٢٣/٣/٦ ، المصدر السابق، ص ٣٢ .

(٦٣) رسالة غرامشي الى كارلو بتاريخ ١٩٢٧/٩/١٢ :

Lettere (2), P. 126.

(٦٤) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٣٢/١٠/٣ :

Lettere (1), P. 207.

(٦٥) رأى غرامشي موازاة بين هذا النشاط المحدد لماكيافيلّي ونشاط اليعاقبة الفرنسيين، الذين أسسوا الميليشيا الوطنية التي تضم الفلاحين للدفاع عن فرنسا في مواجهة الغزو العسكري. انظر الصفحات ٥٣٧ ـ ٥٤٦ للاطلاع على آراء غرامشي في ماكيافيلّ.

(٦٦) أنظر : Gramsci, «Totalitarismo,», PP. 194—195.

وكان غرامشي نفسه قد أشار بصورة غير مباشرة الى تأثير جزيرة ساردينيا على طباعه : «لقد جاء في الأدب الايطالي قول بأنه اذا كانت ساردينيا جزيرة فإن كل سارديني هو جزيرة في قلب جزيرة. وإني أتذكر مقالة مضحكة كتبها أحدهم في صحيفة «جورنالي ديتاليا» وحاول في عام ١٩٢٠ ان يفسر اتجاهاتي الفكرية والسياسة من هذه الزاوية. ولكن، ربما لم يكن هناك إلا القليل من الحقيقة في ذلك : »

رسالة غرامشي الى يولكا بتاريخ ١٩٣٧/١/٥ :

Lettere (1), p. 241.

الفصل الثاني

(١) Solomone, *Italian Democracy*, PP. 95-97. Croce, *Storia d'Italia*, PP. 236-42. and King and Okey, PP.371-74.

واستناداً إلى كينغ وأوكي (ص ٣٧١) فإن « التوسع منذ عام ١٩٠٠ كان تقريباً لا مثيل له في تاريخ الأمم » . وقد أظهر مؤلفون كثيرون حماسة مماثلة فيما يتعلق بالتوسع الاقتصادي الايطالي

في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الحالي .

(٢) L'Esposizione internazionale, P.494.

(٣) للاطلاع على مناقشة لآراء القوميين ووصف لمؤتمرهم التأسيسي في فلورنس (٣ - ٥ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٠) انظر كتاب سالومون *Italian Democracy* ص ٨٩ - ٩٤. وانظر أيضاً مناقشة كروتشي البليغة والساخرة للقومية في *Storia d'Italia* ص ٢٩٥ - ٢٦٣ . واستنادا الى فرانز نيومان فان أنريكو كورّاديني، ايديولوجي القومية الايطالية، كان أول من «استخدم القوى المكونة للصراع الطبقي في صياغة الاشتراكية الامبريالية». انظر مؤلف نيومان *Behemoth* ص ١٦٢ .

(٤) كما ورد في كتاب سالومون *Italian Democracy* ص ٤٢ .

(٥) جاء في تصريح جوليتي أمام البرلمان في ١٥ / ١٢ / ١٩١٣ : « لقد بادرت (إلى الحرب الليبية) . . . بعد أن حسبت بدقة الفائدة الكبرى في امتلاك مستعمرة واسعة في البحر الأبيض المتوسط ، من ناحية ، والكارثة التي قد نعرض أنفسنا اليها إن لم نبادر الى الحرب » . كما ورد في المصدر السابق ص ١٠٣ .

(٦) Rodolfo Morandi, P.179

(٧) من أجل ايجاز جيد للثقافة الايطالية بين عامي ١٨٧١ و١٩٥١ انظر مؤلف كروتشي ***Storia d'Italia*** الفصول ٥ و٦ و١٠ . وهناك مرشد ممتاز الى التطورات الأدبية ، بما فيها كتابة التاريخ والثقافة عموماً ، موجود في مؤلف فيتوريو روسي ، المجلد الثالث ، ص ٢١٨ - ٣٣٩ . ومن أجل مناقشة قصيرة من وجهة نظر ماركسية للأدب الايطالي في هذه الحقبة انظر :
Salinari, ***Storia popolare***, III, 217-85.

(٨) كما ورد في : Spriano, ***Torino Operaia,*** P. 32.

(٩) Garosci, Totalitarismo, P.196.

(١٠) **Engels, III**, 28-32.

(١١) Garosci, Totalitarismo, P.196

(١٢) Togliatti, *Gramsci* (1955), P.73.

(١٣) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P. 60.

(١٤) Norberto Bobbio, Preface to Mautino, P.X.

(١٥) انظر Ferrara and Ferrara, P.73.
و **Garosci,« Totalirarismo», P. 195.**
و **Gioele Solari, «Aldo Moutino nella Tradizione Culturale Torinese da Gobetti alla resisten-za», in Mautino, P. 53.**

(١٦) *Gramsci* (1955), P.77.

(١٧) كانت الليرة الايطالية تساوي ١٩,٦ سنتاً أميركياً في عام ١٩١١ . وللمقارنة ، فإن عامل سيارات في تورينو كان يتقاضى بين ٣٠ و٧٠ سنتيما في الساعة حسب خبرته ومؤهلاته . انظر : **Mantagnana** ص ١٣ .

(١٨) **Zucaro «Gramsci all'Universita», P.1092-93.**
وجاء في كتاب Ferrara and Ferrara (ص ٩) ان ترتيب غرامشي في الامتحان كان السابع . أما

Bellini and Galli ، ص ٢٢ ، فقد وضعاه في المرتبة السادسة . وعلى العموم ، فإن زوكارو يقدم الوثيقة الوحيدة ، وهي نتائج الامتحان كما نشرت في صحيفة « غـازيتا دل بـوبولـو » يوم ٢٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١١ .

(١٩) سيرة غرامشي الجامعية ونتائج امتحاناته وردت في Russo ص ٢٣٨ . ومن العجيب ان غرامشي نجح في الامتحانات . ففي نهاية السنة الأخيرة في المدرسة الثانوية كان غـرامشي ـ كما رأينـا ـ مصاباً بسوء تغذية حاد ، ولم يستطع أن يكرس غير شهر واحد للاستعداد للامتحانات . وكتب يقـول : « لست أعرف كيف استـطعت النجاح في الامتحـانات ، فقـد أغمي عـليّ مـرتـين أو ثلاثاً » : رسالة غرامشي الى كارلو بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٢٧ : .(2) *Lettere*

(٢٠) انظر Platone, «Opere **di Gramsci**»

(٢١) رسالة غرامشي إلى تاتيانا بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٢٧ :

Lettère (1), P. 27.

(٢٢) De felice, PP. 219-21.

(٢٣) Togliatti, *Gramsci* (1955), P.27.

(٢٤) Ferrara and Ferrara, PP. 34-35.

(٢٥) رسالة غرامشي الى يولكا بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٣٧ :

Lettere (1), P. 241

(٢٦) Gramsci, *Il Materialismo Storico* (3), P. 199.

ومع ذلك ، فإن البروفسور غارين أبرز الأهمية الأكبر عند غرامشي ، حتى في تلك السنوات، لشخصيات مثل دي سانكتيس ولا بريولا وريناتو سيرا . انظر مقالة غارين :

Gramsci nella cultura italiana , in *studi Gramsciani,* PP.398-99.

وانظر أيضاً مساهمة غرامشي المحركة للمشاعر في ذكرى سيرا :

La luce che si è spenta (20.xi.1915) in *Scritti giovanili,* PP. 10-12.

(٢٧) Gramsci (5.xi.1920). *L'Oerdine nouvo* (10), PP. 362—63

(٢٨) Lombardo Radice and Carbone, p. 25.

(٢٩) رسالة غرامشي الى غراتزييتا [١٩١٦] : Ferrata and Gallo (12), p. 19.

قبل بضع سنوات من نشر الرسالة كاملة كان تولياتي قد استشهد بهذه الفقرة :

Togliatti, *Gramsci* (1955), p. 81.

(٣٠) انظر التقرير حول المجلس الاداري لمدرسة المحافظة كما أورده زوكارو في كتـابه « غـرامشي في الجامعة » ، ص ١١٠٠ . ولاحظ التقرير سوء الحالة الصحية لغـرامشي ولكن قطع عنـه راتبه حتى انتهاء الامتحانات في آذار ـ نيسان (مارس ـ ابريل) ١٩١٤ .

(٣١) وردت تواريخ ودرجات هذه الامتحانات في كتاب روسو ، ص ٢٣٨ . وفي مقـال أحدث لـه يضيف زوكارو أن غرامشي أدى امتحانه الأخير ، في الأدب الايطالي ، يوم ١٢ نيسان (ابريل) ١٩١٥ :

«Gramsci all'Universita», P.1110).

(٣٢) Zucaro, Review of Lombardo Radice and Carbone, P.702.

(٣٣) كما ورد في : Zucaro, «Gramsci all'Universita», P.1109.

(٣٤) Zucaro, Review of Lombardo Radice and Carbone P.1109.

(٣٥) Levi, PP.1039-50

(٣٦) Prato, P.5.

ومنذ عام ١٨٩٨ كان هناك بعض الادراك لهذه المشكلة لدى اشتراكيّي تورينو . انظر :
Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P.77.

(٣٧) Prato, PP. 8.166.

(٣٨) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٤٠) Levi, P.1041.

(٤١) المصدر السابق ، وانظر أيضاً Prato, PP.59,108.

(٤٢) Gobetti, P.111.

(٤٣) Garosci, «Totalitarismo»', P.197.

الحزبان الراديكالي والجمهوري ـ وهما « الحزبان المتقدمان » للبورجوازية الصغيرة كما يسميهما سبريانو ـ لم يكن لهما « قاعدة انتخابية ولا تنظيم فعال ولا أي نفوذ على الشعب » في تورينو . انظر مؤلف سبريانو *Socialismo e classe operaia,* ص ٤٣ . وفي الانتخابات الادارية للمحافظات في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٤ كانت الاحزاب « الملكية » قد حصلت على ٤٨٥٧٩ صوتاً وحصل الحزب الاشتراكي الايطالي على ١٤ ٥١١ ، ولم يحصل الراديكاليون إلا على ٣٠٠٥ أصوات (المصدر نفسه ،ص ١٣٩) .وكذلك يشير اتزيو آفيغدور الى الانقسام الحاد بين الطبقة العاملة وبورجوازية تورينو . انظر :
«Il Movimento operaio torinese durante la prima guerra mondiale», in La *Citta futura* P. 88, n.16.

(٤٤) Garosci, «Totalitarismo» P. 197.

(٤٥) من أجل مسح معلوماتي عن الطبقة العاملة الايطالية ومؤسساتها الاقتصادية في ذلك الوقت ، انظر : Procacci, «La Classe operaia», PP. 3—76.

(٤٦) ٦٣,٢ ٪ في انكلترا ، ٤٦ ٪ في بلجيكا ، ٤٣,٦٪ في المانيا . المصدر السابق ، ص ٣ ، رقم ٢ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٥ ـ ٦ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٤٩) هكذا بدا الأمر لصموئيل غومبيرز الذي استشهد به بروكاتشي بهذا الشأن (المصدر السابق ، ص ٣٥) .

(٥٠) المصدر السابق ، ص ٢٦ و٦٤ . كانت ١٧ نقابة من أصل النقابات العشرين الموجودة في عام ١٩٠٤ قد أسست بعد بداية القرن .

(٥١) في عام ١٨٩١ تلقت غرفة عمل تورينو ٥٠٠٠ ليرة ايطالية من حكومة المدينة (البلدية) .
Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P.41.

(٥٢) المصدر السابق .

(٥٣) Procacci, «La Classe operaia», P.56.

(٥٤) Rigola, PP. 224-25.

(٥٥) Procacci, «La Classe Operaia», PP.61-62.

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٥٧) Condeloro, *Il Movimento Sindacale*, P.58.

(٥٨) Procacci, «La Classe operaia», PP. 70—73.

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٦٠) Spriano, *Soicialismo e classe operaia,* P.34.

(٦١) المصدر السابق (ص ١٩) يدرج الشركات التالية : « آنسالدي » (وسعت عام ١٨٩٥) وهي تصنع قطع الآلات والماكينات الزراعية والمدفعية ، وتوظف حوالي ٤٠٠ شخص . و« فيرييري بييمونتيزي » (١٨٩٩) وهي تصنع تجهيزات السكك الحديدية . و« سافيليانو » (١٨٩٩) وهي تصنع المحركات والتجهيزات الكهربائية . و« فيات » (١٨٩٩) وهي تصنع السيارات ولم تكن توظف إلا ٩٠ شخصاً في تلك السنة . و« الأخوة تيديسكي » (١٨٨٨) وهي تصنع الكابلات الكهربائية ،وكانت، توظف ٢٥٠ شخصاً في عام ١٨٩٨ .

(٦٢) كما ورد في المصدر السابق ، ص ٣٩ . وتاريخ هذه الصحيفة هو ١٤ آب (أغسطس) ١٨٩٢ ، ولكن الوضع - كما سنرى - كان مختلفاً بصورة واضحة في عام ١٩٠٠ . وقبل انتهاء القرن الماضي ، لم يكن قد قام باضرابات حقيقية في تورينو غير عمال الطباعة وعمال البناء (في عامي ١٨٧٢ و١٨٨٦) .

(٦٣) Procacci, «La Classe operaia », P.56-57.

في عام ١٩٠٢ كان عدد أعضاء غرفة ميلانو يصل الى ١٩٢ ٤٣ . وفي عام ١٩٠٤ كانت غرفة نابولي تضم ٧٢٧ ١٢ عضواً ، وكانت غرفة روما تضم ١٠٨٣٤ عضواً . ولم يكن في غرفة تورينو عام ١٩٠٢ أكثر من ٨٠٨٣ عضواً . ويؤكد سبريانو ، نقلاً عن مصادر متعددة ، أن غرفة جنوة كانت في عام ١٩٠٢ تضم ٢٨٠٠٠ عضو .

(٦٤) Spriano, *Socialismo e classe operaia*, P.197.

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٦٦) المصدر السابق ، ص ٥٤ ، رقم ٦ .

(٦٧) المصدر السابق ، ص ٣٦ . وقد أسست « الجمعية العامة للعمال » أول تعاونية لها للبيع بالتجزئة في عام ١٨٥٤ .

(٦٨) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص ٧٥ . وفي هذا الوقت أرسلت تورينو أول نائبين لها الى البرلمان ، وهما : كويرينو نوفري وأودينو مورغاري .

(٧٠) Michels, P.74.
في عام ١٩٠٤ كان في الاقليم أعضاء اشتراكيون أكثر من أي اقليم آخر .
(٧١) Procacci, « La classe operaia »P.68.
(٧٢) كما ورد في : Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P. 253.
(٧٣) المصدر السابق ، ص ١٠٥ .
(٧٤) Tasca, «La Storia e la prestoria» in «I primi dieci Anni», P.3.
وهذا المؤلف سيشار اليه فيما بعد بكلمة «La Storia»
(٧٥) Garosci, «Totalitarismo», P.198.
(٧٦) كما ورد في : Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P.196.
(٧٧) Prato, P.63.
(٧٨) Rodolfo Morandi, PP. 210-11
(٧٩) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* PP. 154-155
(٨٠) Prato, PP. 63-64.
ويضيف سبريانو أنه في عام ١٩٠٧ كان مجموع الاستثمارات في صناعة السيارات يصل الى ٩٠ مليون ليرة ، منها في صناعة تورينو ٣٨ مليوناً .
(Socialismo e classe operaia, P.154).
(٨١) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P. 156.
(٨٢) Terracini, «Gramsci e gli operai» P. 1035.CF. Spriano *Socialismo e classe operaia,* PP. 274, 285 (N.25).
(٨٣) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* PP. 160-61.
(٨٤) استناداً الى بروكاتشي (La Classe operaia», P. 75) فإن المطالبات الأولى بـ « اللجان الداخلية » قدمت في الوقت نفسه تقريباً في ميلانو وتورينو (خلال اضراب عمال الصب في كانون الأول / ديسمبر ١٩٠٠) . ويبدو ان مطالبة تورينو هي الأبكر . وكان عمال مصنع بيريلي في ميلانو اول من حصل عملياً (ربيع ١٩٠٢) على الاعتراف بمثل هذه اللجنة وإن لوقت قصير فقط .
(٨٥) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* PP. 64-69.
(٨٦) المصدر السابق ، ص ١٧١ - ١٧٤ .
(٨٧) المصدر السابق ، ص ١٩١ ، رقم ٥٥ .
(٨٨) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
(٨٩) المصدر السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
(٩٠) المصدر السابق ، ص ٢١٢ .
(٩١) يقدر سبريانو المصدر السابق ، ص ٢٠٩) أن متوسط كلفة السيارة الايطالية كان يصل الى ١٥,٠٠٠ ليرة ، وأنها تتطلب نفقات سنوية تصل الى ١٠,٠٠٠ ليرة ، وهكذا ، فإنه لم يكن في ايطاليا أكثر من ٧٠٠٠ شخص يستطيعون تحمل هذا الترف .
(٩٢) المصدر السابق ، ص ٢١٤ - ٢١٦ .
(٩٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . والأهم في اضافات تورينو الى التنظيم الجديد كان صناعيو

النسيج في بييلا وفال سيسانا وفال ستروما وفالسيسيا ، وصانعو الاسمنت في كازالي .

(٩٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ و٢٥٧ (رقم ٣٥) .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٩٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ، وبراتو ، ص ٧ . وكان هنالك ٩٣٦٤٠ عاملاً صناعياً في تورينو في هذا الوقت حسب « النشرة الاحصائية الايطالية السنوية » (١٩١٢) ص ١١٢ .

(٩٨) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* PP. 209,272.

(٩٩) Prato, PP. 72-74.

وينتهي براتو في تحليله للأجور في الصناعات الرئيسية في تورينو الى أن عمال المعادن يشكلون « فئة مميزة » .

(١٠٠) ان الرواية المعتادة للاضرابين هي طبعاً تلك التي رواها سبريانو في مؤلفة « الاشتراكية والطبقة العاملة » (ص ٢٧٠ ـ ٣٠٥) .وقد استذكر ماريو مونتانيانا بحيوية هذين الاضرابين في مذكراته (ص ١١ ـ ١٣) ، كما شدد تاسكا على أهميتها في«La Storia» ص ٣، وليونيتي في «*Mouvements ouvriers et socialistes*» ص ١١٣ و١١٦ .

(١٠١) في تورينو كان هنالك ١٦,٨٠٠ عامل يعملون في الصناعات المعدنية والميكانيكية غير المرتبطة مباشرة بصناعة السيارات . وكانت مصانع « المركبات » توظف ١٤٦٠٧ عمال منهم حوالي ٦٥٠٠ يعملون مباشرة في انتاج السيارات والشاحنات والاوتوبيسات في مصانع السيارات الكبرى . انظر :

Spriano, *Socialismo e classe opraia,* P. 268.

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٠٣) من خطاب ألقي في ٣ شباط ١٩١٢ ، كما ورد في المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(١٠٤) *L'Ordine nuovo* (10), P. 179.

Spriano; *Torino Operaia,* P.34.

(١٠٥) Spriano, *Socialismo e classe operaia,* P. 299.

(١٠٦) المصدر اسابق، ص ٣٠٠.

(١٠٧) Gramsci, «Il Movimento torinese», in *L'Ordine nuovo* (10), p. 1798.

(١٠٨) حول نشاطات «راكبو الدراجات الحمر» من الشباب، أنظر:

Spriano, *Torino operaia,* P. 34.

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ٤٧ .وتاسكا«La Storia»، ص ٣ .

(١١٠) Montangana, P.24.

(١١١) Togliatti, as quoted in Lombardo Radice and Carbome, P.25.

(١١٢) في عام ١٩٣١ ، قال غرامشي : « لقد ساهمنا ، كلياً أو جزئياً ، في حركة الاصلاح الثقافي والأخلاقي التي أطلقها في ايطاليا بينيديتو كروتشي » : رسالة غرامشي إلى تاتيانا بتاريخ ١٧ / ١٩٣١/٨ *Lettere* (1) ص ١٣٢ . وكان توليياتي كذلك قد أعلن أنه مدين للمثالية : « لقد وصلنا

إلى كارل ماركس عبر الطريق نفسها ، وهي التي تبدأ بفلسفة هيغل » . كما ورد في : Gasosci, «Totalitarismo», P.198.

(١١٣) Tasča, «La Storia», P.3.

في تورينو ، انتخب الاشتراكيون ثلاثة من كل خمسة نواب وحصلوا على ٤٤ بالمئة من الأصوات . واستناداً الى ما ذكره غرامشي فيما بعد فإن الفلاحين السارديننيين كانت لديهم في عام ١٩١٣ « قناعات خيالية بأن كل شيء سيتغير بعد التصويت » .

Risorgimento (5) , P. 113, n. 1.

(١١٤) Tasca, «La Storia», P.3.

في تلك السنوات المبكرة ، واستناداً إلى لومباردو راديشي وكاربوني (ص ٢٩) ، فإن غرامشي أيضاً ساهم في تنظيم مؤسسات الانعاش لعمال تورينو ، وخصوصاً تدابير العناية بالأمومة والطفولة ومساعدة العجزة والمسنين . ويبدو أن هذا الحكم ، على العموم ، يستند الى اعتقاد خاطىء بأن غرامشي كتب سلسلة من المقالات الموقعة « أ.غ» حول هذه الموضوعات لصحيفة « إل غريدو ديل بوبولو » . وتواريخ هذه المقالات وردت كلها في مؤلف Ottino ص ١٦ ، رقم ٩ . وأخيراً ، أوضح زوكارو ان المقالات كان قد كتبها أدولفو جوستي (الكنية تبدأ أيضاً بحرف G) الذي كان يومها سكرتير « الجمعية العامة للعمال » :

(«Gramsci all'Università», PP. 1096-98)

(١١٥) . Gramsci, *Scritti giovanili,* PP. 21-22.

ويلاحظ ناشرو غرامشي ان « المسؤول » الذي أشار اليه هو ج.م. سيراتي ، ولكن آلدو رومانو يؤكد أنه كان موسوليني ! . . انظر مؤلفه :

«Gramsci tra la guerra» P. 413.

(١١٦) كان غرامشي أول من روى هذه الحادثة في :

«Alcuni temi», (35), pp. 12—13

وعلى العموم ، فقد جرى تصحيح بعض تفاصيل هذه الرواية ، أنظر :

Salvemini, *Questione meridionale,* pp. xxiii-xxvi.

و Zucaro, «Gramsci all'Università», pp. 1103-4.

و Tasca, «La Storia», p. 3.

و Spriano, Torino operaia, PP. PP.58-60

وهذا التصحيح مبني على رسالة من أوتافيو باستوري مؤرخة في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٥٨ . ويقول تاسكا أنه فكر ، هو وباستوري ، في الأساس بمنح الترشيح لسالفيميني ، رغم أنه يعترف ضمناً بأن غرامشي كان أول من شدد على أهمية المسألة بالنسبة للحزب .

الفصل الثالث :

(١) Malatesta, P.20

إن مـا كتبه مالاتيشا وأمبروزولي (لا الدعم ولا التخـريب) يشكل المؤلفـات المعتـادة حـول الاشتـراكية الايـطالية خـلال الحرب . وهنـاك حوادث مثيـرة للاهتمـام في مؤلف مونتـانيـانـا وجيرمانيتو .

(٢) Malatesta, P.19.

(٣) Lenin, *Movimento italiano,* P.88.

وانظر أيضاً : Aldo Romano, PP.436-37.

الذي يقول : « بين الأحزاب الاشتراكية في أوروبا كان الحزب الاشتراكي الايطالي هو الحزب الذي أظهر السلوك الأكثر منطقية وتماسكاً ضمن حدود الامكانات التي كانت توفرها الأوضاع الخطرة » . وكان بوخارين قد أشار الى الحزب الاشتراكي الايـطالي باعتبـاره « أحد الاحـزاب الاشتراكية النادرة التي بقيت على ولائها للأممية وسط جنون الحرب ، وكان حزباً صحيحاً وسالماً في التزامه بالتقليد الناشط لشيوعية ماركس وأنجلـز » . كما ورد مقتطفاً من رسالته الى المؤتمـر السادس عشر للحزب الاشتراكي الايطالي في :

Il Partito Socialista, P.54.

(٤) Ambrosoli, *Nè aderire nè sabotare* , P. 64.

(٥) Spriano, *Torino Operaia,* P.92.

(٦) المصدر السابق ، ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٧) Montagnana, P.51.

(٨) المصدر السابق ، ص ٥١ ـ ٥٢ . ونص تصريح ادارة الحزب ورد في :

Ambrosoli, *Nè aderire,* PP. 340-41.

(٩) Malatesta, PP. 32-36.

(١٠) كما ورد في مؤلف : Aldo Romano, PP. 418-19.

(١١) *Scritti giovanili,* (9) PP. 3—7.

ومن أجل مناقشة للجدل ، انظر :

Spriano, *Torino operaia,* PP. 84—91.

(١٢) «Neutralità», *Scritti giovanili,* (9) P. 4, and La Commemorazione di Missl Clavell (17.i.1916)
ibid, PP.17-19.

(١٣) *Scritti giovanili* (9) P. 6.

(١٤) Ferrara and Ferrara, P.36.

(١٥) Tasca, «La Storia», P. 4.

و Bellini and Galli, 26.

وكما ذكر آلدو رومانو (ص ٤٢٤) فان النظرية القائلة بأن الحرب العالميـة الأولى كانت حـرباً

امبريالية ، لم تكن مقتصرة على لينين وحده بالرغم من أنه أعطى الفكرة قاعدة قوية في النظرية الاقتصادية . وحتى فكرة تحويل الحرب الى حرب أهلية كان قد قال بها اشتراكيون عديدون قبل عام ١٩١٤ . ففي عام ١٩٠٥ كان خواريس قد دعا الى الانتفاضة في حال نشوب الحرب (انظر Joll ، ص ١٣٥) كما فعل الاتحاد النقابي الايطالي في صيف عام ١٩١٤ .

(١٦) المجموعة الكاملة لنقد غرامشي المسرحي جمعت وأعيد نشرها في ملحق :

Letteratura e vita nazionale (7).

وقد قال الناقد المسرحي الاميركي ايريك بنتلي ان مقالات غرامشي في النقد المسرحي تتضمن « أدق النقد المسرحي الذي عرفته في ايطاليا » :

«Italian Theater» , P.19.

أما الأخبار المحلية التي كتبها غرامشي بين عامي ١٩١٦ و١٩١٨ فقد ظهرت في :

Sotto il Mole (11)

(١٧) من أجل وصف بارع لأحداث تورينو في أواخر ١٩١٦ انظر :

Spriano, *Torino operaia,* pp. 116 - 36.

(١٨) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(١٩) CF. Gramsci, « I Ricordi delle storie e le vicende delle cotoniere » (9. xii. 1916), *Scritti giovanili* (9) , pp. 48 - 53.

(٢٠) كما ورد في : Spriano, *Torino operaia,* 124.

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٢٧ . ويصف سبريانو المساهمة المدنية في أعباء الحرب كانت « تافهة » ، وفي آذار (مارس) لم تكن تورينو قد جمعت أكثر من ١,٧ مليون ليرة ايطالية مقابل ١٠ ملايين ليرة جمعتها ميلانو .

(٢٢) كما ورد في : Ambrosoli, *Nè aderire,* P.102.

(٢٣) أحد المؤلفات الهامة حول زيمر والد هو مؤلف :

Alfred Rosmer, *De l'Union Sacrée* , PP. 368-419, 554-57.

وقد نشر البيان والوثائق الاخرى المتعلقة بالمؤتمر في كتاب روزمر (ص ٣٧٤ - ٨٣ و٥٥٤ - ٥٧) وفي :

Ambrosoli, *Nè aderire,* PP. 370-83.

(٢٤) Malatesta, PP. 86-87.

وكان مالاتيستا في تلك الأيام مخبراً في صحيفة « آفانتي » .

(٢٥) Spriano, *Torino Operaia,* p. 129

(٢٦) Montagnana, p. 55.

(٢٧) «Dopo il Congresso socialista spagnuolo» (13.xi.1915), *Scritti giovanili* (9), p. 7

(٢٨) حول مؤتمر كينيثال وخلفيته أنظر :

Rosmer, *De Zimmerwald* , pp. 70—79.

وأيضاً : Ambrosoli, *Nè aderire,* pp. 124—39, 384—94.

(٢٩) «La Matrice» (23.vi.1916), *Sotto la Mole* (11), p. 181.

(٣٠) « Il Compagno G. M. Serrati e le generazioni del socialismo italiano, » Ferrata and Gallo (12), p. 770.

(٣١) كما ورد في: Spriano, *Torino operaia,* p. 164.

(٣٢) المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٣٣) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٣١/٩/٧:

Lettere (1), 137.

(٣٤) *Scritti giovanili* (9), pp. 22—26.

(٣٥) يبدو من الأهم التشديد على معالجة غرامشي الديالكتيكية للنظرية والممارسة من التشديد على ما يسمى بـ « عماليته »، او تملقه للعمال، كما تشير النقاط التالية في النص. أنظر:

Paris, «Una Revisione», pp. 165—166.

(٣٦) *Scritti giovanili* (9), p. 24.

(٣٧) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣٨) «L'Università popolare» (29.xii.1961), *Scritti giovanili* (9), pp. 61—64.

(٣٩) «Uomini o macchine?» (24.xii.1916), *Scritti giovanili* (9), pp. 57—59.

(٤٠) «I Ricordi delle storie e le vicende delle cotoniere,» *Scritti giovanili* (9), pp. 48—49.

وهناك فقرات عديدة في هذه المقالة تستدعي الى الذاكرة فيلم ماريو مونيشيلي الأخير «الرفاق» الذي يعالج في الواقع أول إضراب لعمال النسيج في تورينو وإن لم يكن على أساس تاريخي دقيق.

(٤١) «Carlo Pégny ed Ernesto Psichari» (6.v.1916), *Scritti giovanili* (9), pp. 33—34.

(٤٢) «Il Mezzogiorno e la guerra» (1.iv.1916), *Scritti Giovanili* (9), pp. 30—32.

وكان لابريولا، الذي ولد في نابولي عام ١٨٧٥، نقابياً ثورياً وقف الى جانب التدخل في الحرب. واختاره جوليتي وزيراً للعمل في حكومته الأخيرة عام ١٩٢٠ - ١٩٢١، حيث لعب لابريولا دوراً هاماً في المفاوضات المتعلقة باحتلال المصانع.

(٤٣) *La Città futura* (22), p. 4.

(٤٤) *Scritti giovanili* (9), pp. 73—78

(٤٥) ويسلم تولياتي في كتابه «غرامشي» (١٩٥٥) ص ٧٧، بأن في «المدينة المستقبلية» «عناصر ما زالت ظاهرة من الديالكتيك المثالي».

(٤٦) *Scritti giovanili* (9), pp. 78—80.

(٤٧) «Disciplina e libertà», *Scritti giovanili* (9), p. 82

(٤٨) «Margini, 6», *Scritti giovanili* (9), pp. 84—85.

(٤٩) المصدر السابق، ص ٨٥.

(٥٠) *La Città futura* (22), p.4.

في عام ١٩٣٣ « وصف غرامشي موقفه تجاه كروتشي خلال مرحلة «المدينة المستقبلية» بقوله: «في شباط (فبراير) ١٩١٧، وفي ملاحظة سريعة سبقت اعادة نشر مقال كروتشي «الدين»...

كتبت انه كما كانت الهيغلية مقدمة [للماركسية] في القرن التاسع عشر. . . كذلك فإن فلسفة كروتشي يمكنها ان تكون مقدمة لتجديد [الماركسية] في يومنا هذا». طبعاً، يبدو ان ذاكرة غرامشي خذلته في هذه النقطة، لأن الاشارة الوحيدة الى كروتشي في مقدمة مقال غرامشي «المدينة المستقبلية» هي تلك المستشهد بها في هذا النص. وعلى العموم، فإن ملاحظة عام ١٩٣٣ تساعدنا في فهم السبب الذي دعا غرامشي الى اعادة نشر مقالة كروتشي. وكان لفيليشي بلاتوني حكمه التالي على «المدينة المستقبلية»: «من المثير للاهتمام ملاحظة عدم ظهور تأثير الثقافة المثالية في [نظرية المعرفة. . الخ]، بل في الاعجاب وفي القبول بمطالبتها بالجدية وبالانسجام في الفكر والطبائع، وفي رفضها لارتجال وتفاهات ما يسمى بالفكر الايجابوي. لم يكن هناك تأثير للثقافة المثالية في الحكم على حقائق التاريخ»:

Platone, «*L'Ordine nuovo*», p.36.

(٥١) «Il Movimento operaio torinese», *L'Ordine nuovo* (10), p. 179.

(٥٢) هذا التعبير استخدم أولاً للاشارة الى إضراب عمال الغاز في تورينو عام ١٩٠٢، انظر:

Spriano, *Socialismo e classe operaia* , p. 109.

(٥٣) Monticone, «Il Socialismo torinese»; «Il Movimento operaio», in *La Città futura* (Milan, 1959), pp. 41—90; Spriano, *Torino operaia,* pp. 170—269; Zucaro, «La Rivolta di Torino», Ambrosoli, *Nè aderir e,* pp. 196—237.

وهناك روايات أخرى ذات قيمة يمكن العثور عليها في:

Montagnana, pp. 68—74; Germanetto, pp. 122—27; Kirova; Castagno, *Bruno Buozzi,* pp. 33 36; and «Cronaca dei fatti di agosts'».

وفي مقالته، نشر زوكارو للمرة الأولى «الحكم» الصادر عن المحكمة العسكرية الاقليمية، والذي يحتوي رواية مفصلة لكل الأحداث، منذ أيار (مايو) ١٩١٥ وما بعد، التي ساهمت ـ في رأي المحكمة ـ في الانتفاضة. ونظراً لأن الرقابة منعت الصحف من نشر أخبار معظم هذه الأحداث، ونظراً لأن الوقائع «تأكدت بالتدقيق اللازم لمختلف المصادر من قبل القضاة أنفسهم»، فان زوكارو («La Rivolta» ص ٤٣٩) يعتبر هذه الوثيقة المصدر الأساسي عن انتفاضة آب (أغسطس). ولكن أمبروزولي لا يبدي مثل هذه الثقة و يبرز (*Nè Aderire*، ص ٢٠٠، رقم ٧) أن تقارير الشرطة تميل الى التشويه، وأن «الحقيقة التاريخية ليست دوماً مماثلة للحقيقة القانونية». وكان مونتيكوني أول من استخدم المادة الموجودة في محفوظات وزارة الداخلية، والموجودة الآن في الأرشيف المركزي في روما. وكان مونتيكوني قد بنى رواية جيدة عن انتفاضة آب (أغسطس). وعلى العموم، وكما يقول زوكارو («La Rivolta» ص ٤٣٩) فإن مونتيكوني لم يضع أحداث آب (أغسطس) في إطار مجمل تاريخ الحركة العمالية التورينية، ولو فعل لكان من غير المرجح أن يحكم على عمال تورينو بأنهم كانوا «مهتاجين بشكل غير عادي بدافع من الأقلية المتطرفة والثورية»، نظراً لأن سبريانو وآخرين أظهروا أن الحركة العمالية التورينية ككل كانت قد أصبحت «متطرفة» قبل انتفاضة آب (أغسطس) بوقت طويل. ومن ناحية أخرى، فإن زوكارو يذهب بعيداً جداً (ص ٤٤٠) عندما يقول بأن «بروليتاريا تورينو هي التي أخرجت الاشتراكية الايطالية من محدوديتها الوطنية ودفعتها الى مستوى أوروبي جديد للمرة الأولى». وقد اتخذت أكثرية واسعة من

الحزب الاشتراكي الايطالي موقفاً «أوروبياً» من الحرب.

(٥٤) Zucaro, «La Rivolta», p. 445.

(٥٥) منشور موجود في الأرشيف المركزي للدولة، مؤرخ في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦، كما ذكر سبريانو:

Spriano, ***Torino operaia***, p. 172

وهناك إشارة الى بيان مماثل عند زوكارو:

Zucaro, «La Rivolta», pp. 334—46.

(٥٦) Zucaro, «La Rivolta», p. 446.

(٥٧) Spriano, ***Torino operaia,*** p. 175

(٥٨) Zucaro, « La Rivolta,» p. 447.

(٥٩) Spriano, ***Torino operaia***, PP. 178 - 79.

ومن الواضح ان معلومات المدير كانت مبنية على رسالة سرية استلمها من السيناتور فراسّاتي، رئيس تحرير صحيفة «لا ستامبا».

(٦٠) المصدر السابق، ص ١٨٨ - ١٩١. وعلى سبيل المثال، فان فوسّاتي يقول بأنه في سنوات الحرب «انحدرت القوة الشرائية للأجور الحقيقية الى مستويات هي أقل من ربع الأجور الحقيقية في عام ١٩١٣».

(٦١) Prato, P. 117.

ويؤكد براتو (ص ٩٤) بأن الأجور كانت تلهث وراء الأسعار في تورينو، إلا بالنسبة لعمال المعادن، الذين كانوا يتقاضون مكافآت عالية للعمل بالقطعة وللساعات الأضافية.

(٦٢) كما ورد في: Spriano, ***Torino operaia,*** p. 196.

(٦٣) «Bolscevismo intellettuale.» (16. v. 1918), ***Scritti giovanili*** (9), p. 227.

(٦٤) «Note sulla rivoluzione russa» (29. iv. 1917) ***Scritti giovanili*** (9), p. 105.

(٦٥) Spriano, ***Torino operaia***, p. 211; Zucaro, «La Rivolta,» pp. 448 - 49.

وقد أشير بالاسم الى الثورة الروسية في «الحكم» للمرة الأولى بالعلاقة مع هذه الحادثة.

(٦٦) كما ورد في: Spriano, ***Torino operaia,*** p. 218.

(٦٧) Zucaro, «La **Rivolta**,» p. 451.

Spriano, ***Torino operaia,*** P. 215

(٦٩) المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٧٠) المصدر السابق، ص ٢٢٠ - ٢٢٢. ونص «بيان الجناح المتصلب الثوري» موجود في:
Ambrosoli, ***Nè aderire,*** pp. 357 - 59.

(٧١) كما ورد في: Spriano, ***Torino operaia***, p. 219.

(٧٢) المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٧٣) Ambrosoli, ***Nè aderire,*** p. 221.

(٧٤) يمكن العثور على روايات عن هذه الحادثة في الأعمال التالية :

Zucaro, « La Rivolta, » pp. 454 - 57; Spriano, *Torino operaia,* pp. 225 - 28; Ambrosoli, *Nè aderire*, pp. 223 - 27; Montagnana, p. 65; Kirova, pp. 79 - 80 ; Monticone, pp. - 70 - 75.

(٧٥) Kirova, P. 79

وقدرت صحيفة « آفانتي » في عددها الصادر في ١٤/٨/١٩١٧ العدد بما يتراوح بين ٣٠ و٤٠ ألفاً . واستناداً الى مونتانيانا (ص ٦٥) وسبريانو (ص ٢٢٧) فان عدد الحشد كان ٤٠ ألفاً . ويقول أمبروزولي (ص ٢٢٥) « ألوف عديدة » ، ولكن « الحكم » الذي نشره زوكارو (ص ٤٥٤) يعطي رقماً هو « سبعة أو ثمانية آلاف » .

(٧٦) « I Massimalisti russi » (28. vii. 1917), *Scritti giovanili* (9), p. 124.

(٧٧) Zucaro, « La Rivolta, » p. 455.

(٧٨) المصدر السابق ، ص ٤٥٦ .

(٧٩) *Torino operaia* , p. 228.

ويشير أمبروزولي الى أنه كان « دليلاً على قوة الحركة العمالية التورينية » ، (ص ٢٢٧) .

(٨٠) Zucaro , «La Rivolta, » p. 457.

(٨١) كما ورد في المصدر السابق ، ص ٤٥٩ .

(٨٢) Moutagnana, p. 69.

(٨٣) من أجل وصف لهذه المتاريس ، انظر :

«Cronaca dei(fatti di agosto) , » p. 660.

(٨٤) انظر : Zucaro , «La Rivolta, » p. 447, n. 16 and Ambrosoli, *Nè aderire,* pp. 205 - 6, n. 18.

من أجل معلومات عن رعاية الحزب الاشتراكي الايطالي بين الجنود أيام الحرب . ولا يبدو انه كان لهذه الدعاية تأثير كبير .

(٨٥) «Cronaca dei fatti di agosto, » p. 661.

(٨٦) *Bruno Buossi,* p. 34.

(٨٧) انظر : « Cronaca dei (Fatti di agosto), » p. 660.

« في عام ١٩٢٠ ، سمعنا من الفوضويين الذين كانوا على علاقة بجماعة « النظام الجديد » ان الجماعة كانت في عام ١٩١٧ ، وفي باريرا دي ميلانو ، تحضر عملياً للانتفاضة . ومن المؤكد ان ثورة شعبية لا تستطيع ان تستمر أياماً كثيرة ، كما كانت الحال في تورينو ، دون خلق مراكز قيادة يمكنها ، في حالة الانتصار ، ان تصبح مراكز للسلطة . والذي يمسك دوماً بأنوية هذه المراكز هم « المستعدون » للقتال . ويجب على الشيوعيين ان يحفظوا هذه الحقيقة في أذهانهم » . ويبدو من المساهمة الرائعة التي قدمها الشيوعيون الى حركة المقاومة في الفترة ١٩٤٣ - ١٩٤٥ أنهم « حفظوا تلك الحقيقة في أذهانهم » !

(٨٨) Montagnana, p. 72.

(٨٩) Castagno, p. 34.

(٩٠) النص في : Zucaro, «La Rivolta, » p. 459.

(٩١) النص في المصدر السابق ، ص ٤٦٠ .

(٩٢) ربما كانت هذه الأرقام مبنية على المقال الذي نشر عام ١٩٢٧ في « الدولة العمالية » *Lo Stato operaia* ص ٦٦٥ ، والذي يقول : « بالاشارة الى القتلى ، فان الرقم الرسمي المعطى هو ٤٢ ، وهو رقم يقل كثيراً عن الرقم الحقيقي . خارج تورينو وفي الجبهة يتكلمون عن آلاف من القتلى . وعلى العموم ، فانه لا يمكن الحصول على الأرقام الدقيقة حتى بالذهاب الى المقبرة . ربما كان هناك حوالي ٥٠٠ قتيل . أما الجرحى فكانوا ـ بلا شك ـ بضعة آلاف » .

(٩٣) Monticone, p. 86, n. 3

(٩٤) Spriano, *Torino operaia* , p. 256.

(٩٥) « الحكم » ورد في كتاب زوكارو « La Rivolta » . والذين حوكموا هم : ج . م . سيرّاتي ، وفرانشيسكو باربيريس ، وبيترو رابيتزانا ، وماريا جوديشي ، وجوزيبي بيانيتزا ، وزافييرو دالبرتو، وفيرجينيو بوتشيونيوني ، وآنسيلمو آكوتيس ، وليوبولدو كافالو ، وإلفيرا زوكي ، وايتوري ايركولي ، ولويجي فاجّانو ، ولويجي كينيولي .

(٩٦) *Torino operaia* , p. 259.

(٩٧) Cf. Ambrosoli, *Nè aderire* , p. 232, n. 21 and p. 236, n. 26

(٩٨) *Torino operaia* , 259.

(٩٩) Lenin, *Movimento operaia* , p. 102.

(١٠٠) « Cronaca dei (Fatti di agosto) » , p. 655.

(١٠١) *Passato e presente* (8) , pp. 45, 50 - 51.

(١٠٢) Monticone, pp. 92 - 94; Spriano. *Torino operaia* , p. 257, and p. 279, nn. 11 - 12.

(١٠٣) Spriano, *Torino operaia* , p. 256.

(١٠٤) Page, pp. 303 - 4, 307 - 8

(١٠٥) Grieco, «Le Ripercussioni, » p. 990.

(١٠٦) Pieri , «La Leggenda di Capretto.»

وللاطلاع على اشارة الى هذه المقالة انظر :

Ambrosoli, *Nè aderire* , pp. 205 - 6, n. 18.

(١٠٧) Gramsci, «Il Grido del popolo » (19. x. 1918), *Scritti Giovanili* (9), p. 325.

(١٠٨) المصدر السابق .

(١٠٩) Spriano, *Torino operaia* , p. 271.

(١١٠) Gramsci, «Il movimento operaio, » *Lórdine nuovo* (10), p. 183; Spriano, *Torino operaia* , pp. 272 - 73.

(١١١) نص البيان موجود في : Ambrosoli, *Nè aderire* , pp. 357 - 59.

(١١٢) Spriano, *Torino operaia* , p. 284.

(١١٣) كما ورد في : Germanetto, p. 135.

(١١٤) نص البيان موجود في : Malatesta, p. 272.

(١١٥) Bellini and Galli, p. 29.

(١١٦) Germanetto, p. 135.
ويوافق آلدو رومانو على أن بورديغا كان خلال الحرب « شخصية بارزة في الاشتراكية الايطالية » (ص ٤٣٣) . وعلى العموم ، يبدو لي ، على أساس الوثائق التي قدمها رومانو ، أنه بالغ في فضائل بورديغا .
والوصف الوارد أعلاه لمؤتمر فلورنس أخذ بشكل رئيسي من كتاب جيرمانيتو ، وهو المصدر التفصيلي الوحيد المعروف لدي لذلك الحدث. ومن الضروري استخدام إما طبعة باريس (١٩٣٠) بالايطالية ، أو الطبعة الانكليزية لعام ١٩٣٥ ، نظراً لأن العديد من ملاحظات جيرمانيتو عن بورديغا قد حذفت في الطبعات التالية . ويروي سبريانو قصة الاجتماع (*Torino operaia* ص ٢٨١ - ٢٨٧) مضيفاً بعض المعلومات الهامة المستندة الى بحثه الأرشيفي .
(١١٧) *Il Materialismo storico* (3) , p. 20
طبعاً ، ربما كان هذا المندوب من القصوويين ، ولكن لم يكن بامكانه أن يكون اصلاحياً ، لأن الاصلاحيين لم يكونوا ممثلين في الاجتماع .
(١١٨) *Passato e presente* (8), p. 59.
(١١٩) انظر :
Arfè, *Storia dell'Avanti* !, pp. 156- 57; Tasca, « La Storia », p. 4.
(١٢٠) Arfè, *Storia dell'Avanti* !, pp. 156 - 157.
(١٢١) Gobetti, p. 117.
(١٢٢) Soava, p. 2.
انظر المذكرات التي نشرها أخيراً ماكس ايستمان : « في عرض التطورات الروسية مع الفهم النظري لها . . . كانت [صحيفة « ذي ليبيريتور »] وحيدة تقريباً في العالم الغربي . وقد أخبرني انطونيو غرامشي فيما بعد ، وكان يومها سكرتيراً للحزب الشيوعي الايطالي ، ان حتى في ايطاليا كان أول القليل الذي وصل عما يجري حقيقة في روسيا قد وصل عبر ترجمة ما ورد في مقالتي عن لينين في « ذي ليبيريتور » . لقد كان الحصار المضروب حول السوفييت بهذا الضيق وهذه الخشونة » . (ايستمان ، ص ١٣٨) . وفي رسالة أرسلت بتاريخ ٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ الى مؤلف هذا الكتاب يقول السيد ايستمان ان « اللقاء مع غرامشي تم خلال المؤتمر الرابع للأممية ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٢ في موسكو . وعندي شعور بأننا التقينا في الشارع خارج المؤتمر وليس في ممر المؤتمر نفسه ، ولكني لست أكيداً تماماً حول هذه المسألة ، اذ كان اللقاء سريعاً والمحادثة قصيرة » .
(١٢٣) Togliatti, «Il Leninismo nel pensiero e nill'azione di Antonio Gramsci (appunti), » in *Studi Gramsciani* , p. 20.
(١٢٤) « Il Nostro Marx » (4 . v. 1918) , *Scritti giovanili* (9) , pp. 153 - 55.
(١٢٥) « La Critica critica » (12. i. 1918), *Scritti giovanili* (9), pp. 153 - 55.
Un anno di storia » (16. iii. 1918), *Scritti giovanili* (9), p. 195.
(١٢٧) « I Massimalisti russi » (28. vii. 1917) , *Scritti giovanili* (9), pp. 122 - 24.

(١٢٨) « La Rivoluzione contro il Capitale » (5. i. 1918), *Scritti giovanili* (9), pp. 149 - 53.

(١٢٩) « L'Opera di Lenin » (14. ix. 1918), *Scritti giovanili* (9), p. 312.

(١٣٠) « Per conoscere la rivoluzione russa » (22. vi. 1918), *Scritti giovanili* (9), pp. 263 - 69.

الفصل الرابع

(١) Tasca, *Nascita*, p. 15.
يقول فيلاري ان « المعرفة بهذه الخسائر خلفت آثاراً عميقة في ايطاليا ، ولكن كان هنالك شعور ايضاً بأن البلدان الحليفة لم تقدر هذا حق قدره » :
(« Italy, » *Encyclopedia Britanica*, 13th ed., Vol. 30, p. 561).

(٢) للاطلاع على أرقام العجز انظر :
Chabod, *Italie contemporaine*, p. 17.
والأرقام الخاصة بتكاليف المعيشة مأخوذة من مؤشر ريكاردو باكي ، كما ورد في : Prato, p. 137, n. 2.

(٣) Bonomi, p. 30.

(٤) كما ورد في : Tasca, *Nascita*, p. 16.

(٥) Nenni. p. 6.

(٦) Tasca, *Nascita*, p. 18.

(٧) Leonetti, *Mouvement ouvriers*, p. 133.

(٨) Arfè. *Storia dell'Avanti !*. p. 158

(٩) اجتماع مديري « الاتحاد العام للعمل » في مدينة بولونيا في نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ يقدم مثالاً جيداً عن سعيهم الى الوصول الى مواقع وسطية المؤسستين الاشتراكيتين الأخريين . وكان « الاتحاد العام للعمل » قد اقترح جمهورية ديموقراطية بلا تحديد ، ولكنه رفض دكتاتورية البروليتاريا . (فيني ، ص ١٤) .

(١٠) Arfè, *Storia dell'Avanti !*, p. 158.

(١١) Gramsci, «Il Partito comunista, II » (9. x. 1921), *L'Ordine nuovo* (10), p. 161.

(١٢) *Il Partito*, II, 49.

(١٣) اللجنة التي تدير « الاتحاد العام للعمل » أبرقت الى اورلاندو في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩١٩ للاحتجاج على الاعتراف بحكومة « الكولشاك » البيضاء . وكتب غرامشي ما لا يقل عن ست مقالات في هذه الفترة تهدف كلها الى اثارة الرأي العام ضد تدخل الحلفاء في روسيا .

(١٤) Tasca, *Nascita*, p. 35, n. 43.
كان لصحيفة « ذي ليبيريتور » ، الأميركية المؤيدة بقوة للبلاشفة ، مراسل في ايطاليا خلال الاضراب العام . وقد دهش المراسل بالحدث الى حد أنه أعلن ان ايطاليا تقف على عتبة

الثورة .

(١٥) Bonomi, p. 34.

(١٦) كما ورد ففي : Tasca, *Nascita,* p. 36, n. 44.

وعاد بيترو نيني بأصول خيبات الأمل الأولى بعد الحرب لدى العمال الأيطاليين الى هذا الاضراب .

(١٧) في تورينو ، كان الانتصار الاشتراكي حتى أكثر ضخامة . فالحزب الاشتراكي الأيطالي انتخب احد عشر عضواً في البرلمان ، وبقية الأحزاب كلها انتخبت سبعة أعضاء .

(١٨) من أجل موجز عن المؤتمر انظر :

Il Partito, III, 45—103.

ويمكن العثور على روايات مختصرة عن المؤتمر في المراجع التالية :

Nenni, pp. 40 - 46; Arfè, *Storia dell'Avanti* !, pp. 162 - 64; Tasca, *Nascita* , pp. 89- 90; and Bellini and Galli. pp. 35- 38.

(١٩) Arfè, *Storia dell'Avanti* !, p. 164.

(٢٠) Spriano, ed., *L'ordine nuovo* , p. 44, n. t.

(٢١) Gramsci, «Due Rivoluaioni » (3. vii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 137.

(٢٢) Gramsci, « I Rivoluaionari e le elezioni » (15. xi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 307.

(٢٣) Gramsci , « I Risultati che attendiamo» (17. vii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 309.

(٢٤) Gramsci (4. x. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 458.

(٢٥) Gramsci, « Salveminiana » (June 28 - July 5, 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 285.

(٢٦) ان حكمه على الاضراب العام في تموز (يوليو) ، مثلاً ، كان أكثر تفاؤلاً بكثير . انظر :

« Italiani e cinesi » (18. vii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 262.

(٢٧) الشيوعية كقوة « وطنية » كان أحد الموضوعات المفضلة عند غرامشي . وتظهر صيغ مختلفة لهذه الفكرة في العديد من مقالاته المكتوبة في عام **١٩١٩** بما فيها :

« Cronache dell'Ordine Nuovo. VII » (9. vii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 450; « L'unità nazionale » (4. x. 1919), *ibid* , p. 278; « Industrilali , operai, produzione » (21. xi. 1919), *ibid* , p. 50.

(٢٨) Gramsci, « Nel Paese di Pulcinella » (2. x. 1920) . *L'Ordine nuovo* (10), p. 415.

(٢٩) Tasca, *Nascita* , p. 87.

(٣٠) Gramsci, « Cos'è la reazione ? » (24. xi. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 365 - 66.

(٣١) Nenni, p. 22, n. 1.

في هذا الهامش ينتقد أيضاً برنامج « النظام الجديد » . ولا بد من أن نذكر ان قائد المستقبل للحزب الاشتراكي الأيطالي كان عدواً سياسياً مرّاً لغرامشي في السنوات الأخيرة من فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى .

(٣٢) « 20 - 21 luglio » (19. vii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 267.

(٣٣) «Il Programma del 'Ordine nuovo, I » (14. viii. 1920), *l'Ordine nuovo* (10), p. 146.

(٣٤) انظر كمثال : Ferrara and ferrara, p. 44.

(٣٥) Soave, « Appunti sulle origine teoriche e pratiche del consiglio di fabbrica a Torino ».

(٣٦) من : « Evoluzione della Trade Unions inglesi, » *Il Grido) del popolo* (27. iv. 1918)

كما ورد في : Soave, pp. 3 - 4.

(٣٧) « Nella Organizzaione sindacale tedesca, » *Il Grido del popolo* (27. iv . 1918).

كما ورد في : Soave, pp. 3- 4.

(٣٨) Cole and Postgate, p. 519.

(٣٩) Soave, P. 5

(٤٠) Richard Muller, « Comment naquirent les conseils Rèvolutionnaires d'Usine, » *Spartacus* (1. vii. 1921),

كما ورد في : Soave, pp. 5- 6.

(١٤١) Gramsci, « Il Patto d'alleanza » (12. x. 1918), *Scritti giovanili* (9), pp. 321 - 22.

(٤٢) « Il dovere di essere forti » (25. xi. 1918), *Scritti giovanili* (9), pp. 337- 40.

وانظر أيضاً Soave ، ص ٧ ، الذي ربما قرأ الكثير جداً من آراء غرامشي المستقبلية في هذه المقالة .

(٤٣) انظر رسالة بويرو الى صحيفة « آفانتي » (١٣/٣/١٩١٩) المعنونة « نداء التحذير » والمنشورة في :

Caracciolo, pp. 17 - 18.

ومعظم هذه الرسالة عبارة عن نقد ساخر وعنيف لعملية الانتخابات .

(٤٤) « All'alba dell'Ordine nuovo », *Avanguardia* (March 1919).

كما ورد في : Soave, p. 14.

(٤٥) من أجل معلومات عن اللجان الداخلية في عام ١٩١٨ ، انظر :

Spriano, *Torino operaia* , pp. 298 - 301, and Soave, pp. 10 - 12.

(٤٦) Spriano, ed., *L'Ordine nuovo* , p. 41.

(٤٧) Arturo Jacchia, « Vita operaia » (12. VII. 1919) in Spriano, ed., *L'Ordine nuovo* , p. 181.

وانظر أيضاً : مقتطفات من خطاب عن مجالس المصانع ألقته اينيا ماتّا التي كانت آنئذ عاملة في مصنع هياكل سيارات « لانشا » ، وألقي أمام مؤتمر « الاتحاد النقابي الأيطالي » ، كما ورد في Soave ، ص ١٢ .

وانظر أيضاً :

Terracini, « I Consigli di fabbrica : vicende e problemi, dall' Inghilterra alla Russia, dalla

Germania a Torino, » in *L'Almanacco socialista*. (1920).

(٤٨) Gramsci, « Il Programma dell'*Ordine nuovo* , I, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 147.

(٤٩) المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، وانظر أيضاً .Gobetti, p. 118

(٥٠) نشرت صحيفة « آفانتي » (١٩١٩/٦/٢٥) موجزاً لكلمة غرامشي أعيد نشره في :
Caracciolo, pp. 18 - 19.

(٥١) Spriano, ed., *L'Ordine nuovo* , p. 45.

(٥٢) Gransci (1. xi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 464.

(٥٣) Gobetti, p. 122.

هذا الرقم ، اذا كان صحيحاً ، فهو ربما يشير الى محافظة تورينو التي يبلغ عدد سكانها ضعف عدد سكان مدينة تورينو الكبرى . وأكد غرامشي ايضاً ان حركة المجالس في تورينو « ضمت جمهوراً يصل الى ١٥٠ الف عامل» :

« Soviet e consigli di fabbrica » (3 - 10. iv. 1920) , in spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, p. 477.

(٥٤) Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, pp. 68 - 69 , nn. 3 - 4 .

(٥٥) نص القرار موجود في : .Caracciolo, p. 20

(٥٦) Gramsci, « Democrazia operaia » (21 . vi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10) , p. 10.

(٥٧) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٥٨) Gramsci, « Azione positiva » (6 - 13. xii. 1919) , *L'Ordine nuovo* (10), p. 315.

(٥٩) Gramsci, « Lo Strumento del lavoro » (14. ii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 79.

(٦٠) Gramsci, « Due Rivoluzioni, » *L'Ordine nuovo* (10), pp. 136 - 37.

(٦١) Gramsci, « Partito di governo e classe di governo » (February 28 - March 6, 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 92 - 93.

(٦٢) Gramsci , « Lo Strumento del lavoro ,» *L'Ordine nuovo* (10), p. 82.

(٦٣) المصدر السابق ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٦٤) Gramsci, « L'Operaio di Fabbrica » (21. ii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 325 - 26.

(٦٥) Gramsci, « La Relazione Tasca e èl Congresso camerale di Torino » (5. vi. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 129.

وهناك عدد من المقالات التي ساهم بها كتاب آخرون في صحيفة « النظام الجديد » يمكن أن تعتبر كمصادر لـ « البرنامج » ، وعلى سبيل المثال :

CF. Ottavio Pastore, « Il Problema delle commissioni interne » (16. vii. 1919), in Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, pp. çéé - 48.

(٦٦) « Il Programma dei commissari di reparto » (8. xi . 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 194.

(٦٧) المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

(٦٨) « Il Programma, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 195.

(٦٩) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٧٠) Montagnana, p. 118.

(٧١) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٧٢) « Il Programma, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 198.

(٧٣) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٧٤) Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, p. 37, n. 1.

وأيضاً : Togliatti, « Creare una scuola » (15. xi. 1919) في المصدر السابق ، ص ٣٥٨ - ٣٦٢ .

(٧٥) انظر مثلاً :

Togliatti,« A Un Rivoluzionario vinto d'Europa (12. vii. 1919),in Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, pp. 183 - 84.

(٧٦) *L'Ordine nuovo* (10), p. 447.

في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ ، نشرت صحيفة « آفانغوارديا » ، الناطقة بلسان « اتحاد الشباب الاشتراكي » برنامج « مدرسة الثقافة والدعاية الاشتراكية » مما منح البرنامج دعاية على المستوى الوطني . وحتى قبل ذلك ، كان غرامشي قد تلقى رسائل عديدة من العمال والطلاب خارج تورينو تعبر عن اهتمام كبير ببرنامج الدراسات المتبع في المدرسة (المصدر السابق ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨) .

وكان أحد المصادر الرئيسية لنظرة غرامشي الى الثقافة في الثورة هو آناتول لوناشارسكي وحركته الثقافية البروليتارية . وفي ١ حزيران (يونيو) ١٩١٨ نشر غرامشي مقالة في صحيفة « إل غريدو » للمفكر الروسي الذي قال أنه يجب ان ينظر الى الحركة الثقافية بنفس الجدية التي ينظر بها الى الفروع الثلاثة الأخرى للحركة العمالية ، أي الفرع السياسي والفرع الاقتصادي والفرع التعاوني . وبرضى كبير ، لاحظ غرامشي أن الحركة الاشتراكية التورينية كانت قد اتخذت الموقف نفسه . وهكذا ، فان مقالة لوناشارسكي قدمت دليلاً آخر « على التشابه الكبير القائم بين الشروط الأخلاقية والفكرية لدى البروليتاريا الايطالية والبروليتاريا الروسية » . انظر حول هذه النقطة :

Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, p. 26.

(٧٧) « Il Programma,» *L'Ordine nuovo* (10), p. 198

وانظر أيضاً : ص ٣٣ .

(٧٨) Gramsci, « Sindacalismo e consigli » (8, xi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 46.

(٧٩) « Controllo di classe » (3. i. 1920), in Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*, pp. 414 - 17.

وحول تطور فكرة المجالس كأداة ثورية ، انظر : Ottino, pp. 23 - 24.

(٨٠) Gramsci , « sindacati e consigli » (11. x. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 37.

(٨١) « Il Programma, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 195.

(٨٢) ورد هذا وما سبق الاستشهاد به في الفقرة نفسها ، في :

« La Conquista dello stato » (12. vii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 14 - 15.

(٨٣) المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٨٤) مقاطع من :

« Sindacaliamo e consigli, » *L'Ordine nuovo*, (10), pp. 45 - 46.

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٨٦) مقاطع من :

Gramsci, « I Sindacati e la dittatura » (25. x. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. éè.

(٨٧) مسألة « الشرعية الصناعية » بحثت في :

« Sindacati e consigli (12. vi. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 131 - 33.

(٨٨) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٨٩) Gramsci, « L'Unità proletaria » (February 28 - March 6, 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 98.

وانظر أيضاً مقالة غرامشي « I Gruppi comunisti » (١٩٢٠/٧/١٧) في المصدر نفسه ، ص ١٤٠ .

وأحد المصادر المحتملة لأفكار غرامشي حول طبيعة الحزب الاشتراكي في ظل الرأسمالية هو دانييل ليون :

Daniel de Leon, *Socialist Reconstruction of Society*

وهذه محاضرة ألقاها دي ليون في مينيابوليس في تموز (يوليو) ١٩٠٥ . ويقول دي ليون ، مثلاً ، ان « الاشتراكية هي النمو الناجم عن التطور الأعلى للرأسمالية . وباعتبارها كذلك ، فان وسائل الحركة الاشتراكية في سيرها نحو المجتمع الاشتراكي تفرضها بالضرورة ، وبشكل أساسي ، القوقعة الرأسمالية التي تخرج منها الاشتراكيه » (ص ٣٩) . ويقول أيضاً : « ان سبب وجود الحزب السياسي - كما رأينا - هو التنافس مع الرأسمالية في ميدانها نفسه ، وهو الميدان الذي يحدد مصير السلطة السياسية . ويتبع ذلك أن بنية الحزب السياسي لا بد أن تتحدد من خلال النظام الحكومي الرأسمالي للتوزيع الاقليمي » (ص ٤٦) .

(٩٠) هذه الصفة تفصل غرامشي عن العديد من المفكرين الماركسيين ، اذ كان أكثر منهم صلابة بكثير في محاولاته لاعادة الأفكار والمؤسسات فقط الى اطارها التاريخي . وعلى سبيل المثال ، فان ماركسيين قلائل قاموا بسبر الفكرة القائلة بأن حتى الحزب الاشتراكي ، ونظراً لأصوله في المجتمع الرأسمالي ، هو في الواقع شكل من أشكال ذلك المجتمع . وفي ما يلي مثال آخر جيد على تاريخية غرامشي : « ان النقد الماركسي للاقتصاد الليبرالي هو نقد لفكرة ديمومة الاقتصاد الانساني والمؤسسات السياسية ، انه اعادة كل واقع الى التاريخية واحتمال التكرار . انه درس في الواقعية لعلماء التجريد الزائفين المدافعين عن الصناديق المغلقة » :

« La Sovranità della legge » (1. vi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. é.

(٩١) انظر خصوصاً :

« Il Partito e la rivoluzione » (27. xii. 1919), *L'Ordine nuovo*, (10), pp. 67 - 71.

(٩٢) « Il Problema del potere » (29. xi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 59 - 60.

الموقف العام لغرامشي حول ديموقراطية الطبقة العاملة يقول بأن كل المعتقدات السياسية التي تعبر عنها البروليتاريا يجب ان تتصف بالحرية المطلقة للنشاط . وآراء غرامشي حول هذه المسألة لم تكن مختلفة عن آراء البلاشفة في تلك الأيام . وفي وقت متأخر ، في شباط (فبراير) ١٩٢٠ ، تم انتخاب ٤٠ منشفياً لسوفييت موسكو . واستناداً الى ليفيو ماتيان ، وهو

تروتسكي ، فان منع النشاطات غير البلشفية لم يحصل إلا بعد محاولة اغتيال لينين ، واغتيال البلشفيين فولودارسك ويوريتسكي ، ومحاولة الانقلاب ، وأهم من كل شيء ، الموقف الذي اتخذه المناشفة والاشتراكيون الثوريون خلال الحرب الأهلية . وتروتسكي نفسه يوضح ان « منع الأحزاب السوفييتية الأخرى لم ينجم أبداً عن أية نظرية بلشفية ، بل كان اجراء دفاعياً عن الدكتاتورية في بلد متخلف ومنهك ، محاط بالاعداء من كل جانب . . . ولو انتصرت الثورة ، حتى في ألمانيا وحدها ، لما ظهرت الحاجة الى منع الاحزاب السوفييتية الأخرى » :

Maitan, *Attualità* , -. 22, n. 11.

واستناداً الى صحيفة « النظام الجديد » (اليومية) الصادرة في ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٢١ ، فان لينين دافع بقوة عن ديموقراطية الطبقة العاملة في النقابات : « علينا ان نستخدم هذه المنظمات المهنية الرائعة للدفاع عن أنفسنا ضد دولتنا ، أي ضد كل حالات القصور فيها وضد بيروقراطية أجهزة الدولة حيث تسلل إليها موظفون وعناصر بورجوازيون من النظام القديم» . أنظر :

Tamburrano, p. 82, n. 31.

(٩٣) هذا التمييز وارد في مقالات غرامشي التالية ، وكلها منشورة في :

(*L'Ordine nuovo* (10)): « Il Programma dell'*Ordine nuovo*, II » (28. viii. 1920), p. 150; « Il Partito e la rivoluzione,» p. 67; and« Il Consiglio di Fabbrica» (5. vi. 1920), p. 124.

وكذلك وصف غرامشي النقابة بأنها منظمة « طوعية » .

(٩٤) هذه المشكلة ، المتضمنة في العديد من مقالات غرامشي في هذه المرحلة ، بحثت بوضوح في المقالات التالية ، وكلها منشورة في(10) *L'Ordine nuovo* :

« Il Partito e la rivoluzione, » pp. 67 - 71 ; « Il Comsiglio di Fabbrica, » pp. 123 - 27; and « Due Rivoluzioni, » pp. 135 - 40.

(٩٥) كان غرامشي يضيف عادة الى كلمة « توقعات » تعبير « ضمن حدود الاحتمال التاريخي » ليحمي نفسه من الاتهام بالديماغوجية الميتافيزيائية . انظر :

« Il Consiglio di fabrica », *L'Ordine nuovo* (10), p. 123.

(٩٦) « Il Partito e la rivoluzione » (10), p. 135.

(٩٧) « Due Rivoluzioni » (10), p. 135.

(٩٨) « Il Consiglio di fabbrica » (10), p. 127.

(٩٩) Leonetti, *Mouvements ouvriers* , p. 130.

قبلاً ، كانت الطبعة المسماة « طبعة بييمونتي» من صحيفة « آفانتي » مماثلة لطبعة ميلانو مضافاً اليها صفحة واحدة مكرسة لأنباء تورينو المحلية .

(١٠٠) Arfè, *Storia dell'Avanti* !, p. 70.

(١٠١) Ferrara and ferrara, p. 59.

(١٠٢) Gramsci , « *L'Ordine nuovo* e battaglie sindacali » (6 - 13 . xii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 386.

(١٠٣) يمكن الاطلاع على هذه الرسالة في :

Lenin, *Movimento italiano*, pp. 164 - 65.

والاستشهاد الأخير المأخوذ من هـذه الرسـالة حـذف في صحيفة « آفـانتي » ، ولكن الرسـالة نشـرت كاملة في صحيفـة « كوريـري ديلا سيـرا » بتاريـخ ٨ كـانـون الأول (ديسمبـر) وفي صحف أخرى . انظر :

Salvemini, *Scritti sul fascismo*, I, p. 494, n. 6.

(١٠٤) Gramsci , « Il Rivoluzionario **qualificato** » (20. xii. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 387 - 88.

(١٠٥) منذ ١٩١٦ ، كان لينين قد حث على أن تطرد من الحزب الاشتراكي الأيطالي ، على الأقل ، جماعة « الاشتراكيين الشوفينيين » من الاصلاحيين . في تلك السنة ، كتب لينين الى الاشتراكيين الايطاليين يقول : « ان ممثلي حزبنا وممثلي حزبكم عملوا سوية في زيمروالد وكيينتال . ان اختلافنا الجدي الوحيد يتعلق بالقطع الذي لا بد منه والضروري مع الاشتراكيين لفظاً والشوفينيين فعلاً ، وتحديداً مع أولئك الذين دعموا بصورة مباشرة او غير مباشرة « حكومتهم » و « بورجوازيتهم » في هذه الحرب الرجعية والمأجورة التي شنت لاقتسام المستعمرات وللسيطرة على العالم »

(Lenin, *Movimento italiano* , p. 110).

(١٠٦) Caracciolo, « Serrati, Bordiga,e la polemica **gramsciana** contro il (blanquismo) o settarismo di partito, » in *La Città Future* (Milan, 1959), p. 94.

(١٠٧) حسب كارتشولو (المصدر السابق ، ص ٩٤) لم يكن موقف سيراتي يشابه في شيء نظرة لينين الى الثورة . فالقائد السوفييتي كان متأثراً الى حد ما بالبلانكية ولكن مجمل تفكيره بالثورة كان « أكثر تعقيداً و « ديموقراطية » بكثير » . ولكن ، انظر ايضاً مؤلّف ستانلي مور «تكتيكات ثلاثة » . في هذا الكتاب الصغير الرائع يظهر مور ان مذهب « ثورة الأقلية » (او مذهب « الثورة الدائمة ») كان واحداً من ثلاثة نماذج للانتقال من الرأسمالية تذكر باستمرار في الفكر الماركسي .

(١٠٨) كما ورد في : Nenni, . 71, n. 1.

(١٠٩) Terracini , « Il Consiglio nazionale di Firenze » (24 - 31. i. 1920), in Spriano, ed ., *L'Ordine nuovo*, p. 437.

وهاجم توليتاتي في مقالين مشروع بومباتشي ، كما هاجم قانونيته قائلاً : « لقد علمنا ماركس ان القانون ليس إلا بنية فوقية ، وبومباتشي راض بالبنية الفوقية » . انظر :

Togliatti, « La Costituzione dei Soviet in Italia, I » (14. ii. 1920), ibid., p. 446.

(١١٠) أعلن سيّراتي فيما بعد ان المجالس كانت « محمية من متطرفي اليمين واليسار ، من ريغولا الى غرامشي ، وكان يحاربها متطرفو اليمين واليسار ، من بووتزي الى بورديغا» :

Serrati, « Decumentazione unitaria, » p. 540.

(١١١) المصدر السابق ، ص ٥٤٠ . في المقالة نفسها (ص ٥٤١) اتهم سيراتي اشتراكيي تورينو بأنهم « أكثر استيحاءً للنقابيين الأنكليز في حركة ممثلي المصانع (Shopsteward movement) من استيحائهم للنموذج الروسي [للسوفييتات] » .

(١١٢) Serrati in *Avanti* ! (14. iii. 1920)
كما ورد في : Nenni, p. 71, n. 2.

(١١٣) استناداً الى سبريانو (*L'Ordine nuovo*, p. 71) فان استياء بورديغا كان يرتبط في كمه مباشرة بدرجة تعاون اتباعه في تورينو مع برنامج « النظام الجديد » . وكان من كبار الامتناعيين في تورينو كل من جوفاني بويرو وجوفاني بارودي.

(١١٤) Bordiga, « Per la costituzione dei Consigli operai in Italia, » *Il Soviet* (4. i. 1920)
كما ورد في : Spriano, ed., *L'Ordine nuovo*.

(١١٥) Bordiga, « Lo Scopero, » pp. 57- 58

(١١٦) Gramsci, « Primo : rinnovare il Partito » (24 - 31 . i. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 391.

(١١٧) المصدر السابق ، ص ٣٩١.

(١١٨) المصدر السابق ، ص ٣٩٣.

(١١٩) Gramsci, « Programma d'azione della sezione socialista torinese » (24 - 31. i. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 3933.
« يجب على الفرع الاشتراكي التوريني دور المهماز في الحزب الاشتراكي للترويج في كل ايطاليا لاقامة مجالس العمال والفلاحين » .

(١٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٩٥ .

(١٢١) Tasca, « *L'Ordine nuovo* » (« I Primi Dieci Anni, 2 ») p. 5.

(١٢٢) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب للاطلاع على تحليل لهذه الموضوعات .

(١٢٣) رسالة من غرامشي الى تولياتي مؤرخة في ٢٧ آذار (مارس) ١٩٢٤ ، انظر :
Togliatti, *La Formazione* , p. 257.

(١٢٤) Gramsci, « La Funzione storica delle città » (17. i. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 320.
وكان غرامشي ، من خلال رغبته الشديدة بالتبرير التاريخي ، قد رأى ان الدور الراهن لتورينو ليس أكثر من استكمال لدورها خلال مرحلة « النهضة » . وخلال القرن التاسع عشر ، كانت ميلانو قد مثلت « قلب » الثراء الاقتصادي الايطالي ، ولكنها احتاجت الى الطاقة « المنضبطة » لبورجوازية تورينو لكي توحد ايطاليا . وفي عام ١٩٢٠ كانت ميلانو قد بقيت قلب الاقتصاد الايطالي والحزب الاشتراكي ، ولكن بروليتاريا تورينو وحدها كانت قادرة ، بتفوقها في الانضباط ، على القيام بالثورة .

الفصل الخامس

(١) Chabod, *L'Italie contemporaine* , p. 19.
كانت قيمة الليرة الايطالية قد انخفضت من ١٣,٠٧ ليرة للدولار في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ ، الى ٢٢,٩٤ ليرة للدولار في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، والى ٢٨,٥٧ ليرة للدولار في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ . المصدر نفسه ، ص ١٨ .

(٢) Bachi, p. 236.
ويؤكد باكي أن أرقام البطالة في هذه الفترة لا يمكن اعتمادها ، نظراً لأنه قد تم جمعها بواسطة السلطات المحلية حسب معايير قياس كثيرة التباين .

(٣) Tasca, *Nascita*, p. 125, n. 1. 1.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٦ ، رقم ٤ . وكذلك :
Salvatorelli and Mira, p. 71.
يعطيان أمثلة عديدة عن « عقدة الاضراب » هذه . وأحد مثل هذه الاضرابات كان قد تم في « مصانع الحديدالبييمونتية » في تورينو ، حيث أضرب العمال بسبب اشاعة حول ان « شقيق احد العمال قدم طلباً للتطوع في الحرس الملكي » .

(٥) Nenni, P.76.

(٦) Tasca, *Nascita*, P. 95.
ويؤكد سالفاتوريلي وميرا (ص ٧١) أن الضحايا كانوا عديدين . واستناداً الى نيني (ص ٨٥) فإن يوم أول أيار (مايو) ١٩٢٠ وحده شهد مقتل ١٢ عاملاً : ٥ في تورينو ، و٢ في بولا ، و٣ في باولا ، و٢ في محافظة بادوفا . وادعت صحيفة « آفانتي » في ١ أيار (مايو) ١٩٢٠ أنه قد وقع بين نيسان (ابريل) ١٩١٩ ونيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، ١٤٥ قتيلاً و٤٤٤ جريحاً من العمال والفلاحين .

(٧) عملياً ، كان « الاتحاد العام للصناعة » (« كونفندوستريا) قد أعيد تأسيسه لتوه ، نظراً لأن « الاتحاد الايطالي للصناعة » كان قد تأسس فعلاً في تورينوفي أيار (مايو) ١٩١٠ . وعلى العموم ، فإن هذا التجمع كان يقتصر في الواقع على شركات مقاطعات بييمونتي ولومبارديا وليغوريا ولم يعش الحرب . انظر :
Spriano, *Socialismo e classe operaia*, P. 247 and P. 257, N.33.

(٨) Tasca, *Nascita*, P.113.
نص البيان الذي تم التصويت عليه من قبل الصناعيين منشور في :
Nenni, P.69.

(٩) Gramsci, « Superstizione e realtà (8. v. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 109.
وقد اعيد نشر نص تقرير « أوليفيتي » المعنون « رأي الصناعيين في مجالس المصانع » في :
L'Ordine nuovo, II, 2 (15. v. 1920).

(١٠) « Per un rinnovamento del Partito socialista» (8. v. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 117.
عملياً ، كان غرامشي قد أشار الى خوفه من الدكتاتورية الرجعية منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ : « اننا نعتقد ان البورجوازية لا تستطيع تجنب المصير الذي ينتظرها إلا بدكتاتورية رجعية وعسكرية لا بد ان تلجأ اليها ان عاجلاً أم آجلاً :
(« Programma d'azione della sezione socialista tornese, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 396).
وكان أرّيكو مالاتيستا ، عميد الفوضويين الايطاليين ، كان واحداً آخر من القلائل الذين رأوا الخطر الكارثي المسلط على الحركة العمالية . وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٢٠ أعلن مالاتيستا أنه « اذا تركنا هذه اللحظة الملائمة تمر ، فاننا سندفع فيها بعد دموعاً دامية ثمناً

للخوف الذي زرعناه في قلب البورجوازية كما ورد في : .Sforza, p. 264 .

(١١) Tasca, *Nascita* P.110.

وانظر أيضاً :

Luigi Einaudi, P.323, Salvatorelli and Mira, P.72, and Ferrara and Ferrara, P.67.

(١٢) Moutagnana, P.119.

(١٣) المصدر السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(١٤) يبدو أن الادارة طلبت ، كخطوة أولى ، إبعاد أعضاء « اللجنة الداخلية » واعلان كونهم غير قابلين للانتخاب ثانية لمدة سنة كاملة . انظر :

Gramsci , « Superstizione e realtà , *L'Ordine nuovo*(10), p. 110.

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٠٩ - ١١٠ . في ٣ نيسان (ابريل) اعلن غرامشي ان تورينو كانت « قلعة محصنة » تضم ٥٠ الف جندي مع مواقع للمدفعية في الهضاب المحيطة بها . انظر :

«Torino e l'Italia » (3. iv. 1920), *L'Ordine nuovo* (10) , p. 106.

وأظهر سبريانو (*L'Ordine nuovo*, p. 78) ان الصناعيين كانوا قد أعلموا حاكم تورينو منذ ٢٠ آذار (مارس) أنهم ينوون اللجوء الى الإغلاق العام للمصانع «في وقت قريب جداً» .

(١٦) Gramsci, « Supesstizione e realtà , » *L'Ordine nuovo* (10), p. 110.

(١٧) Tasca, *Nascita*, p. 126, n. 5.

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) «Supesstizone e realtà,» *L'Ordine nuovo* (10), p. 111.

(٢٠) « Il Movimento torinese dei consigli di Fabbrica, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 177.

(٢١) Tasca, *Nascita*, p. 126, n. 5.

(٢٢) Bachi, p. 343.

هذا الحكم يتفق الى حد بعيد مع قول مونتانيانا (ص ١٢١) : « لأحد عشر يوماً ، كانت الحياة في المد ينة والمحافظة قد شلت كلياً . وتوقفت عن العمل حافلات الترام والسكك الحديدية والخدمات العامة وكثير من الأعمال التجارية ، بالاضافة الى الصناعة بكاملها . ولم يكن هناك أي خرق للاجماع . وسرعان ما نسقت حركة العمال مع اضراب للعمال الزراعيين في المحافظات القريبة .

(٢٣) Gramsci, « Il Movimento torinese, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 177.

(٢٤) Nenni, p. 77.

(٢٥) كما ورد في : .Tasca, *Nascita* , p. 127, n.5

ويمكن العثور على هذه الوثيقة أيضاً في : .Garacciolo, «Il Movimento torinese», pp. 21—22

(٢٦) باكي ، كما ورد في :

Luigi Einaudi, p. 324, and Montagnana, p. 123.

واستنادا الى باكي، فإنه لم يكن ليسمح بعدئذ باجتماع المفوضين مع العمال خلال ساعات العمل.

(٢٧) Togliatti, *Gramsci* (1955), P.28.

(٢٨) Moutagnana, P.122.

(٢٩) يبدو أن جنوة كانت المدينة الأخرى الوحيدة التي قدمت دعماً مكثفاً لعمال تورينو. انظر: Spriano, ed, *L'Ordine nuovo*, P.82,n.1.

(٣٠) Gramsci, «Il Movimento Torinese», *L'Ordine nuovo* (10), P. 186

(٣١) المصدر السابق.

(٣٢) لاحظ سيراتي في وقت لاحق ان اقتراح تورينو لم يرفض «بسبب معارضة المبادىء المعلنة فيه»، بل «لكي لا تكون هناك موافقة على إجراءات مماثلة مضادة للانضباط الحزبي ولمصالح البروليتاريا».: («Documentazione I» p. 543).

(٣٣) راجع ص

(٣٤) كما ورد في: Nenni, P.81, n.1.

(٣٥) «Il Movimento torinese», *L'Ordine nuovo* (10), P. 186

(٣٦) كما ورد في: Nenni, p. 77.

ومن المثير ملاحظة ان حتى العضو «الشيوعي» في إدارة الحزب، ايجيديو جيناري، انتقد الاضراب العام باعتباره عملاً غير مسؤول وغير منضبط. وهكذا وصف جيناري الاضراب في تقريره المقدم الى مؤتمر ليفورنو (كانون الثاني /يناير) ١٩٢١، والذي أعيد نشره في: Serrati, « Documentazione I», pp. 541—42.

وهذا يشير بوضوح الى العزل شبه الكامل لاشتراكيي تورينو.

(٣٧) النص الكامل للمقالة منشور في: Nenni, P.78

(٣٨) Gobetti, P.123

(٣٩) «Per un rinnovamento del Partito socialista» *L'Ordine nuovo* (10), P. 116—23.

(٤٠) Lombardo Radice and Carbone, p. 90.

ومن أجل تاريخ هذه الوثيقة أنظر: Gramsci, «Cronache del*L'Ordine nuovo* xxxii (21. viii.1920), L'Ordine nuovo (10), p. 484.

(٤١) «Per un rinnovamento», *L'Ordine nuovo* (10), p. 118.

(٤٢) المصدر السابق، ص ١١٩.

(٤٣) المصدر السابق، ص ١٢١.

(٤٤) Tasca, Comunismo e Fascismo (I Primi Dieci Anni, 3), P.9.

وقال غرامشي انّ التقرير « لم يكن معروفاً إلا لقادة « النظام الجديد » ولقلائل من الذين قرأوا كراس « من اجل تجديد الحزب الاشتراكي الايطالي » . ولم يؤخذ في الاعتبار لدى الأجهزة

المركزية والمسؤولة للحزب » . انظر :

Gronache dell'Ordine nuovo, XXXII, *L'Ordine nuovo* (10), P. 484

(٤٥) Bellini and Galli, p. 39.

(٤٦) Lenin, *The Cimmunist International,* P. 200.

(٤٧) Lenin, «Left—wing' Communism, an Infantile Disorder», in ibid., P. 155.

(٤٨) Lenin, «Speech on Parliamentarianism, in Ibid., PP. 246-48.

(٤٩) استناداً إلى بيليني وغالي (ص ٤١) فإن بورديغا أوضح بضعف ان موقفه « لم يكن غير اختلاف تكتيكي لا يتعلق أبداً بمسائل النظرية والمبدأ » .

(٥٠) من :

«Conditions of Admission to the Communist International Approved by the Second Comintern Congress, in Degras, ed,. *The Communist International,* I,166-72».

وكانت النقاط الاحدى والعشرين قد نشرت في صحيفة « النظام الجديد » في عدد ٤ أيلول (سبتمبر) .

(٥١) من :

«Serrati's Speech to the 7th Meeting of the 2nd congerss of the communist International, in the appendix to Lenin, *Movimento italiano* , p.282.

(٥٢) «Lenin, these on the Fundamental Taks of the Second International» *The communist International,* P. 177.

انظر أيضاً هجوم زينوفييف القوى على توراتي خلال الاجتماع السادس للمؤتمر الثاني في ملحق : Lenin, *Movimento italiano* , PP.276-77

(٥٣) *The Communist International* , P.212, and *Movimento italiano,* P.196.

(٥٤) Gramsci, *L'Ordine nuovo,* (10), P. 484.

(٥٥) أعاد غرامشي نشر مقالة بورديغا (مأخوذة من صحيفة «إل سوفييت» بتاريخ ٣ تشرين الأول (أكتوبر ١٩٢٠) ومعها ملاحظات غرامشي عيها في:

«Cronache dell'Ordine nuovo, xxxv» (9.x.1920), *L'Ordine nuovo* (10), PP. 488—89.

(٥٦) Togliatti, *Gramsci* (1955), p.32.

وانظر أيضاً : Platone, »*L'Ordine nuovo*», p. 40.:

«أعتقد ان هذا [الضعف] ناجم في جزء كبير منه عن الجدية المطلقة لغرامشي، الذي تـردد في احتلال مكانه كمدير وطني للحركة العمالية». غوبّيتي أيضاً يشير الى «تردد وخجل» غرامشي . انظر مؤلّفه:

«Storia dei communisti torinesi scritta da un liberale,» in valeri, ed., *Antologia* , p. 218.

(٥٧) Togliatti, *Gramsci* (1955), P.32.

(٥٨) ورد مثالان عن هذه السيطرة في : Ferrara and Ferrara, P.69.

و : Tasca, *L'Ordine nuovo* (I Primi Dieci Anni, 2), P.5.

(٥٩) رسالة غرامشي الى فيري (أولفونسو ليونيتي) ، فيينا (٢٨ / ١ / ١٩٢٤) في :

Togliatti, *La Formazione* , P. 183.

ويعترف غرامشي لتولياتي أيضاً ، في ٢٧ كانون الثاني (يناير) بأن : « لقد ارتكبنا خطأ جدياً في عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ بأننا لم نهاجم القيادة الاشتراكية بصلابة أكبر ، وأخطأنا حتى في عدم دخول مخاطرة الطرد » (المصدر السابق ، ص ١٨٠) .

(٦٠) أعلن بورديغا للينين أن « النظام الجديد » بالاضافة الى معارضتها لتوجيهات المؤتمر حول مسألة الوحدة وحول اقامة السوفييتات ، فإنها كانت داعية الى وحدة الحزب حتى وقت قصير قبل مؤتمر فلورنس [كانون الثاني / يناير ١٩٢٠]». هذا الاستشهاد مأخوذ من صحيفة « إل سوفييت » الصادرة في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٠ كما أعاد غرامشي نشره في :

«Cronache *dell'Ordine nuovo, xxxv,» L'Ordine nuovo* (10), P. 488.

(٦١) حذر غرامشي ، مثلاً (في :

«Due Rivoluzioni», *L'Ordine nuovo* (10), P. 138).

من أن الحزب يجب ألا ينجرف الى مشكلات صغيرة مثل الامتناع الانتخابي أو تشكيل حزب شيوعي «حقاً»، بل عليه ان يخلق شروطاً بين الجماهير تحل من خلالها كل هذه المشاكل باعتبارها مشاكل عضوية لتطور الثورة الشيوعية :

«في الواقع ، هل يمكن لحزب شيوعي أن يوجد كحزب ناشط (وليس كأكاديمية لأنقياء المذاهب والسياسيين الذين يفكرون «جيداً» ويتكلمون «جيداً» عن المسائل الشيوعية)، اذا كانت الجماهير لا تملك روح المبادرة التاريخية والرغبة في الاستقلال الصناعي الذي يجب ان ينعكس ويولف في الحزب الشيوعي؟ إن نهوض القوى التاريخية الحقيقية وتشكيل أحزاب تعكس صورة هذه القوى لا يحصل فجأة من لا شيء ، بل ينمو ويتشكل من خلال العملية الديالكتيكية . لذلك ، ألا يجب أن تكون المهمة الأساسية للقوى الشيوعية هي أن تنظم وتوجه وتعلم القوة الانتاجية الشيوعية أساساً والتي يجب تطويرها وتوسيعها كقاعدة اقتصادية لأية سلطة سياسية قد تمتلكها البروليتاريا؟» .

(٦٢) كما ورد في :

(٦٣) النص نشر في *Ordine nuovo*, II, 3, (29.v.20)

(٦٤) Tasca, «Communismo e fascismo» («I Primi Disci Anni, 3»), P. 9.

أنظر أيضا افتتاحيته :

«Cercando la verità», *Ordine nuovo*, II, 5 (12.vi.1920).

وفي «Comunismo e fiscismo» يعلن تاسكا ان غرامشي «غير رأيه خلال سنوات سجنه ، إذ أدان محاولة جرت في (مدينة) بولونيا لاستبدال مجلس بغرفة (عمل)» . ويشير تاسكا هنا الى حادثة أشار اليها غرامشي في (8) *Passato e presente* ، ص ٥٩ ، ورأى فيها «إرادية شكلية غبية ومبتذلة» وذلك في «مشروع ١٩٢٠ لتأسيس مجلس مديني في بولونيا تكون عناصره الوحيدة هي التنظيمات [أي ، النقابات وما شابه] . وهذا يعني إيجاد نسخة ثانية غير ذات فائدة ، أو إحلال جهاز تجريدي تماماً وكتبي محل جهاز تاريخي متجذر في الجماهير مثل غرفة العمل» . وهنا يفشل تاسكا في أن يرى ان مجلساً «مشكلاً فقط من التنظيمات» لن يكون مجلساً أبداً بالمعنى الذي يقصده غرامشي .

(٦٥) Gramsci, «La Relazione Tasca e il congresso camerale di Torino», *L'Ordine nuovo* (10), PP.

127—31.

أنظر أيضاً: «Il Programma dell'ordine nuovo», *ibid*, PP. 146—54.

ورد تاسكا على هجوم غرامشي موجود في سلسلة من المقالات المعنونة:

«Polemiche sul programma dell'*Ordine nuovo*»,

وقد أعيد نشر هذه المقالات في:

Spriano, od., *L'Ordine nuovo,* PP. 518—30, 534—41.

(٦٦) Tasca, Comunismo e Fascismo, P.9.

وكان لتولياتي وتيراشيني أيضاً خلافات في الرأي مع غرامشي في صيف ١٩٢٠ .. وقد كتب فيليتشي بلاتوني، وكان العضو الأصغر سناً في جماعة «النظام الجديد»، يقول في عام ١٩٥١ أن تولياتي «كان راغباً في التقدم باتجاه اتصالات واتفاقات تعزل الاصلاحيين وجماعة سيراتي وتاسكا، أما غرامشي فكان متضايقاً من هذا، وكان يفضل تحالفاً صامتاً مع اليسار المتطرف، أي مع الامتناعيين». انظر:

Platone, *«Ordine nuovo»*, P.39.

طبعاً، للمرء أن يتساءل: مع من كان تولياتي يريد السعي الى اتفاق ان لم يكن مع اليسار المتطرف، وهو الذي يريد عزل «الاصلاحيين وجماعة سيرّاتي وتساكا»؟ انظر أيضاً:

Ferrara and Ferrara, P.85.

و: Ferri, «Consiglio di fabrica», P.466.

ويقول فيري ان غرامشي كان يميل الى تبني موقف «أقلية» في أخذه في الاعتبار «تجديد» الحزب، محاولاً أن يهزم الاصلاحيين على الأرضية النظرية دون التوجه الى جماهير الحزب طلباً للدعم.

هذه الأمثلة المبكرة لا تفعل إلا التلميح الى النزاعات بين غرامشي وآخرين من جماعة «النظام الجديد». وهناك مطبوعات ظهرت أخيراً جعلت مواقف القادة الاشتراكيين في عام ١٩٢٠ اكثر وضوحاً. انظر:

Ferri, «La Situazione».

و: Togliatti, *La Formazione*.

وتتضمن مقالة فيري برامج صاغتها مختلف الجماعات الشيوعية في فرع تورينو خلال انتخاب لجنة تنفيذية جديدة للفرع. وأول ما نشرت هذه البرامج في الطبعة التورينية من صحيفة «آفانتي» في ١٢ آب (اغسطس) ١٩٢٠.

(٦٧) حول التفاصيل والاستشهادات الواردة في هذه الفقرة والفقرتين التاليتين انظر:

Ferri, «La Situazione»

(٦٨) «Il Partito Comunista, I» (4.ix.1920), *L'Ordine nuovo* (10), P. 158

(٦٩) «Il Partito communista, II» (9.x.1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 161.

(٧٠) في عام ١٩٢٠ كان سكوتشيمارو سكرتير اتحاد محافظة فريولي للحزب الاشتراكي الايطالي.

(٧١) رسالة غرامشي الى تولياتي بتاريخ ١٨/٥/١٩٢٣، في:

Togliatti, *La Fornuarione*, p. 65.

(٧٢) رسالة غرامشي الى سكوتشيمارو بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٢٤ ، في المصدر السابق ، ص ١٥١ - ١٥٢ . ونحن ندين بالحفاظ على هذه الرسالة الى آنجيلوا تاسكا الذي نشر هذه الفقرة منها منذ عام ١٩٥٣ .

(٧٣) Ferrara and Ferrara, PP. 74-65.

(٧٤) في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠ ، كان كل من « الاتحاد العام للعمل » و« الاتحاد الايطالي للعمل » (المنظمة النقابية الكاثوليكية) يضم حوالي مليوني عضو ، بالرغم من أن ثلاثة أرباع الكاثوليك كانوا عمالاً زراعيين . وكان لـ « الاتحاد النقابي الايطالي » ، وهو جماعة فوضوية - نقابوية ، اكثر من ٣٠٠ ألف عضو ، أما « الاتحاد الايطالي للعمل » ، وهو الجماعة « الجمهورية » أو الماتزينيانية ، فكان لديه أقل من ٢٠٠ ألف عضو كلهم تقريباً موجود في منطقة ايميليا - رومانيا ومنطقة اللاتزيو . انظر :

Spriano, *L'Occupazione* , PP. 17-18.

(٧٥) ويبدو أن هذا الكلام كان صحيحاً . وعلى العموم ، في عام ١٩٢٥ اعترفت « الجمعية الصناعية للمعادن والميكانيك وتوابعها » بنفسها أن احصاءات ريكاردو باكي كان يعترف لها بأنها أكثر ثقة . وبالمقارنة مع عام ١٩١٣ ، فإن مؤشر ميلانو كان قد وصل إلى ٤٤١ في عام ١٩٢٠ بينما وصل مؤشر باكي الى ٦٢٤ :

CF. Prato, P.137, n.2.

وانظر أيضاً Spriano, *L'Occupazione*, PP. 35-46 من اجل تفاصيل اكبر حول الخلفية الاقتصادية للاحتلال .

(٧٦) كما ورد في سبريانو Spriano, *L'Occupazione* , P.42. والمأخوذ من :

«Relazione del Comitato centrale della **Fiom** sull'agitazione dei metallurgici **italiani**»(Turin, 1921), P.20

(٧٧) Prato, P.150

(٧٨) Prouteau, P. 54.

(٧٩) كما ورد في : Luigi Einaudi, PP. 327-28.

(٨٠) Tasca, *Nascita*, P. 119.

ربما كانت السوابق الايطالية في احتلال المصانع قد أقنعت قادة « اتحاد موظفي وعمال المعادن » بأن مثل هذه الحركة ليست بالضرورة ثورية . وفي آذار (مارس) ١٩١٧ ، قام التدخليون ، بقيادة نوسينغو ، باحتلال مصنع في دالمين (برغامو) . وحيا موسوليني هذا العمل باعتباره « اضراباً ابداعياً لا يوقف الانتاج » (Prouteau, P. 37) . وفي آذار (مارس) ١٩٢٠ ، احتل بعض مصانع الاشغال المعدنية قرب جنوة بشكل مشابه ، ولكن تدخل الشرطة سرعان ما أنهى الحركة . أنظر :

Togliatti, «**Rapporto** sui fatti di Sestri».

وحول تلك الاحتلالات المبكرة انظر مؤلف سبريانو :

Spriano, *L'Occupazione,* PP. 25-26.

ويقول سبريانو ان « الاتحاد العام للعمل » نظر إلى هذه الاحتلالات بشك كبير ، وإلى حد ما لأنه ظن أن الفوضويين ـ النقابويين يقفون خلفها .

(٨١) كما ورد في : Prouteau, P.54.

ويمكن تلمس المدى الذي ذهب اليه برونو بووتزي ، زعيم « اتحاد موظفي وعمال المعاون » يومها ، في ابتعاده عن النظر الى النقابة كجسم ثوري ، من الفقرة التالية : « على المرء ان يعترف انه قد نما في هذه المرحلة ميل خطير لدى قيادات معينة للجمعيات العمالية ، وخصوصاً بين قادة الحزب الاشتراكي ، وهو ميل الى توظيف الاضراب الاقتصادي لأغراض سياسية » . (كما ورد في المصدر نفسه ، ص ٤٨ ـ ٤٩) . ومع ذلك فقد اعتبر موقف بووتزي يسارياً بين الاصلاحيين .

(٨٢) يعدد سبريانو (*L'Occupazione*, PP. 60-61) **٥٩** مدينة احتلت فيها المصانع في الأيام القليلة الأولى للحركة . وحتى ٨ ايلول (سبتمبر) تأثرت بها أيضاً مدن أصغر حجماً (المصدر نفسه ، ص ٩٠) .

(٨٣) انظر سبريانو (المصدر السابق ، ص ٦٣ ـ ٦٩) للاطلاع على مادة مثيرة للاهتمام حول أحداث تورينو خلال الاحتلال . وانظر أيضاً :

Giovani Parodi, «Occupazione **della fabbriche»** in ***Fascismo e antifascismo***, I, 88-92.

وكان بارودي قد أدار مصنع « فيات ـ المركز » خلال الاحتلال .

(٨٤) يمكن العثور على هذه الافتتاحية في :

Caracciolo, ed., «Il Movimento Torinese», P.24.

(٨٥) Montagnana, PP. 139-40

(٨٦) كما ورد في مقدمة سبريانو لـ « المؤلفات الكاملة » لغوبيتي ، ص ٢٦ .

(٨٧) Montagnana, PP. 139-40.

انظر أيضاً : Ferrara and Ferrara, PP. 75-76.

(٨٨) **Gramsci, «Domenica rossa» (5.ix.1920), *L'Ordine nuovo* (10), P. 164**

(٨٩) المصدر السابق .

(٩٠) Luigi Einaudi, p. 328.

(٩١) فيما يتعلق بمشاركة الموظفين والتقنيين في الاحتلال ، يقول سبريانو (*L'Occupazione*, pp. 64 - 65) أنه « لا يمكن الاعتماد بثقة على مصادر العمال » ، ولكن « في الواقع ، كانت الانسحابات كثيرة جداً ومالت الى ان تزداد بسرعة » وفي بعض الحالات ، كان مالكو المصانع أنفسهم يشجعون بعض المهندسين على البقاء في المصانع للاشراف على التجهيزات .

(٩٢) Prato, p. 152.

(٩٣) Ferrara and Ferrara, P.77.

(٩٤) Montagnana, P.137.

(٩٥) Spriano, ***L'Occupazione***, P.66, n.2.

ويضيف سبريانو أنه خلال فترة التباطؤ في أواخر آب (اغسطس) لم يكن ينتج اكثر من ٢٧ سيارة في اليوم .

(٩٦) Trevisani, ed, *Enciclopedia*, I, 501.
واستناداً الى جيرمانيتو (ص ٢٠٧) فان معظم التقنيين والموظفين في مصنع .سافيليانو بقوا في أماكنهم ، وهو ما ساهم بلا شك في المستوى العالي للانتاج هناك .

(٩٧) استناداً الى أوغو كاموري ، وهو مهندس في « مصانع الحديد البييمونتية » في آفيليانو ، فإن انتاج الفولاذ زاد خلال الاحتلال بنسبة ٦٠ بالمئة عن المعتاد . انظر :
Spriano, *L'Occupazione,* P.138, n.3 and P.140, n.5.

(٩٨) Luigi Einaudi, P. 329.
وقال لابريولا أنه « في هذا الخلاف سعت الحكومة دوماً إلى المحافظة على موقف الحياد التام ، وهي فعلت وستفعل كل الممكن للعودة بالصراع الى مستوى الشرعية من خلال اعادة فتح المفاوضات . ولكن ، في كل مرة جرت فيها محاولات من أي من الطرفين لاستخدام وسائل اختيارية او عنيفة ، نرى الدولة مجبرة على التدخل إلى جانب الحقوق الخاصة أو النظام القانوني المهدد » . ولم يكن للابريولا شعبية لدى اليسار ، ولكن لم يكن ليمض وقت طويل قبل أن ينظر إلى مثل هذه الآراء الليبرالية بتوق !

(٩٩) كما ورد في : Sforza, P.282.
وكان الكونت سفورزا وزيراً للخارجية في حكومة جوليتي الأخيرة هذه .

(١٠٠) « منذ البداية ، كنت على اقتناع ثابت وواضح بأن التجربة ستعم العمال .أنهم لن يستطيعوا تحقيق أهدافهم . . . وكما توقعت فإن الحادثة كانت تعيد ، بطريقة وبشروط مختلفة ، حالة مماثلة للاضراب العام سنة ١٩٠٤ الذي أثار مخاوف مماثلة ثم كشف عن عجزه . كنت مقتنعاً تماماً بأن سلوك حكومتنا يجب أن يحذو حذو الحكومة التي كانت يومها في السلطة [أيضاً حكومة جوليتي] . وبناء عليه ، فقد تركت التجربة تكبر حتى نقطة معينة ، لكي يقتنع العمال بأن من المستحيل لهم أن ينجحوا وأن يمنعوا المحرضين من القاء اللوم على الآخرين لفشلهم » (جوليتي ، ص ٥٩٨) . واستناداً إلى بونومي (ص ٣٦) فإن طريقة جوليتي « لم تكن ناجمة عن تأمل مسبق ، بل فرضها الضعف العضوي لقوى الدولة » .

(١٠١) هذا الاقتراح وارد بكامله في : Nenni, pp. 100 - 101.

(١٠٢) في الواقع ، كان من غير الواقعي التهديد بثورة فعلية لأن المطالب الاقتصادية الآنية للعمال لم تحقق . انظر :
Spriano, *L'Occupazione*, pp. 78 - 79.

(١٠٣) المصدر السابق ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(١٠٤) ظهر البيان في الصفحة الأولى من « آفانتي » بكل طبعاتها في ٦ ايلول (سبتمبر) ، وهنا مأخوذ عن المصدر السابق لسبريانو ، ص ٨ .

(١٠٥) Tasca, *Nascita*, p. 121.

(١٠٦) كما ورد في : Spriano, *L'Occupazione*, pp. 96 - 97.

(١٠٧) الرواية الأكثر تفصيلاً عن هذا الاجتماع موجودة في مصدر سبريانو السابق ، ص ١٠١ ـ ١٠٦ . وانظر ايضاً نيني ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ الذي يضم الاقتراح الداعي الى التحول الاشتراكي . والرقم الذي يشير الى عدد الأصوات التي يملكها « اتحاد موظفي وعمال

المعادن » مأخوذ من سبريانو ومن لـويجي ايناودي ، ص ٣٣٢ . وعلى العموم ، فـان ايناودي مخطىء في إيراده التصويت بـ٥٩١ مقابل ٢٤٥ ، ولا شك في أنه أساء تفسير رقم ٥٩١٢٤٥ صوتا التي حصل عليها «الاتحاد العام للعمل» .

(١٠٨) كما ورد في : Tasca, *Nascita*., p. 122

(١٠٩) انظر :

« Extracts From an ECCI letter to the Italian proletariat, » in Degras, *The Communist International*, I, 192 - 93.

(١١٠) *L'Occupazione*, p. 107.

(١١١) « Estracts From an ECCI letter to the Italian Socialist Party, » in Degras, *The Communist International*, I, 188- 91.

(١١٢) للاطلاع على تفاصيل المفاوضات ، انظر :

Spriano, *L'Occupazione*, pp. 119- 28.

وانظر أيضاً : Luigi Einaudi, p. 333.

و : Montagnana, p. 149

(١١٣) Trevisani, *Enciclopedia*., p. 502

ويقـول سبريانو (المصـدر السابق ، ص ١٤٥) ، ببسـاطة ، ان « فقط الفـوضويـان اللذان يقودان فرع تورينو للاتحاد ، فيرّيرو وغارينو ، عبرا عن ملاحظات ناقدة حادة » .

(١١٤) فقط في تـورينـو كـانت الأرقـام قـريبـة : ١٨٧٤٠ مقـابـل ١٦٩٠٩ مـع امتنـاع ١٠٢٤ . واستناداً الى سبريانو (*L'Occupazione*, p. 145) فـان مجموع الأصـوات كان ١٢٧٩٠٤ مقـابل ٤٤٥٣١ . وتـدل الأرقـام عـلى ان عـدداً قليـلاً من العمـال المشـاركـين في الاضـراب اهتم بالتصويت .

(١١٥) لرواية مفصلة عن المصير النهائي لهذا القانون ، انظر :

Tasca, *Nascita*, pp. 190 - 91 n. 2.

و : Spriano, *L'Occupazione*, p. 155.

وفي عـام ١٩٢٠ ، كـانت الأجـور قـد انخفضت بمـا لا يقـل عن ١٥٪ استنـاداً الى أرقـام « الاتحاد العام للصناعة » :

Salvatorelli and Mira, p. 92.

(١١٦) Luigi Einaudi, p. 336.

(١١٧) انظر افتتاحية :

Ottavio Pastore in Avanti !, Piedmont ed., XXIV, 241 (22. ix. 1920).

كما وردت في : Tasca, *Nascita*, p. 134, n. 40

« ليس هنـاك صناعي واحـد ليس هائجـاً وغاضبـاً الى درجة أنـه يفكـر بـأكـثر الاقتـراحـات جنوناً : الرفض العلني لقبول الاتفاقات . . عرقلة التطبيق العملي لهذه الاتفـاقات . . اسقـاط الحكومة الكـريهة في البـرلمان او في الشـارع . . . لقد استقـال رئيس عصبة صنـاعة تـورينو ، وأعلنت استقالات اخرى ، والطبقة الرأسمالية بأكملها تخطط للثأر والانتصار مجدداً » .

ويقول سالفاتوريلّي وميرا (ص ، ٨٩) ايضاً أن « البورجوازية شعرت بأنها تواجه خطراً كبيراً ، وأن الحكومة لم تدفع عنهم هذا الخطر » .

(١١٨) Tasca, *Nascita*, p. 123.

ومن أجل مناقشة مفصلة لنتائج الاحتلال من وجهة نظر المعاصرين والمؤرخين على السواء ، انظر : Spriano, *L'Occupazione*, pp. 151 - 64

وفي تعليقاته على التهديد الرجعي ، كان غرامشي قد بدأ فعلاً في صياغة بعض الأفكار المثيرة للاهتمام حول طبيعة الفاشية . وأعلن في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) أن « من المؤكد ان الرجعية الايطالية أخذت تقوى وسرعان ما ستحاول فرض نفسها بعنف . . . وينوي الارهاب ان ينتقل من الميدان الخاص الى الميدان العام ، اذ لم يعد يرضى بحصانة الدولة ، وهو يرغب في أن يصبح الدولة ذاتها » :

« La Reazione » (17. x. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 351.

ومنذ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ كان غرامشي قد بدأ يرى الفاشية كحركة دولية وكمرحلة جديدة في التاريخ العام للصراع الطبقي : « ان ظاهرة « الفاشية » ليست ظاهرة ايطالية فقط ، تماماً كما أن تشكل الحزب الشيوعي ليس أمراً ايطالياً فحسب . « الفاشية » هي مرحلة تحضيرية لاعادة ترميم الدولة ، أي تشديد قسوة الصراع الرأسمالي ضد البارزين من طبقة البروليتاريا . . . الفاشية تغتال مناضلي الطبقة العاملة ، والدولة المرممة سترسلهم الى السجن « بموجب القانون » » :

« Cos'è la reazione ?», *L'Ordine nuovo* (10), p. 366.

(١١٩) Gramsci (2. x. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 487.

ويقول آرفي (*Storia dell'Avanti* !, p. 173) ان طبعة تورينو من صحيفة « آفانتي » رحبت بالتسوية باعتبارها انتصاراً . ومن المحتمل ان بعض محرري « آفانتي » اقتنعوا بذلك ، ولكن لا أحد في هيئة التحرير كان متفائلاً . وعلى سبيل المثال ، فان .C. N (التوقيع المختصر لنيكوليني) قال في مقالته :

« Il Movimento dei metallurgici, » *Ordine nuovo*, II, 16 / 2. x. 1920)

أنه « سيكون من قبيل الابتعاد عن الصراحة والاخلاص انكار ان حركتنا الثورية تلقت ضربة عنيفة » . وبينما يلوم نيكوليني ايضاً « الاتحاد العام للعمل » عن الهزيمة ، فانه يبرىء غرف العمل فيها من التهمة . وكانت غرف العمل ، خلافاً للاتحادات النقابية ، قد صوتت عادة الى جانب الحزب واليسار .

(١٢٠) Gramsci, « Capacità politica » (24. ix. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 170.

الفصل السادس

---

(١) Gramsci 21. ii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 471- 72.

(٢) كما ورد في : Prouteau, p. 41.

ويلاحظ تاسكا (Nascita, p. 128, n. 5) أن أسباب انضمام الفوضويين الى الحركة وردت في مقالة في صحيفة : Volonta (Ancona, 1. vi. 1920)

(٣) Borghi, p. 206.

(٤) بيتري، الذي كان اسمه الحقيقي بيترو موسّو (١٨٩٣ - ١٩٤٥) كان طالب هندسة ومنطق تجريبي . ولفترة من الزمن كان مساعداً للبروفسور آنّيبالي باستوري في جامعة تورينو ، التي ربما قابله غرامشي فيها . انظر :

Masini, Gramsci e *L'Ordine nuovo*, pp. 22 - 23, n. 8.

وكتب بيتري مقالات عديدة في « النظام الجديد » أغلبها يعالج إما « الشيوعية الفوضوية » او « التيلرية » .

(٥) Gramsci, « La Relazione Tasca e il congresso camerale di Toriano, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 130.

وانظر أيضاً كلمة ماوريتزيو غارينو عن « مجالس المصانع » أمام مؤتمر « الاتحاد الفوضوي الأيطالي » المنعقد في مدينة بولونيا في تموز (يوليو) ١٩٢٠ ، وذلك في :

Masini, *Anarchici*, pp. 26 - 31.

وقد ركز غارينو على التمييز بين المجالس و « السوفييتات » .

(٦) كما أورده غرامشي في (*L'Ordine nuovo* (10), p. 460.) . وقد اعيد نشر مقالة سوريل « نقابات وسوفييت » في :

Ordine nuovo, I, 26 (15.xi. 1919).

في هذه المقالة يحاول النقابي الفرنسي ان يوفق بين التصاقه السابق بالنقابات واهتمامه الحالي بمجالس المصانع. ولم يكن تحقيق هذا التوفيق صعباً نظراً لاصرار سوريل على النشاط المباشر للعمال . وقد قال : « ان السوفييت هو اليوم الصيغة التنظيمية الوحيدة التي يؤمن بها (العمال) » .

(٧) كل الاستشهادات الواردة في هذه الفقرة مأخوذة من :

L'Ordine nuovo (10), pp. 460 - 61.

انظر ايضاً :

« Il Partito comunista, I, » ibid., p. 154.

وهنا يقول غرامشي ان « سوريل ليس مسؤولاً بشكل من الأشكال عن الدناءة الروحية والفجاجة عند معجبيه الايطاليين ، كما أن كارل ماركس لم يكن مسؤولاً عن الذرائع الايديولوجية السخيفة « للماركسيين » . ان سوريل عبارة عن « مخترع » في ميدان البحث التاريخي . تقليده غير ممكن . انه لا يضع في تصرف من يطمع ان يكون من حوارييه طريقة يمكن تطبيقها آلياً ، ودوماً ، ومن قبل أي كان لكي تنتج اكتشافات ذكية » .

(٨) CF. « Per un rinnovamento del PSI, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 119, and « Dove va il Partito socialista ?» (10. vii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 403. Masini (Gramsci e *L'Ordine nuovo*., p. 11).

ويشدد مازيني في هذا المرجع الأخير على مخاوف غرامشي من تقدم الفوضويين

(٩) Gramsci, « Lo Stato e il socialismo » (June 28 - July 5, 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 379

وانظر أيضاً : « L'Operaio di fabbrica » ibid., p. 326

وفي هـذا المرجـع الأخير يؤكـد غرامشي ان « الاتحـاد العام للعمـل يتألف من جماهير عـاملة اكثر « ثورية » من الجماهير المنضمة الى الاتحاد النقابي الايـطالي [التنظيم النقـابي الفوضـوي - النقـابوي] لأن اتحـاد العمـل يضم عمـال تلك الصنـاعـات « الأكـثر ثـوريـة » والتي هي في الـطليعة ، في حـين ان الاتحاد النقـابي هو بـديـل مؤقت لم يخـرج من المـرحلة الهـلاميـة وغـير المميـزة ، وهي مرحلة رؤيـة للعالم خـاصة بـالبورجـوازية الصغيـرة التي لم تصبح رأسمـالية ، وخاصة بالحرفيين والفلاحين الذين لم يصبحوا من البروليتاريا » .

(١٠) Gramsci, « Che Cosa intendiamo per **demagogia** ?» (29. vii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 410 - 411.

(١١) مقاطع من :

«Lo Stato e il socialismo , » *L'Ordine nuovo* (10), p. 378.

قـارن مـع تنـاقض غـرامشي بـين المجتمـع السيـاسي والمـدني في الفصـل التـاسـع من هـذا الكتاب .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ . في هـذه الفقرات يـدين غرامشي لمؤلَّف لينـين « الدولـة والثورة » بشكل واضح .

(١٤) Gramsci (3. 10. iv. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 477.

(١٥) المصـدر السابق . ومـرة أخرى ، قـارن منـاقشـة غـرامشي الأكـثر نضجـاً لـ « العفـويـة » في الفصل التاسع من هذا الكتاب .

(١٦) Gramsci, « Discorso agli anarchici » (3 - 10. iv 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 397.

(١٨) « Lo Stato e il socialismo, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 379.

(١٩) Gramsci , « Discorso agle anarchici, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 398.

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) هناك صورة طبق الأصل لبرقية موسوليني في :

Exposition de la Press , p. 47.

(٢٢) Valeri, *Giolitti a Mussolini* , p. 214.

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٢٥) Gramsci , « Alcuni Temi, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 25.

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) المصدر السابق .

(٢٨) Gramsci, « Il Saccheggio » (21. vi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), p. 245.

(٢٩) 1. xi. 1919, in *L'Ordine nuovo* (10), pp. 284 - 86.

(٣٠) من أجل نظرة ناقدة الى هذا المقال ، انظر :

Maitan, *Attualita*, p. 47.

ويرى مايتان هذه الاطروحة كمثال لـ « الانطباعية والمبالغة » اللتان يقول انهما تـظهران احيـاناً في أعمـال غرامشي . ولكن القـوة الهائلة للديمـوقراطيـة المسيحية اليـوم في ايطاليـا توحي بـأن أقوال غرامشي لم تكن فعالية .

وآراء غرامشي اللاحقة حول السياسات الكـاثوليكيـة ومشاكـل الكنيسة والـدولة في ايـطاليا ، يمكن العثور عليها في مجموعة مثيرة للاهتمام من الفقرات المأخوذة من « دفاتر السجن » :

Il Vaticano e *L'Italia* Elsa Fubini, ed (Rome, 1961).

(٣١) أقوال غرامشي هذه موجودة في :

L'Ordine nuovo (10), pp. 475 - 76.

(٣٢) Montagnana, p. 98 .

في عام ١٩٢٠ ، كان أعضاء الاتحاد ٨٨٩٠٨٥ معـظمهم من العمال الـزراعيين المأجورين . وكـان الاتحاد « الأبيض » ، أو الكـاثـوليكي ، يضـم ٩٤٤ ٨١٢ عضـواً ، منهم فقط ٩٤٩٦١ من كاسبي الأجور . وكان بين مجموع الأعضاء ٧٤١٢٦٢ عضواً من المشاركـين في المحاصيـل او من المزارعين المستأجرين ، وكـان ١٠٨٥٨٩ من الأعضاء من صغـار الملاك . هـذه الأرقام مأخوذة من :

A. Serpieri, *La guerra et le classi rurali italiane* (Bari, 1933), pp. 290 - 92.

كما ورد في : Tasca, *Nascita*, p. 103, n. 5.

(٣٣) Tasca, *Nascita*, p. 126, n. 3.

(٣٤) Serrati, « Documentazione, I, » p. 549.

بـالنسبة لسيـراتي ، فـان هـذه الحـركـة الفـلاحيـة لم تكن تستحق اي دعم لأن هـدفهـا كـان « الامتلاك الخاص للأراضي » ، في أن هدف التنظيمات الفلاحية الاشتـراكية يجب أن يكـون « الملكية الجماعية والعمل المشترك » . انظر :

Serrati, « Risposta, » p. 252.

(٣٥) كتب غرامشي مقالات عديدة موجهة ضد هذه المحاولات :

« Il Rivoluzionario e la mosca cocchiera » (25. xi. 1919), pp. 51- 53; « Fuori del dilemma » (29. xi. 1919), pp. 53 - 56; and « Cos'è la reazione ?,» pp. 365 - 67.

أنظر ايضاً تحليله الطويل للجوليتية :

« Dietro lo scenario de giolittismo » (5 - 8. xi. 1919), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 287 - 303.

(٣٦) Gramsci, « La Rivoluzione e la mosca cocchiera, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 51.

(٣٧) Gramsci, « Operai e contadini » (3. i. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 316 - 18, and « Un programma di governo » (30, iv. 1920), ibid., p. 335.

(٣٨) « Operai e contadini », *L'Ordine nuovo* (10), p. 90.

(٣٩) Gramsci, « Programma d'azione della sezione sicialista torinese, » *L'Ordine nuovo* (10), p. 390.

(٤٠) في طبعة ميلانو من صيحفة « آفانتي » ، استناداً الى :

Arfè, *Storia dell'Avanti* !, p. 174.

(٤١) Lenin, « False Speeches about freedom, » in *The Communist International*, p. 253.

صوت الى جانب الأممية كل من : تيراشيني ، جيناري ، روجنت ، تونتار ، كازوتشي ، ماركسيال ، بيلّوني . وصوت ضدها كل من : سيرّاتي ، باراتونو ، زاناريني ، باتشي ، جاكوميني .

(٤٢) ان مصدراً جيداً لبعض المادة عن هذا الجدل هو :

Partito Socialista Italiano, *Lettere e polemiche* .

(٤٣) Lenin, « A Letter to the German and French workers, » in *The Communist International*, p. 250.

(٤٤) Serrati, «Di alcune nostre ragioni», P. 306.

(٤٥) اورد سيّراتي هذه النقاط على التوالي في :

« Risposta, » p. 250; « Di alcune nostre ragioni» pp. 307 - 9 ; ibid., p. 310.

(٤٦) Gennari , p. 76.

(٤٧) Nenni, pp. 111 - 12.

في الرد على أقوال سيّراتي بأن التعاون مع الاصلاحيين كان ضرورياً لتجنب كارثة ، يقترح لينين خطة لتجنب المعضلة : « افصلوا انفسكم عن جناح توراتي ، ثم أقيموا تحالفاً معه » . ولم يكن باستطاعة الرد إلا بأنه ، نظراً للطبيعة الايطالية ، فان الانفصال سيؤدي الى مرارة كبيرة تجعل التحالف مستحيلاً (Serrati, « Documentazione, II» p. 599) .

(٤٨) Serrati, « Decumentazione, I, » pp. 536 - 50 *passim*

(٤٩) Valiani, *Histoire* , p. 136.

(٥٠) Bordiga in Il Soviet, 3. x. 1920, as quoted by Gramsci in *L'Ordine nuovo* (10), p. 488.

صحيح ان صحيفة « النظام الجديد » نشرت افتتاحية في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٩ ، بعنوان « وحدة الحزب » ، تحث على وحدة كل العناصر في الحزب ، وادعت ان مؤتمر بولونيا اثبت ان الجميع يستطيعون العمل سوية .

(٥١) Serrati, « Risposta, » p. 254.

(٥٢) Arfè, *Storia dell'Avanti* !, 175.

(٥٣) Gramsci, « La Disciplina internazionale » (16 - 23. x. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), pp. 353 - 55.

(٥٤) Gramsci , « Nota comunista » (16. xii. 1920), *L'Ordine nuovo* (10), p. 433.

(٥٥) من مشاورات المؤتمر الاصلاحي في ريجو ايميليا ، الذي عقد في ١٠ - ١١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٠ ، كما ورد في :

Tasca, *Nascita*, p. 144.

(٥٦) البرنامج ـ البيان نشر في :

Ordine nuovo , II, 19 (30. x. 1920)

ونشر ايضاً مع تعليقات سيرّاتي في :

Comunismo, II, 4, (15 - 30. xi. 1920), 185 - 89.

وادعى آنجيلو تـاسكـا (Comunismo e Fascismo », p. 9 ») أن بيـان ايمـولا « ليس فيـه أثـر لتأثير غـرامشي وأفكاره » . وربما لا ، ومع ذلـك ، فاني لم أجـد في البيان شيئاً يتعارض مـع فكر غرامشي .

(٥٧) هناك تحليل جيد لهذه الانتخابات في :

Salvatorelli and Mira, pp. 93 - 95.

وانظر أيضاً تعليقات سيرّاتي في :

Communismo, I, 2 - 3 (October 15 - November 15, 1920) 173 - 174.

(٥٨) Ferrara and Ferrara , pp. 86 - 87.

كان غرامشي شديد الغضب من الجوليتيين لأنهم وقفوا الى جانب الكـاثوليـك . وبالـرغم من ادعـائهم العلمانيـة ، فان الحـزب الليبرالي التـوريني لم يتردد ابـداً ـ كـما يقـول غـرامشي ـ في اقـامة مثـل هـذا التحـالف اذا كـان ضـرورياً لهـزيمـة الاشتـراكيـة . لقـد كـان الليبـراليـون « جبناء » ، وكان الكاثوليك « ابتزازيين » . انظر :

«Tra Vigliacchi e ricattatori» (28.x.1920), *L'Ordine nuovo* (10), PP. 359—61.

ويقول سبريانو (*L'Ordine nuovo* , p. 105) أنـه كانت لـلاشتراكيـين أكثريـة بعد العـد الأول للأصوات ، ولكن اعـادة العد في اليـوم التالي أعـطت الأكثريـة للكتلة « الدستـورية » بفـارق « عشـرات قليلة من الأصوات » . وأتهم الاشتـراكيـون (المسؤولـين) بـالاحتيـال ، مما أثـار جدلاً حاداً . وبين أشياء أخرى ، قال الاشتـراكيون ان صنـاديق الاقتراع في منـطقة انتخـابية بكاملها حجـزت واستبدلت بصنـاديق اخرى جـديدة، وان الـذين قامـوا بالعمليـة جماعـة من أفراد المحاربين القدماء في « فيلق فيومي» .

(٥٩) Arfè, ***Storia dell'Avanti*** PP. 176—77

(٦٠) Gramsci, ***L'Ordine nuovo*** (10), p. 495.

(٦١) المصدر السابق ، ص ٤٩٣ .

(٦٢) تعليقات « لومانيتيه » اوردها غرامشي في المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

(٦٣) Valiani, *Histoire* , p. 132; Ferrara and Ferrara, p. 96; A. Mezio, « *Lettere* di Gobetti a Croce, » ***Il Mondo*** 3. x. 1962.

وكتب غـرامشي فيما بعـد يقول : « في تشـرين الثـاني (نـوفمبـر) ١٩٢٠ ، اقنعني جـوزيبّي بريتزوليني بـأن أعهد الى شـركته بـطبع مجمـوعة من مقـالاتي كانت كتبت فعـلاً حسب خـطة واحـدة . ولكني قررت في كـانون الثـاني (ينايـر) ١٩٢١ ان أدفع نفقـات هذا العمـل الذي كان قد أنجز ، وأن أسحب المخطوطات » . (رسالة غرامشي الى تـاتيانـا في ١٩٣١/٩/٧ ، واردة في : *Lettere* (1), p. 137) . ودعـا غـرامشي بـريتـزوليني الى أن يحـاضـر في عمـال تورينو . وكان موضـوع المحاضـرة ، التي ألقيت في ٢٧ شباط (فبـراير) ١٩٢١ ، « المثقفـون

والعمال». بعد ذلك ، كتب بريتزوليني يقول ان غرامشي أحد أبرز الرجال في ايطاليا . و « نظامه » عبارة عن موضوع اصيل . وهو انسان ذو ايمان وطاقة ، وان كان لا يعمل حالياً » .

انظر :

Prezzolini, p. 193.

أما محتوى محاضرته في العمال ففي المؤلّف نفسه ، ص ١٨٩ .

(٦٤) « Pacificazione », pp. 290 - 91.

(٦٥) أول اشارة معروفة الى غرامشي صدرت عن باحث غير ايطالي وغير يساري ، هي اشارة ليمونون، ص ٢٠٠. وكان ليمونون يتحدث عن قادة احتلال المصانع، وقال: «أحد الأكثر عنفا هو اينيا ماتا ، نائب سكرتير غرفة عمل تورينو . والى جانب [هؤلاء القادة] وقف عدد كبير من المثقفين الذين تجمعوا حول الصحيفة الشيوعية « النظام الجديد » ، التي حلت محل « آفانتي » (!) المتهمة بكونها شديدة الاعتدال . وكان زعيم هذه المجموعة هو المواطن (!) غرامشي ، وهو رجل صغير محدودب الظهر ، حالم ومثالي خطير» .

الفصل السابع

(١) قدم الكومنترن احر تهانيه القلبية وأمل النجاح للصحيفة الجديدة . انظر :

« Dalla Internaionale Comunista alla Sezione Socialista Torinese e alla redazione dell' Ordine nuovo quotidiono, »*Ordine nuovo* (daily), I, 1 (1. i. 1921).

(٢) مشاريع القرارات ، أو الأطروحات ، الخمسة ، مرفقة بتعليقات سيرّاتي منشورة في :

« Preparando il Congresso, » *Comunismo*, II, 4 (15 - 30. xi. 1920), 177 - 89.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧٧ و١٨٢ . وقد حضرت الأممية تعبير « وسطي » بسيرّاتي نفسه .

(٤) عشية المؤتمر ، كتب غرامشي افتتاحية غاية في القسوة حول « تقرير ادارة الحزب » ، الذي كان قد أعلن لتوه . وبالرغم من ان جيناري كا هو الذي كتب التقرير ، فان غرامشي وصفه بأنه « ذو قيمة حقاً ، فباطاره البيروقراطي القاحل يمثل ما كانت عليه حياة الحزب في هذه الأشهر » . انظر :

« Froza e prestigio, » *Ordine nuovo* (daily), I, (14. i. 1921).

(٥) « La Sezione Socialista e il Comgresso, » *Ordine nuovo* (daily), I, 5 (5. i. 1921).

(٦) « La Parola della Terza Internazionale, » *Ordine nuovo* (daily), I, 13 (13. i. 1921).

(٧) « Vigilia di Congresso, » *Ordine nuovo* (daily), I, 14, (14. i. 1021), and « Mentre si apre il Congresso Socialista,» *Ordine nuovo* (daily), I, 15 (15. i. 1921).

(٨) *Resoconto* , p. 16

هذا المؤلّف وتقارير « النظام الجديد » (اليومية) تشكل الوثائق الرئيسية الأولية التي

استخدمت في كتابة هذا الفصل .
تولياتي ، الذي كان يصدر الصحيفة في غياب غرامشي ، وضع تصريح ليفي ، بأحرف كبيرة ، في الزاوية العليا اليمنى (المانشيت) من الصفحة الأولى ، في عدد يوم ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ من صحيفة « النظام الجديد » .

(٩) *Resoconto* , p. 67.

(١٠) أعمال ١٦ كانون الثاني (يناير) منشورة في :

Ordine nuovo (daily), I17 (17.i.1921).

(١١) كان ماتياس راكوتشي، الزعيم الشيوعي الهنغاري ، هو المندوب الوحيد الآخر للكومنترن . ويظهر اسمه في *Resoconto* وفي الأدبيات الأخرى عن المؤتمر « راكوفسكي » . الشيوعي البلغاري جورجي ديميتروف حضر المؤتمر أيضاً ، وان ليس بصفته الرسمية . انظر رسائله الحاوية لانطباعاته عن المؤتمر في Inedit .

(١٢) Due Discorsi, *Ordine nuovo* (Daily), I, 17 (17.i.1921). وشعر ديميتروف (ص ٩) أن « كريستو قام بعمله كممثل للأممية الشيوعية بشكل ممتاز ، بالرغم من الصياح والصفير المفرطين اللذين كان يطلقهما الاصلاحيون والوسطيون » .

(١٣) *Resoconto*, P.113.

(١٤) La Situazione, *Ordine nuovo* (daily), I.17 (17.i.1921).

(١٥) *Resoconto*, PP.146-47,149

(١٦) خطاب تيراشيني الوارد في :

Resoconto, PP.165-206.

أعيد نشره في :

Rinascita, XIX,25-26 (Oct.27, Nov.3, 1962).

وتقول « رينا شيتا » أنه ما زال للخطاب قيمة كبيرة في فهم « الأسباب التاريخية لتأسيس الحزب الشيوعي » .

(١٧) *Resoconto*, P.201.

(١٨) La Mozione unitaria, *Ordine nuovo* (daily), I,18 (18.i.1921).

(١٩) *Resoconto*, P.238.

ويقول بيليني وغالي (ص ٤٥) أن ما قام به بومباتشي هو أمر « عادي بالنسبة لأبناء مقاطعة رومانيا (الايطالية) » . وفي الواقع ، كان تيراشيني هو الذي أعطى المسدس لبومباتشي ، ربما لأنه شعر أن الأخير قد يحتاج اليه فعلاً لحماية نفسه ! انظر :

Note al Congresso di Livorno: La giornata di Stenterello, *Ordine nuovo* (daily), I.9.(19.i.1921).

هذه المقالة ربما كانت لغرامشي .

(٢٠) انظر : *Ordine nuovo* (daily), I,20 (20.i.1921).

(٢١) قال بورديغا أولاً انه كان هنالك نوعان من المعارضة للحرب : أحدهما لأسباب انسانية بحتة ، والآخر يهدف الى تحويل الحرب الى حرب أهلية . عند تلك النقطة ارتفع صوت

من القاعة يتهم بورديغا بأنه « اشتراكي حرب » ، مما أثار المسألة القديمة حول موقف الاشتراكية الايطالية من الحرب العالمية الأولى . واحتفل الوحدويون بعدم تعاون الاصلاحيين الايطاليين خلال الحرب على أساس أنه يمثل حماسة ثورية . عملياً ، ان تصلب الحزب الاشتراكي الايطالي تجاه أحزاب ومجموعات مختلفة خلال الحرب كان سبباً رئيسياً في عجزه عن اقامة تحالف مع منظمات المحاربين القدماء وجماعات اليسار الفلاحي . وقاد بورديغا الموضوع الى نهايته ، للمرة الأولى ، بالكلمات التالية : « أنا لست اشتراكي حرب ، وليس هناك كثيرون بين الشيوعيين . وعلى العموم ، على من كان صامتاً خلال الحرب « لا دعم ولا تخريب للحرب » ، وعلى من يصرخ الآن أنه كان ضد الحرب ، إني أفضل أولئك الرجال الشباب الذين ، من خلال تجربة التضحية التي تعلموها في الحرب ، عادوا بإيمان جديد في قلوبهم » .

(٢٢) انظر :

Ordine nuovo (daily), I,20 (20.i.1921), and *Resoconto*, P.294.

(٢٣) فيما يتعلق بالنقطة الأخيرة ، كان سيراتي قد سبق وأعلن الملاحظات التالية :(«Preparando il Congresso», *Communismo*, I, 4, P.185) « إذا لم يكن الوحدويون كلهم كتلة واحدة ولوناً واحداً ، فإن الانشقاقيين ليسوا كذلك أيضاً ، ونظراً لأنهم يدعون اتباع ارثوذكسية نقية ، ويدعون كونهم أنصاراً للمركزية القصوى والانضباط الأدق ، فإن عليهم حقاً أن يكونوا أكثر انسجاماً . وبدلاً من ذلك نجدنا أمام أجمل قوس قزح . نجد ارادياً وروحياً برغسونياً مثل سياسارو برفقة ماركسي مادي بحت مثل بورديغا ، ونجد براغماتيين مثل تاسكا ، و« ستاً وأربعينيين مثل بومباتشي» ، و« محققين » مثل باستوري ، ومثاليين مثل فورتيكياري ، ومدافعين عن أعمال الادارة السابقة مثل . . . جيناري ، وناقدين لها لا يرتاحون مثل غرامشي ، وانتخابيين مثل كاروتي أو بيليني ، وامتناعيين مثل بويرو» .

(٢٤) *Resoconto*, P.317

(٢٥) Ibid. PP.332-33, and *Ordine nuovo* (daily), I,20.

(٢٦) *Resoconto*, P.346.

(٢٧) لم يوضح جيناري لماذا سمح لسيراتي ، بالرغم من الاكثرية الشيوعية في الادارة ، باستخدام الصحيفة الناطقة بلسان الحزب لعرض رأي أقليته بأنه يجب الابقاء على الاصلاحيين في الحزب الاشتراكي الايطالي .

(٢٨) قالت « النظام الجديد » : « كانت مهمته القاء خطابين يستدران الدموع » .

(٢٩) *Resoconto*, PP. 396-97.

(٣٠) انظر المصدر السابق ، ص ٤٤١ ـ ٤٦ للاطلاع على الاقتراحات النهائية للأجنحة الثلاثة . وبالرغم من أنه لا يمكن مقارنة النتائج بدقة ، فمن المثير للاهتمام ملاحظة تقدم اليسار المتطرف منذ مؤتمر بولونيا . في ذلك المؤتمر كانت حصيلة الاصوات كما يلي : اليسار ٣٤١٧ ، الوسط ٤٨٤١١ ، اليمين ١٤٤٨٠ .

(٣١) انظر : Le Cifre, P.444.

(٣٢) أعمال يوم الجمعة ٢١ كانون الثاني (يناير) ، للمؤتمرين الاشتراكي والشيوعي ، واردة

في : Ordine nuovo (daily), I,22 (22.i.1921).

وهناك موجز لأعمال ووثائق المؤتمر الأول للحزب الشيوعي الايطالي في :

Resoconto, PP. 449-77.

(٣٣) *Resoconto*, P.411.

(٣٤) من ١٩٢١ وحتى ١٩٤٣ كان الاسم الرسمي للحزب هو « الحزب الشيوعي لايطاليا ، الفرع الايطالي للأممية الثالثة » . ومنذ ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٣ ، عندما حلت الأممية الشيوعية ، أصبح الاسم الرسمي للحزب هو « الحزب الشيوعي الايطالي » . انظر :

Bellini and Galli, P.51, n. 1

(٣٥) بيليني وغالي (ص ٤٩) لا يجملان اسمي أمبروجو بيلوني وشيزاري سيا في اللجنة المركزية ، ولكنهما موجودان في القائمة الواردة في :

Ordine nuovo (daily), I,22, (22.i.1921)

وفي : *Resoconto*, P.451.

(٣٦) «Deliberati del nuovo partito», *Ordine nuovo* (daily), I,23 (23.i.1921).

(٣٧) من المثير للاهتمام الى حد أن هذا الاعلان من جانب الجناح الامتناعي تابع الاصرار على القيمة النظرية لانتقاداته الموجهة الى « التكتيك البرلماني » ، بالرغم من اعترافه بامتعاض بأن المشكلة « قد حلت في الميدان العملي عن طريق قرارات المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية » . وفي ذلك المؤتمر كان لينين قد وجه انتقاداً حاداً إلى امتناعية بورديغا . انظر المصدر السابق ، وأيضاً :

Resoconto, P.451.

(٣٨) للاطلاع على دفاع عن الموقف الشيوعي في ليفورنو ، انظر :

«The Russian Revolution and the Formation of the Italian Communist Party»

(٣٩) Nenni, P.125.

(٤٠) كان اسم غرامشي قد ورد في القائمة الأولى للمتكلمين .

«Figure del Congresso», *Ordine nuovo* (daily), I,16 (16.i.1921).

هذه المقالة تعطي صورة عن غرامشي وبورديغا ، زعيماً الجناحين اللذين يشكلان « قلب » الجناح الشيوعي في ليفورنو .

(٤١) كان باستوري قبلاً يشرف على الطبعة البيمونتية من صحيفة « آفانتي » . وخطة اصدار صحيفة نصف شهرية ، هي « إل كومونيستا » ، في ميلانو لم تتقدم كثيراً . وعوضاً عن ذلك ، فإن اليوميات الثلاث المذكورة أصبحت كلها ناطقة رسمياً بلسان « الحزب الشيوعي الايطالي » .

الفصل الثامن

(١) أن تفسير سبب نشر هذه الرسائل مثير للاهتمام حقاً : في عام ١٩٢٨ ، أرسل انجيلو تاسكا ، الذي كان قبلاً قاد « الأقلية » اليمينية في الحزب الشيوعي الايطالي ، إلى موسكو

كممثل للحزب في اللجنة التنفيذية للكومنترن . وفي موسكو اكتشف تاسكا وجود نسخ من هذه الرسائل ومن وثائق أخرى في أرشيف الفرع الايطالي في الأممية . وأخذ تاسكا نسخاً عن هذه الوثائق احتفظ بها حتى ما بعد طرده من الحزب في عام ١٩٢٩ . وقبل وفاته عام ١٩٦٠ بسنوات قليلة ، أعطى تاسكا مجموعته الكاملة من هذه الوثائق إلى « مؤسسة جانجاكومو فيلترينيلي » في ميلانو . وفي الوقت نفسه تقريباً قام جورجو غالي بنشر بعض هذه الوثائق في الصحيفة الدورية « كوريسبوندنسا سوشاليستا » ، وعندئذ قرر بالميرو توليياتي تحويل الضرورة الى فضيلة ، وذلك بنشر المجموعة بكاملها ، مضيفاً اليها مجموعة رسائل ووثائق من أرشيف الحزب ومن الأوراق الخاصة للعديد من قادة الحزب . انظر :

Tasca, «L'Ordine nuovo» «I Prini dieci Anni, 2», P. 5», and Togliatti, *La Formazione,* P. 43.

(٢) رسالة غرامشي الى جوليا ، فيينا ، بتاريخ ١٩٢٤/٣/٦ ، في :

Ferrata and Gallo (12), II,33-34.

(٣) Ferrata and Gallo (12), I,531-831.

مقدمة جانسيرو فيراتا الطويلة (ص ٩ـ١٤٥) علمية ومتبصرة بالرغم من بعض الفقرات القليلة الغامضة أحياناً .

(٤) ستيفانو ميرلي ، أحد المشرفين على تحرير هذه الدورية ، كان قد ساهم أيضاً في وضع بيبليوغرافيا ممتازة للمصادر حول التاريخ المبكر للحزب الشيوعي الايطالي :

«Il Partito comunista d'Italia», 1921-1926.

(٥) Ferrata and Gallo (12), I,534.

(٦) «Uomini di carne e ossa» (8.v.1921), ferrata and Gallo (12), I,582-84.

(٧) «Fiume» (11.i.1921), Ferrata and Gallo (12), I, 554-56.

(٨) انظر : Caprioglio, P.269.

وننينو دانييلي هو كاتب هذه الفقرة .

(٩) Ferrata and Gallo (12), I,535.

وانظر الصفحات ٥٣٤ ـ ٥٣٨ من أجل مناقشة مثيرة للاهتمام لآراء غرامشي حول الحزب الاشتراكي الايطالي والفاشية ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ .

(١٠) في الجو الثوري لمطلع العشرينات ، رأى جوليتي أن الحزبين الماركسي والشعبي (الكاثوليكي) . وهما العدوان التقليديان للدولة الليبرالية ، قد وصلا نقطة متقدمة من القوة والخطر . وكان يبدو ان الفاشية قد فصلت بالمقاس المناسب لجوليتي كضد لهذه القوى « الهدامة » ، ولذلك فقد دعم الفاشية بصمت ، وخصوصاً في عام ١٩٢١ ، ورأى فيها جناحاً شاباً ومفعماً بالحيوية لـ « الطبقة السياسية التقليدية » . وكان العنف الفاشي ، بالنسبة لجوليتي ، أكثر من ضروري لأن نظام الانتخابات النسبية آنئذ كان في صالح الحزبين الاشتراكي والشعبي . انظر :

Carocci, *Giolitti*, PP. 181-82.

(١١) انظر : Gronologia, *Lettere* (2), P.xxxii.

وفي ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢ ، وبناء على طلب تروتسكي ، كتب غرامشي موضوعاً

قصيراً عن المستقبلية الايطالية نشره تروتسكي في عام ١٩٢٣ كملحق لكتاب « الأدب والثورة » . وهذا الموضوع منشور الآن في :

Ferrata and Gallo (12), I,633-35

(١٢) *La Formazione*, P.59.

(١٣) رسالة مؤرخة في ١ آذار (مارس) ١٩٢٤ :

La Formazione, P.228.

ومن المثير للانتباه ان غرامشي وأصدقاءه لايشيرون في هذه الرسالة بشكل خاص الى قدرة بورديغا « الفكرية » .

(١٤) كما أورده تيراشيني في رسالة مؤرخة في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٢٤ :

La Formazione, P.280.

(١٥) Carr, P.501, n.1.

وقال كار ان بورديغا كان الممثل البارز لليسار في الدورة السادسة الكاملة ،

(١٦) المصدر السابق .

(١٧) رسالة مؤرخة في ٢٧ آذار (مارس) ١٩٢٤ :

La Formazione, PP. 254-55.

(١٨) أول تحليل مطول وفي العمق لـ « البورديغية » وضعه شيوعي ايطالي نشر أخيراً ، أنظر :

Santarelli, *La Revisione*, PP. 235-92.

(١٩) انظر :

Garosci, The PCI, P.160, and Silone, PP.55-56.

(٢٠) Degras, *The Communist International,* I,306-16.

في تطبيقها الايطالي ، يمكن العودة بأصول هذه السياسة الى حث لينين للايطاليين في المؤتمر الثاني : « افصلوا انفسكم عن توراتي ، ثم تحالفوا معه » .

(٢١) حتى بعد مؤتمر ليفورنو ، بقي الحزب الاشتراكي الايطالي عضواً في الكومنترن حتى ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ :

Il PSI,III, 276.

(٢٢) زينوفييف ، كما ورد في :

Deras, *The Communist International*, I,308.

(٢٣) «Lettera ai Comunisti tedeschi» *Movimento italiano*, P.233.

(٢٤) Degras, *the communist International* , I,308.

(٢٥) بورديغا ، كما ورد في :

Bellini and Galli, P.65.

(٢٦) رسالة مؤرخة في ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٤ ، في :

Togliatti:, *La Formazione*, P.199.

كانت المادتان ٥١ و٥٢ قد استبعدتا في البداية كلياً أي احتمال لدكتاتورية اليمين المتطرف . وبعد التعديل ، أشارت المادتان الى أن الرجعية الراهنة في ايطاليا « قد » لا تتخذ

الطبيعة « الرسمية » لمثل هذه الدكتاتورية . انظر :

Ferrata and Gallo (12), II, 544.

(٢٧) رسالة مؤرخة في ٩ شباط (فبراير) ١٩٢٤ ، في :

Togliatti, *La Formazione*, PP.192-93.

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٣٠) رسالة مؤرخة في ١ آذار (مارس) ١٩٢٤ ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ . وأعلمني البروفسور جوزيبي بيرتي أخيراً أن اسم كياريني الحقيقي هو حاييم هيلر ، وأنه مات في موسكو عام ١٩٣٣ أو ١٩٣٤ .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) من أجل تفاصيل عن حياة عائلة شوخت انظر :

Lettere (2), PP. vii-viii.

(٣٤) من أجل بحث مطول عن تأثيرات هذه التجربة على حياة غرامشي ، انظر :

S.F. Romano, PP.469-91.

(٣٥) «Extracts from the Theses on Tactics adopted by the Forth Comintern Congress» Degras, *The Communist International*., I,425-26.

(٣٦) Togliatti in *La Formazione*, PP. 45-46.

(٣٧) رسالة مؤرخة في ١ آذار (مارس) ١٩٢٤ ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣٨) كما ورد في : Merli, «Le Origine», P.608.

في نهاية عام ١٩٢٣ ، اشتكى توليـاتي من أنه لو كان غرامشي اكثر فاعلية في المؤتمر الرابع ، « كان المركز الذي تتحدث [غرامشي] عنه قد اقيم » :

La Formazione, P.142.

(٣٩) رسالة مؤرخة في ١ آذار (مارس) ١٩٢٤ ، في :

Togliatti, *La Formazione*, P.228.

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٤١) انظر رسالة تيراشيني بتاريخ ١٩٢٣/٣٨ في المصدر السابق ، ص ٤٥ -٥٠ .

(٤٢) *La Formazione*, P.51.

(٤٣) البيان موجود في :

Merli, ed.,«Nuova Documentazione», PP. 515-20.

(٤٤) Gramsci, 18.v.1923 in Togliatti, *La Formazione*, PP. 63-70.

(٤٥) Lettera (27), PP.115-16.

(٤٦) لمعلومات جديدة حول نشاطات غرامشي في فيينا ، انظر : Zamis .

(٤٧) انظر رسالة غرامشي الى جوليا بتاريخ ١٩٢٤/٣/١٥ ، في :

Farrata and Gallo (12), II,36.

(٤٨) Togliatti, *La Formazione*, P.165.

(٤٩) رسالة مؤرخة في ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤ ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
و« ماشي » كان الاسم المستعار لغرامشي في هذه المرحلة .

(٥٠) رسالة غرامشي الى تيراشيني بتاريخ ١٩٢٤/١/١٣ ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٥١) رسالة مؤرخة في ١٨ أيار (مايو) ١٩٢٣ ، المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٥٢) رسالة مؤرخة في ٩ شباط (فبراير) ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٥٣) بهذه المناسبة عبر غرامشي عن أفكاره بشيء من السخرية : « اذا كانت الأممية هي حزب العالم ، ولو فهم هذا باستخدام كثير من الملح . . . » ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٥٤) رسالة غرامشي الى تيراشيني بتاريخ ١٩٢٤/٣/٢٧ ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٥٧) انظر :
Gramsci «Les élections italiennes» (17.iv.1924), ***International Press Correspondence*** (Ferench edition), reprinted in, *rivista storica del socialismo*, IV,3-4 (May-Dec. 1961), 641-44.

(٥٨) «Alcuni Temi della questione meridionale», *Stato operaio*, iv, I (1930), 9-26.
وهذا الموضوع أعيد نشره عدة مرات .

(٥٩) Ferrara and Ferrara, P.152.
ويقول فيليو سبانو أن النص كان « قد كتبه تولياتي بتعاون وثيق مع غرامشي » . انظر :
Spano, P.235.

(٦٠) S.F.Romano, P.536.

(٦١) *Il Partito*, P.60.
في مؤلف شيوعي أقدم كتب مونتانيانا (ص ٢٧٤) ، صهر تولياتي ، أن الأطروحات « وضعت من قبل غرامشي أو بموجب توجيهه الدقيق » .

(٦٢) S.F. Romano, P. 536.

(٦٣) Spano, P.238.

(٦٤) *Il Partito*, P.60.

(٦٥) Garosci, Totalitarismo, P.212.

(٦٦) S.F. Romano, P.536.

(٦٧) Spano, P.239.

(٦٨) انظر :
Degra , ***The Communist International*** , II, 188-205
من أجل مقتطفات من :
These on the Bolshevization of Communist Parties adopted at the Fifth ECCI Plenum,
ومقتطفات من الاطروحة حول « المسألة الفلاحية » . وكانت قد نشرت في الأصل في :
International Press Correspondence (German ed.). في ١١ أيار (مايو) ١٩٢٥ .

(٦٩) Thesis I, Alatri, *L'Antifascismo*, P.415.

معظم نص الاطروحة موجود في الصفحتين ٤١٥ ـ ٤١٦ من هـذه المقتطفـات المختاره المسرده والتي يسهـل الوصـول اليها ، والتي أول مـا نشرت في : Tesi (31) وعنـدما كـان منشوراً ، أشرت الى هذه الطبعة . انظر أيضاً تقرير غرامشي الى المؤتمر : «La Relazione» (32)

(٧٠) Thesis 28, Alatri, *L'Antifascismo*, P.440

(٧١) Thesis 25, *ibid,* P.435.

(٧٢) Thesis 31, «Tesi» (31), PP.494-95.

(٧٣) قـارن مع اراء غـرامشي حول طبيعـة الأحزاب السيـاسية كـما وردت في الفصـل التـاسـع من هذا الكتاب .

(٧٤) «La Relazione» (32), P.519.

(٧٥) Thesis 29, «Tesi» (31), PP.493-94.

(٧٦) Thesis 36, Alatri, *L'Antifascismo*, P.441.

(٧٧) المصدر السابق .

(٧٨) في نيسان (ابريل) ١٩٢٦ ، أعطى قانون روكو احتكار التمثيل الى النقابـات الفاشيـة ، وفي ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٧ ، أعلن « الاتحاد العام للعمل » حل نفسه .

(٧٩) «La Relazione» (32), P.522.

(٨٠) Alatri, *L'Antifascismo*, P.442.

(٨١) « ان العمل في النقابات الاشتراكية ـ الديموقراطية والنقابـات الاخرى (الصفـراء ، القوميـة ، الاشتراكية ، الدينية ، الفاشية) هو جزء هام ومتكامل من البلشفة » :

Degras, *The Communist Intrnational*, II,192.

(٨٢) «La Relazione» (32), PP. 521 and 522.

(٨٣) Thesis 38, Alatri, *L'Antifascismo*, P.442.

الاطـروحـة ٢١ ، ف ٤ ، للدورة الخـامسـة الكـاملة ، والتي تتعـامـل تحـديـداً مـع الحـزب الشيوعي الايطالي ، طلبت من الحزب أن « يبدأ عمـلاً منتظماً لايجـاد لجان المصـانع وتـدعيمها والسيطرة عليها » . انظر :

Degras, *The Communist International*, II, P.196.

(٨٤) Thesis 30, «Tesi»(31), P.494.

(٨٥) Thesis 19, Alatri, *L'Antifascismo*, P.431.

(٨٦) هناك تحليل اكثر تفصيلاً للمجموعات الفلاحية العديدة في :

La Relazione (32), P. 523.

(٨٧) انظر الاطروحة ١٢ من قرارات الدورة الخامسة الكاملة ، في :

Degras, *the Communist Intrnational*, II, 193.

(٨٨) Thesis 39, Alatri, *L'Antifascismo*, P.432.

(٨٩) Thesis 40, *ibid*, P.445.

(٩٠) الاطروحة ١٢ من قرارات الدورة الخامسة الكاملة في :

Degras, *the Communist International*, II, 193.

(٩١) Thesis 20, Alatri, *L'Antifascismo*, P.432.

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٩٣) Thesis 39, *ibid,* PP. 443, 445.

(٩٤) Spano, P.39.

(٩٥) Theses 4 to 7, Alatri, *L'Antifascismo*, PP. 418-20.

(٩٦) Thesis 8, *ibid,*. PP. 420-21.

(٩٧) «La Relazione» (32), P.523.

(٩٨) Lin Piao, P.24.

قارن في الصفحة نفسها : « يشكل الفلاحون القوة الرئيسية للثورة الوطنية الديموقراطية » ، وأيضاً « برنامج الأممية الشيوعية » (١ ايلول/ سبتمبر ١٩٢٨) الذي يستخدم في احدى النقاط تعابير مشابهة لتعابير غرامشي : « في مرحلة الانتقال تكون المستعمرات وأشباه المستعمرات أيضاً ذات أهمية لأنها تمثل القرية على مستوى العالم وفي مواجهة البلدان الصناعية ، التي تمثل المدينة في اطار الاقتصاد العالمي» . في :

Degras, ed., *The Communist International II,* 508.

(٩٩) Thesis 9, Alatri, *L'Antifascismo*, P.421.

(١٠٠) المصدر السابق . وهنا يشير غرامشي إلى تشابه في الشروط بين ايطاليا وروسيا ١٩١٧ . وفي مكان آخر ، يشدد غرامشي على الاختلافات . البلدان كلاهما فيهما طبقة صناعية ضعيفة عليها ان تصل الى تسويات مع فئات حاكمة أخرى . هذه هي المشكلة المواجهة هنا . وفي مكان آخر ، يبرز غرامشي كون ايطاليا مشابهة لبقية أوروبا الغربية ، وهي تختلف عن روسيا ١٩١٧ بامتلاكها مجتمعاً مدنياً قوياً ومعقداً .

(١٠١) المصدر السابق ، ص ٤٢١ ـ ٤٢٥ . وفيما يلي موجز لأفكار غرامشي حول دور الكنيسة في تاريخ ايطاليا الحديث : من ١٨٧٠ الى ١٨٩٠ ، استمر الفاتيكان في نضاله ضد الدولة البورجوازية من ناحية (وهو عامل ساهم في ضعف تلك الدولة) . في عام ١٨٩١ ، اتخذت الكنيسة موقفاً مبرمجاً ضد الاشتراكية من خلال الرسالة الرسولية للبابا « ليو الثالث عشر » المسماة «*Rerum novarum*» بينما أرست في الوقت نفسه ،قواعد برنامجها الاجتماعي . وجرى تطبيق هذا البرنامج في المرحلة اللاحقة ، ١٩٠٠ ـ ١٩١٤ ، بواسطة حركة « العمل الكاثوليكي » . في الوقت نفسه ، وتحت ضغط الحركة الاشتراكية المتنامية ، توصلت الكنيسة أخيراً الى اتفاق مع الطبقات الحاكمة يعطي الدولة قاعدة أضمن . فقد ألغت الكنيسة قانونها المسمى «non expedit» ،أو قانون منع المشاركة في عمل الدولة ، ثم وافقت ، بموجب اتفاق جنتيلوني لعام ١٩١٣ ، على دعم المرشحين البرلمانيين الليبراليين ضمن شروط معينة ، خلال مرحلة ما بعد الحرب ، ورداً لتعاظم حجم اليسار ، أقام الفاتيكان حزبه السياسي الخاص به ، وهو « الحزب الشعبي الايطالي » ، للابقاء على الجماهير الفلاحية داخل اطار الدولة البورجوازية .

(١٠٢) Thesis 15, i ibid, P.426.

(١٠٣) المصدر السابق .

(١٠٤) Thesis 16, *ibid*, P.427.

(١٠٥) Thesis 16, *ibid*, PP. 428-29.

(١٠٦) انظر : «Carbonarismo» (29), P.15

(١٠٧) المصدر السابق ، ص ١٦ .

(١٠٨) انظر : «Gramsci» al CC (34).

قبل وفاة تولياتي بثلاثة أشهر ، نشرت هذه الرسالة ، رد تولياتي ، مع مقدمة كتبها بنفسه في صحيفة «*Rinascita*» ،وتسببت في تعليقات كثيرة في بلدان عدة . ويبدو أن قليلين اكتشفوا ان آنجيلو تاسكا كان قد نشر الرسالة في نيسان (ابريل) ١٩٣٨ ، في :

Problemi della Rivoluzione italiano

وهي مطبوعة تصدر في مارسيليا باللغة الايطالية . وفي عام ١٩٥٣ ، كان تاسكا قد أعاد نشر فقرات هامة من الرسالة في :

« Ordinovisti e bordighisti » (**«I Primi Dieci Anni del PCI, 4»**).

حالات النشر السابقة هذه كانت مجهولة عند اسحق دويتشر (***The Prophet Outcast***) وعند ك . س . كارول . وأي من الكاتبين لم يوضح ان غرامشي لم يكن يحاول الدفاع عن تروتسكي سياسياً . وفي الواقع ، فانه رأى أن « المعارضة » هي المسؤولة الرئيسية عن الأزمة في الحزب الروسي . وأخيراً ، فان دويتشر لم يكن دقيقاً في تأكيده بأن ذاكرة غرامشي قد استسلمت للنسيان خلال عهد ستالين .

(١٠٩) « Gramsci al cc » (33), pp. 18 - 19.

(١١٠) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(١١١) « Discussione politica con Gramsci in Carcere ».

وبعد اسابيع قليلة من نشر هذه الوثيقة ، حث المؤرخ باولو سبريانو معتقلين سياسيين آخرين سابقين عرفوا غرامشي في (سجن) توري على التقدم بشهاداتهم . وحتى الآن (تاريخ تأليف هذا الكتاب بالانكليزية - ١٩٦٧/ المعرب) استجاب لأي وترومبيتي . انظر :

Spriano, « Sul rapporto »; Lay, « Colloqui »; and Trombetti, « Piantonc ».

وينهي ترومبيتي مقالته بـ « كلمة رائعة في العين » لكل أولئك الذين كانوا رفاق نوم جورج واشنطن . بعد الحرب العالمية الثانية عزلت زنزانة غرامشي في السجن ، وكرست لذكراه . واستناداً الى ترومبيتي ، الذي زار معتقل توري بعد ذلك بقليل ، فليس السرير الخشبي والطاولة (في الزنزانة) هما المزيفين فقط ، بل ان الزنزانة نفسها ليست تلك التي قضى غرامشي فيها مدة سجنه !

(١١٢) Ferri, « Valore, » p. 19.

وانظر أيضاً : Lay, p. 21.

ويضيف لاي أسماء أخرى كثيرة الى المجموعة ، ولكن يبدو أنه لا يعتبر بياشينتيني وشيريزيا

فوضويين .

(١١٣) Lisa, p. 20

(١١٤) Lay, p. 22

(١١٥) المصدر السابق . وطرد سكوكيا فيما بعد من الحزب لانحرافاته التروتسكية . وبعد بعض الوقت ، شن اتزيو تادي هجوماً أكثر عنفاً على غرامشي وعلى قادة شيوعيين آخرين معتقلين ، وتادي فوضوي كان معتقلاً في توري (انظر مقالته «Di ritono») . وقد استشهد موسوليني بتلذذ كبير بهذه المقالة في صحيفة « إل بوبولو ديتاليا » الصادرة في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٧، اذ قال : « هذه الأقوال أدت الى تصفية شخصية غرامشي » . انظر : « Alterini » . بعد بضع سنوات ، يبدو ان تادي غيّر رأيه في غرامشي وشيوعيين آخرين . وفي رسالة موجهة الى مؤلف هذا الكتاب في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ قال لوكا بافوليني ، نائب مدير *«Rinascita»* ، انه « بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما عرفته شخصياً ، كان تادي قريباً من الشيوعيين وكثيراً ما كتب في صحيفة « لونيتا » وصحف أخرى تخصنا » .

(١١٦) Lay, p. 21.

ويقول لاي ان هذا لم يكن يعني ان غرامشي « لم يكن يتحمل الاختلاف في الأفكار . آتوس ليزا لم يكن متفقاً مع طرح غرامشي . . . ومع ذلك ، كان غرامشي يحترمه ويثمنه » .

(١١٧) Trombetti, « Piantone, » p. 32.

(١١٨) المصدر السابق ، ص ٣١ - ٣٢ .

(١١٩) Ferri, «Valore», P.20

(١٢٠) Lisa, p. 18.

يجب التذكير هنا أن لهجة الأقوال هذه قد تكون لهجة ليزا ، ولكن لا شك ان الأفكار هي أفكار غرامشي .

(١٢١) كان غرامشي قد أثار فعلاً مسألة التحرك ضد الملكية في أطروحات ليون (الأطروحة ٣٩ مكرر، في: Alatri, *L'Antifascismo*, p. 445) ولكن بطريقة أكثر حذراً، إذ أن الهدف الأساسي هو «تعرية بعض المجموعات المعادية للفاشية على طريقتها » في جماعة الأفنتين.

(١٢٢) يقول تقرير ليزا (ص ١٩) (ببساطة ٦٠٠٠ عضو ناشط. ولكن لاي (ص ٢٢) يؤكد ان غرامشي قال بوضوح في إحدى محادثاته أنه كان يشير فقط الى كادرات الحزب وليس الى كل الأعضاء.

(١٢٣) Lisa, p. 20.

(١٢٤) Ferri, «Valore», p. 19.

(١٢٥) قارن مع مقالة «انتقالية» مأخوذة من: *Bollettino del Partito communista d'Italia*. في نيسان (أبريل) ١٩٣٣ بعنوان: «جبهة واحدة للنضال لتفتيت هجمة الرأسمال والفاشية». هذه المقالة أعيد نشرها في مقتطفات آلاتري المفيدة جداً: *L'Antifascismo* , II, 265—72.

ويقول فيرّي («Valore», p. 21): «كان الخط السياسي للحزب الشيوعي قد صحح فعلاً

باتجاه ملاحظات غـرامشي منذ مـطلع ١٩٣١، في الممارسـة وفي الصياغـة السياسيـة، كما هـو مبين في وثائق الحزب، وفي كلمات تولياتي وغريكو، وفي بـرامج عمـل الشيوعيـين». وسيكون استطلاع هذه النقطة مهماً حقاً.

(١٢٦) Cortesi, p. 166.

الفصل التاسع

(١) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٢٧/٣/١٩ : *Lettere* (1), p. 27.

(٢) في شهـادته الأخيـرة حـول غـرامشي «Gramsci e la cultura italiana», *Studi gramsciani,* p. 400 في السجن، كتب غوستافو ترومبيتي (Piantone», p. 31») عن رأي غـرامشي بالقيمـة المستقبلية لـدفـاتـره: «إنـه يـعـتـقـد أنـه (وهـذه كـلمـاتـه) إذا خـرج مـن الـسـجـن حياً، وهو ما يشك فيه كثيـراً، ستكون أمـامه مـادة كثيـرة بحـاجـة الى التـوسع في صيـاغتها، واذا لم يتم ذلك، على العموم، فإنها لن تكون ذات فائدة كبيرة لـلآخرين! وذلـك ـ كما قـال ـ بسبب الشكل والتعابير المستخدمة لكي لا تمنح مراقبي السجن مبرر مصادرتها».

(٣) «Stato attuale», p. 307.

(٤) Russo, pp. 248, 252.

(٥) *Note* (6), p. 34.

(٦) أحد موضوعات غرامشي الفلسفية الأكثر أهمية وشمولية هو:

«Note critiche su un tentativo du 'Saggio Popolare' di sociologia», in *Il Materialismo storico* (3), pp. 117—168.

وهناك ترجمة لمعظم هذا الموضوع في :

The Modern Prince (17), pp. 90 - 117.

وانظر ايضاً المقالة الجميلة جداً التي كتبها آلدو زانادرو :

Aldo Zanadro, « Il « Manuele » di Bukharin visto dai comunisti tedeschi e da Gramsci, » in *Studi Gramsciani*, pp. 337 - 68.

ويقـول زانادرو ان سجن غـرامشي ، بالاضـافة الى تجربته الـطويلة مـع الحـركـة العمـاليـة الحقيقية ، سمحا له بمقاومـة « التنظيم النـظري » (!) للشيوعيـة العالميـة ، الذي بـدأ حوالي عـام ١٩٣١ . ومما لـه مغزى ان غـرامشي نظر حتى الى بليخـانـوف عـلى أنـه مـذنب احيـانـاً بـ« الابتذال » المادي . انظر :

Il Materialismo storico (3), p. 80

(٧) *Il Materialismo storico* (3), p. 199.

(٨) المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(١١) انظر ، مثلاً ، قوله ان الرؤ ية المثالية للواقع على أنـه من خلق الروح الانسـانية تمـاثل الفكـرة

الماركسية عن البنية والبنية الفوقية ، ولكن الأولى تحتوي على عنصر ميتافيزيقي قوي ، في حين ان الثانية « ملموسة » و « تاريخية » . (المصدر السابق ، ص ١٣٩) .

(١٢) انظر : Morpurgo Tagliabue, pp. 429 - 38,

و Garosci, « Totalitarismo», pp. 193 - 257.

(١٣) *Il Materialismo storico* (3), p. 91.

(١٤) المصدر السابق ، ص ١٣٨ ـ ١٤٥ .

(١٥) « Il Leninismo,» p. 15.

(١٦) *Note* (6), p. 17

(١٧) المصدر السابق ، ص ٨١ .

(١٨) قارن مع *Passato e presente* (8), p. 158

(١٩) ان الاحزاب السياسية بالنسبة للعالم الحديث هي ما كانه « الأمير » بالنسبة لعالم ماكيافيلّي : « الأمير الحديث ؛ الأمير ـ الاسطورة ، لا يمكنه ان يكون انساناً حقيقياً ، شخصاً كائناً ، بل يمكنه فقط ان يكون تنظيماً . . . وهذا التنظيم ظاهر فعلاً من خلال التطور التاريخي ، انه الحزب السياسي » :

Note (6), p. 5.

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٢٢) المصدر السابق .

(٢٣) انظر الخطاب أمام مجلس النواب عام ١٩٢٥ :

« Il Discorso » (30).

من اجل اقوال مبكرة حول هذه الفكرة .

(٢٤) *Note* (6), p. 19.

في هذه الملاحظات ربما كان غرامشي يفكر بـ « الحزب القومي الفاشي » ، ولكنه كان يدرك تماماً ان الاحزاب الشيوعيةايضاً قابلة لمثل هذا التدهور .

(٢٥) *Passato e presente* (8), pp. 68 - 69.

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٢٧) المصدر السابق .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) *Note* (6), p. 21 - 22.

هذا « الشعور بالاستمرارية التاريخية » مختلف تماماً ـ كما يقول غرامشي ـ عن تحيز « عبادة التقاليد » (الذي يشمل اختياراً واعياً وهدفاً محدداً) والذي هو مسألة « ايديولوجيا » .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) المصدر السابق ، ص٤٢ . والتشديد من مؤلف هذا الكتاب .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٤٨ . وبعد ان قرأ رواية ماتييز لأسباب الثورة الفرنسية اكد غرامشي

ان الثـورة لم تحصل نتيجـة لأسباب اقتصـادية « آليـة » ، بل نتيجـة « لصراعـات تفوق العـالم الاقتصادي المباشر ، وترتبط بـ « هيبـة » الطبقـة (المصالـح الاقتصاديـة المستقبلية) وبـاستثارة مشاعر الاستقلال والذاتية والسلطة » . حول هذه النقطة قارن مع :

Lisa, p. 20.

(٣٤) انظر مثلاً :

Il Materialismo storico (3), p. 199.

وربما كانت أهم مؤلفات لينين التي تعالج مسألة الحزب السياسي « الجديد » هي :

- « ما العمل ؟ » (١٩٠٢) . . ضد الاقتصادوية والعفوية ويشدد على دور النظرية .
- « خـطوة الى الأمام ، خـطوتـان الى الـوراء » (١٩٠٤) . . حـول مبـادىء تنـظيم الحزب .
- « من هم « أصـدقاء الشعب » وكيف يحـاربون الاشتـراكية الـديموقـراطيـة » (١٨٩٤) . . ضد النارودنيكيين وللدفاع عن الديالكتيكية الماركسية .
- « الدولة والثورة » (١٩١٧) . . حول طبيعة الدولتين البوجوزاية والاشتراكية .
- «الشيوعية « اليسـارية » ، مـرض طفـولي » (١٩٢٠) . . عـرض لـطبيعـة وعمـل الحزب على شكل انتقاد لبورديغا ولشيوعيين « يساريين » آخرين .

(٣٥) *Note* (6), p. 80.

كما لوحظ سابقاً ، فان غرامشي ، مثـل كثير من المفكـرين الغربيـين في هذا القـرن ، نظر الى العلوم ، او على الأقل الى « العلومية » ، نظرة اكثر نقداً مما فعل معظم الروس .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(٣٧) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٣٨) المصدر السابق .

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٤١) *Passato e presente* (8), p. 59.

(٤٢) المصدر السابق .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٤٥) المصدر السابق. هذه النقطة تقود الى مراجعة اللعبة التي لعبتها الصحف الاميركية في محاولات تحديد ما اذا كانت مظاهرات معينة من أجل الحقوق المدنية او السياسة الخارجية الأميركية هي مظاهرات «عفوية» أو «منظمة». من لهجة هذه المقالات يمكن للمرء أنه كلما قلّ الـذكاء الانساني و«التبصر» المتداخلين في المظاهرات، كانت هذ أكثر «أصالة»!

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٤٧) *Note* (6), p. 36.

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٤٩) *Passato e presente* (8), pp. 70-71.

(٥٠) *Note* (6), p. 23.

(٥١) *Passato e presente* (8), p. 7.

(٥٢) المصدر السابق . ويستشهد غرامشي بنقص عام آخر في وجهة النظر الفئوية ، يـرتبط ارتباطـاً وثيقاً بـ « الاستخفاف بـالعدو » . وهـذا ميل الى التقـاط معارضـين من مستوى ادنى للدخـول في جدل ايديولوجي . انظر :

Il Materialismo storico (3), pp. 130 - 31.

(٥٣) *Note* (6), pp. 36 - 37.

الفصل العاشر

(١) *Intellettuali* (4), pp. 6 - 7.

(٢) انظر رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٣١/٩/٧ ، في :

Lettere (1), p. 137.

« اني اذهب بعيداً في تعبير « المثقفين » ، ولا اقصره عـلى استخدامـه الشائـع الذي يشـير فقط الى كبار المفكرين » .

(٣) *Intellettuali* (4), p. 3.

(٤) في تقـريـر آتـوس ليـزا (ص ١٨) حـول آراء غـرامشي في عـام ١٩٣٠ هنـاك ايضـاً تصنيفـاً غرامشياً آخر للمثقفين . ولكن هذا شبيه بـالتمييز بـين المثقفين « التقنيـين » و « الموجِّهـين » ، ففي عام ١٩٣٠ استخدم غرامشي تعبيري « اشباه المثقفين » و « المثقفين » .

(٥) *Intellettuali* (4), p. 4.

(٦) المصدر السابق ، ص ٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٣ .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٨ .

(١١) *Risorgimento* (5), pp. 71 - 73.

(١٢) *Intellettuali* (4), P. 8.

(١٣) التعبير بالايطالية هو « Paglietta » . واستناداً الى :

Cambridge Italian Dictionary (1962), Volume I.

فـان هذا التعبـير هو تعبـير ازدرائي للمحامي الـداهية ، مـأخوذ من القبعـات المصنـوعـة من القش الأسود التي كان يرتديها محامو مدينة نابولي .

(١٤) *Risorgimento* (5), p. 97.

(١٥) *Intellettuali* (4), p. 7.

(١٦) المصدر السابق ، ص ٩ ، وانظر ايضاً :

Passato e presente (8), pp. 164 - 65.

(١٧) Intellettuali (4), p. 10.

(١٨) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ٧/٩/١٩٣٧ ، في :

Lettere (1), p. 137.

(١٩) Williams, p. 587.

(٢٠) *Intellettuali* (4), p. 9.

(٢١) انظر : Crisafulli, p. 593.

(٢٢) *Note* (6), pp. 45- 46.

(٢٣) انظر : *Risorgimento* (5), p. 70.

وانظر ايضاً :

Serafino Cambareri, « Il Concetto di egemonia nel pensiero di A. Gramsci , » *Studi gramsciani,* p. 91, and Willeams, p. 594.

(٢٤) *Il Materialismò storico* (3), p. 75.

(٢٥) انظر : *Studi gramsciani* , p. 91, and Tamburrano, p. 245 ff.

ولكن انظر ايضاً مراجعة هذا الأخير من قبل :

Robert Paris, « Una Revisione nenniana di antonio Gramsci ».

(٢٦) *Il Materialismo storico* (3), pp. 189, 32. 39.

(٢٧) معظم الكتاب الشيوعيين مالوا الى القول بالتماثل بين آراء غرامشي ولينين حول الهيمنة ، في حين ان معظم الكتاب غير الشيوعيين مالوا الى التشديد على أصالة غرامشي . بالنسبة للمجموعة الأولى انظر :

Sereni , p. 28, and Togliatti, « Il Leninismo, » in *Studi gramsciani,* p. 34.

وبالنسبة للمجموعة الثانية انظر :

Matteucci, *Gramsci e la filosofia* , p. 76, and the cited works by Williams and Tamburrano.

(٢٨) *Il Materialismo storico* (3), p. 194.

(٢٩) *Note* (6), p. 68.

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٦٨ . قارن ايضاً في هذا المجال ملاحظة غرامشي حول « عبادة الدولة » : بالنسبة لبعض الجماعات ، التي لم تعرف قبل ارتقائها الى حياة الدولة المستقلة فترة طويلة من التطور المستقل للثقافة والأخلاق . . . ان فترة من عبادة الدولة هي ضرورية بل وحتى مناسبة . . . وعلى العموم ، فان « عبادة الدولة » هذه يجب ألا تترك لذاتها . وبشكل خاص ، يجب الا تصبح تعصباً نظرياً ، ويجب ان تؤخذ كـ « ابدية » » :

Passato e presente (8), pp. 165 - 66.

(٣١) هذه النظرة لا تتناقض مع حقيقة ان بعض المثقفين الايطاليين كانوا غاية في التطرف الشوفيني . وقد ازدهرت الشوفينية حيث كان هنالك نقص في الشعور الوطني المبني على شروط سياسية واقتصادية حقيقية . انظر :

Passato e presente (8), pp. 15 - 16.

(٣٢) *Intellettuali* (4), p. 49.

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٣٤) ان انبعاث القانون الروماني ، من حيث انه كان يتميز بالعالمية المجردة ، أدى ايضاً الى تقوية الكوزموبو ليتانية (المصدر السابق ، ص ٢٥ - ٢٧) . ومن الأمور ذات المغزى ان الايطاليين كانوا سباقين الى اقامة مدارس خاصة لدراسة هذا القانون العالمي .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٣٤ . انظر ايضاً رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٣١/٩/٧ :
Lettere (1), p. 138.

(٣٦) وبلهجة فرانشيسكو غويتشارديني ، اهتمام المرء « بخصوصياته » . قارن مع :
Note (6), p. 81.

(٣٧) Giuseppe Toffanin, *Che Cosa fu l'umanesimo* ? (Florance, 1929).
ولكن يبدو ان غرامشي وصل الى استنتاجاته قبل قراءته لتوفانين : « افكار توفانين هذه كثيراً ما تتفق مع الملاحظات التي سجلتها في امكنة أخرى » :
Intellettuali (4), p. 38.

(٣٨) *Intellettuali* (4), p. 38.

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤٠) *Note* (6), p. 7.

(٤١) حول نظرة غرامشي الى اليعاقبة الفرنسيين قاان مع :
Risorgimento (5), pp. 75 - 86.

(٤٢) رسالة غرامشي الى تاتيانا بتاريخ ١٩٣١/٩/٧ ، في :
Lettere (1), p. 138.

(٤٣) *Note* (6), p. 15.

(٤٤) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٤٥) المصدر السابق ، ص ٣ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٣ - ٤ .

(٤٨) انظر المقالة الهامة والجذابة جداً :
Gilbert, « The Concept of Nationalism in Machiavelli's *Prince*».

(٤٩) الفصل العشرون من « الأمير » *(Prince)* . وانظر ايضاً الفصل الثامن : « قبل كل شيء ، على الأمير ان يعيش مع رعاياه بطريقة لا يمكن معها لأي حادث حسن الحظ او سيئه ان يحرفه عن سبيله » . والفصل التاسع عشر : « احد اقوى العلاجات التي يملكها الأمير ضد المؤامرات هو أن لا يكون مكروهاً لدى جماهير شعبه » .

(٥٠) حتى تمييز روبسبير الشهير بين « الحكومة الثورية والحكومة الدستورية » يجد مثيله عند ماكيافيلي : « واذا أظهر الأمراء انفسهم متفوقين في وضع القوانين ، وفي تشكيل المؤسسات المدنية وصياغة التشريعات والقوانين المحلية ، كان الشعب متفوقاً في المحافظة على هذه المؤسسات والتشريعات والقوانين » :
Discourses, I, 58.

(٥١) رسالة غرامشي الى ديليو ، بدون تاريخ ، في :

Lettere (1), p. 255.

ملحق

(١) هاتان المقالتان ظهرتا لاحقاً في كتاب عنوانه :

Risorgimento e capitalismo (Bari, 1959).

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٣) للاطلاع على أفكار غرامشي حول توحيد الحركة في ايطاليا ، انظر :

Risorgimento (5), *Passim.*

ولكن خصوصاً :

« Il Problema della direzione nella formazione e nello sviluppo della Mazione e dello Stato moderno in Italia , » pp. 69 - 95, and « Il Rapporto città - Campagna nel Resorgimento e nella struttura nazionale italiana ,» pp. 95 - 104.

(٤) قارن مع : *Risorgimento*، (5), pp. 150, 88.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٦) « La Nascita , » p. 445.

(٧) قارن مع : Gastone Manacorda in *Studi Gramsciani* , p. 504,

(٨) انظر :

«Catechism of the Third Degree Carbonaro » in Francovich, pp. 140 - 144.

وكذلك ، نشر فرانكوفيتش :

« Catechism of the Three Degrees of the *Adelfia* ».

وهي جمعية سرية أخرى كانت واسعة الانتشار خلال مرحلة « الإحياء » . وهذه الوثيقة تتضمن الجملة القائلة : « المصائب ، والرذائل ، والجرائم ، جاءت من التقسيم الغبي للأرض . ثم اختفت المساواة السلمية ، وحل محلها الجشع للذهب وللسلطة » (ص ١٤٥ - ١٤٦) .

(٩) كما ورد في : Candeloro, *Storia* , II, 157.

(١٠) Della Peruta, and Berth,

(١١) Mack Smith, p. 96

(١٢) Manacorda, p. 508.

(١٣) المصدر السابق ، ص ٥٠٩ .

(١٤) Candeloro, in *Studi gramsciani,* p. 521.

(١٥) *Risorgimento* (5), p. 75:

« كان فيراري عاجزاً عن « ترجمة » الفرنسية الى الايطالية » .

(١٦) La Pensée, 95 (5 Jan.- Feb., 1961), pp. 63 - 73.

(١٧) Talamo, p. 698.

في الظاهر ، كانت مسألة توزيع الأراضي - أو تملكها - تبدو مهمة في مملكة نابولي عام ١٨٤٨ !

(١٨) « إذا لم يشكل حزب يعقوبي في ايطاليا فيجب البحث عن الأسباب في الحقل الاقتصادي ، أي في الضعف النسبي للبورجوازية الايطالية وفي تغير الجو التاريخي في أوروبا بعد عام ١٨١٥ » (Risorgimento (5), p. 87) . « ولقد مثل المعتدلون مجموعة منسجمة اجتماعيا بشكل نسبي » (Risorgimento, pp. 67 - 70) سمحت لهم ، تدريجياً ، « بامتصاص النخبة من المجموعات المعادية » . مثال : « لقد نجحت الحركة الليبرالية في ايقاظ القوة الكاثوليكية - الليبرالية وترتيب الأمور بحيث يتخذ (البابا) بيوس التاسع نفسه ، وإن مؤقتاً ، موقفاً الى جانب الليبرالية (وهو ما كان كافياً لتفكيك الهيكل الايديولوجي - السياسي للكاثوليكية ولتدمير ايمانها بنفسها) . وكان هذا أحد أبرز الكتابات السياسية في مرحلة النهضة » (ص ٥٠) .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٨٨ . قارن مع :

Zangheri, in *Studi gramsciani,* p. 371.

(٢٠) *Risorgimento* (5), p. 151.

(٢١) المصدر السابق .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢٤) Berselli, pp. 497 - 98.

(٢٥) « The *Risorgimento* between Ideology and History : The Political Myth of *rivolusione mancata* » pp. 46 - 49.

(٢٦) Macchioro, p. 512.

(٢٧) كما ورد في : Berti , pp. 784 - 85.

(٢٨) Romeo, *Risorgimento* , p. 49.

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٣٠) المصدر السابق .

(٣١) Cafagna, « *Intorno* , » p. 1033.

(٣٢) *Risorgimento,* (5), p. 210

حتى الكسندر جيرشينكرون ، المتعاطف بطريقة ما مع روميو ، تضايق من ميل روميو الى تبرير كل تطور للاقتصاد الايطالي قبل ١٨٩٠ . انظر :

Gerschenkron, p. 584.

(٣٣) لتفاصيل حول النقطة الرابعة من انتقادات روميو ، انظر مقال المؤلِّف :

« Two Recent Polemics on the Character of the Italian *Risorgimento* ».

ثبت المراجع

ثبت المراجع هذا ، كما ورد في النص الانكليزي الأصلي ، مقسوم الى جزئين : الأول يتضمن كتابات غرامشي ، والثاني يتضمن كتابات أخرى عنه جرى استخدامها في النص ، كتابات غرامشي جزئت الى ثلاثة فروع ، ورقّمت بما يساعد القارىء على العثور على المرجع .

كتابات غرامشي

آ ـ مؤلفات مختارة :

Opere di Antonio Gramsci (Turin : Einaudi, 1947 -)

[1] Vol. I. Lettere dal carcere. 1947.
[2] ———. Rev. ed., 1965. This work, edited by Sergio Caprioglio and Elsa Fubini, completely supersedes the earlier edition of Lettere. I have been able to use it only for occasional indispensable references.
[3] Vol. II. Il Materialismo storico e la filosofia di Benedetto Croce. 1948.
[4] Vol. III. Gli Intellettuali e l'organizzazione della cultura. 1949.
[5] Vol. IV. Il Risorgimento. 1949.
[6] Vol. V. Note sul Machiavelli, sulla politica, e sullo stato moderno. 1949.
[7] Vol. VI. Letteratura e vita nazionale. 1950.
[8] Vol. VII. Passato e presente. 1951.
[9] Vol. VIII. Scritti giovanili, 1914–1918. 1958.
[10] Vol. IX. L'Ordine nuovo, 1919–1920. 1954.
[11] Vol. X. Sotto la Mole, 1916–1920. 1960.

(Volume XI, containing Gramsci's writings of 1921–22, will soon appear. Another volume made up of his work from 1923 to 1926 will complete the *Opere,* except for letters written before Gramsci's imprisonment. Most of these may be found in the anthology by Ferrata and Gallo and in Togliatti's *La Formazione del gruppo dirigente del PCI.* A number of other writings have recently been identified, which must be included in later editions of Volumes VIII and IX.)

ب ـ مختارات ومقتطفات أخرى من كتابات غرامشي :

[12] Ferrata, Giansiro, and Niccolò Gallo, eds. 2000 Pagine di Gramsci.

Volume I, Nel tempo della lotta (1914–1926); Volume II, Lettere edite e inedite (1912–1937). Milan: Il Saggiatore, 1964. Volume I has an informative introduction by Ferrata and includes nearly three hundred pages of Gramsci's writings between 1921 and 1926. Volume II includes 64 letters written between November 1912, and November 1926; many of these were previously unpublished.

[13] Salinari, Carlo, and Mario Spinelli, eds. Antonio Gramsci, antologia degli scritti. Rome: Editori Riuniti, 1963. 2 vols. Volume I contains a number of articles of 1921 that have not yet appeared in the collected works and are not included in the anthology by Ferrata and Gallo.

[14] L'Albero del riccio. Milan: Milano—Sera editrice, 1948. An illustrated edition of the children's stories contained in the *Lettere* and stories written by others to whom Gramsci referred.

[15] Americanismo e fordismo. Edited by Felice Platone. Milan: Universale economica, 1950. A compilation from *Note sul Machiavelli* and from the *Lettere.*

[16] Elementi di politica. Edited and presented by Mario Spinelli. Rome: Editori Riuniti, 1964. Selections for the most part from Volumes III, V, and VII of Gramsci's *Opere.*

[17] The Modern Prince and Other Writings. Translated with an introduction by Louis Marks. New York: International Publishers, 1959. First published in London by Lawrence and Wishart in 1957. Contains selections mainly from Volumes II, III, and V of Gramsci's *Opere,* in addition to the 1926 essay on the "Southern Question." Selections from this translation are included in Albert Fried and Ronald Sanders, Socialist Thought: A Documentary History. Garden City, N. Y.: Doubleday Anchor Books, 1964, pp. 513–26. Gramsci is introduced (p. 512) as "one of the few creative Marxists of our time."

[18] The Open Marxism of Antonio Gramsci. Translated and annotated by Carl Marzani. New York: Cameron Associates, 1957. A short selection from *Il Materialismo storico* with many notes aimed at relating the material to "American problems."

[19] La Questione meridionale. Third edition. Rome: Editori Riuniti, 1957. First compiled in 1951, this work is made up of the essay "Alcuni Temi della quistione meridionale" and selections from *Il Risorgimento.*

[20] Sul Risorgimento. Edited by Elsa Fubini, with a Preface by Giorgio Candeloro. Rome: Editori Riuniti, 1959. Consists mostly of selections from *Il Risorgimento.*

[21] Il Vaticano e l'Italia. Edited by Elsa Fubini, with a Preface by Alberto Cecchi. Rome: Editori Riuniti, 1961. Selections mainly from Volumes II, IV, and V of Gramsci's *Opere.*

ج - كتابات أخرى لغرامشي (حسب النظام التسلسلي للكتابة الأصلية) :

[22] La Città futura ("Numero Unico Pubblicato dalla Federaz. Giovanile Socialista Piemontese"). Turin, February 11, 1917. A photographic reproduction of *La Città futura* was published at Turin by the Casa editrice Viglongo in 1952. The issue is now contained in *Scritti Giovanili,* pp. 73–89. However, the following items were not included: the preface on p. 2 to the articles by Croce and Carlini entitled "Due Inviti alla meditazione," the article on p. 4 entitled "Modello e realtà," and the general postscript on p. 4 in which Gramsci called for a rebirth of the "tradizione mazziniana rivissuta dai socialisti."

[23] "Nuovi Contributi agli scritti giovanili di Gramsci," *Rivista storica del socialismo,* III, 10 (May–Aug. 1960), 545–50. Edited by Luigi Ambrosoli. Two comments on Esperanto, written in January 1918.

[24] "Una Lettera inedita del 1918 a Giuseppe Lombardo Radice: Una iniziativa di Gramsci," *Rinascita,* XXI, 10 (7.iii.64), 28.

[25] "Gli Editoriali di Gramsci nei tre giorni che precedettero il Congresso di Livorno," *Rinascita,* XXI, 3 (18.i.64), 17–19.

[26] "Note sulla situazione italiana 1922–1924 (a cura di Aldo Romano)," *Rivista storica del socialismo,* IV, 13–14 (May–Dec. 1961), 625–44. Includes the following articles that Gramsci contributed to *La Correspondance Internationale*: "Les Origines du cabinet Mussolini" (20.xi.22); "Le Parlementarisme et le fascisme en Italie" (28.xii.23); "L'Échec du syndicalisme fasciste" (3.i.24); "Italie et Yougoslavie" (30.i.24); "Le Vatican" (12.iii.24); "Les Élections italiennes" (17.iv.24).

[27] "Lettera inedita per la fondazione de 'L'Unità,'" *Rivista storica del socialismo,* VI, 18 (Jan.–Apr. 1963), 115–23. A letter of September 12, 1923. The same letter was published in *Rinascita,* XXI, 6 (8.ii.64), 25.

[28] "1924: Al professore Zino Zini, collaboratore dell'Ordine Nuovo: Due lettere inedite di Gramsci," *Rinascita,* XXI, 17 (25.iv.64), 32. Introduction by p. t. (Palmiro Togliatti).

[29] "1925: In una lettera all'Esecutivo dell'Internazionale comunista Gramsci respinge le critiche del compagno Manuilski: 'Legalismo' e 'Carbonarismo' nel Partito comunista d'Italia," *Rinascita,* XX, 34 (31.viii.63), 15–16.

[30] "Il Discorso al parlamento italiano nel maggio, 1925," *Rinascita,* XIX, 6 (9.vi.62), 17–21. With an introduction by Togliatti.

[31] "Tesi sulla situazione italiana e sui compiti del PCI, approvate dal III Congresso nazionale nel gennaio 1926," *Stato operaio,* II, 6–7 (June–July 1928), 390–400 and 490–501. Written with Togliatti.

[32] "La Relazione di Antonio Gramsci sul III Congresso (Lione) del PCI,"

Rinascita, XII, 10 (Oct. 1956), 516–24. The only extensive report on the Congress now available. First published in *L'Unità* on February 24, 1926.
[33] "Come si determinano le nostre prospettive e i nostri compiti," in *Lo Stato operaio.* Rome: Editori Riuniti, 1964, Volume I, pp. 144–53. Gramsci's report to the central committee of the PCI in August 1926.
[34] "Gramsci al CC del PC(b); Togliatti a Gramsci," *Rinascita,* XXI, 22 (30.v.64), 17–20. Gramsci's letter of October 14, 1926, to the Russian Party. Includes Togliatti's reply to Gramsci and an introduction by Togliatti.
[35] "Alcuni Temi della quistione meridionale," *Stato operaio,* IV, 1 (Jan. 1930), 9–26. Written in 1926, but first published here.
[36] "Notes on anti-semitism," *The Promethean Review,* I, 4 (Oct.–Nov. 1959), 39–42. From letters to his sister-in-law, written in 1931. Translated by Hamish Henderson.
[37] "Benedetto Croce and his Concept of Liberty," *Science and Society,* X (Summer 1946), 283–92. From letters to his sister-in-law, written in 1932. Translated by Samuel Putnam.
[38] "In Search of the Educational Principle," *New Left Review,* 32 (July–Aug. 1965), 53–62. Translation with an introduction by Quintin Hoare. A translation of "Per la ricerca del principio educativo," in *Gli Intellettuali e l'organizzazione della cultura,* pp. 108–17.

مؤلفات أخرى استخدمت في النص

A.L. "Giacinto Menotti Serrati," *Ordine nuovo* (daily), I, 10 (10.i.21). Probably by Alfonso Leonetti.
Alatri, Paolo, ed. L'Antifascismo italiano. Rome: Ed. Riuniti, 1961. 2 vols. A most useful collection of documents.
———. *Le Origini del fascismo.* Rome: Ed. Riuniti, 1956.
———. "Recenti studi sul fascismo," *Studi storici,* III, 4 (Oct.–Dec. 1962), 757–836. An extended bibliographical discussion.
Albergamo, Francesco, Armando Borelli, and Omero Bianca, with a reply by Massimo Aloisi. "Scienza, natura e storia in Gramsci," *Società,* VII (Mar. 1951), 95–114.
Alderisio, Felice. "Ripresa machiavelliana. Considerazioni critiche sulle idee di A. Gramsci, di B. Croce, e di L. Russo intorno a Machiavelli," *Annali dell'Istituto universitario di magistero di Salerno,* 1949–50, I, 205–66.
Alicata, Mario. "Gramsci e l'Ordine Nuovo," *Società,* XI, 2 (1955), 197–204. Asserts a complete continuity between the Gramsci of the Ordine Nuovo

period and the Gramsci of the Quaderni.
———. "Il Risorgimento, Gramsci e noi," *Rinascita,* XVI, 6 (June 1959), 421–23.
Almanacco socialista. Milan: Avanti!, 1917–25.
Aloisi, Massimo. "Gramsci, la scienza e la natura come storia," *Società,* VI (Sept. 1950), 385–410.
Ambrosoli, Luigi. "Interpretazioni e studi sul movimento cattolico italiano," *Movimento operaio,* VII (Jan.–Feb. 1955), 135–50.
———. Nè aderire, nè sabotare, 1915–1918. Milan: Avanti!, 1961.
Annuario statistico italiano, 2nd series, volume II, 1912.
"Appello ai giovani comunisti italiani," *Ordine nuovo* (daily), I, 15 (15.i.21). An appeal from the Executive Committee of the Communist Youth International to support the Communist faction in the PSI.
"Appunti per una critica del bordighismo," pp. 372–79, in *Lo Stato operaio.* Volume I. Rome: Ed. Riuniti, 1964.
Arfè, Gaetano. "Le Origini del movimento giovanile socialista," *Mondo operaio,* X, 4 (Apr. 1957), 33–37; 5 (May 1957), 24–26; 6 (June 1957), 30–34.
———. "La Rivoluzione liberale di Piero Gobetti," *Rivista storica italiana,* LXXIV, 2 (June 1962), 313–23.
———. Storia dell'Avanti!, 1896–1926. Milan: Avanti!, 1956.
Ashby, Thomas. "Sardinia," *Encyclopedia Britannica* (11th ed.), XXIV, 210–17. Statistics and information on the island during Gramsci's youth.
Autodifese di militanti operai e democratici italiani davanti ai tribunali (1875–1937). Edited by Stefano Merli, with a Preface by Piero Caleffi. Milan: Avanti!, 1958. See especially the statements by Serrati, Malatesta, Bordiga, Terracini, and Gramsci.
Bachi, Riccardo. L'Italia economica, 1920. Annuario della vita commerciale, industriale, agraria, bancaria, finanziaria e della politica economica, Anno XII. Città di Castello: Casa Tipografica—Editrice S. Lapi, 1921.
Baratono, Adelchi. "L'Azione del PSI nei rapporti con la III[a] Internazionale: Relazione della tendenza Unitaria al XVII° Congresso nazionale," *Comunismo,* II, 7 (1–15.i.21), 369–78.
Basso, Lelio. Il Partito socialista italiano. Milan: Nuova Accademia editr., 1958.
Bellini, Fulvio, and Giorgio Galli. Storia del Partito comunista italiano. Milan: Schwarz, 1953. Cf. the review by Togliatti in *Rinascita,* X, 7 (July 1953), 447–48.
Bentley, Eric. "The Italian Theater," *The New Republic,* CXXIX, 10 (5.x.53), 18–20. A reference to Gramsci's theater criticism.
Berselli, Aldo. "Risorgimento e capitalismo," *Il Mulino,* 92 (1959), 494–508.

Berti, Giuseppe. I democratici e l'iniziativa meridionale nel Risorgimento. Milan: Feltrinelli, 1962.

Bianchi Bandinelli, Ranuccio. "Antonio Gramsci nella cultura italiana," pp. 231–48 in *Dal diario di un borghese e altri scritti*. Milan: Il Saggiatore, 1962. First published in 1947.

Bibliografia della stampa periodica operaia e socialista italiana (1860–1926). I periodici di Milano. Bibliografia e storia. Milan: Feltrinelli, 1956–60. 2 vols.

Bonomi, Ivanoe. Dal socialismo al fascismo. La sconfitta del socialismo. 2nd edition. Rome: Cernusco sul Naviglio, 1946. First published in 1924.

Bordiga, Amadeo. "Lo Sciopero di Torino," *Rinascita*, XVIII, 1 (Jan. 1961), 57–58. Reprint of an article from *Il Soviet* of May 2, 1920.

———. "Tesi sulla tattica del Partito comunista d'Italia che saranno presentate e discusse al prossimo Congresso," *Il Comunista*, I (31.xii.21), pp. 3–4. The "Rome Theses."

Borghi, Armando. Mezzo secolo di anarchia, 1898–1945. Naples: ESI, 1954. Preface by Gaetano Salvemini.

Borkenau, Franz. World Communism: A History of the Communist International. Ann Arbor: The University of Michigan Press, 1960. New introduction by Raymond Aron. First published in 1939.

Cachin, Marcel. "Soyons dignes de Gramsci!," pp. 165–67 in *Ecrits et Portraits*. Edited by Marcelle Hertzog-Cachin. Paris: Les Éditeurs Français Réunis, 1964. A commemorative article of April 30, 1937.

Cafagna, Luciano. "Intorno al 'revisionismo risorgimentale,'" *Società*, XII, 6 (Dec. 1956), 1015–34.

———. "Il Saggio di R. Romeo su 'Risorgimento e capitalismo,'" *Cultura moderna*, 40 (Apr. 1959), 6–10.

Califano, E., and G. Bollino. "Articoli e pubblicazioni sui trent'anni del Partito comunista italiano," *Movimento operaio*, IV, 6 (Nov.–Dec. 1952), 979–1023. A bibliography of articles appearing between the end of 1950 and the end of 1951 from Italian national and local periodicals.

Calosso, Umberto. "Gobetti tra Gramsci e Einaudi," *Il Mondo*, I, 13 (14.v.49), 7.

———. "Gramsci e l'Ordine Nuovo," in *Quaderni di Giustizia e Libertà*, 8 (Aug. 1933), 71–79.

Camera del Lavoro di Torino e Provincia. Sindacato e consigli di fabbrica. Ragioni che giustificano la trasformazione del Sindacato sulla base dei consigli di fabbrica. Turin: Tip. Alleanza coop. torinese, [1920?].

Cammett, John M. "Italy," and "The Vatican," pp. 520–39 in *Soviet Foreign Relations and World Communism: A Selected, Annotated Bibliography of 7,000 Books in 30 Languages*. Thomas T. Hammond, ed. Princeton,

N.J.: Princeton University Press, 1965.

———. "Two Recent Polemics on the Character of the Italian Risorgimento," *Science and Society,* XXVII 4 (Fall 1963), 433–57. The second "polemic" deals with the controversy between Rosario Romeo and Italian Marxist historians.

Candeloro, Giorgio. Il Movimento sindacale in Italia. Rome: Ed. di Cultura sociale, 1950.

———. "La Nascita dello stato unitario," *Studi storici,* I, 3 (1959–60), 445–71.

———. Storia dell'Italia moderna. Milan: Feltrinelli, 1956–64. 4 vols. This work, which is still in progress, deals with the years from 1700 to 1860 and is inspired by a Gramscian point of view.

Cappa, Arturo. "Scissione inevitabile," *Ordine nuovo* (daily), I, 8 (8.i.21).

Caprioglio, Sergio. "Un Mancato incontro Gramsci-D'Annunzio a Gardone nell'aprile 1921 (con una testimonianza di Palmiro Togliatti)," *Rivista storica del socialismo,* V, 15–16 (Jan.–Aug. 1962), 263–73.

Caracciolo, Alberto, ed. "Il Movimento torinese dei Consigli di fabbrica," *Mondo operaio,* XI, 2 (Feb. 1958), 16–26. A collection of 12 documents.

Carbone, Giuseppe. "I Libri del carcere di Antonio Gramsci," *Movimento operaio,* IV (July–Aug. 1952), 640–89. A bibliography of works used by Gramsci in prison and an essay on his use of them.

———. "Su alcuni commenti delle opere di Antonio Gramsci," *Società,* VII (Mar. 1951), 131–58. A bibliography of works on Gramsci, including reviews.

Carocci, Giampiero. Giolitti e l'età giolittiana. Turin: Einaudi, 1961. A work based on the documents of the *Archivio Giolitti.*

———. Giovanni Amendola nella crisi dello Stato italiano, 1911–1925. Milan: Feltrinelli, 1956.

———. "Gramsci fra Croce e Lenin," *Belfagor,* III, 4 (31.vii.48), 435–45.

Carr, Edward H. Socialism in One Country, 1924–1926. Vol. III. London: Macmillan, 1964.

Castagno, Gino. Bruno Buozzi. Milan: Avanti!, 1955. Preface by Fernando Santi. For details on the Turin labor movement.

———. 1854, Centenario ACT: Storia di una cooperativa. Turin: Alleanza coop. torinese, 1954.

Casucci, Costanzo, ed. Il Fascismo: Antologia di scritti critici. Bologna: Il Mulino, 1961. An anthology of interpretations of Fascism.

Catalano, Franco. Dall'unità al fascismo. Milan: Istituto editoriale Cisalpino, 1961. pp. 293–340 on Gramsci.

Chabod, Federico. "L'Età del Rinascimento," in *Cinquant'anni di vita intellettuale italiana, 1896–1946.* Naples: ESI, 1950.

———. L'Italie contemporaine. Conférences données à l'Institut d'Etudes Politiques de l'Université de Paris. Paris: Editions Domat-Montchrestien, 1950. There is now an English translation of this work: A History of Italian Fascism. London: Weidenfeld & Nicolson, 1963.

Ciasca, Raffaele. "Sardegna," *Enciclopedia italiana* (1936), XXX, pp. 836–67.

"Le Cifre ufficiali della votazione," *Comunismo,* II, 8–9 (Jan. 15–Feb. 15, 1921), 444. The results of the vote at Livorno by provincial federations.

La Città futura: Saggi sulla figura e il pensiero di Antonio Gramsci. Edited by Alberto Caracciolo and Gianni Scalia. Milan: Feltrinelli, 1959. See especially the following essays: Carlo Cicerchia, "Rapporto col leninismo e il problema della rivoluzione italiana"; Ezio Avigdor, "Il Movimento operaio torinese durante la prima guerra mondiale"; Alberto Caracciolo, "Serrati, Bordiga e la polemica gramsciana contro il 'blanquismo' o settarismo di partito"; Giuseppe Tamburrano, "Fasi di sviluppo del pensiero politico di Gramsci."

Clough, Shepherd B. The Economic History of Modern Italy. New York: Columbia University Press, 1965.

C. N. "Il Centrismo nel movimento socialista italiano," *Ordine nuovo* (daily), I (4.i.21). C. Niccolini was probably the author.

———. "Il Movimento dei metallurgici," *Ordine nuovo,* II, 16 (2.x.20).

Cole, G. D. H., and Raymond Postgate. *The British Common People, 1746–1946.* New York: Barnes and Noble, 1961.

La Confederazione generale del lavoro negli atti, nei documenti, nei congressi, 1906–1926. Edited by Luciana Marchetti. Milan: Avanti!, 1962.

"Il Congresso di Livorno," *Comunismo,* II, 8–9 (Jan. 15–Feb. 15, 1921), 433–42. Analysis of the Congress from the unitarian point of view. Probably written by Serrati.

"Il Congresso di Livorno," *Ordine nuovo* (daily), I, 13 (13.i.21). Probably written by Gramsci.

"Controllo di classe," *Ordine nuovo,* I, 32 (3.i.20). Probably written by Togliatti.

Corsi, Angelo. L'Azione socialista tra i minatori della Sardegna, 1898–1922. Contributo allo studio del movimento operaio italiano. Milan: Edizioni di Comunità, 1959.

Cortesi, Luigi. "Alcuni Problemi della storia del PCI," *Rivista storica del socialismo,* VIII, 24 (Jan.–Apr. 1965), 143–72.

"Cosa dicono i nostri nemici," *Ordine nuovo* (daily), I, 22 (22.i.21). The reaction of the bourgeois press to the founding of the PCI.

Crisafulli, Vezio. "Stato e società nel pensiero di Gramsci," *Società,* VII (Dec. 1951), 583–609.

Croce, Benedetto. "De Sanctis–Gramsci," *Lo Spettatore italiano,* V, 7 (July 1952), 294–96.

———. "Un Gioco che ormai dura troppo," *Quaderni della Critica,* 17–18 (Nov. 1950), 231–32.
———. Review of *Lettere dal carcere,* in *Quaderni della Critica,* III, 8 (July 1947), 86–88.
———. Review of *Il Materialismo storico e la filosofia di Benedetto Croce,* in *Quaderni della Critica,* IV, 10 (Mar. 1948), 78–79.
———. Storia d'Italia dal 1871 al 1915. 9th edition. Bari: Laterza, 1947.
———. Teoria e storia della storiografia. 7th edition. Bari: Laterza, 1954.
"Cronaca dei 'fatti di agosto,'" *Stato operaio,* I, 6 (Aug. 1927), 651–66.
"Cronologia della vita di Antonio Gramsci," pp. xxi–xlvi in *Lettere dal carcere.* Edited by Sergio Caprioglio and Elsa Fubini. Turin: Einaudi, 1965. An indispensable tool of research.
"Dalla Internazionale comunista alla Sezione socialista torinese e alla redazione dell''Ordine Nuovo' quotidiano," *Ordine nuovo* (daily), I, 1 (1.i.21).
Davidson, Alastair. "The Russian Revolution and the Formation of the Italian Communist Party," *The Australian Journal of Politics and History,* X, 3 (Dec. 1964), 355–70. Supports the views of the Communist faction at the Congress of Livorno.
"La Decomposizione del bordighismo," pp. 380–95 in *Lo Stato operaio,* I, 380–95. Rome: Ed. Riuniti, 1964.
De Felice, Renzo. "Un Corso di glottologia di Matteo Bartoli negli appunti di Antonio Gramsci," *Rivista storica del socialismo,* VII, 21 (Jan.–Apr. 1964), 219–21.
Degras, Jane, ed. The Communist International, 1919–1943. London: Oxford University Press, 1956–60. 2 vols. Volume I covers 1919–22 and Volume II, 1923–28.
———. "United Front Tactics in the Comintern, 1921–1928," pp. 9–22 in *International Communism* ("St. Antony's Papers—Number 9"). Edited by David Footman. London: Chatto & Windus, 1960.
De Leon, Daniel. Socialist Reconstruction of Society: The Industrial Vote. New York: New York Labor News Company, 1930. A speech delivered at Minneapolis in July 1905.
"Deliberati del nuovo Partito," *Ordine nuovo* (daily), I, 23 (23.i.21). Lists the members of the PCI's central and executive committees.
Della Peruta, Franco. I democratici e la rivoluzione italiana. Dibattiti ideali e contrasti politici all'indomani del 1848. Milan: Feltrinelli, 1958.
Delzell, Charles F. "Benito Mussolini: A Guide to the Biographical Literature," *Journal of Modern History,* XXXV, 4 (Dec. 1963), 339–53.
———. "Italian Historical Scholarship: A Decade of Recovery and Development, 1945–1955," *Journal of Modern History,* XXVIII, 4 (Dec.

1956), 374–88.
———. Mussolini's Enemies: The Italian Anti-Fascist Resistance. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1961.
Desanti, Jean T. "Antonio Gramsci militant et philosophe," *Cahiers Internationaux,* 93 (Feb. 1958), 39–46.
Deutscher, Isaac. The Prophet Unarmed, Trotsky: 1921–1929. London: Oxford University Press, 1959.
———. The Prophet Outcast, Trotsky: 1929–1940. London: Oxford University Press, 1963.
"Dibattiti su Gramsci," *Rinascita,* VIII, 5 (May 1951), 248–49.
Dimitrov, George. "Inediti di Dimitrov sul Congresso di Livorno del '21 e sul VII Congresso del Comintern," *Rinascita,* XIX, 9 (30.vi.62), 9–10.
"Discorsi e contrasti sulla proposta comunista di un 'blocco di unità proletaria' per le elezioni del 1924," *Rinascita,* XX, 4 (26.i.63), 17–20.
Dore, Giampietro. 10 Anni di lotta politica (1915–1925). Rome: Il Solco, 1947.
"I Due Congressi," *Ordine nuovo* (daily), I, 22 (22.i.21). An editorial describing the founding of the PCI.
Eastman, Max. Love and Revolution: My Journey Through an Epoch. New York: Random House, 1964.
Einaudi, Luigi. La Condotta economica e gli effetti sociali della guerra italiana. ("Pubblicazioni della Fondazione Carnegie per la Pace Internazionale. Sezione di Storia ed Economia. Storia economica e sociale della guerra mondiale. Serie italiana.") Bari: Laterza, 1933.
Einaudi, Mario. "Western European Communism, a Profile," *American Political Science Review,* VL (Mar. 1951), 185–208.
Enciclopedia italiana. Appendice II. Rome: Istituto dell'Enciclopedia italiana, 1948–49. 2 vols.
Engels, Friedrich. Preface to Karl Marx, *Capital,* Vol. III. Chicago: Kerr, 1909.
Ente per la Storia del Socialismo e del Movimento Operaio Italiano. Bibliografia del socialismo e del movimento operaio italiano. Vol. I: Periodici, tratti dalle raccolte della Biblioteca Nazionale di Firenze, Two books. Vol. II: Libri, opuscoli, articoli, almanacchi, numeri unici. Book 1 (A–DU). Rome–Turin: Edizioni ESMOI, 1956–62. A detailed description of nearly all Italian publications on these subjects from 1848 to 1950.
"L'Esposizione internazionale di Torino nel 1911," *Almanacco italiano,* XVI (1911), 494.
Exposition de la Presse Antifasciste italienne, Cologne—10 juin, 1928. Paris: Union des Journalistes Antifascistes Italiens "Giovanni Amendola," 1928.

Faenza, Liliano. "Antonio Gramsci tra l'agiografia e la critica." *Il Mulino,* 94 (Apr. 1960), 323–64.
Falqui, Enrico. Novecento letterario (Fifth series). Florence: Vallechi, 1957.
Fascismo e Antifascismo (1918–1948). Milan: Feltrinelli, 1962. 2 vols. In Vol. I, see especially Lelio Basso, "Le Origini del fascismo"; Paolo Alatri, "La Crisi della classe dirigente e le lotte sociali del primo dopoguerra"; Giovanni Parodi, "L'Occupazione delle fabbriche"; Nino Valeri, "La Marcia su Roma"; Franco Catalano, "Il Movimento operaio tra il 1920 e il 1924"; Luigi Salvatorelli, "Il Delitto Matteotti e la crisi del 1924–26."
Ferrara, Marcella and Maurizio. Conversando con Togliatti. Milan: Edizioni di Cultura sociale, 1953.
Ferretti, Giancarlo. "I Corsivi di *Sotto la Mole,*" Società, XVI, 5 (Sept–Oct. 1960), 824–36.
———. "Gli *Scritti giovanili* nella formazione di Antonio Gramsci," *Società,* XV, 2 (Jan.–Feb. 1959), 308–24.
———. "Sulle cronache teatrali di Gramsci," *Società,* XIV, 2 (Mar. 1958), 263–94.
Ferri, Franco. "Consiglio di fabbrica e partito nel pensiero di Gramsci," *Rinascita,* XIV, 9 (Sept. 1957), 461–67.
———. "Questione meridionale e unità nazionale in Gramsci," *Rinascita,* IX, 1 (Jan. 1952), 6–10.
———. "La Rivoluzione d'ottobre e le sue ripercussioni nel movimento operaio italiano," *Società,* XIV, 1 (Jan. 1958), 73–100.
———. "La Situazione interna della sezione socialista torinese nell'estate del 1920," *Rinascita,* XV, 4 (Apr. 1958), 259–65.
———. "Valore e senso del documento," *Rinascita,* XXI, 49 (12.xii.64), 17–21. The introduction to Athos Lisa's report.
"Figure del Congresso," *Ordine nuovo* (daily), I, 16 (16.i.21). Sketches in word and pencil of Gramsci and Bordiga.
Fiori, Giuseppe. Vita di Antonio Gramsci. Bari: Laterza, 1966. The most important book for the facts of Gramsci's life, especially for the early years. Published too recently to be used here.
Francovich, Carlo. Idee sociali e organizzazione operaia nella prima metà dell'800. Milan: Avanti!, 1959.
Frassati, Alfredo. Giolitti. Florence: Parenti, 1959.
Galli, Giorgio. Storia del Partito comunista italiano. Milan: Schwarz, 1958.
Garin, Eugenio. Cronache di filosofia italiana (1900–1943). Bari: Laterza, 1955.
Garosci, Aldo. "The Italian Communist Party," in *Communism in Western Europe.* Edited by Mario Einaudi. Ithaca, N.Y.: Cornell University

Press, 1951.
———. "Totalitarismo e storicismo nel pensiero di Antonio Gramsci," in his *Pensiero politico e storiografia moderna*. Pisa: Nistri-Lischi, 1954, pp. 193–260.

Gennari, Egidio. "Alla Commissione esecutiva della III[a] Internazionale," *Comunismo*, II, 2–3 (Oct. 15–Nov. 15, 1920), 75–77.

Gentile, Panfilo. 50 Anni di socialismo in Italia. Milan: Longanesi, 1948.

Germanetto, Giovanni. Memoirs of a Barber. New York: International Publishers, 1935.

Gerratana, Valentino. "De Sanctis–Croce o De Sanctis–Gramsci?" *Società*, VIII, 13 (Sept. 1952), 497–512.

Gerschenkron, Alexander. "Rosario Romeo e l'accumulazione primitiva del capitale," *Rivista storica italiana*, LXXI, 4 (1960), 557–86.

Ghezzi, Raoul. Comunisti, industriali e fascisti a Torino, 1920–1923. Turin: Ditta eredi Botta, 1923. The industrialists' point of view.

Gilbert, Felix. "The Concept of Nationalism in Machiavelli's Prince," *Studies in the Renaissance*, I (1954), 38–48.

Giolitti, Giovanni. Memorie della mia vita. Third edition. Monza: Garzanti, 1945.

"I Giovani Socialisti aderiscono al Partito Comunista," *Ordine nuovo* (daily), I, 32 (1.ii.22).

Giusti, Ugo. Le Correnti politiche italiane attraverso due riforme elettorali, dal 1909 al 1921. Florence: Alfani & Venturi, 1922.

Gobetti, Piero. Opere complete. Vol. I. Turin: Einaudi, 1960. Edited with an introduction by Paolo Spriano.
———. La Rivoluzione liberale; saggio sulla lotta politica in Italia. Turin: Einaudi, 1948. First published in 1924.

Grieco, Ruggiero. "Grieco a Togliatti sull'arresto di Gramsci," *Rinascita*, XXII, 30 (24.vii.65), 20–21.
———. "Le Ripercussioni della rivoluzione russa in Italia," *Stato operaio*, I, 9–10 (Nov.–Dec. 1927), 985–94.

Grilli, Giovanni. Due Generazioni: Dalla settimana rossa alla guerra di liberazione. Rome: Ed. Rinascita, 1953.

Gruppi, Luciano. "The Legacy of Gramsci," *World Marxist Review*, II, 12 (Dec. 1959), 81–84. A review of *Studi gramsciani*.

Hallett, Fred. "Antonio Gramsci," *Political Affairs*, XXXVI, 4 (Apr. 1958), 55–59.

Hilton-Young, W. The Italian Left: A Short History of Political Socialism in Italy. London and New York: Longmans, Green, 1949.

Hoare, Quintin. "What is Fascism?" *New Left Review*, 20 (Summer 1963), 99–111. An interpretation inspired by a reading of Gramsci.

Hughes, H. Stuart. "Gramsci and Marxist Humanism," pp. 96–104 of his *Consciousness and Society: The Reorientation of European Social Thought, 1890–1930*. New York: Alfred A. Knopf, 1958.
Hulse, James W. The Forming of the Communist International. Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1964.
"L'Imminente Congresso socialista: La preparazione a Livorno," *Ordine nuovo* (daily), I, 11 (11.i.21).
Imperatori, Ugo E. Dizionario di italiani all'estero (dal secolo XIII sino ad oggi). Genoa: L'Emigrante, 1956.
International Labor Office, Geneva. The Dispute in the Metal Industry in Italy. Studies and Reports. Series A. No. 2 (24.ix.20) and No. 11 (5.xi.20). The latter includes the texts of the final agreements ending the occupation of the factories.
———. The Bill to Establish Workers' Control in Italy. Studies and Reports. Series B. No. 7 (1921). Nos. 6 and 8 deal with workers' control in Germany and France.
"Intervista con U. Terracini sul Congresso di Livorno," *Ordine nuovo* (daily), I, 25 (25.i.21).
Istituto Giangiacomo Feltrinelli. Annali, 1958–64. Milan: Feltrinelli, 1959–1965. 7 vols. Important articles and bibliography on the theory and practice of labor and Socialist movements in Italy and the rest of the world.
Joll, James. The Second International, 1889–1914. New York: Praeger, 1956.
Kabakchiev, Khristo S. *Die Gründung der Kommunistischen Partei Italiens*. Hamburg: Verlag der Kommunistischen Internationale, 1921.
Karol, K. S. "Togliatti Resurrects Trotsky," *New Statesman*, LXVII, 1736 (19.vi.64), 938–40.
King, Bolton, and Thomas Okey. Italy Today. London: James Nisbet & Co., 1909.
Kirova, K. E. "Massovoe dvizhenie v Italii protiv imperialisticheskoi voiny letom 1917 goda," *Voprosy istorii*, IX, 6 (June 1953), 68–85.
Kula, Witold. "Secteurs et régions arrières dans l'èconomie du capitalisme naissant," *Studi storici*, I, 3 (Apr.–June 1960), 569–85.
Lay, Giovanni. "Colloqui con Gramsci nel carcere di Turi," *Rinascita*, XXII, 8 (20.ii.65), 21–22.
Lazzari, Costantino. "Per l'unità socialista proletaria e rivoluzionaria: Proposta di conclusione per l'art. 6 dell'o.d.g. al Congresso nazionale," *Ordine nuovo* (daily), I, 7 (7.i.21).
Lazzeri, Gerolamo. La Scissione socialista. Milan: Modernissima, 1921.
Lémonon, Ernest. L'Italie d'après Guerre, 1914–1921. Paris: Librairie Félix Alcan, 1922.
Lenin, V. I. Selected Works, Volume X: The Communist International. 2d

edition. London: Lawrence & Wishart, 1946.

———. Sul movimento operaio italiano. Rome: Ed. Riuniti, 1962. New edition with an introduction by Paolo Spriano.

Leonetti, Alfonso. "Gramsci al 'Quisisana,' " *Rinascita,* XXII, 45 (13.xi.65), 26. Asserts that (1) Gramsci's death was due solely to the conditions of his imprisonment and not to earlier infirmities; and (2) he was under 24-hour surveillance by the police right up to April of 1937.

———. Mouvement ouvriers et socialistes (chronologie et bibliographie). L'Italie (dès origines à 1922). Paris: Editions Ouvrières, 1952.

———. "Propositi," *Ordine nuovo* (daily), I, 24 (24.i.21).

Lepre, Aurelio. "La Questione meridionale nella lettera di Antonio Gramsci per la fondazione dell'*Unità,*" *Rinascita,* XXI, 6 (8.ii.64), 25–27.

Levi, Riccardo. "Spirito dell'industria piemontese," *Il Ponte,* V, 7–8 (Aug.–Sept. 1949), 1039–44.

Li Causi, Girolamo. "Un Giornale di massa," *Rinascita,* XXI, 6 (8.ii.64), 32. An article on the situation when *L'Unità* was first published.

Lichtheim, George. Marxism: An Historical and Critical Study. New York: Praeger, 1961. Pages 368–70 are on Gramsci.

Liebknecht, Helmut. "Testimonianza su Francesco Misiano," *Rivista storica del socialismo,* VI, 18 (Jan.–Apr. 1963), 199–207. A defense of Misiano, who was allegedly slurred by Gramsci.

Lin Piao, "Long Live the Victory of a People's War!," *Peking Review,* VIII, 30 (3.ix.65), 9–30.

Lisa, Athos. "Discussione politica con Gramsci in carcere," *Rinascita,* XXI, 49 (12.xii.64), 17–21.

Lombardo Radice, Lucio. "Spunti di educazione nuova nelle *Lettere* di Antonio Gramsci," *Rinascita,* IV, 8 (Aug. 1947), 229–30.

———, and Giuseppe Carbone. Vita di Antonio Gramsci. Third edition. Rome: Edizioni di Cultura sociale, 1952. Now hopelessly out-of-date.

Longo, Luigi. "I Social-unitari," *Ordine nuovo* (daily), I, 9 (9.i.21).

Lovecchio, Antonio. *Il Marxismo in Italia.* Milan: Bocca, 1952.

Macchioro, Aurelio. "Risorgimento, capitalismo e metodo storico," *Rivista storica del socialismo,* II, 7–8 (July–Dec. 1959), 673–709. An attack on Romeo's interpretation of Gramsci's *Il Risorgimento.*

Mack Smith, Denis. Garibaldi. London: Hutchinson, 1957.

Maitan, Livio. Attualità di Gramsci e politica comunista. Milan: Schwarz, 1955. A Trotskyist interpretation.

———. Teoria e politica comunista nel dopoguerra. Milan: Schwarz, 1959.

Malatesta, Alberto. I Socialisti italiani durante la guerra. Milan: Mondadori, 1926. Reproduces many official documents.

Manacorda, Gastone. "A Proposito dei 'Quaderni' di Gramsci: Filologia e

anticomunismo," *Rinascita,* XIX, 33 (22.xii.62), 7. A reply to the charges of Maturi and Marcelli that the texts of the *Quaderni* had been altered.

Marcelli, Umberto. "Interpretazioni del Risorgimento," *Convivium,* XXVII, 4–5 (1959), 385–407, 513–32.

Marino, Gaetano. "Dalle memorie di un comunista napoletano," *Movimento operaio,* VI, 5 (Sept.–Oct. 1954), 731–49.

Marks, Louis. "Antonio Gramsci," *The Marxist Quarterly,* III, 4 (Oct. 1956), 225–38.

"Marxism and Culture in Italy," *Times Literary Supplement,* XLVII (28.viii.48), 492.

Masini, Pier Carlo. *Anarchici e comunisti nel movimento dei consigli a Torino (primo dopoguerra rosso 1919–1920).* Turin: a cura del Gruppo "Barriera di Milano," 1951.

———. Antonio Gramsci e l'Ordine Nuovo visti da un libertario. Vercelli: Ed. "L'Impulso," 1956.

Matteucci, Nicola. Antonio Gramsci e la filosofia della prassi. Milan: Giuffre, 1951.

———. "Interpretazioni del Risorgimento: Un nuovo revisionismo cattolico," *Il Mulino,* X, 3 (Mar. 1961), 151–57.

———. "Partito e consiglio di fabbrica nel pensiero di Gramsci," *Il Mulino,* IV, 4 (Apr. 1955), 350–59.

Maturi, Walter. Interpretazioni del Risorgimento: Lezioni di storia della storiografia. Turin: Einaudi, 1962. See especially pp. 617–41 on Gramsci and Marxist historiography.

———. "Gli Studi di storia moderna e contemporanea," *Cinquant'anni di vita intellettuale in Italia.* Naples: ESI, 1950. See Vol. I, p. 273 for a discussion of Gramsci's views on Jacobinism.

Mautino, Aldo. La formazione della filosofia politica di Benedetto Croce. Edited by Norberto Bobbio, with a study of the author and the Turinese cultural tradition from Gobetti to the Resistance by G. Solari. Bari: Laterza, 1953. The "study" deals with that "tradition of political intransigence and militant culture characteristic of the University of Turin, which was the heritage of Gobetti and Gramsci."

McInnes, Neil. "Antonio Gramsci," *Survey: A Journal of Soviet and East European Studies,* 53 (Oct. 1964), 3–15. A general article on Gramsci's thought, perhaps best characterized as sympathetic criticism.

McKenzie, Kermit E. "The Communist International (Comintern)," pp. 942–77 in *Soviet Foreign Relations and World Communism.* Thomas T. Hammond, editor. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1965. An extensive annotated bibliography.

"Mentre si apre il Congresso Socialista," *Ordine nuovo* (daily), I, 15

(15.i.21). A report on the political maneuvers immediately before the opening of the Congress of Livorno.
Merli, Stefano, ed. "Nuova Documentazione sulla 'svolta' nella direzione del PCd'I nel 1923–24 (Scritti inediti o non noti di A. Bordiga, U. Terracini, P. Tresso, A. Gramsci, P. Togliatti)," *Rivista storica del socialismo,* VII, 23 (Sept.–Dec. 1964), 513–40. See especially Amadeo Bordiga, "Manifesto ai compagni del PCd'I"; Gramsci, "Il Problema di Milano"; and Palmiro Togliatti et al, "Verbale della riunione del Comitato centrale del 18 aprile 1924."
———. "Le Origini della direzione centrista nel Partito comunista d'Italia," *Rivista storica del socialismo,* VII, 23 (Sept.–Dec. 1964), 605–25.
———. "Il Partito comunista italiano, 1921–1926 (Contributi bibliografici)," *Annali Feltrinelli,* III (1960), pp. 656–739. An excellent bibliography of sources for the early history of the PCI.
Michels, Robertŏ. Il Proletariato e la borghesia nel movimento socialista italiano. Turin: Fratelli Bocca, 1908.
Mondolfo, Rodolfo. Intorno a Gramsci e alla filosofia della prassi. Milan: Ed. "Critica Sociale," 1955. Preface by Enrico Bassi.
Montagnana, Mario. Ricordi di un operaio torinese. Rome: Edizioni Rinascita, 1952.
Monticone, Alberto. "Il Socialismo torinese ed i fatti dell'agosto 1917," *Rassegna storica del Risorgimento italiano,* XLV, 1 (Jan.–Mar. 1958), 57–96.
Moore, Stanley. Three Tactics: The Background in Marx. New York: Monthly Review Press, 1963.
Morandi, Carlo. "Per una storia degli italiani fuori d'Italia (A proposito di alcune note di Antonio Gramsci)," *Rivista storica italiana,* LXI, 3 (Sept. 1949), 379–84.
Morandi, Rodolfo. Storia della grande industria in Italia. Bari: Laterza, 1931.
"More about Gramsci," *Times Literary Supplement,* LI (5.xii.52), 796.
Morpurgo Tagliabue, Guido. "Gramsci tra Croce e Marx," *Il Ponte,* IV, 5 (May 1948), 429–38.
———. "Il Pensiero di Gramsci e il marxismo sovietico," *Rassegna d'Italia,* III (July–Aug. 1948), 779–85 and 879–86.
Muratori, Giulio. Review of Gramsci's *Works,* vols. I and II in *Science and Society,* XIII (Winter 1948–49), 79–81.
Mussolini, Benito. "Altarini," pp. 44–45 in *Opera omnia di Benito Mussolini, XXIX.* Florence: La Fenice, 1959. A reference to the article by Ezio Taddei (q.v.).
———. "Per la vera pacificazione," pp. 290–91 in *Opera omnia di Benito Mussolini, XVII.* Florence: La Fenice, 1955.

"Nel X° anniversario dei 'fatti di agosto,' " *Stato operaio,* I, 8 (1927), 635–40.
"Nel X° anniversario dell'occupazione delle fabbriche," *Stato operaio,* IV (1930), 635–55, 717–38.
Nenni, Pietro. Storia di quattro anni. Rome: Einaudi, 1946. Second edition. A history of the years after World War I, containing many valuable documents.
Neufeld, Maurice F. Italy: School for Awakening Countries; The Italian Labor Movement in Its Political, Social, and Economic Setting from 1800 to 1960. Ithaca, N.Y.: N. Y. School of Industrial and Labor Relations, 1961.
———. Labor Unions and National Politics in Italian Industrial Plants (Cornell International Industrial and Labor Relations Reports, no. 1). Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1954. Contains some material on Gramsci and the factory councils.
Neumann, Franz. Behemoth: The Structure and Practice of National Socialism. London: Victor Gollancz, 1943.
Niccolini, G. "L'Intransigenza di Serrati (A proposito del III° Congresso dell'Internazionale comunista)," *Ordine nuovo,* II, 16 & 19 (2,30.x.20).
Noaro, Jean. "La Vie, la mort et le triomphe d'Antoine Gramsci," *La Pensée,* n.v., 50 (Sept.–Oct. 1953), 74–87.
Noether, Emiliana Pasca. "Italy Reviews Its Fascist Past: A Bibliographical Essay," *American Historical Review,* LXI, 4 (July 1956), 877–99.
Nolte, Ernst. Three Faces of Fascism: Action Française, Italian Fascism, National Socialism. Translated from the German by Leila Vennewitz. New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1966. See p. 166, on the influence of liberalism on Gramsci.
Onofri, Fabrizio. "La Via sovietica (leninista) alla conquista del potere e la via italiana, aperta da Gramsci," in his *Classe operaia e partito.* Bari: Laterza, 1957.
"L'Origine e l'organizzazione del Partito comunista," *Ordine nuovo* (daily), I, 25 (25.i.21). Directions for organizing the Party sections.
Ottino, Carlo L. Concetti fondamentali nella teoria politica di Antonio Gramsci. Milan: Feltrinelli, 1956.
Page, Thomas Nelson. Italy and the World War. New York: Scribner's, 1920.
"La Parola della Terza Internazionale," *Ordine nuovo* (daily), I, 13 (13.i.21). The Comintern telegram to the Italian Communists condemning the unitarian position.
Paris, Robert. Histoire du fascisme en Italie. I: Dès origines à la prise du pouvoir. Paris: François Maspero, 1962.
———. "Una Revisione 'nenniana' di Antonio Gramsci," *Rivista storica del socialismo,* VII, 21 (Jan.–Apr. 1964), 1–20.

Partito Socialista Italiano. Lettere e polemiche fra l'Internazionale comunista, il Partito socialista e la Confederazione generale del lavoro d'Italia. Milan: Società editrice Avanti!, 1921.

Il Partito socialista italiano nei suoi congressi. Volume II: *1902–1917.* Volume III: *1917–1926.* Milan: Avanti!, 1961–63.

Peck, George T. "Giovanni Giolitti and the Fall of Italian Democracy, 1919–1922." Unpublished Ph.D. dissertation, University of Chicago, 1945.

Pedrazzi, Orazio. La Sardegna e i suoi problemi. Milan: Treves, 1922.

Petri, Carlo. "Comunismo anarchico e comunismo critico," *Ordine nuovo,* I, 43 (3–10.iv.20).

Pieri, Piero. "La Leggenda di Caporetto," *Il Ponte,* VII, 11 (Nov. 1951), 1450–56.

Pischel, Giuliano. Review of Gramsci's *Opere, IX,* in *Il Ponte,* XI, 6 (June 1955), 916–20.

Platone, Felice. "Opere di Gramsci," *Dizionario letterario Bompiano,* vol. V, pp. 234–36. Milan: Bompiani, 1948.

———. "L'Ordine Nuovo," in *Trenta Anni di storia e di lotta del PCI,* pp. 35–40. Rome: Rinascita, 1951.

———. "Relazione sui Quaderni del carcere," *Rinascita,* III, 4 (Apr. 1946).

Prato, Giuseppe. Il Piemonte e gli effetti della guerra sulla sua vita economica e sociale. ("Pubblicazioni della Fondazione Carnegie per la Pace Internazionale"). Bari: Laterza, 1925.

"Preparando il Congresso," *Comunismo,* II, 4 (15–30.xi.20), 177–89. Contains preliminary motions of all the factions later present at Livorno. Commentary on the motions was undoubtedly written by Serrati.

Prezzolini, Giuseppe. L'Italiano inutile: Memorie letterarie di Francia, Italia e America. Milan: Longanesi, 1953.

Procacci, Giuliano. "La Classe operaia italiana agli inizi del secolo XX," *Studi storici,* III, 1 (Jan.–Mar. 1962), 3–76.

———. "L'Internazionale comunista dal I al VII Congresso, 1919–1935," *Annali Feltrinelli, 1958,* pp. 283–313. A bibliography.

Proceedings of the Congress of Livorno, in *Ordine nuovo* (daily), I, 16–22 (16–22.i.21).

"Progetto di programma per il Partito comunista," *Ordine nuovo* (daily), I, 14 (14.i.21). A statement of the principles upon which the new Party would be built.

Prouteau, Henri. Les Occupations d'usines en Italie et en France (Thèse pour le doctorat en droit). Paris: Librairie Technique et Economique, 1937.

Pugliese, Guido. Il Bolscevismo in Italia. Florence: Bemporad, 1920. Includes the Gennari-Regent-Baldesi motion on the constitution of "So-

viety."
"Quindici Mesi di attività del PSI," *Ordine nuovo* (daily), I, 14 (14.i.21). A summary of the report of the Party directorate to the Congress of Livorno.
Rassegna enciclopedica Labor 1935–1951. Milan: Edizioni Labor, 1951.
Ravera, Camilla. "La Lettera di Camilla Ravera a Ercoli (Togliatti)," *Rinascita,* XXI, 48 (5.xii.64), 21–25. A description of Gramsci's arrest and the situation of the Party at that time.
———. "Torino, 1914–1917: Pane e pace," *Rinascita,* XVIII, 3 (Mar. 1961), 238–44.
Répaci, Leonida. Ricordo di Gramsci. Rome: Macchia, 1948.
Resoconto stenografico del XVII Congresso nazionale del Partito socialista italiano, Livorno 15–20 gennaio 1921. Con l'aggiunta dei documenti sulla fondazione del Partito comunista d'Italia. Milan: Avanti!, 196 .
Richet, Denis. "Gramsci et l'histoire de France," *La Pensée,* n.s., 55 (1954), 61–78.
Rigola, Rinaldo. Storia del movimento operaio italiano. Milan: Domus, 1947.
Rizzo, Franco. Nazionalismo e democrazia. Manduria-Bari-Perugia: Lacaita, 1960. See especially the essays "Storiografia marxista sulle origini del fascismo," "Antonio Gramsci e la critica desanctisiana," and "Le 'Lettere dal carcere' di Antonio Gramsci."
Rolland, Romain. "For those Dying in Mussolini's Jails. Antonio Gramsci," pp. 307–13 in *I Will Not Rest.* New York: Liveright Publishing Company, n.d. A translation from *Antonio Gramsci. Ceux Qui Meurent dans les Prisons de Mussolini.* Paris: Les Editeurs du S.R.I., 1934.
Romano, Aldo. "Antonio Gramsci tra la guerra e la rivoluzione," *Rivista storica del socialismo,* I, 1 (1958), 405–42.
Romano, Salvatore Francesco. Antonio Gramsci. Turin: UTET, 1965. This work appeared too late for extensive use by the present writer except in Chapter One, which does take account of Romano's interesting material on Gramsci's childhood and youth in Sardinia.
Romeo, Rosario. "Capitalismo e disonestà scientifica: ovvero del senatore Emilio Sereni," *Nord e Sud,* VI, 59 (1959), 70–85.
———. Risorgimento e capitalismo. Bari: Laterza, 1959.
Rosmer, Alfred. Le Mouvement ouvrier pendant la Guerre. Volume I: De l'Union Sacrée à Zimmerwald. Paris: Librairie du Travail, 1936.
———. Le Mouvement ouvrier pendant la Première Guerre Mondiale. Volume II. De Zimmerwald à la Révolution Russe. Paris: Mouton, 1959.
Rossi, Cesare. Il Tribunale speciale. Milan: Ceschina, 1952.
Rossi, Vittorio. Storia della letteratura italiana. Volume III. 15th edition. Milan: Vallardi, 1946.

Rossi-Doria, Manlio. "The Land Tenure System and Class in Southern Italy," *American Historical Review,* LXIV, 1 (Oct. 1958), 46–53.
"Russia e Internazionale," *Ordine nuovo* (daily), I, 9 (9.i.21). An editorial probably written by Gramsci,
Russo, Luigi. "Gramsci e l'educazione democratica," in *De vera religione.* Turin: Einaudi, 1949.
Salinari, Carlo. "Letteratura e vita nazionale nel pensiero di Gramsci," *Rinascita,* VIII, 2 (Feb. 1951), 85–88.
———. Storia popolare della letteratura italiana. Volume III. Rome: Ed. Riuniti, 1962.
Salomone, A. William. Italian Democracy in the Making: The Political Scene in the Giolittian Era, 1900–1914. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1945. Second edition, with an additional section "Giolittian Italy Revisited," entitled: Italy in the Giolittian Era: Italian Democracy in the Making, 1900–1914. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1960.
———. "The *Risorgimento* between Ideology and History: The Political Myth of *rivoluzione mancata,*" *American Historical Review,* LXVIII, 1 (Oct. 1962), 38–56.
Salvatorelli, Luigi, and Giovanni Mira. Storia del Fascismo: L'Italia dal 1919 al 1945. Rome: Edizioni Novissimi, 1952. New Edition: Storia d'Italia nel periodo fascista. Turin: Einaudi, 1957. A standard work.
Salvemini, Gaetano. Scritti sul fascismo. Volume I. Milan: Feltrinelli, 1961.
———. Scritti sulla questione meridionale. Turin: Einaudi, 1955.
Santarelli, Enzo. "Regioni e regionalismo nel pensiero di Gramsci," *Rinascita,* XIV, 6 (June 1957), 304–7.
———. La Revisione del marxismo in Italia. Milan: Feltrinelli, 1964. See especially the chapters on Sorel and Bordiga.
———. Il Socialismo anarchico in Italia. Milan: Feltrinelli, 1959.
Santhià, Battista. Con Gramsci all'Ordine Nuovo. Rome: Ed. Riuniti, 1956. See the review of this work by Antonino Repaci in *Movimento di liberazione in Italia,* 43 (July 1956), 59–61.
Santoli, Vittorio. "Antonio Gramsci, scrittore," *Il Ponte,* III, 8–9 (Aug.–Sept. 1947), 788–800. A general work despite the title.
———. "Tre Osservazioni su Gramsci e il folclore," *Società,* VII (Sept. 1951), 389–97.
Scalia, Gianni. "Il Giovane Gramsci," *Passato e presente,* 9 (May–June 1959), 1132–70.
Schneider, Herbert W. Making the Fascist State. New York: Oxford University Press, 1928. Still a useful work, especially for its many documents of early Fascism.
Seassaro, Cesare. "I Dibattiti sul Congresso: I sistemi polemici di G. M.

Serrati," *Ordine nuovo* (daily), I, 13 (13.i.21).
Secchia, Pietro. "Giacinto Menotti Serrati (Ricerche e ricordi)," *Movimento operaio,* VI, 4 (July–Aug. 1954), 590–628.
The Second Congress of the Communist International as Reported and Interpreted by the Official Newspapers of Soviet Russia, Petrograd-Moscow July 19–August 7, 1920. Washington: Government Printing Office, 1920.
Sereni, Emilio. "Antonio Gramsci e la scienza d'avanguardia," *Società,* IV (Jan.–Mar. 1948), 3–30.
———. "Mercato nazionale e accumulazione capitalistica nella unità italiana," *Studi storici,* I, 3 (Apr.–June 1960), 513–68.
Serge, Victor. Memoirs of a Revolutionary, 1901–1941. Translated and edited by Peter Sedgwick. London: Oxford University Press, 1963. See especially the portrait of Gramsci on pp. 186–87.
Serrati, Giacinto Menotti. "Di alcune nostre ragioni," *Comunismo,* II, 6 (15–31.xii.20), 305–11.
———. "Documentazione unitaria," *Comunismo,* II, 10 and 11 (Feb. 15–28 and Mar. 1–15, 1921), 536–50, 598–604.
———. "Il Dovere dell'ora presente," *Comunismo,* II, 1 (1–15.x.20), 1–4.
———. "La Quindicina politica," *Comunismo,* II, 2–3 (Oct. 15–Nov. 15, 1920), 172–76.
———. "Risposta di un comunista unitario al compagno Lenin," *Comunismo,* II, 5 (1–15.xii.20), 249–56.
Seton-Watson, Hugh. From Lenin to Khrushchev: The History of World Communism. New York: Praeger, 1960.
"La Sezione socialista e il Congresso: tre rappresentanti comunisti ed uno unitario," *Ordine nuovo* (daily), I, 5 (5.i.21). On the selection of representatives from the Turin section to the Congress of Livorno.
Sforza, Count Carlo. Contemporary Italy: Its Intellectual and Moral Origins. Translated by Drake and Denise De Kay. New York: Dutton, 1944.
Silone, Ignazio. Der Faschismus, seine Entstehung und seine Entwicklung. Zurich: Europa Verlag, 1934.
Soave, Emilio. "Appunti sulle origini teoriche e pratiche dei Consigli di fabbrica a Torino," *Rivista storica del socialismo,* VII, 21 (Jan.–Apr. 1964), 1–20.
Soboul, Albert. "Risorgimento et Révolution bourgeoise," *La Pensée,* 95 (Jan.–Feb. 1961), 63–73.
Sorel, Georges. "Sindacati e soviet," *Ordine nuovo,* I, 26 (15.xi.20).
Spano, Velio. "Il Congresso di Lione. Per la storia del PCI," *Rinascita,* XII, 4 (Apr. 1956), 235–40.
Spinelli, Mario. "Nuovi Dati per lo studio di Gramsci," *Società,* XVI, 3 (May–June 1960), 487–92.

Spriano, Paolo. "A proposito della lettera di Antonio Gramsci a Giuseppe Lombardo Radice," *Rinascita,* XXI, 13 (28.iii.64), 28.
———. "I Consigli di fabbrica," *Rinascita,* XX, 3 (19.i.63), 3–5.
———. "Il Dibattito tra il 'Soviet' e 'L'Ordine Nuovo.' " *Rinascita,* XVIII, 1 (Jan. 1961), 41–51.
———. L'Occupazione delle fabbriche, settembre, 1920. Turin: Einaudi, 1964.
———, ed. "L'Ordine Nuovo," 1919–1920 ("La Cultura italiana attraverso le riviste, VI"). Turin: Einaudi, 1963. An anthology of articles from the Turinese weekly, mainly by authors other than Gramsci. Spriano's long introduction is very informative.
———. Socialismo e classe operaia a Torino dal 1892 al 1913. Turin: Einaudi, 1958.
———. "Sul rapporto di Athos Lisa: Il cazzotto nell'occhio," *Rinascita,* XXII, 3 (16.i.65), 31.
———. Torino operaia nella grande guerra (1914–1918). Turin: Einaudi, 1960.
Sprigge, Cecil. Benedetto Croce: Man and Thinker. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1952. On pp. 52–53, Sprigge refers to Gramsci's work as "the most impressive study of Croce as an historical figure."
"Stato attuale dell'edizione degli scritti di Gramsci," *Rinascita,* XIV, 6 (June 1957), 307.
"Statuto del Partito comunista d'Italia," *Ordine nuovo* (daily), I, 41 (10.ii.21). The Constitution of the PCI.
Studi gramsciani: Atti del convegno tenuto a Roma nei giorni 11–13 gennaio 1958. Compiled by the Istituto Antonio Gramsci. Rome: Ed. Riuniti, 1958. See especially the following studies: Serafino Cambereri, "Il Concetto di egemonia nel pensiero di Gramsci"; Alberto Caracciolo, "A Proposito di Gramsci, la Russia e il movimento bolscevico"; Giuseppe Tamburrano, "Gramsci e l'egemonia del proletariato"; Aldo Zanardo, "Il 'Manuale' di Bukharin visto dai comunisti tedeschi e da Gramsci"; Renato Zangheri, "La Mancata Rivoluzione agraria nel Risorgimento e i problemi economici dell'unità"; Eugenio Garin, "Gramsci nella cultura italiana"; Palmiro Togliatti, "Gramsci e il leninismo"; and the "Interventi" of Gastone Manacorda and Giorgio Candeloro.
"Sulla strada di Gramsci," *Vie nuove,* XII, 3 (19.i.57), 4–11. An article containing many interesting photographs, as well as two previously unpublished letters by Gramsci, written to his parents in 1909 or 1910.
Sworakowski, Witold S. The Communist International and Its Front Organizations: A Research Guide and Checklist of Holdings in American and European Libraries. Stanford, Calif.: The Hoover Institution on War, Revolution, and Peace, 1965.

Taddei, Ezio. "Di ritorno," *L'Adunata dei Refrattari* (New York), XVI, 48 (4.xii.37). Taddei, an anarchist, was imprisoned for a time at Turi. He was most unfavorably impressed with Gramsci.

Talamo, Giuseppe. "La Prima Guerra d'indipendenza," in the *Storia d'Italia*. Volume III. Turin: UTET, 1959.

Tamburrano, Giuseppe. Antonio Gramsci. Manduria-Bari-Perugia: Lacaita, 1963.

Tasca, Angelo. "Cercando la verità," *Ordine nuovo,* II, 5 (12.vi.20).

———. I Consigli di fabbrica e la rivoluzione mondiale: Relazione letta all'assemblea della sezione socialista la sera del 13 aprile, 1920. Turin: Alleanza coop. torinese, 1921.

———. Nascita e avvento del fascismo: Italia dal 1918 al 1922. Florence: La Nuova Italia, 1950. A standard work.

———. "Polemiche sul programma dell'*Ordine nuovo,*" *Ordine nuovo,* II, 5 and 6 (12, 19.vi.20), and II, 8 (3.vii.20).

———. "I Primi Dieci Anni del Partito comunista italiano," *Il Mondo,* V, 33–38 (Aug. 18–Sept. 22, 1953). The titles of the separate articles are: "La Storia e la preistoria," 33 (18.viii), 3–4; "L'Ordine Nuovo," 34 (25.viii), 5; "Comunismo e fascismo," 35 (1.ix), 9–10; "Ordinovisti e bordighisti," 36 (8.ix), 9–10; "La Direzione clandestina," 37 (15.ix), 9–10; "La Nuova politica," 38 (22.ix), 9–10.

———. "I Valori politici e sindacali dei Consigli di fabbrica," *Ordine nuovo,* II, 3 (29.v.20).

"La Tattica del fronte unico di lotta contro il fascismo in una iniziativa del Partito comunista d'Italia: Le elezioni truffa dell'aprile 1924, e la proposta comunista di un blocco di unità proletaria," *Rinascita,* XX, 3 (19.i.63), 17–19.

"La Tattica del fronte unico di lotta contro il fascismo . . . : Le elezioni del 1924," *Rinascita,* XX, 5 (2.ii.63), 17–20.

Terracini, Umberto. "Antonio Gramsci e gli operai torinesi," *Il Ponte,* V, 7–8 (Aug.–Sept. 1949), 1033–38.

———. "Il Consiglio nazionale di Firenze," *Ordine nuovo,* I, 35 (24–31.i.20).

———. "Il Discorso di Umberto Terracini al Congresso di Livorno del PSI (gennaio 1921)," *Rinascita,* XIX, 25–26 (Oct. 27, Nov. 3, 1962), 17–20, 17–20.

———. "Gramsci e i consigli di fabbrica," *Calendario del popolo,* XI, 125 (Feb. 1955), 1931.

———. "Gramsci e l'Ordine Nuovo nel tempestoso biennio '19–'21: Matura lo scontro decisivo nel caos dell'immediato dopoguerra," *Calendario del popolo,* XI, 124 (Jan. 1955), 1906.

———. "Perchè è sorto il Partito comunista," *Ordine nuovo* (daily), I, 51 (21.ii.21).

"La IIIª Internazionale al Partito comunista d'Italia," *Ordine nuovo* (daily), I, 33 (2.ii.21). Contains a telegram from the International recognizing the PCI as the sole representative of the Italian proletariat in the International.

Togliatti, Palmiro. "Alcuni Problemi della storia dell'Internazionale comunista," *Rinascita,* XVI, 7–8 (July–Aug. 1959), 467–81.

———. "A Proposito dello scambio di lettere tra Gramsci e Togliatti," *Rinascita,* XXI, 24 (13.vi.64), 24.

———. "Che Avverrà?" *Ordine nuovo* (daily), I, 22 (22.i.21). This commentary on the founding of the PCI, though unsigned, was written by Togliatti according to Ferrara and Ferrara, *Conversando con Togliatti,* p. 88.

———. "Il Discorso di Ercole al VI Congresso Internazionale: Classe operaia e fascismo nell'Europa del 1928," *Rinascita,* XXI, 28 (11.vii.64), 15–20.

———. "Fascisti e popolari nel 1922–1923," *Rinascita,* XX, 12 (23.iii.63), 17–19. A republication of three articles written in 1922–23.

———. La Formazione del gruppo dirigente del PCI nel 1923–1924. Rome: Ed. Riuniti, 1962. See p. 260, n. 1 for information on this book.

———, et al. Gramsci. Rome: Edizioni Rinascita, 1948. A collection of commemorative articles by many of Gramsci's former comrades.

———. Gramsci. Florence: Parenti, 1955. A collection of his articles and addresses on Gramsci.

———. "Gramsci sardo," *Il Ponte,* VII, 9–10 (Sept.–Oct. 1951), 1085–88.

———. "Il Leninismo nel pensiero e nell'azione di Antonio Gramsci (Appunti per la relazione al convegno di studi gramsciani)," *Rinascita,* XV, 2 (Feb. 1958), 109–16. The speech itself is in *Studi gramsciani,* pp. 418–44 and in *Rinascita,* XV, 3 (Mar. 1958), 181–90.

———. Momenti della storia d'Italia. Rome: Ed. Riuniti, 1963. A collection of articles and speeches. For the purposes of this book, the most important items are: "Serrati," "Discorso su Giolitti," "Appunti e schema per una storia del Partito comunista italiano," and "L'Antifascismo di Antonio Gramsci." The last essay is also in Togliatti's *Gramsci* (1955), listed above.

———. "Parassiti della cultura (a proposito di *Energie nuove*)," *Ordine nuovo,* I, 2 (15.v.19).

———. Il Partito comunista italiano. Milan: Nuova Accademia, 1958.

———. "Rapporto sul fascismo per il IV Congresso dell'Internazionale (1922)," *Rinascita,* XIX, 30–31 (1, 8.xii.62), 17–20, 17–20.

———. "Rapporto sui fatti di Sestri," *Ordine nuovo,* I, 40 (13.iii.20). Prob-

ably written with Andrea Viglongo.
———, ed. Trenta Anni di vita e di lotte del PCI ("Quaderni di Rinascita, 2"). Rome: Ed. Rinascita, 1952. The most extensive history of the PCI.
Tosi, Dario. "Sulle forme iniziali di sviluppo economico e i loro effetti nel lungo periodo: l'agricoltura italiana e l'accumulazione capitalistica," *Annali Feltrinelli,* IV (1961), 199–222.

Trent'Anni di storia italiana (1915–1945). Lezioni con testimonianze presentate da Franco Antonicelli. Turin: Einaudi, 1961. See especially the main addresses by Paolo Alatri and Lelio Basso and the "testimonials" by Giovanni Parodi, Maurizio Garino, Gino Castagno, Umberto Terracini, Franco Antonicelli, Ottavio Pastore, Barbara Allason, Mauro Scoccimarro, and Camilla Ravera.
Trent'Anni di storia politica italiana (1915–1945). Turin: ERI Edizioni della RAI, 1962. See especially the speeches by Gino Luzzatto, Augusto Monti, and Gaetano Arfè.
Trevisani, Giulio, ed. Piccola Enciclopedia del socialismo e del comunismo. 4th edition. Milan: Soc. ed. de "Il Calendario del popolo," 1958–62. 2 vols. Despite its excessive dogmatism, this is a useful work.
———. "La Stampa comunista anteriore all'avvento del fascismo," *Movimento operaio,* II (Feb.–Mar. 1950), 180.
Trombetti, Gustavo. "In cella con la matricola 7047 (detenuto politico A. Gramsci)," *Rinascita,* III, 9 (Sept. 1946), 233–35.
———. " 'Piantone' di Gramsci nel carcere di Turi," *Rinascita,* XXII, 18 (1.v.65), 31.
"L'Unità del Partito," *Ordine nuovo,* I, 22 (18.x.19). A demand for the unity of all groups in the PSI. Probably written by Angelo Tasca.
Valeri, Nino, ed. Antologia della "Rivoluzione Liberale." Turin: Francesco De Silva, 1948. A selection of articles from Piero Gobetti's Turinese weekly.
———. Da Giolitti a Mussolini: Momenti della crisi del liberalismo. Florence: Parenti, 1956.
———. "Gramsci, 1919–1920," *Il Mondo,* VI, 45 (9.xi.54), 1–2.
Valiani, Leo. Histoire du Socialisme au XX° Siècle. Paris: Editions Nagel, 1948.
———. "La Storia del movimento socialista in Italia dalle origini al 1921; studi e ricerche nel decennio 1945–1955," *Rivista storica italiana,* LXVIII, 3–4 (1956), 447–510, 620–69. A large analytical bibliography.
"Vigilia di Congresso," *Ordine nuovo* (daily), I, 14 (14.i.21). Written from Livorno on the political situation just before the Congress.
Vigorelli, Giancarlo. "Gramsci e Togliatti," *Rassegna di politica e di storia,* I, 10 (Aug. 1955), 27–32.

Villari, Luigi, Italian Life in Town and Country. New York: Putnam, 1902.
Violante, Cinzio. "Storia ed economia dell'Italia medioevale," *Rivista storica italiana,* LXXIII, 3 (1961), 513–35. On Gramsci's idea of the role of Italians abroad, which influenced Morandi, Procacci, Cantimori, Verlinden, and Melis.
Vita di un italiano. 60° compleanno di Palmiro Togliatti. Edited by S. Scuderi. Rome: Ed. di Cultura sociale, 1953. A volume of photographs depicting Togliatti's life. Many of the photographs pertain to the Ordine Nuovo period and the first years of Italian Communism.
Webster, Richard A. The Cross and the Fasces. Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1960. A history of Christian Democracy in Italy from 1860 to 1960.
———. "From Insurrection to Intervention: The Italian Crisis of 1914," *Italian Quarterly,* V–VI, 20–21 (Winter 1961–Spring 1962), 27–59.
———. "Autarchy, Expansion, and the Underlying Continuity of the Italian State," *Italian Quarterly,* VIII, 32 (Winter 1964), 3–27.
Williams, Gwynn A. "Gramsci's Concept of *Egemonia,*" *Journal of the History of Ideas,* XXI, 4 (Oct.–Dec. 1960), 586–99.
Zamis, Guido. "Gramsci a Vienna nel 1924," *Rinascita,* XXI, 47 (28.xi.64), 22–23.
Zibordi, Giovanni. Storia del Partito socialista italiano attraverso i suoi congressi. Reggio Emilia: La Giustizia, n.d. By a reformist.
Zucaro, Domenico. "Antonio Gramsci all'Università di Torino, 1911–1915," *Società,* XIII, 6 (Dec. 1957), 1091–1111.
———. Il Processone. Rome: Ed. Riuniti, 1961. Gramsci's trial by the Special Tribunal.
———. Review of Lombardo Radice and Carbone, *Vita di Antonio Gramsci,* in *Movimento operaio,* IV (July–Aug. 1952), 702–5. This review disclosed new information concerning Gramsci's earlier years in Turin.
———. "La Rivolta di Torino del 1917 nella sentenza del Tribunale militare territoriale," *Rivista storica del socialismo,* III, 10 (May–Aug. 1960), 437–69.
———. Vita del carcere di Antonio Gramsci. Milan: Avanti!, 1954. With an appendix of 15 documents.

صدر عن مؤسسة الابحاث العربية

★ عن امل لا شفاء منه

- عن امل لا شفاء منه

  ١٣٢ صفحة ١٢ ل. ل.

- التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية

  ١٩٢ صفحة

- الاشتراكية والقومية

  ١٥٢ صفحة ١٦ ل. ل.

- الجيوش والسياسة

  ٣٠٤ صفحات ٣٢ ل. ل.

- الدول الصغيرة

  ٢٠٠ صفحة ٢٠ ل. ل.

- الناصرية

  ٢٣٢ صفحة ١٨ ل. ل.

- الطبقات الاجتماعية في لبنان

  ٤٠٣ صفحات ٤٥ ل. ل.

غرامشي
حياته وأعماله

ليس هذا الكتاب سيرة حياة كاملة لأنطونيو غرامشي، بالرغم من انه يتضمن معلومات من هذا النوع عن كل مرحلة من مراحل حياته. لأنه لم ينجز حتى الآن سوى الجزء الأساسي من العمل الذي يجب القيام به لجعل كتابة هذه السيرة ممكنة.

لهذا الكتاب هدف أكثر محدودية، وهو تقديم وتحليل أفكار غرامشي الرئيسية في ميادين السياسة السياسة والتاريخ خلال فترتي إبداعه الأكبر، الفترة الأولى: كزعيم لحركة «النظام الجديد» في تورينو سنتي ١٩١٩ - ١٩٢٠، والفترة الثانية: كشخصية رئيسية في الشيوعية الايطالية بدءا بارتقائه الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي في سنة ١٩٢٣ وانتهاء بكتابته «دفاتر السجن» التي كتب الجزء الأكبر منها بين ١٩١٩ - ١٩٣٤.

مؤسسة الأبحاث العربية